الجزء الرابع المجلد السابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



ربيع الاول ١٤٠٧ هـ
كانون الاول ١٩٨٦ م

مجلة المجمع العلمي العراقي



ربيع الاول ١٤٠٧ هـ
كانون الاول ١٩٨٦ م

العلم الاغريقي

مقوماتــه ونقــله الى العربيــة

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

اللغــة اليونانيــة :

كانت اليونانية في الاصل لغة الاغريق الذين يسكنون شبه الجزيرة اليونانية والجزر القريبة منها وفي عدد من المدن في الاطراف الغربية من آسيا الصغرى . وكان هؤلاء الاغريق منقسمين سياسياً الى عــدة دول صغرى ، لا يتجاوز حكم بعضها مدينــة وبعض الاراضي التي حولها ؛ وكان نشاطهم الثقافي في بداياته مقصوراً على الشعر وتناقل الاساطير ، ثم توسع هذا النشاط، وخاصة في اثينا منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، وظهر في القرن الرابع عدد من المفكرين والفلاسفة الذين دونت لهم كتب . وابرزهم افلاطون وارسطو .

ثم قام الاسكندر المكدوني بتوسيع دولته التي بدأها بمكدونية وضم اليها كافة المدن والدويلات الاغريقية ، ثم مدها الى أواسط آسيا شرقاً ، وليبيا غرباً ؛ وقد حرص الاسكندر المكدوني وخلفاؤه الذين تقاسموا الحكم على دولته الواسعة . على رعاية اللغة الاغريقية التي امتد استعمالها الى كافة البلاد التي حكموها ؛ فكانت لغة الجاليات الاغريقية التي استوطنت عــدداً كبيراً من المدن في ارجاء مختلفة من الدولة . كما كانت اللغة السائدة في بلاطات الملوك والحكام الهللنستيين الذين خلفوا الاســكندر في الحــكم ، وبتشجيع هؤلاء الحكام أصبحت اليونانية لغة الفكر وما الف فيه من الكتب ؛ ولكن

انتشارها كان أقل في المناطق الشرقية من آسيا الصغرى في المناطق الداخلية في سوريا ، وكذلك في العراق وبلدان المشرق حيث ظل غالبية السكان يتكلمون بلغاتهم الأصلية الموروثة ولم يتخلوا عنها .

وبتشجيع من حكام الدول الهللنستية التي تقاسمت حكم دولة الاسكندر بعد وفاته أصبحت اليونانية لغة الفكر والتأليف في تلك الحقبة ، فألف فيها علماء وكتاب من اصول مختلفة ، وكثير منهم من اهل البلاد ممن لا يجري في عروقهم الدم الاغريقي ، وظلت اللغة اليونانية لغة العلم والثقافة الرفيعة في زمن سيادة الرومان بجانب اللغة اللاتينية التي كانت اكثر الكتابات فيها في الاداب والقانون .

أثر العلوم القديمة في العلم الاغريقي :

ولاريب في ان الاستقرار الذي حدث في البلاد التي شملها حكم الملوك الهللنستيين ، والعناية بالفكر ، يسر لكثير من العلماء والمؤلفين الاطلاع على الافكار والمعارف التي كانت قد تأصلت في هذه البلاد منذ أزمنة قديمة ، فأفاد منها هؤلاء المؤلفون ، وادخلوها في مؤلفاتهم ، ولكنهم صاغوها صياغة جديدة منسجمة مع السمات العامة التي تميزت بها كتاباتهم من حيث تنظيمها ووضعها بنظام منطقي ، وتقديم تبريرات عقلية . وفي هذا يقول سارتون « من سذاجة الاطفال ان نفترض ان العلم بدأ في بلاد الاغريق ، فان المعجزة اليونانية سبقتها آلاف الجهود العلمية في مصر وبلاد ما بين النهرين وغيرهما من الاقاليم . والعلم اليوناني كان احياءً أكثر منه اختراعاً »(١) .

والواقع ان عدداً من المؤلفين العرب المعروفين باقتباسهم من اليونانية

(١) تاريخ العلم ١/٢٠ .

وعرضهم وجهات النظر الاغريقية وتقديرهم لها أشاروا الى عراقة المشارقة في العلوم وسبقهم الاغريق في الفكر .

فاما عن حداثة علم الاغريق فان ابا سليمان المنطقي يقول « وقيل ان اول ظهور الفلسفة كان في زمان بختنصر ، واول من ابتدأ فيها ونجم بها كان تاليس ، ولم يكن قبل ذلك في بلاد يونان شيء من العلوم البرهانية ، ليس عندهم الا علم اللغة وتأليف الاشعار والخطب والامثال والرسائل ، الى ان نجم تاليس بالفلسفة . وكذلك الحساب والهندسة والمساحة أخذوها عن المصريين » .

ويقول ايضاً « وفي ملك دارا ابن اردشير عرف اليونانيون كتابتهم التي هي أربعة وعشرون حرفاً ، الا انه لم يكن لهم قبل ذلك الا ستة عشر حرفاً ، وهي التي كان اليونانيون يكتبون بها اولا ، وهذه تسمى حروف فونيقية » . ويقال ان اول من وضع الكتابة أهل مصر ومن بعدهم اهل فونيقية ، وهي التي جاء بها أولا هرمس الى ما هناك »[٢] .

وذكرت عدة كتب اقتباس الاغريق من علوم المشرق القديمة ، فذكر ابو سليمان المنطقي نقلا عن كتاب التاريخ لعلى بن يحيى النديم فيما يظهر « واما علم النجوم فان ابتداءه كان من بابل من جهة الكلدانيين . وذلك قبل زمان ابراهيم (ص) وسببه انهم كانوا مقبلين على صناعتى الفلاحة والملاحة ، ولن يستغنى فيهما عن احكام النجوم . واعانهم على ذلك صفاء الجو في بلادهم ، ولطافة طبائعهم ، وذكاء أذهانهم . وخفة أرواحهم . وقلة الأنداء والسحاب في بلادهم .

---

(٢) منتخب صوان الحكمة ١٠ (طبعة دنلوب) .

واما علم المساحة والهندسة فمن مصر ابتداؤه ؛ وسببه ان مد النيل كان يكسح مزارعهم في كل سنة ، فيحتاجون في قسمتها ومساحتها وتقدير حدودها للضرورة التي دعتهم الى ذلك تحرزاً من الغرق .

واما علم الحساب فان أول من فتقه أهل فونيقى ، وهم أهل حمص ومن يليهم ، لانهم كانوا تجاراً مسافرين محتاجين الى الحساب لأرباحهم وحفظ رؤوس اموالهم عليهم في شرائهم وبيعهم وخسراناتهم .

واما علم الطبائع فمن الشام منشأه ، وسببه ان الوباء في نواحيه كان يكثر ويعم ، فيضطرون الى الاستعانة بالقوى الطبيعية »[٣] .

ويقول المبشر بن فاتك ان « هرمس أول من استخرج علم النجوم » وأن « فيثاغورس تعلم من الكلدانيين والمصريين » [٤] .

وذكر أبو الحسن محمد بن يوسف العامري في كتابه « الآمد على الآبد « ان اول من وصف بالحكمة كان لقمان الحكيم .. وكان انباذقليس اليوناني يختلف اليه على ما حكى ، واخذ منه الحكمة » ؛ ويذكر ايضاً ان فيثاغورس « اختلف بمصر الى أصحاب سليمان بن داوود حين جلوا اليها عن الشام ، وقد كان تعلّم الهندسة قبلهم من المصريين ، فتعلم ايضاً العلوم الطبيعية والالاهية من اصحاب سليمان ، ونقل العلوم الثلاثة : اعنى علم الهندسة وعلم الطبائع والعلم الالهي الى بلاد اليونان ، ثم استخرج بذكائه علم الالحان واوقعها تحت النسب والاعداد » . ويقول أيضاً ان سقراط كان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس [٥] .

---

(٣) منتخب صوان الحكمة ١٢ ــ ١٣ ؛ القفطي : اخبار الحكماء ٣٣ .
(٤) مختار الحكم ٨ ، ٥٤ ، ٥٧ .
(٥) نقله منتخب صوان الحكمة ٥ .

ويقول صاعد «وكان من الكلدانيين علماء من أجلّ الناس فضلا وحكماً، متوسعون في فنون المعارف من المهن التعليمية والعلوم الرياضية والالهية ، وكانت لهم علوم بأرصاد الكواكب، وتحقق بعلم اسرار الفلك،ومعرفةمشهورة بطبائع النجوم واحكامها ، وخواص المولدات وقواها . وهم نهجوا لأهل الشق الآخر من معمور الارض الطريق الى تدبير الهيكل لاستجلاب قوى الكواكب واظهار طبائعها وطرح شعاعاتها عليها بانواع القرابين المؤلفة لها وضروب التدابير المخصوصة بها . فظهرت منهم الافاعيل الغريبة والنتائج العجيبة من انشاء الطلسمات وغيرها من صناعة السر .

واشهر علمائهم عندنا وأجلهم هو هرمس البابلي وكان في عهد سقراط الفيلسوف اليوناني ، وذكر عنه ابو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب الالوف انه هو الذي صحح كثيراً من كتب الاوائل في علم النجوم وغيرها من أصناف الفلسفة مما كان فسد ، وانه صنف كتباً كثيرة في علوم شتى .

قال ابو معشر : والهرامسة جماعة شتى منهم الهرمس الذي كان قبل الطوفان الذي يزعم العبرانيون انه خنوخ النبي ، وهو ادريس عليه السلام ، وكان بعد الطوفان منهم عدة ذوو معرفة وتمييز . وكان المقدم منهم اثنان احدهما البابلي الذي ذكرنا ، والآخر تلميذ فيثاغورس الحكيم من سكان مصر .

قال صاعد : وقد وصل الينا من مذاهب هرمس البابلي ما دل على تقدمه في العلم : من ذلك مذهبه في مطارح شعاعات الكواكب ، ومذهبه في تسوية بيوت الفلك ، ومن ذلك كتبه في احكام النجوم مثل كتاب الطول ، وكتاب

العرض ، وكتاب قضيب الذهب .

ومن علمائهم بعد هرمس برجس صاحب كتاب أسرار النجوم في معرفة الفلك والدول والملاحم .

ومنهم واليس صاحب كتاب الصور ، وكتاب اليرندج المؤلف في المواليد وتحاويلها ، والمدخل في ذلك ، وكان ملكاً .

ومنهم اصطفن البابلي له كتاب جليل في احكام النجوم ، وكان عند شعيب النبي عليه السلام .

ولم يصل الينا من مذهب البابليين في حركات النجوم وصورة هيئة الفلك مذهب مستقصى ، ولا جملة ولا عندنا من آدابهم في ذلك ، ولا من ارصادهم غير الارصاد التي نقلها عنهم بطليموس اليوناني القلوذى في كتاب المجسطى فانه اضطر اليها في تصحيح حركات الكواكب المتحيرة ، اذ لم يجد لاصحابه اليونانيين في ذلك ارصاداً يثق بها » [٧] .

وذكر صاعد عن مصر « وكان لقدماء اهل مصر الذين كانوا قبل الطوفان عناية بانواع العلوم وبحث غوامض الحكم .. وذكر جماعة من العلماء أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الأعلى ، وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ .. وهو ادريس النبي عليه السلام ، وقالوا انه أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية ، واول من بنى الهياكل ومجّد الله تعالى فيها ، واول من نظر في علم الطب ، وألّف لأهل زمانه قصائد موزونة في الاشياء الأرضية والسماوية »

---

(٧) طبقات الامم ١٨ ــ ١٩ .

قال صاعد وكان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب الفلسفة من العلوم الرياضية والطبيعية والالهية ، وخاصة بعلم الطلسمات والنيرنجات والمرائي المحرقة والكيمياء وغير ذلك .

ومن قدماء العلماء بمصر هرمس الثاني .. وله كتاب جليل في صناعة الكيمياء ، وكتاب في الحيوانات ذوات السموم .

.. ومن قدماء العلماء بمصر هرمس الثاني .. وله كتاب جليل في صناعة الاربع في طبيعة العدد وخواصه .

ومن علمائهم بالهندسة وعلم هيئة الافلاك وحركات النجوم بيون الاسكندراني صاحب كتاب الافلاك ، فذكر فيه هيئة الافلاك وعددها وكمية حركات الكواكب ذكراً مرسلاً مجرداً من البرهان على ما ذهب اليه بطليموس في كتاب المجسطي ، واما كتاب القانون فانه اختصر فيه تعديل الكواكب وصور تقويمها على رأي بطليموس وزاد فيه حساب حركات اقبال الفلك وادباره على رأي اصحاب الطلسمات .

ومن علمائهم ورؤوسهم صاحب الكتب الجليلة في صناعة الكيمياء .

ومنهم الاسكندرانيون الذين اختصروا كتب جالينوس الحكيم وألفوها على المسألة والجواب .. وكان رئيسهم انقيلاوس .

ومن علمائهم باحكام النجوم واليس صاحب الكتاب المعروف بالبرندج الرومي المؤلف في المواليد وما يتقدمها من المدخل الى علم احكام النجوم ؛ وذكر عنه الأندوز (!) في كتابه المؤلف في المواليد ان كتبه العشرة في المواليد

جامعة لقوة سائر الكتب ، وان اليس قال ان كل علم يزعمون انه ليس في كتبه فلا اصدق أنه كان ويكون •

ولا اعلم لاحد ممن ذكرت من علماء الاسكندرية زماناً محدداً ولا خبراً مستقصى ولا وصل الينا من حكمتهم الا القليل النزر ، بالاضافة الى ما تشهد به آثارهم بصعيد مصر ومصانعهم الجليلة في سائر نواحيها من عجائب البرابي وغرائبها الدالة على سعة علمهم والمثبتة على نفاسة اخطارهم » (٨) ؛ وواضح من كلام صاعد انه ادخل في كلامه عدداً من علماء مصر الذين اسهموا في الفكر الاغريقي في عز ازدهاره ، وكانت كتابتهم باليونانية •

سيادة اللغة الاغريقية في كتابة العلم :

وورد في المصادر العربية ما يشير الى ان مجيء الاسكندر المكدوني الى الشرق كان حدثاً حاسماً في تطور الحركة الفكرية ؛ فذكر ابو سهل بن نوبخت في كتاب النهمطان ان الشرق ، وخاصة بابل ، كانت العلوم فيه مزدهرة والكتب عنها كثيرة ، بما في ذلك التنجيم والأدوية ، وظل ذلك حتى مجيء الاسكندر وقضائه على دولة الاخامينيين واهلاكه ما كان من صنوف البناء من أنواع العلم الذي كان منقوشاً مكتوباً في صخور ذلك وخشبه بهدم كل ذلك واحراقه وتفريق مؤتلفه ونسخ ما كان مجموعاً من ذلك في الدواوين والخزائن بمدينة اصطخر ، وقلبه الى اللسان الرومي والقبطي ، ثم احرق بعد فراغه من نسخ حاجته منها ما كان مكتوباً بالفارسية ، وكتاب يقال له الكشتج ، واخذ ما كان يحتاج اليه من علم النجوم والطب والطبائع . فبعث بتلك الكتب وسائر ما

(٨) طبقات الأمم ٤٠ ــ ٤١ .

أصاب من العلوم والاموال والخزائن والعلماء الى بلاد مصر .. فدرس عند ذلك العلم بالعراق وتمزق ، واختلفت العلماء وقلت ، وصار الناس اصحاب عصبية وفرقة [٩] .

ويقول المبشر بن فاتك ان « الاسكندر أحرق كتب دين المجوسية وعمد الى كتب النجوم والطب والفلسفة ، ونقلها الى اللسان اليوناني وانفذها الى بلاده ، واحرق اصولها » [١٠] .

تظهر هذه النصوص ان العلماء في عهد ازدهار الفكر العربي كانوا يعرفون ان اليونانيين لم يكونوا اول المبدعين للعلوم ، وانما سبقهم الى ذلك أهل العراق وأهل مصر ، واذا كانت التفاصيل التي ذكروها موضع شك يجعلها اقرب الى الاساطير ، فانها مستندة الى حقائق بدأت المكتشفات والدراسات توضح بعض جوانبها وتظهر المعلومات والاخطار التي أبدعها ودوّنها اهل العراق ومصر قبل قرون عديدة سبقت ازدهار التأليف باللغة اليونانية [١١] .

وعندما تقدم الرومان وضموا الى دولتهم الاقاليم التي حول البحر المتوسط ، بما فيها مصر وبلاد الشام وآسيا الصغرى حيث كانت اللغة اليونانية وثقافتها سائدة ، أولوا اللغة اليونانية تقديراً ، فظلت لغة الثقافة والفكر حتى

---

(٩) الفهرست ٣٠١ ــ ٤ .　　(١٠) مختار الحكم ٢٣٣ .

(١١) اخذت تتزايد الكتب الباحثة عن العلوم في بلاد وادي الرافدين وفي مصر في العهود القديمة . انظر مثلا ، تاريخ العلم ، لسارتون . وكتاب اوبنهايم : بلاد مابين النهرين في القديم . وكتاب « تراث مصر » والمصادر التي كتبوها لابحاثهم .

عند الرومان انفسهم [١٢] ، والحق ان كثيراً من المؤلفات التي كتبت بالاغريقية انما الفت في زمن سيادة الدولة الرومانية ، غير ان الرومان ركزوا عنايتهم بالحكمة والاداب ، والفقه والقانون والادارة ، والعلوم التطبيقية دون النظرية، فبدأ منذ القرن الثاني الميلادي تدهور في الحركة الفكرية ، واخذ يتناقص عدد المؤلفات بالاغريقية .

تدهور التأليف العلمي بالاغريقية :

ولا بد ان الثقافة الاغريقية تقلصت ، واللغة الاغريقية انكمشت في العراق والاقاليم الشرقية على اثر استيلاء الفرثيين على تلك البلاد في اواخر القرن الثاني قبل الميلاد ، وازداد ضمورها وانطماسها في تلك الاقاليم بعد استيلاء الساسانيين على الحكم فيها في اواسط القرن الثالث بعد الميلاد ، اذ انهم ناصبوا الدول الاغريقية والرومانية العداء ، واتخذوا البهلوية لغة رسمية في بلاطهم ، ولم يرد ذكر للمستعمرات الاغريقية القديمة التي كانت تقيم في تلك البلاد وان عدم وجود اشارة الى اخراجهم من البلاد يدل على ضمورهم وجمودهم وربما رافق ذلك تناقص استعمالهم اللغة الاغريقية ونسيانهم اياها .

وعندما سيطرت المسيحية واصبحت العقيدة الرسمية للدولة البيزنطية ، تركز اهتمام النصارى على العقائد المسيحية ، واخذ الاباطرة يضطهدون الثقافة اليونانية[١٣] ، وكان أجلى مظهر لذلك غلق جستنيان مدرسة اثينا وتشتيت اساتذتها ، وفي هذا يقول المسعودي « ولم تزل الحكمة باقية عالية زمن اليونانيين وبرهة من مملكة الروم ، تعظم العلماء وتشرف الحكماء ، وكانت

(١٢) انظر في ذلك كتاب « تراث اليونان » ص ٢٨٨ الطبعة الجديدة (بالانكليزية) .
(١٣) تراث اليونان ٤٤٣ .

لهم الاراء في الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعاليم الاربعة ، اعنى الارثماطيقي وهو علم الاعداد ، والجومطريقي وهو علم المساحة والهندسة ، والاسترونوميا وهو علم النجوم ، والموسيقى وهو علم تأليف اللحون • ولم تزل العلوم قائمة السوق ، مشرقة الافكار ، قوية المعالم ، شديدة المقاوم ، سامية البناء ، الى ان تظاهرت ديانة النصرانية في الروم ، فعفوا معالم الحكمة وازالوا رسمها ومحو سبلها ، وطمسوا ماكانت اليونانية ابانته ، وغيروا ماكانت القدماء منهم اوضحته »[١٤] ، والواقع ان الفترة بين ٦١٠ ــ ٧١٧ م كانت من أحلك الفترات في تاريخ الفكر البيزنطي ، حيث شحت فيها المؤلفات وضعف الاسهام الفكري •

المؤلفات باليونانية لم تكن حكراً للاغريق :

ذكرنا ان استعمال اللغة اليونانية بدأ ينتشر خارج بلاد اليونان منذ زمن الاسكندر المكدوني (ت ٣٢٣ ق م) وانها اصبحت في زمن خلفائه اللغة العالمية للعلم ، وقد تم كثير من ذلك بفضل التشجيع والمساعدات التي كان يبذلها الملوك والحكام المعجبين بالثقافة الهللنستية ، اذ كانوا يتباهون برعاية الثقافة فيها ، ويتنافسون في جلب العلماء ليمكنوهم من تأليف الكتب التي كان أغلبها يحفظ في مكتبات الملوك والحكام •

وقد اسهم في تأليف هذه الكتب عدد كبير من المؤلفين والعلماء الـذين عنوا بتدوين المعلومات والافكار ، ولم يعنوا بابراز اصولهـا او اصولهـم العرقية . واكتفوا بذكر اسمائهم ، واشاروا احياناً الى المـدن التي ينتسبون اليها ، والى بعض الاحـوال المحلية . ولكنهم لم يبرزوا في كتاباتهم المظاهر

---

(١٤) مروج الذهب ١/٣٥٤ .

الاقليمية أو المحلية أو القومية ، مما أدى الى ان يعتبرها كثير من الناس اغريقية .

ان كتابة المؤلفات في العهود الهللنستية باللغة اليونانية ، وابرازها العمومية القائمة على اساس العقلانية ، ورعاية الحكام اليونانيين لها ، وقلة حرص المؤلفين على ابراز المشاعر الاقليمية والقومية ، ادت كلها الى ان تعتبر هذه المؤلفات « اغريقية » ، وان تنسب الى الاغريق وتكون دليلاً على عبقريتهم واسهاماتهم ؛ اي انهم اتخذوا « اللغة » معياراً للتمييز الثقافي ، علماً بان هذا المعيار لم يطبق كثيراً عند دراسة الانتاج الثقافي المكتوب باللغة العربية ابان ازدهار الفكر في العهود الاسلامية ، حيث اهتم معظم الكتاب بابراز الاصول العرقية لمن الف بالعربية ، او بنسبة التيارات الفكرية التي تظهر في هذه الكتب الى العوامل العرقية ، وكذلك بالبحث عن بعض الجزئيات المتفردة المستمدة من اصول محلية دون مراعاة أهمية صياغتها وتقييم مكانها من الصورة العامة للفكر .

وقد ذكرت بعض المصادر اصول ونسبة عدد كبير من مشاهير من كتب باليونانية من العلماء الذين عاشوا ابان ازدهار الكتابة بها في زمن الهللنستيين وبعدهم ، واشار الى ذلك الاستاذ سارتون في كتابه « تاريخ العلم » ، ويتبين مما ذكره العدد الكبير منهم الذي كان اصله من مدن في العراق وبلاد الشام ومصر [١٥] .

المبالغة في الازدهار الكمي لكتب العلوم الاغريقية :

ظلت اليونانية اللغة العالمية التي تكتب فيها الكتب حتى القرن الخامس

---

(١٥) انظر : تاريخ العلم لسارتون ١/٢٢ ـ ٢٣ .

الميلادي على الأقل ، اي ما يزيد على ثمانية قرون ، وهي مدة طويلة نسبياً ، واذا اخذ بنظر الاعتبار معها الرقعة الواسعة من البلاد التي كان فيها التأليف يتم باللغة اليونانية ، فان عدد المؤلفين لم يكن كبيراً ، كما ان عدد الكتب كان محدوداً نسبياً .

ان الكتب المكتوبة باللغة اليونانية التي وصلت الينا باصولها أو بترجماتها العربية متباينة في حجومها ، فبعضها كبير وصفحاته كثيرة ، وبعضها صغير لا يتجاوز بضع صفحات ، واسماؤها منوعة ، فبعضها يسمى « كتاب » ، وبعضها « مقالة » أو « رسالة » ، ولا يمكن وضع قاعدة دقيقة لتثبيت حجم كل منها ، فقد يكون الكتاب صغيراً ، والرسالة كبيرة ، ويمكن القول عموماً بان « المقالة » أو « الرسالة » تعنى بموضوع محدد ، والغالب انها صغيرة الحجم ، اما الكتاب فالغالب انه اوسع نطاقاً واكثر تبسطاً ، وقد يتناول عدة مواضيع ، أو عدة جوانب ، علماً بأن معظم المؤلفات عناوينها بسيطة واضحة ، تدل على محتواها . وقد تعنون بمن ارسلت له دون الاشارة الى محتواها مثل « رسالة الى الاسكندر » ، « كتاب الى اغلوقن » .

والكتب التي ألفها الاغريق بالرغم من أهميتها ومكانتها والفائدة العلمية لكثير منها في الحياة ، ككتب الطب والصيدلة والادوية والهندسة ، فان عدد النسخ من كل كتاب كان قليلاً جداً . وكثير منها فقد ولم يعد له وجود . والواقع ان العرب عندما ازداد اهتمامهم في صدر العصر العباسي بالمعارف الاغريقية وكتبها ، لم يجدوا نسخاً منها في ارجاء دولتهم التي كان كثير من بلادها ضمن ميدان الثقافة الاغريقية ، مما حملهم على ارسال بعثات الى الدولة البيزنطية للحصول على نسخ من هذه الكتب ، وبذلوا بسخاء لتحقيق هذا الغرض ، ومع كل جهودهم لم يحصلوا الا على نسخ قليلة من بعضها ، وليس

كل الكتب المكتوبة باليونانية، كما ان الاوربيين عندما اندفعوا في عصر النهضة الى العناية بجمع الفكر الاغريقي ، لم يجدوا من ذلك الا نسخاً قليلة من بعض هذه الكتب ، واعتمدوا على ما جمعه العرب وترجموه منها للتعويض عن النسخ الاصلية التي فقدت الى الأبد .

عوامل انكماش استعمال اللغة اليونانية وتطوره :

ذكرنا ان اوج الازدهار في استعمال اللغة اليونانية كان في زمن الحكام الهللنستيين، ثم تلا ذلك انحسار تدريجي لمكانتها وامتداد استعمالها، وهذا يرجع الى عدة عوامل منها تناقص عدد الاغريق المقيمين في ارجاء البلاد ورجوعهم الى بلادهم ، ومنها زوال الحكام الذين كانوا يحرصون على اللغة اليونانية ويعنون بنشرها بين الناس وباستعمالها في التأليف ، ومنها التدهور العام الذي حدث في الحركة الفكري بسبب عوامل متعددة . وعند البحث في تطور انحسار اللغة الاغريقية يجدر ان نقسم البحث الى شقين : اولهما الانحسار في العراق والمشرق ، والثاني الانحسار في بلاد الشام والمغرب .

فاما العراق وبلاد المشرق فان اللغة الاغريقية فيها رغم دورها في تسجيل الانتاج الفكري ، كانت قائمة على الحكام الاغريق والجاليات الاغريقية التي استوطنت في اماكن محدودة وسط اقاليم كان سكانها يتكلمون لغات لاتتصل بالاغريقية ؛ وان اعجاب هؤلاء السكان بمظاهر الحضارة الاغريقية الذي يتجلى في أخذهم بعض سمات تلك الحضارة ، كأسمائها وأزيائها وطرز البناء فيها ، لم يصل الى حد تجردهم من اصول حضاراتهم القديمة (١٦) ؛ وهكذا

(١٦) أوسع دراسة عن حضارة الشرق ابان تلك الفترة هي كتاب روستوفزيف «التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للعالم الهللنستي » ؛ وانظر ايضاً المجلد الثالث من كتاب « تاريخ كمبردج عن ايران » .

ظل اكثر السكان الاصليين ، وخاصة في الارياف والمناطق البعيدة عن مستوطنات الاغريق وبلاطات ملوكهم ، محتفظين بلغاتهم القديمة وبكثير من اساليب حياتهم وطرز معيشتهم ، وبذلك كانت الاكثرية العظمى من السكان تختلف عن الحكام والمستوطنين الاغريق . فلما تضعضع سلطان الحكام الاغريق وضعفت هيمنتهم ، حل محلهم في الحكم حكام من أهل البلاد لم يكن لهم نفس الاعجاب بالحضارة الاغريقية . وانما كانوا يعتزون بلغاتهم واساليب حياتهم ، وبذلك فقدت اللغة الاغريقية حماتها الاقوياء المتعصبين لها ، وتناقص عدد الحريصين على تعلمها .

ثم ان اللغة اليونانية كانت سائدة في ميادين الاداب والعلوم . ولم تمتد الى ميادين العقيدة والدين ، فديانات الحكام والمستوطنين الاغريق والرومان كانت « وثنية » متناثرة ، وليست سماوية ، ولم يكن فيها كتاب مقدس تلزم قراءته في العبادات ، فلما انحسرت الحكومات التي تحميها لم تبق أداة لحفظها، وتشتت أنصارها لان الحكام لم يحاولوا جعل الدين يجمع الناس ويربطهم ، وانما اقاموا رابطتهم على اساس المصلحة المادية ، فلما ضعف تحقيق هذه المصلحة انفرط الناس ، وحلت محلهم دول ومجتمعات تعنى بالدين وكتبه المقدسة عندهم ، ففي المشرق تبنى الساسانيون الديانة الزرادشتية ، وثبتوا كتابها المقدس « الافستا » باللغة الفهلوية التي استعملها رجال دينهم من الموابذة والهرابذة ، وربما في بيوت عباداتهم [١٧] . اما اليهود فظلوا متمسكين بلغتهم العبرية يستعملونها في مؤلفاتهم الدينية وعباداتهم ، واما النصارى فمع انهم استعملوا في البداية « الاغريقية » كما يتجلى ذلك من الترجمة المبكرة للانجيل الى اليونانية ، الا انهم عدلوا عن ذلك كما يتضح من ترجمتهم له الى

---

(١٧) انظر في ذلك « ايران في عهد الساسانيين » لكرستنسن .

السريانية في اواسط القرن الرابع الميلادي • ولابد ان بعض اسباب ذلك ترجع الى ان اللغة الاغريقية كانت تعرقل فهمه من النصارى الذين كان أكثرهم من « العامة » و « الجماهير » من اهل البلاد ولا يعرفون الاغريقية •

اما الجاليات اليونانية التي كانت تقيم في المستعمرات التي أقامها السلوقيون ، أو الذين كانوا يقيمون في العاصمة « سلوقية » فالراجح ان معظمهم انسحب بعد ضعف الدولة السلوقية التي كانوا فيها مأجورين وارتباطهم بالحكام قائم على المصلحة المادية وليس على أي أساس عائلي أو عقائدي • والراجح ان القليلين الذين بقوا اندمجوا بالسكان الأصليين ، فاستعملوا لغة هؤلاء السكان بجانب لغتهم أو محلها •

ولابد ان عدداً من الناطقين بالاغريقية كانوا يقدمون الى العراق والاقاليم الشرقية ، ومنهم التجار وأصحاب الاعمال ، وكذلك بعض الاسرى الذين اشهر ما نعرفه منها ما حدث في زمن سابور، غير انه لا يوجد ما يدل على مراكز لتعليم اليونانية في العراق ، ويجدر ان نشير الى ان ابن أبي اصيبعه يذكر ان حنين بن اسحاق « هو أول من نقل شيئاً من علوم الروم الى اللسان السرياني »[١٨] وانه « تعلم لسان اليونانيين بالاسكندرية »[١٩] • أما البيهقي فيقول ان حنين « نشأ بالشام وتعلم فيها »[٢٠] ، وعلى أي حال فانه لم يذكر أحد انه تعلم اليونانية في العراق •

ولابد أن اسرى الروم الذين نقلوا الى العراق كان كثير منهم يعرف اليونانية ومن أقدمهم من نقله سابور الاول عندما اسر فالريان واجبره على اقامة سد تستر وأخذ جماعة كثيرة معه وأسكنهم جنديسابور[٢١] ، كما قام

(١٨) ابن أبي اصيبعة ٢٥٩ .

(١٩) ابن ابي اصيبعة ٢٦٢ .

(٢٠) تاريخ حكماء الاسلام ١٦ .

(٢١) الطبري ٨٢٧/١ ـ ٨ .

سابور الثاني بغزو الروم « واسكن من سبى مدينة بناها بناحية السوس وسماها ايرانشهر سابور »[٢٢] • وفتح انوشروان انطاكية « ثم أمر أن تصور له مدينة انطاكية على ذرعها وعدد منازلها وطرقها وجميع ما فيها ، وأمر أن يبنى له على صورتها مدينة الى جنب المدائن ، فبنيت المدينة المعروفة بالرومية على صورة انطاكية ثم حمل أهل انطاكية حتى أسكنهم اياها »[٢٣] • ولا نعلم مصير هؤلاء الموطّنين الاسرى ، ولكن الراجح ان كثيراً منهم كانت لغته وثقافته اغريقية ، غير انه لا يوجد ما يدل على انه كان لهم أثر في اعادة مكانة الاغريقية وثقافتها في بلاد المشرق •

لا تتوفر تفاصيل عن تطور انحسار اللغة اليونانية وثقافتها من العراق وأقاليم المشرق قبل الاسلام ، ولكن لابد ان هذا الانحسار حدث تدريجياً ، فكانت مظاهر بقائه واضحة في العهود الاولى ، وهي تتجلى في تلقيب الملك الفرثي مثرداتس الاول (١٧١ ــ ١٣٨ ق•م) نفسه « محب الهللينيين » Philohellen كما ان ملوك ميسان الذين حكموا في جنوب العراق ثلاثة قرون الى ان أزال دولتهم اردشير في أواسط القرن الثالث الميلادي ، كانوا يكتبون على نقودهم بالاغريقية • ومن المعروف انه عندما أغلق جستنيان أكاديمية أثينا في سنة ٥٢٩ ، استقبل انوشروان فلاسفة الاكاديمية بالترحاب ثم طلب من جستنيان العفو عنهم ، فعادوا بعد أن أظهروا عدم استساغتهم الافكار التي كانت سائدة في بلاط انوشروان •

استعمال اللغة اليونانية في أقاليم الدولة الاسلامية :

أما الشام وأقاليم المغرب فان لها فيما يتعلق باللغة الاغريقية وضعاً مختلفاً ، اذ أن هذه الاقاليم وان كانت تشبه أقاليم المشرق حيث ان سكانها

---

(٢٢) الطبري ١/٨٤٥ •

(٢٣) الطبري ١/٨٩٨ •

الاصليين يختلفون عن الاغريق في اصولهم وارومتهم ونظم الحضارة والتقاليد والفكر ، الا ان موقع هذه الاقاليم على أطراف البحر المتوسط يسّر لها تكوين ارتباطات هي أقوى وأوسع من ارتباطات أقاليم المشرق . فالعلاقات التجارية وما يتصل بها مع بلاد الاغريق كانت قديمة واستمرت حتى بعد سقوط روما .

ثم ان هذه الاقاليم أصبحت بعد سقوط الدولة الهللنستية تابعة للدولة الرومانية التي أولت اللغة اليونانية اهتماماً وتقديراً كبيرين واستعملتها أداةً للتعبير في الثقافة والمؤلفات العلمية . وعندما سقطت روما بيد الجرمان ظلت هذه الاقاليم التي في شرقي البحر المتوسط وجنوبيه تابعة لدولة بيزنطة التي تابعت سياسة دولة روما في تبنى اللغة الاغريقية أداة للانتاج الفكري عموماً . فكانت اليونانية اللغة المستعملة ابان القرن الخامس الميلادي في المدارس المتعددة في نيقوميديا ، وانقره وقيسارية ، وانطاكية ، وافاميا ، والاسكندرية التي كانت أكبر مركز دراسي في الاقاليم الجنوبية[٢٤] ؛ فاللغة الاغريقية ظلت محتفظة بمكانتها في الدراسات والمؤلفات ، وكان الادب في بيزنطة هو أدب يوناني[٢٥] .

وعندما دخل المسلمون بلاد الشام ومصر وضموها الى دولتهم كانت اليونانية هي اللغة التي تدون فيها وثائق الدولة ونقوش النقود وسجلات دواوين الجباية والمالية ، واستمر الامر على ذلك الى ان تم تعريب الدواوين حوالي سنة ٧٥ هـ في عهد خلافة عبدالملك بن مروان[٢٦] . ويتبين من أوراق

---

(٢٤) انظر في ذلك : نورمان بينز « الامبراطورية البيزنطية » ٢١٠٨ (الترجمة العربيــة) .

(٢٥) نورمان بينز ٢١٢ — ٢١٣ .

(٢٦) الجهشياري ٢٤ ، ٣١ ، أدب الكاتب للصولي ٤٠ .

البردي المكتشفة في مصر انها كانت تشمل عدداً من الاوامر الصادرة من الولاة الى المسؤولين عن الادارة المالية والجباية يعينون فيها مقدار الجبايات وطريقة جبايتها وبعض الاوامر المتعلقة بها ، والراجح ان مثل هذه الامور كانت تكتب في دواوين بلاد الشام ، وان كتاب الدواوين الذين استعملوا هذه اللغة وكانوا يعرفونها لم يكونوا من أرومة رومية ، وانما كانوا من أهل البلاد ممن لغتهم الاصلية هي القبطية في مصر ، والعربية في بلاد الشام ؛ ويروى الجهشيارى ان الذي قام بتعريب الدواوين في بلاد الشام سليمان بن سعيد الخشني ، الذي ظل في عمله في الدواوين الى زمن خلافة عمر بن عبدالعزيز[٢٧] ؛ وواضح من اسمه انه عربي ، كما ان كنيته « الخشني » تظهر انتسابه الى بني خشن ، وهي احدى العشائر العربية التي كانت من قبل الاسلام تقيم في الاطراف الجنوبية من بلاد الشام ؛ ولابد ان الخشني كان واحداً من عدد غير قليل كانوا يعملون في الدواوين وهم من العرب ، وان معرفتهم الاغريقية جاءت عن طريق تعلمهم لها ، غير ان معرفتهم بها كانت لاغراض محدودة من أعمال الدواوين ؛ ومع انه ليست لدينا معلومات عن ثقافتهم العامة . الا ان عدم اسهامهم في حركة النقل والترجمة ، وعدم اشارة المصادر الى بروز مسهمين منهم في العلوم يدل على انهم كانوا بعيدين عن الاهتمام بالعلوم .

ثم ان اللغة اليونانية في هذه الاقاليم اقترنت بالكنيسة المسيحية منذ أوائل ظهورها ، فالترجمة السبعينية المشهورة للعهد القديم الى اليونانية انجزت في الاسكندرية قبل أكثر من قرنين من ولادة المسيح . كما ان الاناجيل المكتوبة بالاغريقية عم استعمالها قبل انصرام القرن الاول للميلاد ؛ ولابد ان ذلك رافقه استعمال الاغريقية في الكنائس المسيحية في تلك الاقاليم ؛

---

(٢٧) الوزراء والكتاب ٣٨ ، ٤٧ ، ١٥٣ .

وعندما حدثت الانشقاقات المذهبية بين النصارى في بلاد الشام واعتنق أكثر أهل الجزيرة الى النسطورية ، وأكثر العرب وأهل الاطراف الغربية من الشام اليعقوبية ، ظل معظم النصارى في بلاد الشام ومصر يتبعون الكنيسة التي تتبعها بيزنطة وملوكها ، وكانت هذه الكنيسة تسمى الملكانية ، وفي هذا يقول الخوارزمي في كلامه عن فرق النصارى « أولهم الملكانية .. وهم أقدمهم ، وأهل الروم كلهم ملكانية »[٢٨] . ويقول البيروني ان « الملكانية وهم الروم ، وانما سموا بذلك لان ملك الروم على قولهم ، وليس بالروم سواهم »[٢٩] ؛ ويقول المسعودي ان الملكية « هم عمد النصرانية وقطبها ، لان المشارقة عن هؤلاء تفرعوا ، ومنهم تبددوا »[٣٠] .

لاريب في أن صلة الملكانية بحكام الدولة البيزنطية كان مصدراً لاثارة شكوك الساسانيين فيهم والى عدم انتشار مذهبهم في العراق ، غير ان هذا لا يعني انعدام وجودهم . فليس من المستبعد ان يكون معظم اسرى الروم الذين أوطنهم الساسانيون في بعض مدن الاحواز وفي رومية المدائن كانوا من الملكانية .

ويذكر المسعودي ان الاطوار الاربعة : سينا ، وزيتا ، وهارون ، والاردن « جميعها للملكية من النصارى » وان ديارات طور زيتا وايليا ظلت عامرة الى أن أخربته جنود الفرس حين غلبت على الشام ومصر وسبت من كان في تلك الديارات وغيرها قبل ظهور الاسلام ، وذلك في ملك كسرى ابرويز[٣١] ولا يبعد ان كثيراً من هذا السبي نقل الى العراق .

---

(٢٨) مفاتيح العلوم ٢٣ .
(٢٩) الاثار الباقية ٢٨٨ .
(٣٠) مروج الذهب ١/١١١ ؛ التنبيه والاشراف ١٢٦ ، ١٣٦ .
(٣١) التنبيه والاشراف ١٢٣ .

وعندما توسعت دولة الاسلام وضمت أقاليم الشرق الاوسط لم تضطهد الملكانية ، وانما تركت لهم الحرية الواسعة في ممارسة عباداتهم وكنائسهم ، ولعلها استهدفت من ذلك الافادة منهم في ضبط البيزنطيين ومنعهم من التعسف في معاملة المسلمين .

لا تتوفر معلومات عن تطور امتداد الملكانية الى العراق بعد تكوين الدولة الاسلامية ، وكان في الكوفة دار الروميين بنى قربه خالد بن عبدالله القسري كنيسة وكانت امه نصرانية ، ولعلها ملكانية[٣١أ] وعندما اسست بغداد في زمن أبي جعفر ، كان من معالم خططها على نهر عيسى « الرومية وعليه هناك قنطرة تعرف بالرومية »[٣٢] ويذكر اليعقوبي أن ربض حميد بن قحطبة على الصراة العليا ، يتصل ذلك بقطيعة الفراشين ، وتعرف بدار الروميين وتشرع على نهر كرخايا .. وبازاء قطيعة الروميين على نهر كرخايا الذي عليه القنطرة المعروفة بالروميين دار كعبويه البستانبان الذي غرس النخل ببغداد »[٣٣] .

ان اقتران الروميين بالفراشين في نص اليعقوبي قد يدل على ان هؤلاء الروميين كانوا يستخدمون للخدمة في قصر الخليفة . والواقع ان قصر الخليفة لم يكن خلوا من الجواري الروميات ، ومن أشهرهم هيلانة حظية الرشيد وصاحبة الحوض المسمى باسمها في الجانب الغربي ، وقد أشار الجاحظ الى ان النصارى كان منهم « فراشي الملوك »[٣٤] .

وقد ذكر ابن النديم « دار الروم في الجانب الغربي »[٣٥] ، وان ممن كان يسكنها فثيون النصراني . وذكر عمرو بن متى ان يوانيس فطرك زمن

(٣١أ) انظر البري ٢٥٦/٢ . ٢٥٧ . ٦٣٠ انساب الاشراف ٢٢٨/٥ وعن الكنيسة انظر فتوح البلدان ٢٨٦ ياقوت ٧٦٩/١ اغاني ٢٥٩/١٩ .

(٣٢) تاريخ بغداد للخطيب ١١١/١ . سهراب ١٢٣ .

(٣٣) البلدان ٢٤٤ .

(٣٤) الرد على النصارى للجاحظ ١٧ .

(٣٥) الفهرست ٢٢٠ .

المعتضد « أقام ببغداد بدار الروم وانه دفن بدار الروم ببيت السيدة »[٣٦]، وقد تكون هذه دار الروم التي تقع في أعلى الجانب الشرقي في الشماسية حيث استوطنها الاسرى الذين جلبهم الرشيد من صمالو[٣٧] .

يذكر البيروني ان « مقام جاثليق الملكانية من بلاد الاسلام بمدينة السلام وهو من تحت يد بطريق انطاكية ، أما جاثليق النسطورية فيكون من عند الخليفة أمير المؤمنين على رضى من جمهورهم »[٣٨] ، وذكر ماري بن سليمان ان ابراهيم الجاثليق منع رئيس الملكية من التسمي بالقثلقة من ان يسيم اسقفاً ، غير ان الوزير علي بن عيسى الغى هذا العمل[٣٩] .

ان صلة الملكانيين بالروم ترجح معرفتهم بالاغريقية ، وتواجدهم ببغداد يشير الى تواجد الاغريقية فيها ، ولعل عدداً من النقلة والمترجمين ببغداد في العصر العباسي ، كانوا من الملكانيين المتقنين للغة الاغريقية .

ندرة الكتب المؤلفة باليونانية في اقاليم العالم الاسلامي :

ذكرنا ان اللغة اليونانية ظلت تستعمل في أقاليم الدولة البيزنطية أداة لكتابة الانتاج الفكري ، غير ان ذلك لم يرافقه استمرار ازدهار دراسة العلوم التي أصابها تدني متتابع ، وفي هذا فان سارتون في كتابه « مقدمة في تاريخ العلم » الذي مايزال أوسع ما كتب عن تطور التأليف من العلوم في العصور القديمة والوسطى ، يقول في وصفه تطور التأليف « ان النصف الثاني من

---

(٣٦) اخبار فطارقة المشرق ٨٠ ــ ٨١ .
(٣٧) انظر : بغداد في عهد الخلافة العباسية لليسترانج ١٧٥ ــ ١٧٦ .
(٣٩) أخبار فطارقة المشرق ٩٢ ــ ٣ ؛ وانظر عن الملكانية مقال جون فابى « الروم في شرق الفرات » المنشور في مجلة Moseom م ٩٠ سنة ١٩٧٧ ومقال نصرالله « الكنيسة الملكانية في العراق وايران وآسيا الوسطى » المنشور في مجلة الشرق الادنى النصراني، م ١٩٧٥/٢٥ ص ١٣٥ ــ ١٧٣ م ١٩٧٦/٢٦ ص ١٦ ــ ٣٣ (والمقالين بالفرنسية) .

القرن الثاني الميلادي كان فيه نشاط كبير في الانتاج ، ولكن أيام العز انتهت »[٤٠] ، وان النصف الثاني من القرن الخامس « تدنى النشاط وتم الاهتمام بالافلاطونية المحدثة »[٤١] ، ويقول ان النصف الثاني من القرن السادس كان « أحلك العصور المظلمة »[٤٢] وان النصف الثاني من القرن السادس كان « فترة تقهقر »[٤٣] . أما النصف الاول من القرن السابع فانه كان « فترة ارهاق »[٤٤] . ويقول مايرهوف « فاذا قرأنا كتاب بومشترك عن تاريخ الادب السرياني وجدنا انه لم يكن في الشرق الادنى في العصر السابق على الاسلام علماء وأطباء مشهورون ، وانما كان الغالب أن يأتي علم الطب آنئذ من الاسكندرية[٤٥] . هذه الفترات التي وصفها سارتون كانت كلها سابقة لظهور الاسلام وتوسع دولته ، وهذا الجمود والتدهور في دراسة العلوم والتأليف فيها رافقه تبني الدولة للمسيحية والاعتراف بها واتخاذها ديناً رسمياً ، ووضعها موضع السيادة ، وقد انصرفت المسيحية الى الاهتمام بالعقائد الدينية ودراستها والكتابة في توضيحها وتثبيتها ، وقادها ذلك الى قلةالاهتمام بدراسةالعلوم الصرفة والىمحاربة الدراسات التيقد تنافيالافكار المسيحية أو تشكك فيها أو تعطل نشرها ، وكان تحاملهم على كتب الفلسفة شديداً ، فيروى القفطي ان المأمون طلب من ملك الروم كتب الحكمة من كلام ارسطوطاليس وأراد ملك الروم اجابة طلبه « فلم يجد لها ببلاده أثراً ، فاغتم لذلك » وأخبره أحد الرهبان انه لما تقررت المسيحية في تلك البلاد أيام قسطنطين « جمعت كتب الحكمة من أيدي الناس » . وانها وضعت في أحد

---

(٤٠) مقدمة في تاريخ العلم ١/٢٨٨ .

(٤١) كذلك ١/٢٩٨ .

(٤٢) كذلك ١/٤١٤ .

(٤٣) كذلك ١/٤٤١ .

(٤٤) كذلك ١/٤٦٠ .

(٤٥) « من الاسكندرية الى بغداد » ترجمة عبدالرحمن بدوي في « التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية » ٤٣ .

المعابد القديمة واغلقت ، وان الراهب عندما علم بطلب المأمون قال لملك الروم « سَيِّرها فانك تثاب عليه ، فانها ما دخلت في ملة الا وزلزلت قواعدها » : فأرسل ملك الروم منها خمسة أحمال وكان « بعضها تاماً وبعضها ناقصاً ، فالناقص فيها ناقص الى اليوم ، لم يجد أحد تمامه » وأمر المأمون بترجمتها « ثم تنبه الناس بعد ذلك على تطلبها بعد المأمون ، وتحيلوا الى ان حصلوا منها الجملة الكثيرة »[٤٦] .

ان هذا الكلام الذي يدور حول كتب الفلسفة ويظهر فقدانها في دولة الروم ينطبق فيما يظهر على معظم كتب العلوم الاخرى وعلى الوضع في كافة أرجاء الدولة ، ويظهر هذا من الارساليات التي أوفدها الخلفاء العباسيون للبحث عن الكتب والحصول عليها ، وسخاء البذل في ذلك ، فلو كانت هذه الكتب موجودة في أقاليم الدولة الاسلامية لما لجأوا الى ارسال الارساليات والسخاء في بذلها . وهي تظهر الاختلاف الاساسي بين نظرة الروم ونظرة العرب للفكر ، فان الروم عندما تبنوا المسيحية عملوا على تضييق الفكر وحصره في ميدان واحد ، أما العرب فانهم عملوا على اطلاق الفكر في مختلف الميادين ، وعلى تشجيع انمائه وازدهاره .

روى الفارابي وهو يتحدث عن كتب ارسطو ان مجلس التعليم انتقل من أثينا الى الاسكندرية ، ثم جعله اغسطس في مركزين : روما والاسكندرية، ثم رده ثيودوسيوس الى الاسكندرية « ثم نقل التعليم في أيام عمر بن عبد العزيز من الاسكندرية الى انطاكية . ثم انتقل الى حرّان في أيام المتوكل ، وانتهى ذلك في أيام المعتضد الى قويرى ويوحنا بن جيلان وكانت وفاته بمدينة السلام في أيام المعتضد ، وابراهيم المروزي ، ثم الى محمد بن كرنيب ،

(٤٦) القفطي ٢٠٩ ـ ٣٠ ، خزانة الادب ٢/٢٣٢ . صون المنطق والكلام ٦ـ٩ .

والى بشر بن متى بن يونس تلميذي ابراهيم المروزي » ثم انتقل الى أبي نصر الفارابي[٤٧] . وهذا الكلام عن كتب الاسكندر ربما كان ينطبق على الطب أيضاً ، فمن المعروف ان الاسكندرية هي المدينة الوحيدة التي ذكر فيها تدريس الطب عند ظهور الاسلام ، وانه درس ونبه فيها عدد من الاطباء قبيل الاسلام وعند ظهوره[٤٨] ؛ ومما يؤيد هذا ان عبدالملك بن ابجر كان من كبار علماء الاسكندرية ، وانه أسهم في هذا النقل .

ان هذا يظهر ان أقاليم الدولة الاسلامية عند تكونها لم يكن فيها الا الاسكندرية تعنى بالدراسات العلمية باللغة اليونانية ؛ ولابد ان هذا المركز كان قائماً على عدد محدود من العلماء ، وانه انتهى بنقلهم الى انطاكية ؛ ولابد ان مرجع بعض ذلك هو ان النشاط الفكري كان قائماً على التدريس والتلقين واتقان الملخصات و « الجوامع » مما جعله جامداً خلواً من الابداع ؛ ولعل عمر بن عبدالعزيز استهدف من نقله الى انطاكية اثارة النشاط فيه ، اذ انه في مدة حكمه القصيرة التي لم تتجاوز السنتين برز طبيبان ، وهما عبدالملك بن ابجر واهرن ، قام كل منهم بانتاج كتاب .

---

(٤٧) التنبيه والاشراف ١٠٥ ، وهو يشير الى انه بحث أسباب ذلك متصلا في كتابه المفقود « فنون المعارف » ؛ ونقل هذا الكلام بتفصيل أوفى وعبارات فيها بعض الغموض ابن ابي اصيبعة ٦٠٤ ؛ وأشار ابن ابي اصيبعة الى ان عمر بن عبدالعزيز نقل التدريس من الاسكندرية الى انطاكية وحران وتفرق في البلاد (١٧١) .

(٤٨) ابن ابي اصيبعة (١٥١ – ١٦١) وانظر البحث المفصل عن هذه المدرسة في مقال الدكتور ماير هوف عن انتقال العلم من الاسكندرية الى بغداد .

النقــل من الاغريقيــة

تطــور حركــة النقــل

نقل كتب العلم في زمن الامويين :

يقول ابن النديم ان أول نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة هو الذي تم بأمر خالد بن يزيد بن معاوية ، ويذكر « كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلاً في نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم ؛ خطر بباله الصنعة فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل كتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي ، وهذا أول نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة »[٤٩] .
ان هذا النص الذي انفرد بذكره ثقة معتمد في تاريخ العلم العربي ولم يشر الى المصدر الذي استقاه منه ، يظهر ان أول نقل تم استجابة لرغبة شخص ، وليس تنفيذاً لسياسة عامة ، وان هذه الرغبة كانت ذاتية ولم تكن بتحريض خارجي « خطر بباله » ؛ وانه كان يهتم بعلم معين ، وليس بكافة العلوم . وقد نعت ابن النديم هذا العلم « الصنعة »[٥٠] واعتمد على من كان ينزل مصر من الفلاسفة ، مما يدل على انها كانت قائمة عندهم ولم يكن من البارعين فيها بالشام ؛ ويظهر هذا النص أيضاً ان العربية كانت قد انتشرت في مصر بين العلماء ، وقد يدل هذا على قدم العربية في مصر .

ويذكر ابن النديم في مكان آخر من كتابه « الذي عنى باخراج كتب القدماء في الصنعة خالد بن يزيد بن معاوية ، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء .. ويقال انه صح له عمل الصناعة ، وله في ذلك

(٤٩) الفهرست ٣٠٣ .
(٥٠) الفهرست ٣٠٣/٤٠٤ .

عدة كتب ورسائل ، وله شعر كثير في هذا المعنى رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ورأيت من كتبه : كتاب الحرارات ، كتاب الصحيفة الكبير ، كتاب الصحيفة الصغير ، كتاب وصيته الى ابنه في الصنعة »[٥١] .

لم يذكر ابن النديم أو أي مصدر آخر اسم كتاب في الطب أو النجوم نقل الى خالد بن يزيد ولعل الجملة في هذا النص هي تعميم لا يقوم على أساس . غير ان ذكره « الصنعة » في هذا المكان والمكان الآخر الذي ذكرناه أعلاه يوحي بصحته .

وكلمة « الصنعة » كلمة عربية أصيلة ، وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى يقرب من العمل الفني « يصنعون » في ١٣ موضعاً ، ووردت بمعنى الصناعة « انما صنعوا كيد ساحر » (طه ٦٩) ، « يصنع الفلك » (هود ٣٧ ، ٣٨ ؛ المؤمنون ٢٢٧) ، « صنعة لبوس » (الانبياء ٨٠) ، « تتخذون مصانع » (الشعراء ١٢٩) .

غير ان كلمة « الصنعة » اتخذت معنى خاصاً في العلوم ، وقد عرّفها جابر بن حيّان « الصنعة توليد المشابه لما ابرزته الطبيعة على طول السنين »[٥٢] .

ميّز جابر الصنعة عن عدد من العلوم حيث ذكر « ينبغي أن تعلم ان الهندسة والمنطق والموسيقى والحساب والصنعة والتوليدات وعلم جميع السفليات والعلويات ليست معانياً قائمة في النفس ومعانياً يعبر عنها »[٥٣] .

---

(٥١) الفهرست ٤١٩ .
(٥٢) بول كراوس . جابر بن جيان ٩٩/٢ (بالفرنسية) . نقلا عن البحث ٦٤ .
(٥٣) بول كراوس ٢٥٨ نقلا عن التصريف ٤١ .

خصص ابن النديم المقالة العاشرة ، وهي الاخيرة من كتاب الفهرست لـ « أخبار الكيماويين والصنعويين » فكأنه مَيّز الكيمياء عن الصناعة ، غير انه ذكر ما يدل على ان « الصنعة » أعم ، اذ تشمل الكيمياء أيضاً فقال « زعم أهل صناعة الكيمياء وهي صنعة الذهب والفضة من غير معادنها ان أول من تكلم على علم الصنعة هرمس الحكيم البابلي » وذكر « وزعم أبو بكر الرازي وهو محمد بن زكريا انه لا يجوز أن يصح علم الفلسفة ولا يسمى الانسان العالم فيلسوفاً الا ان يصح له علم صناعة الكيمياء »[٥٤] .

وكتب ابن النديم صفحة عنوانها « أسماء كتب ألفها الحكماء في الصنعة وذكرها علماء هذه الصنعة في كتبهم » ذكر فيها أسماء عدد كبير من المؤلفين وأغلب اسمائهم يونانية أو سريانية ، وأقتصر على عناوين كتب من ذكر لهم كتباً بأنها « من الصنعة »[٥٥] دون ان يشير الى ما تشمله . وذكر قائمة « أسماء كتب جابر في الصنعة وعناوينها منوعة لا يمكن الاستنباط منها على ما تدل عليه « الصنعة » .

ويقول في آخر هذه المقالة « ولأهل مصر في هذا الأمر مصنفون . وأهل الكلام في الصنعة من ثم أخذوها والبرابي المعروفة ، قيل ان أصل الكلام في الصنعة للفرس الاول ، وقيل ان أول من تكلم عليه اليونانيون وقيل الصين »[٥٦] .

ذكر ابن النديم ان « اصطفن القديم » نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها »[٥٧] ؛ ولم يذكر ابن النديم اسماء الكتب التي نقلها

(٥٤) الفهرست ٣١٩ . (٥٥) الفهرست ٤١٩ ــ ٤٢٠ .
(٥٦) الفهرست ٣٢٢ .
(٥٧) الفهرست ٤٠٤ . وانظر تفاصيل اوفى من كتاب « خالد بن يزيد » لفاضل خليل ابراهيم .

والاصول التي نقل منها ، علماً بأن أكثر المعنيين بالصنعة الذين ذكرهم ابن النديم هم من أهل مصر حيث تستعمل اليونانية والقبطية . ولم تذكر المصادر أسماء الكتب التي نقلت لخالد بن يزيد سوى ان مخطوطة برلين (٤١٨٨) لكتاب سر الاسرار لبليناس ، في مقدمتها اشارة الى ان الكتاب ترجم لخالد ابن يزيد[٥٨] . ويلاحظ ان كتب الصنعة التي تبحث في تحويل المعادن، والمتصلة بالكيمياء لم تلق انتشاراً . وظلت مقصورة على نطاق ضيق ، حيث ان مايتعلق منها في الصناعات كان يمارسه عملياً أهل الصناعات . أما أعمال تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب فان عدم خروجها الى حيز التنفيذ قوى اعتقاد الناس بعدم جدواها العملي وانها ضرب من الخيال أو السحر .

ومما ترجم الى العربية كناش اهرن ، وقد نقل في زمن عمر بن عبدالعزيز[٥٩] ، ولم يذكر ناقله ، وذكر نالينو كتاباً في أحكام النجوم منسوباً الى هرمس الحكيم منه نسخة في مكتبة الامبروسيانا كتب في آخرها كانت ترجمة الكتاب « في ذي القعدة سنة ١٢٥ للهجرة[٦٠] » ولم ترد عن ذلك اشارة في أي كتاب آخر .

ويلاحظ ان ابن النديم ذكر أسماء النقلة من اليونانية ، وكان أول من ذكر اسم اصطفن الذي نقل لخالد بن يزيد ؛ ثم يتلوه مباشرة « البطريق كان في أيام المنصور . وأمر بنقل أشياء من الكتب القديسة ، ثم ابنه أبو زكريا يحيى بن البطريق »[٦١] .

---

(٥٨) بول كراوس : جابر بن حيان ٢٩٣/٢ .
(٥٩) ابن ابي اصيبعة ٢٣٢ .
(٦٠) تاريخ علم الفلك عند العرب ١٤٣ .
(٦١) الفهرست ٣٠٤ .

اهتمام الخلفاء العباسيين الأوائل بكتب العلم :

أولى الخلفاء العباسيون الاوائل الثقافة عناية خاصة ، فاختاروا لأولادهم مؤدبين من العلماء البارزين باللغة ، وفتحوا أبوابهم للمثقفين والعلماء ، واغدقوا عليهم الهبات . ومع ان هؤلاء الخلفاء وجهوا أكبر قسط من عنايتهم الى ما يتصل بالثقافة العربية الأصيلة من لغة وشعر وأدب وتاريخ ، والى ما يتصل بالدين من فقه وحديث وتفسير . ولم يؤلفوا بأنفسهم كتباً ، ولم يتبنوا اعتناق مذهب أو اتجاه خاص يفرضونه على الناس في أي ميدان فكري ، الا ان اهتمامهم امتد الى العلوم منذ زمن أبي جعفر المنصور . فيقول صاعد عن الخلفاء العباسيين « فكان أول من عني منهم بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور .. فكان رحمه الله مع براعته في الفقه وتقدمه في علم الفلسفة خاصة في علم النجوم كلفاً بها وبأهلها »[٦٢] . ونقل المسعودي عن محمد بن على الخراساني وصفه للخلفاء العباسيين فقال عن أبي جعفر المنصور « كان أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم .. وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات الاعجمية الى العربية ، منها كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب السندهند ، وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها ، وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس ، وكتاب الارثماطيقي ، وكتاب اقليدس ، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية، واخرجت للناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها »[٦٣] .

(٦٢) طبقات الامم ٤٨ .

(٦٣) مروج الذهب ٢٢٣/٤ . وانظر « مشاكلة الناس لزمنهم » لأحمد بن اسحاق اليعقوبي ٢٢ . ويلاحظ ان ابن النديم ذكر عدداً من الكتب قال عن كل منها انه « وجدها بنقل قديم » ومن هذه الكتب « كتاب العقل والمعقول » لفرفوريوس (٣١٣) و « طوبيقا » قد يوجد بنقل قديم (٣٠٩) ، وريطوريقا يصاب بنقل قديم رايت بخط احمد بن الطيب هذا الكتاب =

وذكر ابن النديم ان البطريق « كان في أيام المنصور ، وأمر بنقل أشياء من الكتب القديمة[٦٤] » • لم نجد في المصادر ترجمة لهذا البطريق أو معلومات عن حياته ؛ ومن الواضح ان كلمة « البطريق » هي اسم مرتبة من المراتب العالية عند البيزنطيين • وذكرت المصادر بطريقاً اشتهر في زمن أبي جعفر المنصور ، وكان قدم اليه في أوائل سني بغداد ، وبنى في زمن المنصور رحا سميت باسمه في الطرف الجنوبي الغربي من مدينة المنصور المدورة . وكانت تدر ربحاً كبيراً ، واشتهرت باسمه « رحا البطريق »[٦٥] ، غير ان المصادر لم تشر الى ان البطريق المترجم هو نفس صاحب الرحا •

وذكر ابن النديم ممن لقب بهذا اللقب « ابيون البطريق وأحسبه قبل الاسلام بيسير ، وله من الكتب كتاب العمل بالاصطرلاب المسطح »[٦٦] • وذكر أيضاً ان « أول من سطح الاصطرلاب ابيون البطريق وكانت الآلات تعمل بمدينة حرّان ، ومن ثم نبشت »[٦٧] ، غير ان هذا هو غير المترجم في زمن المنصور •

ذكر ابن أبي أصيبعة ان ابا زكريا ابن البطريق الذي كان في زمن أبي جعفر

=
نحو مائة ورقة بنقل قديم » (٣١٠) • وذكر كتاباً وقع اليه قديم النسخ يشبه أن يكون من خزانة المأمون (٩) • ولعل كثيراً منها مما نقل في زمن ابي جعفر او الرشيد .

(٦٤) الفهرست ٣٠٤ وقد ذكر ابن النديم « يوحنا بن يوسف بن الحارث بن البطريق القس ممن كان يقرأ عليه كتب الهند وله نقل من اليوناني (٣٤٠) وذكر ان يوحنا بن يوسف الكاتب احد النقلة ؛ ونقل كتاب افلاطون في آداب الصبيان » (٣٠٥) ولم يذكر زمن حياته .

(٦٥) تاريخ بغداد للخطيب ١/٩١ ـ ٩٢ .

(٦٦) الفهرست ٣٣٠ .

(٦٧) الفهرست ٤٤٢ .

« كان لطينياً يعرف لغة الروم وكتابتها ، وهي الحروف المتصلة لا المنفصلة[٦٨]». وذكر ابن النديم ان البطريق « له نقل كثير جيد ، الا انه دون نقل حنين بن اسحاق وقد وجدت بنقله كتباً كثيرة في الطب كتبها ابقراط وجالينوس ، غير اني لم أجد ذكراً لكتاب ترجمه[٦٩] » . وقد تكون اشارة العبدي الى « كتب قديمة » بالرومية هي التي نقلها البطريق . ويذكر ابن النديم ان البطريق : أبا يحيى ، نقل الى عمر بن الفرّخان كتاب « الاربعة » لبطليموس[٧٠] .

أما هارون الرشيد فقد أسس بيت الحكمة وجعل لها مُشْرِفين هم سهل بن هارون ، وسلم ، وهريم[٧١] ، وكان فيها ناسخون ذكر منهم علاّن الشعوبي[٧٢] ؛ ومع ان هؤلاء المشرفين والنسّاخ لم يعرف عنهم اهتمام بالعلوم ، الا ان الراجح ان الكتب التي أمر هارون الرشيد بجمعها من بلاد الروم وضعت في بيت الحكمة ؛ ولعل من هذه الكتب كتاب اقليدس الذي ترجمه الحجاج بن يوسف بن مطر ترجمة تسمى « الهارونية »[٧٣] ، التي يظهر من اسمها أنها تمت بأمر الرشيد وبتشجيع منه ، علماً بأن المصادر لم تذكر ان الحجاج كان في بيت الحكمة أو ان الكتاب ترجم فيها . وقد اعيدت ترجمة الكتاب في زمن المأمون .

ونقل الحجاج أيضاً كتاب المجسطي ليحيى بن خالد[٧٤] ، كما نقل كتاب « المرآة » لارسطو[٧٥] .

---

(٦٨) عيون الانباء ٢٨٢ .
(٦٩) الفهرست ٣٠٤ .
(٧٠) الفهرست ٣٣٢ .
(٧١) الفهرست ١٣٤ ، ٣٢٧ .
(٧٢) الفهرست ١١٨ .
(٧٣) الفهرست ٣٢٥ .
(٧٤) الفهرست ٣٢٧ ، وقد كتبت كلامروث عن ترجمته مقالا نشرته في مجلة المستشرقين الالمان (ZDMG) م ٣٥ ص ٢٦٥ ــ ٢٨١ .
(٧٥) الفهرست ٣١٢ .

ويذكر ابن جلجل « كان يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب سريانيا ، قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ، ووضعه أميناً على الترجمة ، ووضع له كتاباً حذاقاً يكتبون ، وخدم هارون والأمين والمأمون ، وبقي على ذلك الى أيام المتوكل »[٧٦] ، وقد انفرد ابن جلجل بهذا الخبر ، ولم تذكر المصادر أسماء كتب أشرف على ترجمتها ابن ماسويه .

ان الاهتمام بالعلم ورعاية العلماء في زمن الرشيد امتد الى عدد من أفراد الاسرة العباسية وذوي المكانة من رجال الادارة وغيرهم ممن لم يعرف عنهم بروز في العلم . ولكن رعايتهم للنقل تظهر عنايتهم بنشر العلم بالعربية . فيروي ابن الداية « كان لام جعفر بنت أبي الفضل في قصر عيسى الذي كانت تسكنه مجلس لا يجلس فيه الا الحساب والمتطببون ، وكانت لاتشتكي علة الى متطبب حتى يحضر جميع أهل الصناعتين ويكون مقامهم في ذلك المجلس الى وقت جلوسها ، فكانت تجلس لهم في أحد موضعين : اما عند الشباك الذي على الدكان الكبير المحاذي للشباك وللباب الاول من أبواب الدار . أو عند الباب الصغير المحاذي لمسجد الدار ، فكان الحساب والمتطببون يجلسون من خارج الموضع الذي تجلس فيه ، ثم تشتكي ما تجد ، فيتناظر المتطببون فيما بينهم حتى يجتمعوا على العلة والعلاج ، فاذا كان بينهم اختلاف دخل الحساب بينهم . وقالوا بتصديق المصيب عندهم ، ثم تسأل الحساب عن اختيار وقت لذلك العلاج فان اجتمعوا على وقت والا نظر المتطببون فيما بين الحساب وحكموا لالزامهم القياس .. فكان ممن يختلف اليها من الحساب الحسن بن محمد الطوسي التميمي المعروف بالابح . وعمر بن

---

(٧٦) طبقات الاطباء ٦٥ : ونقل هذا الخبر ابن ابي اصيبعة ٢٤٦ .

الفرخان الطبري ، وشعيب اليهودي[٧٧] غير ان المصادر لم تذكر كتابا ترجم لها .

ويمكن ان نعد من زمن الرشيد الكتب التي نقلت للبرامكة الذين كان عز مجدهم في زمن الرشيد ، ثم ازيحوا في زمنه . ومن النقلة لهم ابن ناعمة الذي ذكر ابن النديم انه « كان في أيام البرامكة[٧٨] » ؛ وابن ناعمة هو عبد المسيح بن عبدالله الحمصي الناعسي ، وتدل نسبته الى ناعمة . انه من العشيرة اليمانية المسماة بهذا الاسم ؛ وكان معنياً بالفلسفة ، فنقل كتاب سوفسطيقا ، والنصف الثاني من السماع الطبيعي لارسطو وقد أصلح ابراهيم بن بكوش العشاري فيما بعد ما نقله ابن ناعمة[٧٩] .

ومن المترجمين في زمن الرشيد سلام والابرش اللذان ذكر ابن النديم انهما من النقلة القدماء من أيام البرامكة ، ويوجد من نقلهما « السماع الطبيعي »[٨٠] .

وذكر بروكلمان ان اسطاث ترجم ليحيى البرمكي كتاب « جيوبونيكا » لباسوس[٨١] . ولم تذكر الكتب هذا ، وانما ذكرت اسطاث مترجما للكندي[٨٢] .

وكانت ليحيى بن خالد عناية خاصة بشؤون الفكر ، فقد ذكره ابن النديم « مع الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة[٨٣] » ، وكانت له مجالس كلام ونظر ، والقيم عليها هشام بن الحكم[٨٤] ، ومن المناظرات المشهورة التي

---

(٧٧) عيون الانباء ١٩٢ .

(٧٨) الفهرست ٣٠٤ .

(٧٩) الفهرست ٣١٠ .

(٨٠) الفهرست ٣١٤ .

(٨١) بروكلمان ١٧٩/٢ .

(٨٢) أخبار الحكماء ٤٢ .

(٨٣) الفهرست ٤١٩ .

(٨٤) الفهرست ٢٢٣ .

عقدها مناظرة الكسائي والاخفش لسيبويه[٨٥] . وقد ذكرنا اهتمامه بعلوم الهند ، وامتد اهتمامه الى علوم الاغريق ؛ ويذكر ابن النديم انه «أول من عني بتفسير المجسطي واخراجه الى العربية[٨٦] ، وعمل له أبو علي يحيى بن غالب، وهو تلميذ ماشاءالله المنجم ، كتاب المنثور »[٨٧] .

أما المأمون فان محمد بن علي العبدي ذكر عنه انه « كان في بدء أمره ـ لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره ـ يستعمل النظر في أحكام النجوم وقضاياها وينقاد الى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كأردشير بن بابك وغيره ، واجتهد في قراءة الكتب القديمة وأمعن في درسها وواظب على قراءتها ، فافتن في فهمها وبلغ درايتها ، فلما كان من الفضل بن سهل ذي الرياستين ما اشتهر وقدم العراق انصرف عن ذلك كله وأظهر القول بالتوحيد .. »[٨٨] . ويتبين من هذا الكلام اهتمام المأمون عندما كان في خراسان باهتمامات الساسانيين ؛ ودراسة الفلك والتنجيم ، ولعل محمد بن علي قصد من « الكتب القديمة » التي قرأها المأمون في خراسان كتب الفرس . وانه عندما عاد الى بغداد انصرف عن ذلك الى الاهتمام بعلم الكلام. ويذكر ابن النديم ان المأمون كان أعلم الخلفاء بالفقه والكلام « وان له فيما يقال كتابين هما مناقب الخلفاء الاولين . ورسالة في اعلام النبوة[٨٩] ؛ ولم يذكر اهتمامه بالعلوم الطبيعية .

غير ان صاعد يذكر ان المأمون عني بالفكر الاغريقي ، اذ يقول انه لما أفضت الخلافة الى المأمون « تمم ما بدأ به المنصور ، فأقبل على طلب العلم في مواضعه ، واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة ، وقوة نفسه

---

(٨٥) الفهرست ٥٧ .
(٨٦) الفهرست ٣٢٧ .
(٨٧) الفهرست ٣٣٥ .
(٨٨) مروج الذهب ٢٢٧/٤ .
(٨٩) الفهرست ١٤٦ .

الفاضلة ، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب افلاطون وارسطاطاليس وابقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة ، فاستخار لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن »[٩٠] .

وذكر ابن النديم ان المأمون « كانت بينه وبين ملك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون ، فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن في انفاذ مايختار من العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم ، وأجاب الى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلم صاحب بيت الحكمة ، وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه أمرهم بنقله فنقل ، وقد قيل ان يوحنا بن ماسويه ممن نفذ الى بلد الروم ، وأحضر المأمون أيضاً حنين بن اسحاق وكان فتي السن ، وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربي واصلاح ما ينقله غيره ، فامتثل أمره ، ومما يحكى عنه ان المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربي مثلاً بمثل[٩١] .

ان الاخبار المروية عن المأمون تشير الى انه عندما كان في مرو كان يهتم بما تعنى به الثقافة الساسانية من النظر في النجوم ، وانه عندما عاد الى بغداد في سنة ٢٠٤ هـ أظهر اهتمامه بالفقه وعلم الكلام ؛ ولم يرد ذكر لاهتمامه في

(٩٠) طبقات الأمم ٤٨ ؛ وانظر القفطي ٣١ ، ابن النديم ٣٠٤ .
ويجدر أن نشير الى اهتمامه برصد محيط الارض (القفطي ٢٧٠ ؛ القلقشندي مآثر الانافة ٢٠٩/١ .

(٩١) الفهرست ٣٠٤ ؛ وقد روى ابن أبي اصيبعة هذا النص عن يحيى بن عدي : عيون الانباء ٢٦٠ .

العلوم الصرفة الا ما ذكر من أمره برصد محيط الارض وما يتصل به من علم الفلك والزيج •

ويلاحظ ان حنين بن اسحاق كان حدثاً في زمن خلافة المأمون ، وانه لم يذكر في كتابه « ما ترجم من كتب جالينوس » كتاباً نقله للمأمون ، مما يدل على انه نقل كتب جالينوس بعد المأمون ؛ وربما نقل في زمن المأمون كتب ارسطو فقط التي ذكر ابن النديم انه نقلها الى العربية •

ويبدو ان اهتمام المأمون كان منصباً على جمع الكتب أكثر منه على انجاز نقلها الى العربية ، أي انه لم يقم وانما مهد لقيام حركة النقل الكبرى التي ازدهرت بعد حياته •

وفي زمن المأمون عاش رجال ذكرت المصادر عنايتهم بالنقل ورعايتهم للنقلة وبذل الاموال في ذلك ، وقد امتدت حياتهم الى ما بعد حياة المأمون ، ولذلك يصعب الجزم بأن ما تم من النقل برعايتهم حدث في زمن المأمون أم بعده • ومن هؤلاء الرجال الحسن بن سهل الذي ولي بغداد بعد مقتل الأمين عندما كان المأمون مقيماً بخراسان ، وكان من الكتاب المترسلين الذين دونت رسائلهم[٩٢] ، ومن الكتاب الشعراء[٩٣] ، وقرب اليه عدداً من الكتاب[٩٤] ، وأهل العلوم ؛ وكان من جملته يحيى بن البطريق[٩٥] الذي نقل كتاب طيماوس لأفلاطون[٩٦] ونقل كتاب الحيوان لارسطو[٩٧] ، وعمل جوامع كتاب علم النفس له[٩٨] ، كما نقل كتاب الترياق لجالينوس[٩٩] •

---

(٩٢) الفهرست ١٣٥ .
(٩٣) الفهرست ١٩١ .
(٩٤) انظر الفهرست ٥٢ ، ٧٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ١٣٦ ١٣٣ .
(٩٥) الفهرست ٣٠٤ .
(٩٦) الفهرست ٣٠٧ .
(٩٧) الفهرست ٣١٢ .
(٩٨) الفهرست ٣٠٤/٣٣١ .
(٩٩) الفهرست ١٩٠ .

ومن رعى النقل وشجع عليه في هذه المدة اسحاق بن سليمان بن علي وهو من رجال الاسرة العباسية ، وكان قد ولي البصرة ثم مكة في زمن هارون الرشيد[١٠٠] ، ثم استقر ببغداد ، ورعى النقل الى العربية من مختلف اللغات فكان من جملته منكه الهندي « ينقل من الهندية الى العربية »[١٠١] وفسّر له كتاب « أسماء عقاقير الهند »[١٠٢] ؛ كما كان داديشوع يفسر له من السريانية الى العربية[١٠٣] ، وذكر حنين في كتاب « ماترجم من كتب جالينوس » انه نقل لاسحاق بن سليمان كتاب المزاج ، وكتاب تدبير الملطف ، وكتاب في ان الطبيب الفاضل فيلسوف ، وتظهر عناوينها انها أقرب الى الفلسفة والثقافة العامة منها الى صميم الطب .

ومن أبرز من عني بنقل كتب العلوم ورعاية النقلة بنو موسى بن شاكر وهم محمد واحمد والحسن ، فيذكر ابن النديم انهم « ممن عني باخراج الكتب من بلد الروم .. وبذلوا الرغائب ، وانفذوا حنين بن اسحاق وغيره الى بلد الروم فجاؤوهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والارثماطيقي والطب ، وكان قسطا بن لوقا البعلبكي قد حمل معه شيئاً كثيراً فنقله ونقل لهم »[١٠٤] ، ويذكر ابن النديم انهم كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت ابن قرة وغيرهم في الشهر خمسمائة دينار للنقل والملازمة[١٠٥] .

ذكر حنين في كتابه « ما ترجم من كتب جالينوس » ثلاثين من كتب جالينوس نقلت لمحمد بن موسى ، منها تسعة عشر نقلها حنين ، وثمانية نقلها

---

(١٠٠) الطبري ٣٧٨/٣ ، ٦٠٣ ، ٧٤٠ .
(١٠١) الفهرست ٣٠٥ .
(١٠٢) الفهرست ٣٦٠ .
(١٠٣) الفهرست ٣٠٥ .
(١٠٤) الفهرست ٣٠٤ .
(١٠٥) الفهرست ٣٠٤ ، ٣٣١ ؛ عيون الانباء ٢٦٢ .

حبيش ، وثلاثة نقلها اصطيفن .

ونقل لاحمد بن موسى خمسة عشر كتاباً من كتب جالينوس ، منها تسعة نقلها بنفسه ، وستة نقلها حبيش ، وواحد نقله ابن الصلت .

وممن ذكر حنين في كتاب « ما ترجم » من رعاة النقل علي بن يحيى الذي نقل له أربعة من كتب جالينوس ، كما نقل له حبيش منها كتاباً .
وذكر حنين في ذلك الكتاب انه نقل لاسحاق بن ابراهيم الطاهري ، ولابراهيم بن محمد ، ولاحمد بن محمد بن المدبر ، ولمحمد بن عبدالملك الزيات .

وضع ابن اصيبعة باباً عنونه « الذين كان هؤلاء النقلة ينقلون لهم خارجاً عن الخلفاء : فمنهم شبر يشوع بن قطرب من اهل جنديسابور ، كان يريد السرياني اكثر من العربي وهو احد الحشوز ، ومحمد بن موسى المنجم ، وعلى ابن يحيى المعروف بابن المنجم ، وثادرس الاسقف ، ومحمد بن موسى بن عبدالملك ، وعيسى بن يونس الكاتب ، وعلي المعروف بالفيومي ، واحمد بن محمد المعروف بابن المدبر . وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب ، وعبدالله ابن اسحاق ، ومحمد بن عبدالملك الزيات كان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ في كل شهر الف دينار ، ونقل باسمه كتب عدة .

وكان ايضاً ممن نقلت له الكتب اليونانية وترجمت باسمه جماعة من اكابر الاطباء . مثل يوحنا بن ماسويه ، وجبرائيل بن بختيشوع ، وبختيشوع ابن جبرائيل بن بختيشوع ، وداوود بن سرابيون ، وسلمويه بن بنان ، واليسع ، واسرائيل بن زكريا الطيفوري . وحبيش بن الحسن »[١٠٦] .

---

(١٠٦) عيون الانباء ٢٨٣ — ٤ .

النقلة والترجمون

اورد ابن النديم قائمة باسماء النقلة من غير ان يذكر اللغة التي نقلوا منها ، وذكر ايضاً قائمتين باسماء نقلة ذكر ان احداها للنقلة من اللسان الفارسي والاخرى من اللسان الهندي ، مما يدل على ان القائمة الاولى تشمل النقلة من السريانية واليونانية ، واشار في قائمته الى اسماء من كان النقلة ينقلون اليهم ، مما يعين على تحديد تقريبي لأزمنة انجاز النقل .

واورد ابن ابي اصيبعة قائمة عنوانها « الاطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان العربي من أول من ابتدأ في نقل كتب الطب الى اللسان العربي » (١٠٨) ؛ وهذا العنوان يشير الى ان قائمته معنية بنقل كتب الطب بالدرجة الاولى، وانها مقصورة على النقل من اليونانية ؛ ويظهر التدقيق في دراسة قائمته انها شملت النقل من السريانية ايضاً . وذكر ابن ابي اصيبعة معلومات عن بعض النقلة تساعد على معرفة زمن ظهورهم ، غير انه من حيث العموم لم يراع الترتيب الزمني في تسلسل النقلة في قائمته .

يبلغ عدد النقلة الذين ذكرهم كل من ابن النديم وابن ابي اصيبعة اربعة واربعين ؛ وقد اتفقا في ذكر واحد وعشرين اسماً ، واختلفا في ثلاثة وعشرين ، وابرز فرق بينهما هو ان ابن ابي اصيبعة انفرد بذكر اسماء نقلة من جنديسابور، كما ذكر عدداً من النقلة الذين ظهروا بعد تاريخ تأليف ابن النديم كتابه ؛ ولعل معظم ما انفرد ابن النديم بذكرهم كانوا نقلة في علوم اخرى غير الطب.

انفرد ابن النديم بذكر كل من ابن ناعمة الحمصي ، والابرش ، وثذاري ، وداريج الراهب ، وهيبا بيثون ، وصليبا ، وثابت بن قمح ، وايوب بن القاسم الرقي ومرلاحي ؛ ولكنه لم يذكر اسم الكتاب الذي ترجمه أي منهم ، وانفرد

(١٠٧) الفهرست ٣٠٤ — ٥ .
(١٠٨) عيون الانباء ٢٧٩ — ٢٨٠ .

ايضاً بذكر اصطيفن القديم ، وحبيب بن بهريز ، وثيوفيل ، وشملي ، وعيسى ابن نوح ، وقويري ، وايوب بن سمعان ، وباسيل ، وابي عمرو يوحنا بن يوسف ، وداديشوع ، ويحيى بن عدي ، وابراهيم بن عبدالله .

ويلاحظ انه لم يذكر أيضاً ما نقله كل من زروبا بن ماجوه ، وثذاري ، وفثيون ، وابي نصر بن باري بن ايوب ، وجيرون ، وابن رايطة ، وعيسى بن نوح ، وتدورس السنقل .

وانفرد ابن ابي اصيبعة بذكر جورجيس ، وايوب الأبرش ، وما سرجيس ، وعيسى بن ماسرجيس ، وشهدى ، وموسى بن خالد ، وسرجس الرسعيني ، ويوسف الناقل ، وابي يوسف الكاتب ، ويوحنا بن بختيشوع ، وميضا الرهاوي ، ومنصور بن باناس ، وعبديشوع بن بهريز مطران الموصل ، وسعيد ابن يعقوب الدمشقي ، وابراهيم بن بكس ، وعلي بن ابراهيم بن بكس ، وسبر يشوع بن قطرب ، ومحمد بن موسى بن المنجم ، وعلي بن يحيى المنجم ، وتادريس ، ومحمد بن موسى بن عبدالملك ، وعيسى بن يونس ، وعلي الفيومي .

غير ان ابن النديم ذكر في مواضع اخرى من كتابه أسماء نقله لم يذكرهم في قائمته ، ومنهم متى بن يونس [١٠٩] ، وابو علي عيسى بن اسحاق .. ابن الخمار [١١٠] ، وعيسى بن سيد [١١١] ، وما سرجيس [١١٢] . كما ان ابن النديم ذكر في مواضع اخرى من كتابه عدداً ممن انفردت بهم قائمة ابن ابي اصيبعة ، ومنهم سرجس الرسعيني ، ويوحنا بن بختيشوع ، ومنصور بن باناس . وكلهم نقلة طب الى السريانية ، كما انه ميز شهدى عن ابن شهدى ، وميز ايوب الرهاوي عن الابرش .

---

(١٠٩) الفهرست ٣٢٠ .
(١١٠) الفهرست ٣٢٣ .
(١١١) الفهرست ٣٧٢ ، ١٩٨ .
(١١٢) الفهرست ٣٥٢ .

وذكر ابن النديم في مواضع اخرى من كتابه معلومات اضافية عن بعض النقلة : فذكر عن بهريز « ومن حكامهم في الشريعة والفتاوى ابن بهريز ، واسمه عبد يسوع ، وكان اول مطران حران ، ثم صار مطران الموصل وحزه ، وله رسائل وكتب ، فمن ذلك كتاب المرقس يعقوب يعرف ببا دوى (؟) في جواب كتابين ورد منه عليه في الايمان وفيهما ابطال وحدانية القنوم التي يقول بهما اليعقوبية والملكية ، وكان ابن بهريز حكمه قريباً من حكمة الاسلام (!) ، وقد نقل من المنطق والفلسفة شيئاً كثيراً [١١٣] ، كما ذكر انه فسّر للمامون عدة كتب[١١٤] ، وانه ممن كتب مختصراً لباري ارميناس[١١٥] .

وذكر « قينون ، وهو اصح الناقلين نقلاً ، واحسنهم عبارة ولفظاً [١١٦] ولعله هو الذي ذكره في قائمته باسم « فثيون » .

وعن بسيل المطران ذكر ابن النديم انه نقل الكتب الاربعة الاولى من تفسير فرفوريوس [١١٧] .

اما اسطاث فذكر ابن النديم عنه انه نقل كتاب الحروف للكندي[١١٨] ، ونقل كتاب الحقن لسرونوس ، ثم اصلح النقل حنين بن اسحاق[١١٩] ، كما ذكر ان كتاب اوفوقيوس « نقله ثابت واسطاث الى العربي » [١٢٠] .

وقال ان شملى نقل المقالة الاولى من كتاب الحروف[١٢١] ، كما نقل الكيموس الى العربي [١٢٢] .

وتجدر الاشارة الى ان ابن النديم عني بذكر النقل الى العربية ، ولم يعن

(١١٣) الفهرست ٢٦١ .
(١١٤) الفهرست ٣٠٤ .
(١١٥) الفهرست ٣٠٩ .
(١١٦) الفهرست ٣٢٦ .
(١١٧) الفهرست ٣١١ .
(١١٨) الفهرست ٣١٢ .
(١١٩) الفهرست ٣٥٢ .
(١٢٠) الفهرست ٣٢٧ .
(١٢١) الفهرست ٣١٢ .
(١٢٢) الفهرست ٣٤٩ .

باستيعاب النقل الى السريانية ، وهذا واضح مما نقله من كتـاب « ما ترجم من كتب جالينوس » اذ اقتصر على ذكر من نقل الى العربية ، واغفل ذكر العدد الكبير من النقلة الى السريانية ممن ورد ذكرهم في الكتاب المذكور . كما ان ابن النديم لم يذكر اسماء من نقـل معظم الكتب التي ذكرهـا للمؤلفين باليونانية ، بما في ذلك الكتب الكثيرة لاورباسيوس في الطب .

ان اسماء النقلة منوّعة ، فبعضها اغريقية ، وبعضها سريانية ، وبعضها عربية ، غير انه لا يصح أخذ هذه التسميات أساساً معتمداً لتصنيف اصولهم ، لان التسميات لم تكن مرتبطة دائماً بالاصول ، فالنصارى وكثير منهم كانوا سرياناً ، كان بعضهم يتخذ اسماء اغريقية كما ان بعضهم تسمى باسماء عربية اسلامية (١٢٣) .

والمدن التي ذكرت نسبة بعض النقلة اليها متعددة . فمن بلاد الشام نسب الى حمص ابن ناعمة عبدالمسيح بن عبدالله الناعمي ، وزروبا بن ماجوه الناعمي (وناعمة عشيرة يمانية) وهلال بن ابي هلال .

ومن دمشق ابو عثمان عيسى بن يعقوب ، وعيسى بن يحيى .

ومن بعلبك قسطا بن لوقـا .

ومن بلاد الجزيرة نسب الى حران ثابت بن سنان ، وابنه سنان ، وثابت ابن ابراهيم .

ونسب الى الرها ايوب وميضا .
ونسب الى الرقة ايوب بن القاسم .

ومن العراق نسب الى الحيرة حنين بن اسحاق . وابنه اسـحاق ، وابن

---

(١٢٣) الجاحظ : في الرد على النصارى ١٨ .

اخته حبيش ولم ندخل من كلامنا آل بختيشوع والمتصلين بهم ممن ينسبون الى جنديسابور ، اذ انهم كانوا معنيين بالسريانية ، ويلاحظ ان كثيرا منهم منسوبون الى مدن بلاد الشام التي كانت اللغة اليونانية مستعملة فيها ، غير انه ينبغي عدم المبالغة في أهمية معرفة اصول النقلة ودلالاتها ، فالكفاءة في النقل تعتمد على قدرة الفرد الناقل التي تتوقف بدورها على حماسه وعلى نشأته وتدربه الذي يرجع الى ظروف محددة اكثر مما يرجع الى اهل البلد الذي ينتمي اليه .

وتتوقف مدة انجاز نقل اي كتاب على حجمه وعلى كفاءة الناقل وما يكرسه من وقت لانجازه ، والراجح ان الكتب الصغيرة الحجم لم تتطلب وقتاً طويلاً ، حتى اذا تطلب الامر مراجعة للترجمة كالذي كان يفعله حنين في كثير مما ينقله من كان يعمل معه .

ان الكتب التي تذكر في نسختها تاريخ نقلها قليلة جداً ؛ غير انه يمكن استنتاج هذا التاريخ بصورة تقريبية من معرفة تاريخ وفيات النقلة او من رعى تلك الترجمة

فاصطفين القديم نقل لخالد بن يزيد بن معاوية ، اي انه عاش في صدر الدولة الاموية .

والبطريق نقل للمنصور ، اي انه عاش مطلع زمن الخلافة العباسية .

ونقل كل من سلام والابرش ، واسطاث ليحيى بن خالد بن برمك ، اي في زمن الرشيد .

ونقل الحجاج بن مطر ، وحبيب بن بهريز للمأمون .

ونقل يحيى بن البطريق للحسن بن سهل .

ونقل ايوب وسمعان لطاهر بن الحسين ، ولمحمد بن خالد بن برمك .

كتب العلم الاغريقية المنقولة الى العربيـة

كتب الهندسة :

كانت الهندسة من أوائل العلوم التي نقلت الى العربية ، وأهم كتاب اغريقي فيها هو كتاب « اصطروشيا » أو « اصول الهندسة » ، وقد أولاه الاغريق عناية كبيرة ، وشرح بعض أجزائه عدد من الاغريق ذكر منهم ابن النديم ابسقلاوس[1] ، وسنبليقوس الزفني[2] ، وبلس[3] ، وايرن[4] .

نقل كتاب « اصول الهندسة الى العربية عدة مرات ذكر منها ابن النديم أربعة يقول :

١ ــ نقل الحجاج بن مطر في زمن هارون الرشيد ، ثم أعاد نقله وأصلحه في زمن المأمون ، ويسمى النقل الاول « الهاروني » والنقـل الثـاني « المأموني » .

٢ ــ ونقله أيضاً اسحاق بن حنين وأصلح نقله ثابت بن قرة .

٣ ــ ونقله أيضاً أبو عثمان الدمشقي .

٤ ــ ونقله أيضاً قسطا بن لوقا »[5] .

وكتب عدد من علماء العرب شروحاً لكتاب اقليدس ذكر منها ابن النديم ستة عشر شرحاً كتبها كل من الفضل بن حاتم النيريزي ، وأبو يوسف الرازي ، والكرابيسي ، والعباس بن سعيد الجوهري ، والماهاني ، وأبو جعفر الخازن ، وأبو الوفا البوزجاني ، وابن ناهويه الارجاني ، وأبو القاسم الانطاكي ، وسند بن علي ، وأبو الحسين بن كرنيب ، وأبو سهل ويجن ،

---

(١) الفهرست ٣٢٦ .

(٢) الفهرست ٣٢٨ .

(٣) الفهرست ٣٢٨ .

(٤) الفهرست ٣٢٥ ، ٣٢٨ .

(٥) الفهرست ٣٢٥ .

والفارابي ، واحمد بن الحسين الاهوازي ، ونظيف القس[٦] .

وألف عدد من علماء العرب كتباً عنها ، ذكر ابن النديم منها « أغراض كتاب اقليدس » لابراهيم بن سند[٧] ، و « المدخل الى كتاب اقليدس » لثابت بن قرة[٨] ، و « شكوك كتاب اقليدس » لقسطا بن لوقا[٩] ، و « شرح المشكل من كتاب اقليدس » للكوهي[١٠] ، و « أغراض كتاب اقليدس » و « اصلاح كتاب اقليدس » و « اصلاح المقالة الرابعة عشرة والخامسة عشرة من كتاب اقليدس » للكندي[١١] ، و « مصادرات اقليدس » و « حل مشكل مصادرات اقليدس » لابن الهيثم[١٢] .

وفي القرن الثالث الهجري نقل العرب عدداً من الكتب الاغريقية في الهندسة ، وكان ابرز المعنيين بها بنو موسى بن شاكر والكندي ، وابرز نقلتها ثابت بن قرة وأولاده ، وذكر ابن النديم مما نقل منها « اصول الهندسة » لافلاطون[١٣] ؛ و « اصول الهندسة » لمنالاوس[١٤] ؛ و « الشكل الهندسي الذي بيّن جالينوس أمره » لمحمد بن موسى[١٥] .

وفي الاشكال الهندسية نقل العرب شيئاً يسيراً من « كتاب المثلث » لمنالاوس[١٦] ؛ وعرف العرب « كتاب الدوائر والدواليب » لهرقل النجار[١٧] ؛ و « الدوائر المماسة » لابولونيوس[١٨] ، « والدوائر المماسة » و « تربيع الدائرة » و « تسبيع الدائرة » لارخميدس[١٩] .

---

(٦) انظر الفهرست ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٤٠ ـ ٣٤٢ وانظر القفطي ٧٩ ، ٢٣٤ ، ٢٩٩ .

(٧) الفهرست ٣٣١ .

(٨) القفطي ١١٥ .

(٩) الفهرست ٣٥٣ .

(١٠) الفهرست ٣٤٠ .

(١١) الفهرست ٣١٧ .

(١٢) القفطي ١٦٧ .

(١٣) الفهرست ٣٠٧ .

(١٤) الفهرست ٣٢٥ ، ٣٢٧ .

(١٥) الفهرست ٣٣١ .

(١٦) الفهرست ٣٢٧ .

(١٧) الفهرست ٣٢٩ ، ٢٤٧ .

(١٨) الفهرست ٣٢٦ .

(١٩) الفهرست ٣٢٦ .

وفي الأكر نقل العرب أربعة كتب هي « كتاب الأكر » لثيودوسيوس ، قام بنقله قسطا بن لوقا بأمر محمد بن المعتصم وأكمله مترجم آخر ، وأصلحه ثابت بن قرة[٢٠] ، وكتاب « الكرة والاسطوانة » لارشميدس ، أصلحه ثابت بن قرة[٢١] ؛ و « كتاب الكرة المتحركة » لاوطولوقس أصلحه الكندي[٢٢] ؛ و « الاشكال الكرية » لمنالاوس[٢٣] ؛ و « تفسير كتاب بطليموس في تسطيح الكرة » لبلس الرومي نقله ثابت بن قرة[٢٤] .

وفي المخروطات نقل كتابان بهذا العنوان لابولونيوس[٢٥] ، ولارخميدس[٢٦] ، وقد نقلها ثابت بن قرة[٢٦أ] .

مؤلفات بطليموس في الفلك والجغرافية :

قام العرب في أوائل زمن الخلافة العباسية بنقل كتب بطليموس وأبرزها كتاب المجسطي الذي يقول عنه القفطي « لا يعرف كتاب في علم من العلوم قديمها وحديثها يشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب : أحدها كتاب « المجسطي » هذا في علم هيئة الفلك وحركات النجوم ، والثاني كتاب ارسطو في علم صناعة المنطق ، والثالث كتاب سيبويه البصري في علم النحو العربي » ويقول أيضاً « وما أعلم أحداً بعده تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف بالمجسطي ، ولا تعاطى معارضته ، بل تناوله بعضهم بالشرح والتبيين كالفضل بن حاتم النيريزي ، وبعضهم بالاختصار والتقريب كمحمد بن جابر البتاني وأبي الريحان البيروني ، وكذلك كوشيار بن لبان الجيلي »[٢٧] .

---

(٢٠) الفهرست ٣٩٨ .
(٢١) الفهرست ٣٢٦ .
(٢٢) الفهرست ٣٢٨ .
(٢٣) الفهرست ٣٢٧ .
(٢٤) الفهرست ٣٢٨ .
(٢٥) الفهرست ٣٢٦ .
(٢٦) الفهرست ٣٢٦ .
(٢٦أ) الفهرست : ٣٣٢ .
(٢٧) القفطي ٩٦ .

وذكر ابن النديم ان للمجسطي « ثلاث عشرة مقالة ، وأول من عني بتفسيره واخراجه الى العربية يحيى بن خالد بن برمك ، ففسره جماعة فلم يتقنوه ، ولم يرض ذلك ، فندب لتفسيره أبا حسان وسلم صاحب بيت الحكمة فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النقلة المجودين فاختبرا نقلهم وأخذا بأفصحه وأصحه ؛ وقد قيل ان الحجاج بن مطر نقله أيضاً ، فأما الذي عمله النيريزي وصلح ثابت الكتاب كله بالنقل القديم ، ونقل اسحاق هذا الكتاب وأصلحه ثابت نقلاً غير مرضٍ ، لأن اصلاحه الأول أجود »[٢٨] .

ولبطليموس « كتاب الاربعة » وقد نقله البطريق في زمن المنصور وفسر هذا النقل عمر بن الفرخان ، كما نقله ابراهيم بن الصلت[٢٩] .

وله أيضاً « كتاب الجغرافيا » وقد نقله الى العربية الكندي وثابت بن قرة[٣٠] .

نقل كتب الطب الاغريقية :

كان الطب الميدان الرئيس الثاني الذي نقل العرب كتبه من الاغريقية وأقدم المؤلفين الذين نقل العرب كتبهم هو بقراط الاول الذي ألف كتابين « الكسر والجبر » و « المفاصل »[٣١] ؛ ثم بقراط الثاني الذي ألف حوالي ثلاثين كتاباً نقل معظمها الى العربية مع شروح كثير منها[٣٢] .

غير ان أبرز من نقل العرب كتبه هو جالينوس الذي له مكانة متميزة ترجع الى كثرة مؤلفاته وتنوعها ، وكثرة ما ترجم الى العربية منها ، وما نقلته الكتب العربية عنها ؛ وقد وضع جالينوس فهرساً لمؤلفاته ، وألف حنين كتاباً

(٢٨) الفهرست ٣٢٧ .
(٢٩) الفهرست ٣٣٢ ، وانظر : نالينو تاريخ علم الفلك ٢١٦ ـ ٧ .
(٣٠) الفهرست ٣٢٨ . (٣١) الفهرست ٣٥٠ .
(٣٢) عيون الانباء ٥٢ ؛ وانظر : سارتون : تاريخ العلم ٢/٢٢٥ فما بعد .

في « ما ترجم من كتب جالنوس »[٣٣] ولهذين الكتابين فضل معرفتنا الواسعة عن مؤلفات جالينوس •

ألف جالينوس أكثر من مائة وثلاثين كتاباً ورسالة منها كتاب في « كتب بقراط الصحيحة وغير الصحيحة » ، وتفسير لعشرة من كتب بقراط ، كما ألف عما كتبه في الطب والتشريح افلاطون وارسطو واراسسترانس ، وفولوس ؛ وعدداً من الكتب عن حرفة الطب واخلاقيته • بالاضافة الى العدد الكبير من الكتب عن التشريح والعلاج ؛ وظلت كتبه معتمدة في دراسة الطب ؛ وعندما ضعفت دراسة الطب في القرنين الخامس والسادس الميلادي عنى علماء الطب بتلخيصها وألفوا ما يسمى جوامع الاسكندرانيين ، وهي تشمل ستة عشر كتاباً من كتب جالينوس[٣٤] •

نقل سرجيوس الرسعيني (ت ٥٣٦ م) واحداً وعشرين من كتب جالينوس الى السريانية ، غير ان نقله كان رديئاً ، فأعيد نقلها الى السريانية في القرن الثالث الهجري[٣٥] •

ذكر حنين بن اسحاق في كتابه « ما ترجم من كتب جالينوس » أسماء قرابة مائة من كتب جالينوس نقلت الى العربية ، نقل منها حنين (٣٤) ، وحبيش (٢٨) ، وعيسى بن يحيى (١٩) ، واصطفن (٧) ، واسحاق بن حنين (٦) وكتاباً واحداً نقله كل من يحيى بن البطريق ، وابراهيم بن الصلت، وشملي ، وثابت بن قرة • ويتبين من هذه الارقام ان حنين بن اسحاق واسرته (حبيش واسحق) ترجموا أكبر عدد من هذه الكتب •

(٣٣) نشر الكتابين برجشتراسر ، واعاد الدكتور عبدالرحمن بدوي نشر الكتاب الثاني مختصراً في كتابه « دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب » ١٤٧ — ١٨١ •

(٣٤) عيون الانباء ١٥٤ فما بعد .

(٣٥) انظر عن ذلك « ما ترجم من كتب جالينوس » لحنين بن اسحاق .

وذكر حنين في كتابه المذكور أعلاه ما يدل على ان هذه الكتب تم نقلها برعاية عدد من كبار رجال الدولة العباسية ؛ من أبرزهم بنو موسى بن شاكر فقد نُقِل لمحمد بن موسى بن شاكر (٣٩) كتاباً ، نقل منها حنين (١٩) وحبيش (١٨) ونقل لاحمد بن موسى بن شاكر ١٦ كتاباً ، نقل منها حنين (٥) وحبيش (١٩) وكتاب واحد نقله ابراهيم بن الصلت . ونقل لابراهيم ابن محمد بن موسى كتاب واحد .

ونقل لكل من محمد بن عبدالملك الزيات ، واحمد بن المدبر كتاب واحد نقله حنين ؛ وكل هؤلاء من كبار الرجال المقربين الى الخلافة ، ولكن ليس فيهم خليفة ، وهم ممن برزوا بعد زمن المأمون ، أي في زمن المعتصم والواثق ، عندما نقل مقام الخلافة الى سامراء ؛ والراجح ان النقل تم في بغداد ، وليس في سامراء غير انه يصعب تحديد تاريخ دقيق لزمن نقل كل كتاب .

ذكر ابن النديم عدداً من الاطباء الذين ظهروا في بلاد الاغريق قبل الاسلام ، وذكر فؤاد سزكين في الجزء الذي خصصه لتاريخ الطب العربي من كتابه أسماء خمسة وأربعين ممن ظهروا قبل الاسلام ؛ وكثير من هؤلاء الاطباء لم تذكر لهم كتب ، ولم تذكرهم غير الكتب العربية التي لولا ذكرها لهم لانطمس ذكرهم وظلوا مغمورين في المجهول .

لم تذكر الكتب العربية زمن حياة معظم هؤلاء الاطباء ؛ وأشارت الى بعض من ظهر قبل زمن جالينوس وهم ارشيجانس ، وفلّس ، ولكل منهما كتاب واحد ، واقريطن صاحب كتاب الزينة .

وذكرت أسماء أطباء ألف كل منهم كتباً عديدة .

فقد ألف روفس ٤٣ كتاباً كل منها وصف بأنه « مقالة » ما عدا ثلاثة

وصف كل منها بأنه « مقالتان » ؛ لم يذكر ناقلوها أو زمن نقلها .

وألف فيلغريوس خمسة عشر كتاباً ، كل منها مقالة ، لم يذكر ناقلوها الا كتابين نقلهما أبو الحسن الحراني .

وألف اورباسيوس خمسة كتب نقل ثلاثة منها حنين ، ونقل واحداً اصطيفن بن بسيل ، ومن هذه الكتب اثنان وصف كل منهما بأنه « مقالة » وهي « تشريح الاحشاء » و « الادوية المستعملة » ، أما « كتاب الى ابنه اسطاث » فهو تسع مقالات ، و « كتاب الى ابنه اوثافيس » أربع مقالات .

وذكر للاسكندروس ثلاثة كتب هي « علل العين وعلاجاتها ، ثلاث مقالات » و « الصفات والديدان التي تولد في البطن » ، ووصف ابن النديم انها « بنقل قديم » دون أن يذكر الناقل أو زمن النقل ؛ وذكر له أيضاً كتاب « البرسام » نقل ابن البطريق ؛ ولعل هذه الكتب الثلاثة مما نقل في زمن هرون الرشيد[٣٦] .

وذكر أيضاً ان سورونس له كتاب « الحقن » ، نقل اسطاث واصلاح حنين[٣٧] وديوسقوريدس له « كتاب الحشائش » نقله اصطيفان بن بسيل وأصلحه حنين[٣٨] وبولس له كتاب « الكنائس » سبع مقالات نقله حنين ، وكتاب آخر لم يذكر ناقله . ويتبين من أسماء النقلة انها نقلت بعد زمن المأمون .

وذكر ان كلاً من افلاطون ، وارشيجانس ، وفلس ، له كتاب واحد[٣٩] .

٣ ـ **نقل كتب في علوم اخرى :**

ونقل العرب كتباً في علوم متعددة ، وأكثر ما نقلوا من كل منها كتاباً

(٣٦) الفهرست ٣٥١ .
(٣٧) الفهرست ٣٥٢ .
(٣٨) الفهرست ٣٥١ .
(٣٩) الفهرست ٣٥١ .

واحداً وقليل منها كتابان • ففي الجبر ذكر ابن النديم كتابين للاغريق لم يذكر مترجم أي منهما :

(١) كتاب صناعة الجبر لابرخس الزفني ، « نقل هذا الكتاب [•••] وأصلح أبو الوفاء محمد بن محمد الحاسب هذا الكتاب ، وله أيضاً شرحه وعلله بالبراهين الهندسية[٤٠] •

(٢) كتاب صناعة الجبر لديوفنطس الاسكندراني اليوناني[٤١] •

ويذكر ابن النديم ان ابا الوفا البوزجاني فسّر الكتابين ، وألف « كتاب » البراهين على القضايا التي استعمل ديوفنطس في كتابه وعلى ما استعمله هو من التفسير[٤٢] •

وفي الميكانيك ذكر ابن النديم خمسة كتب نقلها العرب عن الاغريقية •

(١) كتب ايرن : « شيل الاثقال » و « الحيل الروحانية » و « الاشياء المتحركة لذاتها »[٤٣] • وله أيضاً « آلة الزمن البوقي ، الزمر الريحي ، الدواليب ، عوارف الأرغن »[٤٤] •

(٢) مورسطوس « كتاب في الآلات المصوتة المسماة بالارغن البوقي والارغن الزمري » و « كتاب آلة مصوتة تسمع على ستين ميلاً »[٤٥] •

(٣) ساعاطس : « كتاب الجلجل الصياح »[٤٦] •

(٤) هرقل النجار : « كتاب الدوائر والدواليب »[٤٧] •

---

(٤٠) الفهرست ٣٢٩ .
(٤١) الفهرست ٣٢٩ .
(٤٢) الفهرست ٣٤١ .
(٤٣) الفهرست ٣٢٨ ، ٣٤٣ .
(٤٤) الفهرست ٣٤٣ .
(٤٥) الفهرست ٣٢٩ .
(٤٦) الفهرست ٣٦٩ .
(٤٧) الفهرست ٣٢٩ .

(٥) ارخميدس « آلة ساعات الماء التي ترمى بالبندق »[٤٨] .

وفي المناظر ذكر ابن النديم كتاباً واحداً يونانياً هو كتاب « اختلاف المناظر » لاقليدس[٤٩] .

وفي علم الحيوان نقل العرب كتاب ارسطو وهو « تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق ، ويوجد سرياني اجود من العربي .. وله جوامع قديمة .. وقد ابتدأ أبو علي بن زرعة بنقله الى العربي وتصحيحه »[٥٠] . ويذكر ابن النديم في مكان آخر ان في علم الحيوان كتابين أحدهما كتاب الحيوان وقد نقله ابن زرعة من السريانية ، والآخر منافع أعضاء الحيوان بتفسير يحيى النحوي ، وكلاهما من تأليف ارسطو »[٥١] ، وأشار ابن القفطي الى ان لديه نسخة عن نقل ابن زرعة[٥٢] .

وفي علم النبات ذكر ابن النديم كتابين أولهما « كتاب أسباب النبات » لثاوفرسطوس ، نقله ابراهيم بن بكوس ، والذي وجد لبعض المقالة الاولى[٥٣] .

والكتاب الثاني « كتاب النبات لنيقولا الدمشقي » وقد خرج منه مقالات نقله الى العربية اسحاق بن حنين[٥٤] ، ثم نقلت الترجمة العربية الى اللاتينية والعبرية وضاع أصله اليوناني[٥٥] .

وفي الفلاحة ترجم كتاب جيربونيكا لباسوس ، ترجمه اسطاث ليحيى

(٤٨) الفهرست ٣٤٣ .
(٤٩) الفهرست ٣٢٦ .
(٥٠) الفهرست ٣١٢ .
(٥١) الفهرست ٣٢٣ .
(٥٢) أخبار الحكماء ٤١ .
(٥٣) الفهرست ٣١٢ .
(٥٤) الفهرست ٢١٤ .
(٥٥) سارتون : تاريخ العلم ٣/٣٩٧ .

البرمكي بعنوان « كتاب الفلاحة الرومية » ، ثم ترجمه سرجس ، وطبع في القاهرة[٥٦] .

وذكر ابن النديم ان « بادروغوغياله « كتاب استخراج المياه » وهو ثلاثة أبواب الباب الاول ٣٩ قولاً ، والباب الثاني ٣٦ قولاً ، والباب الثالث ٣٠ قولاً[٥٧] . وكلمة « بادروغوغيا » هي تحريف لكلمة « هيدروغرافيا » وهو اسم العلم وليس اسم المؤلف . ولم تذكر المصادر نقلاً أو اقتباساً منه في العربيـة[٥٨] .

وفي الموسيقى نقل كتابا « الديموس ، والايقاع لارسطاليس ، وكل منهما مقالة »[٥٩] ؛ ونقل أيضاً كتاب « النغم » لاقليدس ، وكتاب « الموسيقى الكبير » لنيقوماخوس[٦٠] .

ان كثيراً من هذه الكتب صغيرة الحجم ، لا يتجاوز الواحد منها بضع صفحات ، حتى ان ابن النديم وصف عدداً غير قليل منها بأنه « مقـالة » ؛ غير ان بعضها كبير الحجم . وأكثر هذه الكتب دون مؤلفوها معلوماتهم دون الاشارة الى مصادر معرفتهم ، وهل هي حصيلة تجاربهم الشخصية أم انها اقتباس من مؤلفات لعلماء سابقين ؛ ولا ريب في ان اغفال ذكر مصادر هذه المؤلفات أثر في ابراز مكانة المؤلفين واحلالهم مكانة مرموقة في تاريخ العلم الذي اختصوا به ؛ وعلى أي حال فانه فيما عدا الطب والهندسة ، فان ميادين العلم التي نقل العرب كتبها الى العربية قليلة ، وعدد الكتب في كل علم محدود جداً ؛ مما يظهر سعة اضافة العرب في ميادين العلوم .

---

(٥٦) انظر عنه نشرة المعهد الفرنسي بالقاهرة م ١٩٤١/١٣ ص ٤٧ ــ ٥٤ .
(٥٧) الفهرست ٣٢٩ .
(٥٨) نايلينو تاريخ علم الفلك ٦١ .
(٥٩) الفهرست ٣٢٦ .
(٦٠) الفهرست ٣٢٩ .

الطيران .. من الخيال الى الحقيقة

محمد بهجة الأثري
عضو المجمع العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

كانت رحاب السماء ، منذ أول الدهر ، مجال نظر انسان الأرض وحاسّته العاقلة المتفكرة .. ينجذب اليها فِطرةً ، متعجباً مشدوهاً ، أو متفكراً في كُنْهِ خلقها العجيب ، وزينتها : من الشمس والقمر والكواكب والنجوم شارقاتٍ وغارباتٍ في أفلاكها على تعاقب الأيام ، في نظام منسجم دقيق ، متناغم ومتماسك ، لا يقبل الخرق والالتئام .

يغترقُ بصرَهُ ــ أوّلَ شيء يغترقُهُ منها ــ هذان النيّران العظيمان ، السابحان في فلكيهما فوقه ، وهما يرسلان الى البسيطة الأنوارَ والأضواء : هذا ناريّ يتلهب ، وهذا ثلجي بارد ناعم ، وكلٌ يجري في فلكه الدّوّار غير متلاقٍ بأخيه ، الّا نظراً وتلامُحاً من بعيدٍ بعيدٍ (لا الشَّمْسُ ينبغي لها أن تُدرِكَ القَمَرَ ، ولا الليلُ سابِقُ النّهارِ) ، وهما يتعاقبان على الأرض شروقاً وغروباً ، فلا يغيب أحدهما عنها حاسراً ضوءه ، حتى يشرق الآخر بنور ربه ويمدّه عليها مَدّاً .. يبعد عنها وحشة الظلام ، ويؤنسها ويؤنس ما عليها من انسان وحيوان ، فيبعث ذلك الى نفسه الانبساط والانشراح ، ويدعوه أن يَزيده نظراً ، وأن يتابع ببصره توابعَهما من الكواكب الزواهر في حنادس

الليالي تطرّز آفاق السماء ونواحيها .. كأنها لآلىء انتثرت من عقود الحِسان على بساط الحرير أو على المرمر المسنون ، فيعلق بها ناظره مسحوراً ، ويظَلّ شاخصاً اليها ومتنقّلاً معها حيث تتنقّل في أبراجها ومنازلها . وتبلغ اللذة والمتعة الروحية أبعادهما القُصوى عند بعضٍ حين يسمو روحه ـ بَعْدَ نظره ـ الى التفكّر في خالقها ومدبّرها العظيم جَلّ وجلّت قدرته ، ليتّحد به تأمّلاً ، ويستنزلَ منه الهداية : تهبِط على قلبه من لَدُنْهُ ، وتلك هي عليا درجات السموّ الروحي ، وهي حالة صفوةِ الصفوة من البشر ، وهم الأنبياء والرسل (قد نَرَى تقلّبَ وجهِك في السماء فَلَنُوَلّينّك قِبلةً ترضاها) .

هكذا كان انجذاب الانسان الى عوالم السماء ، تأمّلاً فيها ، وتسامياً اليها ، وتلذّذاً بزينتها ، واتّحاداً بصفائها ، وهي تفيض عليه السكينة ، وتمنحه الطمأنينة والصَفْوَ والأمن ، ولكل امرىءٍ نصيب من ذلك ، يأتيه على قدر حظّه من الرّوحانية والادراك ، وقدرِ شُفوفِ نفسه ونازِعتها الى الجمال المطلق .. يخفف عنها كثافة المادة وثقلها ، ويريحها شيئاً مّا من ارهاق الكدّ والكدح الذي يُضنيه ويشقى به ، ثم لا يظفر من رحلة نَصَبِه الا بالنَّزْر الشحيح من الجَدا ، أو يرجع منها وهو مَمْنُوّ بالخيبة والخسران .

وكم أوحى ملكوت السماء الى الفلاسفة والشعراء والرسّامين أن يستلهموا جماله وصفاءَه ، ليبدعوا من ذلك عوالم خاصّة بهم : يستمتعون بها ما عاشوا ، ويمتعون الآخرين بما يَصِفُون من معانيه وسموّها ، ومن صفائه وبراءته وخلوصه ، وبما يرسمون ويجسّدون من صُوَرِه وملامحها الجميلة الملهِمة .

وما عسى أن أذكر ، فيما أذكر، من مبدعات الفلاسفة الأولين فيما اهتدت اليه عقولهم ـ من تعلقها بملكوت السماء ـ من ابتكار هذا العلم : علمِ

الفَلَك العجيب ، الذي بلغ غاية الروعة في تصوّراته الصحيحة ، وفي اثارته لأعمق الأحاسيس بعظم خالقه وجلاله ، وبالرغبة في الاتحاد بذلك الصفاء والاستمتاع به .

وكذلك مُبْدَعات الشعراء من كل أمّة فيما أحَسّوه من هذا الصفاء في ملكوت السماء ، فوصفوه وافتنّوا بما وَصَفوا وفَتَنُوا ، وأفاضوا الأمن والدَّعَة والسكينة على الأرواح . ولشعراء العرب القِدْحُ المُعَلّى في هذا الشأن .. ذلك بما تميّزت به سماء بلادهم من التبرّج الدائم للعيون بالصحو والصفو والحسن ، وبما رُزِقه أهلها ، والشعراء منهم خاصةً ، من رَهَافة الحس وسرعة التأثر بما يروق ويشوق ، ومعها بلاغة البيان ، وهما يخلقان عرائس الأشعار ، وكم لبُداتهم ومتحضّريهم من روائع ، تُحَبِّب الى النفوس أن تتّحد بالجمال ، وتطلب السكينة والصفاء .

وللرسّامين من كل أمّة وملّة افتتان بالسماء وتعلّق بها شديد ، ولا عجب ! اذِ الفن الرفيع غايته ارتياد الجمال والصفاء وتمثيلهما وتحبيبهما ، وليس كالسماء ما يتوافر فيه من ذلك . وقد مثلوها فيما صنعوا من الروائع والبدائع نحتاً في الصخور ، ورسماً على الورق لكلِ تفاصيلها يكاد يريك منها كل شيء وكأنه ينطِق أو يتهامس ، كالذي صنع الفلكيّون من بنائها في الزمن الأخير ، وتجسيدهم الكواكب والنجوم شارقات وغاربات ، وكأنها تتغازل وتتداعى الى المحبة والامتزاح في وئام وصفاء دائمين . وقد كان السبق في هذا الشأن الجميل للعرب في المئة الثالثة الهجرية (٩م) ، وكان مبدعه الأول الفلكي المخترع عباس بن فرناس القرطبي الأندلسي المتوفّى سنة ٢٧٤ هـ = ٨٨٧ م ، وقد مثّل في بيته القبة الزرقاء بنجومها وغيومها وبروقها ، فأبدَع في ذلك ماشاء له الابداع .

ونَدَعْ هذا الى ذكر ما هو أعلى وأغلى وأشدُّ صلةً بالسماء وتعالياً روحياً مع صفائها وأمنهـا ودَعَتها ، وأُريد الكتُبَ المنزلةَ المقدسـة وما حفلت به من هذا الأمر العظيم ، وخاتمتُها هذا القرآن الكريم .. فانّ له عن السماء ومع السماء أنباءً وأحاديثَ تتسامى بالانسان الى عالم الصفاء والمحبة ، وَحدّثْ عن البحر ولا حَرَجَ ! ومن عايش آياتـهِ المستفيضة في شأنها تأمّلاً واستغراقاً ، علم كيف يتسرّب منها الى فؤاده الصفاء والأمن والسلام ، وهذه الخلال هي غاية ما يطلب الانسان أن تنعم به نفسه في حياته .

* * *

وكم تمنى الانسان منذ القدم ، وهو يرى الطيور تسـبح فوقـه في الجِواء دانيةً وقاصيةً ، لو أنه استطاع أن يطير مثلها الى حيث يشـاء ، ويعلو في أجواز السماء حيث الصفاء ، بعيداً بعيداً عن كدر الأرض .

ان الأساطير القديمة تشير الى أفراد من البشر قد حاولوا الطيران في سالف الزمان ، وكثير منها دارت حوادثُها حولَ الطَّيَران ، وأشهرُها مما علِمناه من ذلك الأسطورةُ اليونانية التي تحدثت عن محاولة « ديدالس » و « ايكاروس » الطَّيَرانَ ، باسـتعمال أجنحة من الريش طويلـة مثبتةٍ بالشـمع .

وفي أَدبنا العربي القديم ، ولندع الأدب الحديث الآن ، نجد أَشياء من نوازع النفوس العربية الى الطَّيَران والتحليق في الجِواء .. ومَنْ منّا يجهل قول الشاعر القديم ، وقد رأى سِرْبَ القطا في لُوح السّماء ، فساءله أن يعيره جناحاً منه ليطير الى مَنْ أَحبّ ... ، فهتف به :

أسِرْبَ القَطا ! هَلْ مَنْ يُعيرُ جَناحَهُ ؟
لَعَلّي الى من قد هَوِيْتُ أطيرُ !

ولنبق الى آخر حديثنا على ذِكْر من غايته هذه من الطيران ، وهي وِصال الحبيب وما في هذا الوصال من الدَّعَة والأمن والسلام ، وهِيَ هِيَ غاية العربي ومَنْ يَدِين بدينه من البشر في كل زمان وكل مكان .

وما وقف العرب من بعدُ عند حدود التّمنّي هذا فحسبُ ، بل أرادوا الخروج من حيّز التصوّر الى حيّز العمل والتنفيذ لأول استبحارهم في الماديّات ، فظهر اِبّانَ المئة الثالثة الهجرية (٩ م) في شرقي العالم الاسلامي وغربيّه مَنْ حاولوا الطّيَران ، وشرعوا فيه ، وألقوا في رُوع البشر امكان تحقيقه .

فكان في الشرق اسماعيل بن حماد الجوهريّ ، مؤلف معجم الصحاح المشهور ، أولَ من حاول اختراق الجو ، وأوّل من مات في سبيله .. صنع جناحين من خشب وربطهما بجثمانه ، وصعِدَ سطحَ داره أو المسجد في نيسابور ، ونادى في الناس : لقد صنعت ما لم أُسْبَقْ اليه ، وسأطير الساعة . فازدحم أهل نيسابور ، ينظرون اليه ، فنهض بجناحيه ، فخانه اختراعه ، فسقط الى الأرض صريعاً .

وكان في غربيّ العالم الاسلامي ، في الأندلس ، أبو القاسم عبّاس بن فرناس الفيلسوف الشاعر والفلكي الرسام والمخترع ، من أهل قرطبة ومن موالي بني أمية .. كسا جثمانه الريش ، ومَدّ له جناحين ، وطار بهما في الجو مسافة بعيدة ، ولكنّه لم يحسن الاحتيال في نزوله الى الأرض ، فتأذّى في مؤخره ، وغاب عن فكره أنّ الطائر انّما يقع على زِمِكّهِ ولم يعمل له ذنباً . ولذلك قصر عن الشأو البعيد ، وذلك شأن كل بداية . وفيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر الأندلسيّ :

يَطْئِمُّ على العَنْقاءِ في طَيَرانها
اذا ما كسا جُثْمانَهُ ريشَ قَشْعَمِ

وقد كان حريّاً بالعالَم الاسلامي ، وقد حقق أحد أفراده النابهين الطيران لأول مرّة في تاريخ البشر ، أن يتبع تجربته بتجارب جديدة تمضي به الى مداه .. ولكن صرفه عنه وعن أمثاله هذا النزاع السياسي بين ملوكه وطوائفه في الداخل ، وما تَوَالَى عليه من الخارج من الغارات المدمّرة من الشرق ومن الغرب ، وقد شَقِيَ بها عصوراً طوالاً ، فلم تعطه فسحة من الرخاء ، ونُهْزَةً من السلام والصفاء ، ينصرف فيها الى مواصلة ما بدأه من خير للبشر في هذا الشأن وغيره .

وما فات العالم الاسلامي من ذلك ، قُدِّر لغيره بعد عصور أن يفكر فيه ، ويجدّ في تحقيقه خلال أزمنة متطاولة ، لم يكفّ فيها عن التفكير والعمل حتى توصّل الى ما أراد .

★ ★ ★

وقد بدت ظاهرة التفكير في الطيران عند الأوربيين في أُخْرَيات المئة الثالثة عشرة الميلادية منذ اقترح العالم الانكليزي « روجر بيكن » المتوفّى سنة ١٢٩٤ م — وقد كان على صلة بالعرب — بناءَ الآلة الطائرة ، ووقف الأمر عند هذا الحد الى أواخر المئة الخامسة عشرة فيما بلغه علمي حيث قام المهندس الايطالي « ليوناردو داڤينسي » المتوفى سنة ١٥١١ م ببحوث علمية في الطيران ، فانتقل الأمر من التخيّل الى الدرس والتجربة على يد هذا العالم الميكانيكي الايطالي . وقفّى على آثاره رجل آخر من ايطاليةَ بعد دهر داهر ، في الربع الأخير من المئة الثامنة عشرة ، ذلك هو الكونت « فرانسيسكو زامبيكاري » ، فحقق تجربة سلفه بالعمل ، وصَنَعَ (المُنْطادَ) ، وقام في سنة ١٧٨٣ م بأول رحلة به في انكلترة . وجاءت المئة التاسعة عشرة وهَمُّ

القوم أن يتوصّلوا الى معرفة الأسس التي تؤدي الى الطيران بآلات يثقل وزنها عن وزن الهواء ووضع القوانين التي تحكمه ، فقدم العالم الانكليزي « جورج كايلي » بحوثاً في التحليل الميكانيكي للطيران في عام ١٨٠٩ م • ثم كتب المهندس الميكانيكي الألماني « أوتوليلينثال » (١٨٤٨ — ١٨٩٦ م) بعده بزمن مديد أبحاثاً في كيفية استخدام الطائرات الأثقل من الهواء • وواكب ذلك تصميم الطائرات ، فصممت طائرة وحيدة الجناح في عام ١٨٤٢ م ، وصُنع نموذج لطائرة ذات محركات • وفي نحو عام ١٨٦٦ م أدخلت تعديلات على هذا النموذج • وصممت في فرنسة طائرة مائية وحيدة الجناح في عام ١٨٧٨ م • وما كانت المئة التاسعة عشرة تنصرم حتى طار المهندس « كليمنت آدر » في عام ١٨٩٠ بطائرة صنعها على شكل خفّاش • وصنع الانكليز طائرة تديرها آلة بخارية تحمل ثلاثة ملاحين ولوازمهم ، وحلقت في الجو في عام ١٨٩٤ م • وكانت أمريكة فيما وراء المحيط تلاحظ المجهود الأوربي في الطيران خلال المئة التاسعة عشرة ، فبادرت الى أخذ الزمام باليمين ، فصنعت أول طائرة بمحرك تجاري كالذي صنع الانكليز ، واستخدمتها في عام ١٨٩٦ م • واستعان الأخوان الأمريكيان : « أورڤيل رايت » (١٨٧١ — ١٩٤٨ م) و « ويلبر رايت » (١٨٦٧ — ١٩١٢) ببحوث « أوتو ليلينثال » المهندس الميكانيكي الألماني في كيفية استخدام الطائرة الأثقل وزناً من وزن الهواء ، فأدخلا على تصميم الطائرة الشراعية اصلاحاً ، وصمم « أورڤيل » محركاتها ، وتمت له أول رحلة بها في « كيتي هوك » « بكارولينا الشمالية » في ١٧ كانون الأول ١٩٠٣ م • وعُني « صمويل بيرپونت لانجلي » (١٨٣٤ — ١٩٠٦ م) أحد روّاد دراسات ميكانيكا الطيران وتجارب الطيران في أمريكة بصنع نماذج طيارات صغيرة ، واستطاع اطلاقها بنجاح ، فبادرت (الادارة الحربية) في عام ١٩٠٣ م الى احتوائه ، وطلبت منه أن يطلق طائرة كبيرة ، وأمدته بالمال ، ففعل • غير أنّه لم ينجح في

اطلاقها ، فأعاد تصميمها في عام ١٩١٤ م (السنة الأولى من سني الحرب العالمية الأولى) فأُطلقت • ونجحت فرنسة في ميدان الطيران بما صنع لها المخترع « لويس بليريو » (١٨٧٢ ــ ١٩٣٦ م) من الطائرة ذات السطح (مونوبلين) ، وقد قام بتجارب عدة قطع بها مسافات قصيرة ، واستطاع أن يعبر بها « القناة الانكليزية » في عام ١٩٠٩ م • وهذا النوع من الطائرات هو أول ما وقعت عليه أبصارنا منها ، ونحن أطفال في عام ١٩١٧ م ، حيث استخدمها الجيش البريطاني في العراق ، وهو يتقدم بغزوه نحو (بغداد) ، فأطار أربعاً منها في سمائها ، وألقت كل واحدة منها قنبرة على موقع من مواقع الحكم في المدينة ، فأخطأت الأربع أهدافها ، ولم تنفجر ، وكانت شيئاً غريباً على الناس يطلّ عليهم من الجوّ ويثير الرعب والفزَع في نفوس الآهلين الآمنين الوادعين على ضفاف (وادي السّلام) الرقراق ، وقد كانوا في حاضرتهم (مدينة السلام) ، ومِثْلهم الأَناسيّ في بقاع الأرض ، يتسامعون بتحقق طَيَران الانسان ، ويأتيهم القليل من أنبائه ، فيطربون له ويُسَرُّون ، ويحلمون أن يكون لهم يوماً مّا نصيب من الاستمتاع بالتحليق في الجوّ ، والانتقال السريع الى حيث يشاؤون ، لِيَصِلوا آصرتهم بالأمم والشعوب ، ويوثقوا الروابط الانسانية ، ويحققوا تبادل المنافع في صفاء ووئام •• واذا بهم يفاجَؤُون من هذا الطيران بالصواعق تَسّاقط على رؤوسهم ، فيرون منه وجهه القبيح المفزع ، من قبل أن يريهم وجهَه الآخَر السمح الجميل المؤنس • وليس هذا ما أراده أولئك الذين أنفقوا أعمارهم وأموالهم سعياً وراء تحقيق هذا الحلم الجميل ، وقد وُفّقوا له بعد عصور طوال وجهود مُضْنِيَة ، وانما أرادوا ذلك الوجه الآخَرَ منه ، وقصدوا توفير المُتْعة الروحية به ، والوصولَ الى مَحابّ النفوس ، لا المكاره التي تخشاها ، على نحو ما تمنّى الشاعر العربي القديم حين ساءَلَ سِرْب القطا

أن يُعيره جَناحاً منه رَجاةَ أن يطير الى الحبيب . وما أحلاها من أمنية غالية ! ولست اخالهم فكروا في غير هذه المحابّ ، أو أرادوا غير تيسير المنافع للانسان . لكن الأمر خرج من سلطانهم ، وتعاورته النوازع وهي شتى ، فسيَّرتْه بما تقضي به مصالحها وآرابها ، وتنازعه منها الخير والشر ، والتقوى والفجور ، وهما صفتان تهيمنان على جملة طبائع البشر وسلوكهم . والأولى صفة محبوبة ، يقضي العقل بتغليبها والتمكين لها . والأخرى سمجة مشنوءة ، يجب الحدّ من طغواها . وكلا هذين الوجهين من الخير والشر ، قد خامر عالم الطيران ، ودخل في قبضة الشؤون الاقتصادية والتجارية ، والمصالح السياسية والعسكرية للدول التوسعية خاصة ، منذ أن تولت الادارة الحربية الأمريكية عام ١٩٠٣ صنع طائرة « صمويل پيرپونت لانجلي » وتطويرها كما أسلفت خبره . ثم مضت كل دولة صناعية مقتدرة الى غايته ، وجعلت له الشأن الأول بين شؤونها وهمومها ، وصعّدته تصعيداً محموماً مع تصاعد الصناعات « التقنية » ومخترعاتها العجيبة جنباً الى جنب ، وغذّته من الأموال بما تعجز قدرة الحاسوب « الكومپيوتر » عن ادراكه وضبطه . وكلما بلغت به احداها مبلغاً من التطوير ، نافستها الأخرى فيه ، وجارتها بأروعَ وأفضل منه ، لتدفع به ضرها ، أو لتتحدّاها به وتروّعها ، أو لتتغلب به في الحرب على عدوّها الذي ينازلها بكل أثقاله من هذا أو غيره من آلات التدمير .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية في أيلول ١٩٣٩ م ، كانت أمريكة دائبة على تطوير طيرانها وايجاد القنبرة الذرية . وطال أمد الحرب بين الدول المتصارعة سنين عدداً من غير أن تحقق أيّ منها نصراً لنفسها ، فلم يحسمها الّا طيرانها بالقائه على كلٍ من المدينتين اليابانيتين : « هيروشيما » و « ناكازاكي » قنبرة ذرية صيّرتها أثراً بعد عين .. غالت حياة الملايين من

الانسان والحيوان ، ومحت كل ما فيها من أخضر ويابس ، وترك هذا التفجير النووي خلفه اشعاعاً ذَرِّياً هناك يفتك في الأحياء حَوالَيْها الى هذا اليوم •

❋ ★ ❋

هذا الحدث الخطير ، الفريد في الافناء الجماعي خطفاً كلمح بالبصر •• أحدث هزة ألَم لا أعظم منها ولا أعمق في ضمير العالم الانساني ما بين المشرق والمغرب ، وجعل الانسان اذْ ينظر الى السماء ترتعد فرائصه رعباً ، وان كانت مصحية صافية تضحك له ، مخافةَ أن يغوله من جهتها ، وهو غافلٌ ، ما غال سكان المدينتين الآمنتين ، وقلب أسس النظام الدولي ، ودفع (السوفييت) حلفاء الأمريكان وشركاءَهم في هذا الانتصار على « دول المحور » [ألمانية وايطالية واليابان] الى التعجيل في امتلاك هذا السلاح الرهيب ، وتطوير الطيران ، وايجاد الطاقة الخارقة التي يتحرر بدفعها من جاذبية الأرض ، وينفذ من الغلاف المغناطيسي الذي يغلف كوكبنا الى الفضاء الخارجي •• يقيمون فيه محطّات دائمة مشحونة بأسلحة (ليزر) وغيرها من وسائل التدمير الشامل ، تحقيقاً للهيمنة مِن ثَمَّ على جملة الأرض ، اذِ استقر في فكر القادة السياسيين والعسكريين عند الفريقين أن الفضاء صار هو المجال الحاسم في الزمان الحاضر ، فمن ملكه كان قادراً أن يقرر مسارَ الأحداث في الأرض • وأصبح هذا الفكر عند قادة (السوفييت) و (الأمريكان) جميعاً هو محور السياسة الدولية في العالم ، فذهب كل فريق يغالب الآخر في مضمار التنافس في امتلاك الأسلحة الذَّرِّيَّة ، وتطوير الطيران الذي يحملها ويقذفها حيث يشاء على من يشاء ، وخَلْقِ وسائل أقوى مما عند غيره تخدم غاياته السياسية والعسكرية •

وعَجَّل (السوفييت) من فورهم ، على أثر وقوف رحى الحرب في عام ١٩٤٥ ، برنامجَ القنبرة الذرية وصنعوها •• فصنع (الأمريكان) القنبرة

الهدروجينية بعد عام ١٩٥٤ • فسارع (السوڤييت) فأوجدوا « الصاروخ عابر القارات » في ١٩٥٧ ، وأتبعوا هذا التحوّل النوعي المفاجيء في سباق التسلح وتطويره وتنويعه بـ (القمر الصناعي) : (سبوتنك الأول) ((Sputnik 1)) محمولاً على هذا الصاروخ الجبار ، متحرّراً به من جاذبيّة الأرض ، ومخترقاً غلافها المغناطيسي الى أجواز الفضاء •

تمت هذه الخارقة لأول مرة في تاريخ البشر في اليوم الرابع من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٧ : فكان هذا اليوم مولد (عصر الفضاء) على يد (السوڤييت) ، وان شاع أن هذه الخارقة التاريخية هي من منجزات العلماء الألمان الذين أسرهم السوڤييت ابّانَ الحرب العالمية الثانية ، أو من انتاج أعمال التجسّس ، أو صُنع العبقريات الفردية •• تهويناً لشأن السوڤييت ، وتسكيناً للشعب الأمريكي الذي أفزعه هذا السبق السوڤييتي في التوجه نحو الفضاء الخارجي ، وأحدث عنده هزّة عنيفة ، وأثّر في تصوراته السياسية والعسكرية ، وأشعره بضمور هيبته وتقلّص نفوذه • وقد كانت « الحرب الباردة » بين السوڤييت والأمريكان على أشدها في تلك الأيام ، وكان معظم نشاط الأمريكان اذْ ذاك منصرفاً الى الملاحة الجوية دون الفضاء ، وما كان ليدور في خَلَدهم أن السوڤييت الذين بهم نجوا من السقوط تحت أقدام الألمان يقدرون يوماً مّا أن يكون لهم هذا الظهور والتفوق السريع في مجال الفضاء •• فسارعوا الى تطوير برنامج الفضاء العلمي وتلافي نقصه ، فأدركوا الغاية سريعاً ، وأطلقوا في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٨ ، أول قمر صناعي لهم في مدار الأرض •• ذلك هو (أكسپلورر الأول) ((Explorar 1)) (الكاشف) ، وأنشؤوا محطات المتابعة ((Trackings)) في عدد من الأقطار حول الأرض ، وبنوا شبكات الاتّصال ، وأطلقوا عشرات من الأقمار تكشف الفضاء القريب من الأرض ، وتدرس الغلاف الجوي ••

ولم يَعْلُوا بما وُفّقوا له من ذلك الى أبعد من هذا المدى .. واذا بالسوفييت يفاجؤونهم والعالم كله في الثاني عشر من نَيْسان (ابريل) ١٩٦١ بارسال أول انسان منهم الى الفضاء الخارجي ، هو (يُوري غاغارين) ((Yuri Gagarin)) على القمر الصناعي (ڤوستوك الأول) ((Vostok 1)) ظل فيه تسعاً وثمانين دقيقة في حالة « انعدام الوزن » ، وبلغ طيرانه أربعين ألف كيلومتر حول الأرض ، وكانت زنة هذا القمر ٤٫٧٣٠ كيلوغراماً .. فسارع الأمريكان فأرسلوا في الخامس من أيار (مايو) ١٩٦١ أول انسان أمريكي الى الفضاء ، هو (آلان. ب. شپَرْد) ((Alan B. Sheperd)) على القمر الصناعي (مركوري) ((Mercury)) (عُطارد) ، فقصّر عن شأْوِ (فوستوك الأول السوفييتي) ، اذْ لم يبق في الجو الّا خمس عشرة دقيقة ، وسقط في البحر ، فالتُقِط منه ، وكانت زِنَتُه ٩٥٣ كيلوغراماً ، أي أقل من وزن (فوستوك الأول) ٣٫٧٦٧ كيلوغراماً ، ولم يتجاوز طيرانه ٤٨٧ كيلومتراً في الجو ، على حين بلغ (يوري غاغارين) بمركبته أربعين ألف كيلومتر .

فارتاع الشعب الأمريكي من هذا التخلف عن السوفييت ، وذُعِر ذعراً شديداً ، فبادر الرئيس (جون. ف. كنّدِي) ((John F. Kennedy)) الى طمأنته بأن تفوق حكومته على السوفييت في مجال الفضاء سيتحقق لامحالة قريباً ، واعداً ايّاه بانزال أفراد منه على سطح (القمر) في غضون عقد واحد من السنين . وفي اليوم الثالث من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٢ أعلنت الحكومة الأمريكية برنامجاً فضائياً هو (جيميني) ((Gemini)) (التوأمان) يحمل انسانين الى الفضاء الخارجي ، ثم يعقبه بعد نجاحه برنامج (أپوللو) ((Apollo)) الفخم الذي يُعِدّونه لغزو (القمر) والنزول عليه ، وأجروا عشرات من التجارب بأقمار (جيميني) تعوّد بها روّادُ الفضاء

الحياةَ خارج غلاف كوكب الأرض ، وأفادوا معرفة العلم به وبكواكب المجموعة الشمسية • فلما تمت لهم التجربة ووثقوا منها ، أطلقوا مركبة منها الى (القمر) ، وقد أركبوها ثلاثة روّاد مدرّبين ، غير أنها احترقت وهي على منصة الاطلاق قبل أنْ ترتفع الى طبقات الجو • وقد بلغت تكاليفها خمسين مليون دولار ، فكانت الصدمة شديدة بالغة التأثير في نفوس الشعب الأمريكي وحكومته ، لا من خسارة الرُّوّاد الثلاثة المدرّبين والخمسين مليون دولار فحسب ، ولكن من الاخفاق الذي مُنُوا به بعد الجهود المضنية التي بذلوها في هذا السبيل أيضاً ، وهذا أهم عندهم بكثير • على أنه شحذ عزيمتهم لأن يعاودوا التجارب واصلاح الخلل ، ليحققوا هذا المقصد الأوّل للسياسة الأمريكية • فما مضى عام ونصف حتى أفلحوا ، فأطلقوا في اليوم الحادي والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٨ سفينةً الى الفضاء بنجاح تامّ تحمل ثلاثة رُوّاد كانوا أوّل من انفكّ من البشر من جاذبية الأرض ، فداروا بها حول (القمر) ، وأبصروا لأول مرة ظهره المجهول عند البشر ، غير أنهم لم ينزلوا على سطحه •

وفي اليوم العشرين من تموز (يوليو) ١٩٦٩ أتى العلم المتقدم والارتقاء التقني بالخارقة الكبرى التي وعد الرئيس الأمريكي (كنّدي) شعبه بالوصول اليها في غضون أقل من عشرة أعوام كما أسلفت ، وصيّرت حلم البشر بالطيران البعيد من عهد آدم واقعاً عملياً ، والخرافة حقيقة •

في هذا اليوم انطلقت السفينة الفضائية (أپوللو) ((Apollo)) الى (القمر) تُغِذُّ السير مسرعةً اليه في طبقات الجو صعداً أفقاً من بعد أفق حتى بلغته ، فهبطت عليه بسلام آمنةً ، ونزل منها رائداها : (نيل آرمسترونغ) ((Neil Armstrung)) ، و (أدوين ألدرين) « Eduin Aldrin » ، وخَمْسُ سكان كوكب الأرض يشاهدونهما في « الاذاعة المرئيّة » يسيران

على سطح القمر متثاقلَيْن ، ويرفعان عليه العلم الأمريكي ايذاناً بتفوق الأمريكان على السوفييت في مجال الفضاء ، وزَهْواً ببلوغ هذه الغاية المثلى ، واشعاراً للبشر بسبقهم الى ملك الفضاء والقمر حيث يستطيعون الهيمنة منهما على الأرض ، ويتحكمون في مسار الأحداث فيها .. وها هوذا (مستر نيل آرمسترونغ)[1] جالساً الآن الى يميني في هذه الندوة العلمية العظيمة بميعة شبيبته وبشاشة مُحَيّاه الطَّلْق ووداعته ، بعد أربعة عشر عاماً من هبوطه على القمر ، يشاركنا الرأي في الدعوة الى الأمن البشري والسلام على الأرض وفي السماء . وما أشوقنا الى سماعه يتحدث لنا عمّا شاهد من آيات الله الكبرى ، ونَعِمَ به في رحلته الموفقة العجيبة من المتعة التي لم تقدر لانسيّ قبله ، وقدرت له ولصاحبه !

ثم جاء بعده وبعد صاحبه (أدوين ألدرين) من الأمريكان مَنْ واصلوا الاتصال بالقمر ، فنزل عليه اثنا عشر رائداً ، وعادوا منه الى الأرض بمقادير كبيرة من موادّه .. يقول العلماء ان دراستها تستغرق عشراتٍ من السنين .

وما وقف القوم عند القمر وحده ، فأوغلوا في ملكوت السماء ، وعَلَوْا صُعُداً نحو فلك (المريخ) ((Mars)) ، ثم الى (المشتري) ((Jupiter)) أكبر كواكب المجموعة الشمسية ، واندفاعاً من ثَمَّ الى الفضاء غير المتناهي الى (الزُّهَرَة) ((Venus)) و (عُطَارِد) ((Mercury)) أقرب كوكب في المجموعة الشمسيّة الى الشمس .. بحثاً عن أشياء في عوالم السماء يبغون معرفتها والافادة منها ، واختباراً لقدرة الانسان على تحمل اقامة طويلة في الفضاء الخارجي ، ودرساً لامكانيّة بِناءِ نظام للنقل في الفضاء : نقل البشر الى كواكب المجموعة الشمسيَّة ، ونقل الموادّ التي يحتاج اليها الانسان من الأرض الى خارج غلاف الأرض المغناطيسي ، على ما يعلنون .

---

(١) زميلنا في الأكاديمية الملكية المغربية .

والذي بَرَزَ واضحاً الى اليوم من مقاصد هذا الجهد الفضائي الهائل انّما هو درس امكانية اقامة محطة فضائية ، واقامة قاعدة دائمة على سطح القمر للأغراض الحربية خاصةً . فما حدث (غزو الفضاء) هذا الّا من الفكر الحربي ، ولولاه ما كان يكون منه شيء ولاريب . فأيدي مراكز القوى العسكرية في الجانبين هي التي تدفع اليه وتواصل دفعه دواماً ، وتشجع عليه، وتسيّره تصعيداً يوماً بعد يوم لِتصلَ به الى غايته ، وكلٌّ يحاول أن يكون هو السابق الى احراز التفوق في هذا المجال . وكل ما يقال عن دوافع (غزو الفضاء) خلاف هذا القصد ، من درس امكانية الاستفادة اقتصادياً وتجارياً وطبياً من استغلال الفضاء ، ومحاولة اسكان البشر في الأجرام السماوية .. لا يخلو من قصد التعمية لاخفاء هذه النية عن السواد الأعظم أو الرأي العام الذي أفزعه الفكر الحربي في هذا الاندفاع الى الفضاء ، وثار عليه حذراً من عواقبه الوخيمة على جملة البشر .

والشواهد على هذا كثيرة ، وهي تتجلى بوضوح في استمرار الدولتين العظيمتين على هذا النهج كحقيقة ثابتة عندهما ، وفي حرص كلٍ منهما على احراز قَصَب السبق والتفوق في المجالَيْن معاً : مجال السلاح النَوَوي ، ومجال الفضاء الذي يحمل هذا السلاح الرهيب ، وما فتِئتا ماضيتين في هذه السبيل بكل عزم وتصميم ، لا تفتُران عنه ، وفي نفس كُلٍّ منهما أن تكون بذلك هي المتفرّدة في توجيه السياسة والاقتصاد في الأرض ، وهي وحدَها صاحبة السلطان المطلق الذي لا يغالَبُ ولا يُغْلَبُ ، وسبيلها الى ذلك هو امتلاك ناصية الفضاء وهذا السلاح الرهيب معه .

وكل محاولة للتفاهم من أجل الحدّ في هذه النزعة عند الجانبين ، ما برحت على امتداد الزمن تبوء بالخيبة دائماً .

وان أنسَ لا أنسَ اجتماعاً فيما مضى لزعيمي الدولتين العظيمتين المتنافستين

والمحترقتين في « الحرب البـاردة » اذا جاز التعبـير ، التقيا لِيَتَفاوَضا في نزع السلاح ، واحلال الوئام محل الخصام ، فلمّح الأقوى لصاحبـه ، قاصداً انزاله على ارادته ، بأنه يملك من السلاح الذري ما يمحو بـه وجه الأرض كلِّ الأرض مرتين ! ؟ وكان نِدُّهُ صاحب نادرة وتهكّم وغرور عَظيم أيضاً ، فضحك وقهقة ، وقال لـه على البديهة : ياعزيزي ؟ يكفيك أن تمحو الأرض كل الأرض مرة واحدة ، فما حاجتك أن تمحوها مرة أخرى وأنت لم تبق على شيء في الأولى ؟!

هذا الفكر لبث هو المسيطر في رؤوس قادة الدولتين العظيمتين الى هذا اليوم ، ولست أدري متى يتلاشى منها .. فها أنا ذا اليوم وأنا أكتب هـذا الكلام أسمع من الاذاعة تصريحاً للحكومة الأمريكية بأن « اتفاقية الحدّ من الأسلحة التي عقدتها مع السوفييت لا تُفيد الأمن العالمي مقدار أنملة ما لم تتقيد بالتزام بنودها وامتثالها الدقيق لأحكامها .. » يجيء هـذا التصريح الخطير في آخر سلسلة الاتفاقيات الدولية منذ المئة التاسعة عشرة للميلاد الى يوم الناس هذا ، وانّا نجد كل اتفاقيـة تبرم يعقبها نقض ، وتكون « حرب باردة » ، أو « حرب ساخنة » ، وناهيكم بما أدّت اليه هذه المواقف الدولية الرَّجْراجة ، أو الهُدَن على دَخَن تنطوي عليه الضلوع : من نشوب حربين عالميتين خلال هذه المئة العشرين للميلاد لم يشهد عالم الأرض شَرْواهما في الشراسة والتدمير ، وما أعقبت كل منهما على مدى ستين عاماً خلت من ثورات وحروب متعاقبة في كل مكان ، زعزعت بناء المجتمعات الانسانية ، وأتت على القيم الأخلاقية هدماً وافساداً ، وأشاعت البؤس والفقر بعد الغِنى والرفاهية ، ونشرت العُنْف والسَّطْوَ والاغتصاب والارهاب ، حتى لكأنّ الانسان قد مسخ وحشاً ضارياً ، قانونه مَعِدَتُهُ .. بل أصبحت هذه النازعة عند دوله التي تحكمه هي قانونها العام ، كما يبدو ذلك في تصعيدها الرهيب للتسليح

النووي في البر والبحر والفضاء ، وفي قيام هذا الجدار الهائل بينهما من « انعدام الثقة » ، وتربُّص كل منها بالأُخْرَى ، واستعدادها لمُفاجأتها بالضربة الماحقة • وقد استشرت هذه النازعة النفسية الرهيبة عند الدول العظمى بعد دخولها (عصر الفضاء) خاصّةً ، على نحو لم يسبق له نظير من قبل • ومن هنا عم البشرَ الخوفُ من أخذه بالقارعة على غِرّة ، وداخَلَ الذّعرُ القلوب ، وبات كل انسان يتوقّع في كل لحظات زمنه انفلات الزِّمام من يد العقل في بعض حالات غضبه ، فتحدث نهاية الحضارة والانسان على الأرض بصنع الحضارة وانسانِها نفسِه !

لقد أحدث (عصر الفضاء) تغييرات جذرية في جملة الحياة الحاضرة ، وفي طليعتها كما يقرّر المحللون المتعمقون في الدراسات البشرية أربعة معالم ، هي : « ١ـ السياسات الدولية ، و ٢ـ الدور السياسي الذي يضطلع به العلم والعلماء ، و ٣ـ العلاقة بين الدول والتحوّل التِقني (التكنولوجي) ، و ٤ـ الثقافة والقيم السياسية لدى الأمم ذات التقنية المتقدمة » •

وهذه كلها تغييرات لم يكن بُدٌّ من حدوثها ، نشأت في الأصل من طبيعة التطور العقلي والتقدم العلمي المستمرّ ، وكانت تعبيراً حضارياً في سلسلة جهد الانسان المتواصل من أقدم الحضارات •

ومن شأن هذه التغييرات في التصور العلمي الانساني أن تحدث تغييرات نظائرها في : ١ـ القانون العام الذي يحكم البشر بالعدل ، و ٢ـ في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين أجناس البشر على أساس الفضائل والتقوى والخُلُق الكريم ، و ٣ ـ في تنظيم الاقتصاد العالمي •• تخلّصه من هيمنة نوازع السلب والنهب والاغتصاب ، ومن التلاعب بجملة مَنافع البشر •

هذه الأمنيات ونحوها ، هي عَصَب الحياة الانسانية الكريمة ، ومتطلبات البشر من كل جنس ولون ودين ومذهب في بسيط الأرض كله

ما بين مشرقٍ للشمس ومغيب ٠ وهي تبدو صعبة التحقيق ، بل متعذرته ، من منظور الواقع الدولي النفسي الـذي يستعمل القـوة والتهديد بها في حل المشكلات ، وهو توجّه في جملته وتفصيله برهنت سلسلة أحـداث التاريخ البشري على خطئه وخَطَله ، فالشر يدعو الى الشر ، ويجرّ الى تسلسله ، ولا يحسم أمراً ٠

وهنا تتجلى ضرورة تغيير ما بالنفوس ، والتَّخَلّي عن هـذا الواقع الجَهْم الى التَّحَلّي بالصفات الانسانية ، وتقويم الطباع ، وتصفية الضمائر ، واخلاص النيّـات (وانـما الأعمال بالنيـات) كما قال محمد رسول الله الى الناس ، صلوات الله وسلامه عليه ٠٠ تمهيداً لدخول الدول في السلم كافةً ، واقامة علاقاتها على (قاعدة الخُلُق) ، فذلك هو الطريق الى حل المشكلات الدولية والانسانية ، وهُوَ هُوَ الذي يستأصل الشّر وبواعثه ، وليست (أشعة ليزر) تُسَلَّطُ على البشر الوادع من آفـاق السماء ٠٠ من قاعدة القمر ، أو من سفينة الفضاء ٠

لقد سبقت الأديان السماوية كلها فدعت الى السلم ، والى اتخاذ الأخلاق والمروءات أصلاً للتعامل الانساني ، وآزر بعضها بعضاً في الدعوة الى ذلك والحض عليه ، واستعلن ذلك خاصةً في الاسلام ، خاتمة الرسـالات ، في قوله تعالى : (يا أيّها الّذينَ آمَنُوا أُدْخُلوا في السِّلْمِ كافّةً) ٠

وعلى هذا انعقد اجماع العقلاء والمفكرين في كل زمان ومكان ، فـلا مندوحة للعقول العسكرية المتغطرسة من الانسلاخ من نوازعها ، واتّباع سُبُل السلام ، كما يهوى البشر ، ليأمن ويطمئن ويسلم ٠

ويعجبني تشبيه مفكّر من الغربيين نازعةَ استعمال القـوة في حَلّ المشكلات بمحاولة سائح من احدى الدول العظيمة « أن يجعل لغته الانكليزية مفهومةً لسامعيه برفعِ صوته بصورة مستمرة بعد (سپوتنك الأوّل) ٠ »

كما يعجبني جداً قول (ورنهر فون براون) مؤسس أول كنيسة لوثرية في هنتس ڤيل في ألاباما ، وهو يذكرّ ويحـذّر ـ كما يروي عنه (والتر ماكدوغال) : « ان على الانسان أن يرفع مستواه الأخلاقي ، وإلّا هلك » .
وقد كان (ورنهر فون براون) يطالب بنظام قويم جديد يتسامى « على مستوى القدرة التقنية والمادية الأمريكية القديمة » .

وذلك هو فكرُنا ـ نحن العربَ والمسلمين الحقيقيّين خاصّةً ـ منذ وُجِدْنا ، وصميمُ نازِعَتِنا الثّابتة والدّائمة الى تحقيق الخير المطلق والأمن المستقرّ للانسانية جمعاء ، تحت راية السلم ، تظِلّل الإِخاءَ البشريّ في كل مكان وكل زمان .



يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي

فاتح شطر ما وراء النّهر(١)
وشطر خُراسان(٢) وشطر طَبَرِسْتَان(٣)

اللواء الركن محمود شيت خطاب

(عضو المجمع العلمي)

نسبه وأيامه الأولى

هو أبو خالد يزيد بن المُهَلّب بن أبي صُفْرَة الأَزْدِي ، وهو من أزْد العَتِيك أزْد (دَبا) (٤) .

أبوه : المُهَلّب بن أبي صُفْرَة بن سَرّاق (٥) بن صُبَيْح (٦) بن كِنْدِيّ

---

(١) ماوراء النهر : ماوراء نهر جيحون ، فما كان في شرقيّه يقال له : ماوراء النهر ، وما كان في غربيه فهو خُراسان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٠/٧) والمسالك والممالك للاصطخري (١٦١) وآثار البلاد وأخبار البلاد (٥٥٧) وتقويم البلدان (٤٨٣ ـ ٥١٥) .

(٢) خُراسان : بلاد واسعة تتاخم العراق من الغرب وأفغانستان والهند من الشرق ، وتقع كرمان وسجتان الى جنوبها ، وتمتد من الشمال الى أقصى تخوم ايران ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (١٤٥ ـ ١٦٠) ومعجم البلدان (٤٠٧/٣) .

(٣) طبرستان : ولاية كبيرة من أكبر مدنها (آمل) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧/٦) والمسالك والممالك للاصطخري (١٢٤) .

(٤) دبا : اسم موضع بين عمان والبحرين ، انظر التفاصيل في وفيات الأعيان (٤٣٩/٤) والمعارف (٣٩٩) ، وهي مدينة بعمان قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها ، انظر معجم البلدان (٣٠/٤) .

(٥) ويقال : ابن سارق ، انظر الاستيعاب (١٦٩٢/٤) والاصابة (١٠٥/٧) .

(٦) في وفيات الأعيان (٤٣٢/٤) : ابن صبح ، وكذلك في جمهرة أنساب العرب (٣٦٧) .

ابن عمرو بن وائِل بن الحارث بن العَتيك بن الأَسد بن عِمران بن عمرو مُزَيْقِياء (٨) بن عامر بن ماء السماء (٩) بن حارثة بن امرئ القيس بن ثَعْلبَة بن مازِن بن الأَزْد الأَزْديّ العَتَكيّ (١٠) .

وأمّه : رَحِمَة (١١) الأَزْدِيَّة ، وخاله : جُدَيْع بن سعيد بن قَبيْصَة بن سَرَّاق الأَزْدِيّ ؛ (١٢) فأمّه رَحِمَة بنت سعيد بن قَبيْصَة ابن سَرَّاق الأَزْدِيّة ، فيكون يزيد أَزْدِيّاً من الأب والأم ، وأمّه بنت عمّ أبيه .

ولد سنة ثلاث وخمسين الهجرية (١٣) (٦٧٢ م) ، فشبّ وترعرع في كنف أبيه القائد الذي تولّى القيادة في وقت مبكّر على عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة إحدى وثلاثين الهجرية (١٤) (٦٥١ م) واشتهر قائداً ووالياً حتى توفاه الله سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١ م) وهو على خُراسان وقد كان المُهَلّب من أبرز قادة الفتح ، برز في الفتوح ، وبرز في إخماد

(٧) في الاصابة (١٠٥/٧) ووفيات الأعيان (٤٣٢/٤) ، ابن الأزد .
(٨) مزيقياء : لقب عمرو المذكور ، وكان من ملوك اليمن ، انظر وفيات الاعيان (٤٣/٤) .
(٩) في وفيات الأعيان (٤٣٩/٤) : عامر ماء السماء ، لا عامر بن ماء السماء ، كما ورد في أعلاه ، وقد لقّب بماء السماء لجوده وكثرة نفعه ، فشُبّه بالغيث .
(١٠) أسد الغابة (٢٣١/٥) ، وانظر الاصابة (٣٠٣/٣) و (١٠٥/٧) والاستيعاب (١٦٩٢/٤) وطبقات ابن سعد (١٠١/٧) و (١٢٩/٧) ووفيات الأعيان (٤٣٢/٢) والمعارف (٣٩٩) والبلاذري (٣٠٧) وسرح العيون (١٠٢) والتنبيه والاشراف (٣٢٠) ، واسم أبي صفرة : ظالم ، انظر جمهرة انساب العرب (٣٦٧) .
(١١) الطبري (٣٥٣/٦) .
(١٢) الطبري (١٩٦/٦) .
(١٣) تاريخ خليفة بن خياط (٢٠٦/١) ووفيات الأعيان (٣٤٩/٥) .
(١٤) ابن الأثير (٤٤٠/٤) .

الفتن الداخلية ، فكان يزيد مع أبيه في الفتح وفي إخماد الفتن الداخلية منذ شبّ عن الطّوْق واستطاع حمل السّلاح ، فاكتسب خبرة عملية في القيادة والادارة في محيط والده المتميّز بالكفاية والشجاعة والحنكة ، مما كان له أثر كبير في حياته العمليّة قائداً وإدارياً . .

وكان يزيد السّاعد الأيمن لأبيه المهلّب قائداً وإداريا ، وقد سأل الحجاج ابن يوسف الثّقفيّ عن أولاد المهلّب ، فقيل له : « . . . وكفى بيزيد فارساً وشجاعاً (٤) » فكتب الحجّاج إلى المهلّب يشكره ويأمره أن يولي (كَرْمان)(١٥) مَنْ يثق به ويجعل فيها مَن يحميها ، فاستعمل المهلّب على (كَرْمان) يزيد ابنه (١٦) ، وأقرّ الحجّاج تولية يزيد ، مما يدلّ على ثقة المهلّب بابنه يزيد وثقة الحجّاج به على الرغم من أنّ تولية يزيد (كَرمان) كانت سنة سبع وسبعين الهجرية (٦٤٦ م)، ويومها كان عمر يزيد لا يزيد على خمس وعشرين سنة ، أي أنّه كان في ريعان الشباب .

ومن المؤكد أنّ أعباء المهلّب القتالية والادارية وانغماس ولده يزيد في معاونة والده المهلّب في تحمل بعض أعبائه الثقيلة ، حرمت يزيد من التفرغ لاستيعاب العلوم النظرية السّائدة في حينه : علوم القرآن والحديث واللّغة والأدب والتاريخ والفقه ، ولكنه لم يحرم نهائياً من تعلّم تلك العلوم على أبرز الأساتذة والشيوخ المعروفين في حينه بالبصرة والكوفة ، وبهذا استكمل يزيد شخصيته في تلقي العلوم النظرية والعملية ، وأعدّ نفسه إعداداً كاملاً لتحمل ما تنتظره من اعباء جسام .

وفي طريق عودة المهلّب من بلاد ما وراء النهر إلى (مَرْو) مقرّه في

(١٥) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ، ذات بلاد وقرى واسعة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤١/٧) ، وانظر حدود كرمان وتفاصيل عنها في المسالك والممالك للاصطخري (٩٧ — ١٠٠) .

(١٦) ابن الأثير (٤٤١/٤) .

خُراسان سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١م) ، توفيّ المُغيرْة بن المهلّب ، وكان أبوه المهلّب قد استخلفه على عمله في (خُراسان) ، فأتى نعيهُ يزيدَ ابن المهلّب وأهل العسكر ، فلم يُخبروا المهلّب ، ولكن يزيد أمر النساء فصرخن ، فقال المهلّب : « ما هذا » ، فقيل : مات المغيرة ! فاسترجع المهلّب وجزع حتى ظهر جزعه . ودعا يزيد ووجّهه إلى (مرو) ، وأوصاه بما يعمل ، وإنّ دموعه لتنحدر على لحيته .

وسار يزيد في ستين فارساً ، ويقال : في سبعين ، فلقيهم خمسمائة من الترك في مفازة (بُسْت) (١٧) ، وطلبوا إعطاءهم شيئاً من المال وإلاّ قاتلوهم ، فأبى يزيد أن يعطيهم شيئاً ، لأنه ابتزاز والخائف يسمح بابتزازه . ولكن مُجَّاعة بن عبد الرحمن العَتَكِي أعطاهم ثوباً وقوساً وأشياء تافهة أخرى ، فانصرف الأتراك على مضض ، وغدروا وعادوا إلى مفرزة يزيد . ونشب القتال بين الجانبين واشتدّ . وكان مع يزيد رجل من الخوارج أخذه أسيراً في إحدى المعارك التي دارت بين الخوارج والمهلّب وشهدها يزيد ، فقال له الخارجي : « استَبْقني » فاستبقاه . وحمل الخارجيّ على الترك حتى خالطهم وقتل رجلا منهم ثم رجع إلى يزيد ، كما قتل يزيد عظيماً من عظمائهم ، ورُمي يزيد بساقه . واشتدّت شوكة الترك ، فصبر لهم يزيد حتى حاجزوهم ، وأصرّ الترك على أخذ شيء من مفرزة يزيد أو يموت أحد الجانبين المتقاتِلَينْ . فلم يعطهم يزيد شيئاً .

وقال مُجَّاعة : « أُذّكرك الله ! قد هلك المُغيرَة ، فأنشدك الله أن تهلك ، فتجمع على المهلّب المصيبة » . فقال يزيد : « إنّ المغيرة لم يَعْدُ أجلَه ، ولستُ أعدو أجلي » ، ثم رمى إليهم مُجَّاعة بعمامة صفراء ،

(١٧) بست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة ، وهي من اعمال كابل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/١٧٠ ــ ١٧٨) .

فاخذوها ثم انصرفوا . (١٨)

وفي هـذا الاصطدام المسلّح قال الراجز :

يزيدُ ياسيفَ أبي سَعِيدْ (١٩)
قد عَلِمَ الأقوامْ والجنودْ
والجَمْع يوم المجمَعِ المشهودْ
أنَّك يومَ التُّرْكِ صلبُ العودْ

وقال الأشقري :

والتُّرْكُ تعلمُ إذ لاقَى جموعَهُمُ
أن قد لقوه شِهاباً يَفْرِج الظُّلَما
بفِتْيَةٍ كأُسُودِ الغابِ لم يَجِدوا
غير التأسّي وغير الصبرِ مُعْتَصَما
نرى شَرائج (٢٠) تَغْشى القومَ من عَلَقٍ (٢١)
وما أرى نبوةً منهم ولا كزما (٢٢)
وتَحْتَهُمْ قُرَّحٌ (٢٣) يَرْكَبْنَ ما رَكِبوا
من الكريهة حتى ينْتعلنَ دَمَا (٢٤)

---

(١٨) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٣٥٠ ـ ٣٥١) وابن الأثير (٤/٤٧٢ ـ ٤٧٣) .

(١٩) ابو سعيد : هو المهلّب بن أبي صُفرة الأزديّ والد يزيد .

(٢٠) الشَرائج : جمع الشَّريج ، والشرائج : الوان مختلفة من كل شيءٍ ، ويريد هنا من البشر .

(٢١) علق : جمع عَلَقَة . دود أسود يمتص الدم ويكون في الماء الآسن ، ويريد التهوين من شأنهم .

(٢٢) كزم فلان : هاب التقدم على الشيء ، فهو كَزِمٌ .

(٢٣) قرَّح : جمع القارح ، والقارح من ذي الحافر : ما استتمّ الخامسة من عمره .

في حازَّةِ الموتِ حتى جَنَّ ليلُهُمُ
كِلاَ الفريقين ما وَلّى ولا انهزما (٢٤)

وحين حضرت الوفاة المهلّبَ ، دعا حَبِيباً ومَنْ حضره من ولده ، ودعا بسهامٍ فَحزِمت ، وقال: « أترونكم كاسريها مجتمعةً ؟ » ، قالوا : لا قال : أترونكم كاسريها متفرِّقةً ؟ » ، قالوا نعم ، قال : « فهكذا الجماعة ، فأوصيكم بتقوى الله وصِلة الرَّحِم ، فانّ صلة الرَّحِم تنسئُ في الأجل ، وتُثْرى المال ، وتُكْثِرُ العدَد . وأنهاكم عن القطيعة ، فانّ القطيعة تُعقِبُ النّار ، وتورِث الذلّة والقِلّة ، فتحابّوا وتواصَلوا ، وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا ، وتبارّوا تجتمعْ أمورُكم . إنّ بني الأُم يختلفون ، فكيف ببني العَلاّت (٢٥) ! وعليكم بالطّاعة والجماعة ، وليكن فعالُكم أفضل من قولكم . فإني أحبّ للرّجل أن يكون لعمله فضلٌ على لسانه ، واتّقوا الجوابَ وزَلّةَ اللّسان ، فأنّ الرجل تزلّ قدمُه فينتعش من زلّته ، ويزِلّ لسانه فيهلِك . اعرِفوا لمن يغشاكم حقّه ، فكفى بغُدوّ الرجل ورَواحه إليكم تذكرةً له . وآثروا الجُودَ على البُخْل ، وأحِبّوا العرَب واصطنعوا العُرْف . فان الرجل من العرب تَعِدُه العِدةَ فيموتَ دونَك ، فكيف الصنيعة عندَه ! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة ، فانها أنفع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فانْ أخَذَ رجل بالحزم فظهر على عدوّه قيل : أتى الأَمرَ من وَجْهه ، ثم ظفِر فحُمد ، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل : ما فرّطَ ولا ضيّعَ ، ولكنّ القضاء غالب ، . وعليكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنَن ، وأدب الصّالحين ، وإيّاكم والخِفّة

---

(٢٤) الطبري (٦/٣٥١ – ٣٥٢) .
(٢٥) العَلاّت : جمع العَلّة وهي الضرّة . وبنو العَلاّت : بنو رجل واحد من امهات شتى .

وكثرَةَ الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفتُ عليكم يزيدَ ، وجعلتُ حبيباً على الجند حتى يقدم بهم على يزيد ، فلا تخالفوا يزيدَ » ، فقال له المُفَضَّل : « لو لم تقدّمه ، لقدّمناه » .

ومات المهلّب ، وأوصى إلى حبيب ، فصلّى عليه حبيب ، ثمّ سار إلى (مَرْوَ) .

وكتب يزيد إلى عبد الملك بن مروان واستخلافه إياه ، فأقرّه الحجّاج (٢٦) .

وهذا دليل واضح على ثقة المهلّب بابنه يزيد ، وتفضيله على سائر إخوته على الرغم من أنه لم يكن أكبرهم سناً ، فقد مات ابنٌ لحبيب بن المهلّب ، فقدّم أخاه يزيد ليصلي عليه ، فقيل له : أتقدّمه وأنت أسنَ منه ، والميت ابنك ! ؟ فقال : « إنّ أخي قد شرّفه الناس ، وشاع فيهم له الصيت ، ورمقته العرب بأبصارها ، فكرهت أن أضع منه ما قد رفعه الله تعالى » (٢٧)

ولم يكن يزيد موضع ثقة أبيه المهلّب وإخوته أبناء المهلّب حسب ، بل كان موضع ثقة أميره المباشر الحجّاج بن يوسف الثّقَفِيّ الذي كانت خراسان إحدى ولاياته ، وثقة عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الذي كان قمة الدولة التي لاتغيب الشمس عن بلادها ، وثقة النّاس عرباً وعجماً ، مما يدلّ على كفاياته العالية المتميّزة .

ولعلّ مما يجلب النظر ، أنّ يزيد حين استخلفه أبوه المهلّب على خُراسان سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١ م) كان ابن ثلاثين سنة (٢٨) ، ولم يكن أكبر إخوته في السنّ ، واستخلاف الأكبر سناً من تقاليد العرب المعروفة

(٢٦) الطبري (٦/٣٥٤ ـ ٣٥٥) وابن الأثير (٤/٤٧٥ ـ ٤٧٦) وانظر وفيات الأعيان (٥/٣٣٠ ـ ٣٣١) .
(٢٧) وفيات الأعيان (٥/٣٢٧) .
(٢٨) المعارف (٤٠٠) ووفيات الأعيان (٥/٣٢٢) .

التي قلّما يخرجون عنها إلاّ في حالة التفوّق الواضح بالكفايات للأصغر سناً على الأكبر منه ، مما يدلّ على تفوق يزيد في كفاياته على إخوته جميعاً : الكبير منهم والصغير .

وتَوَلّي خُراسان التي هي من أكثر الولايات الاسلامية أهميّة وتفجّراً في حينه ، ويزيد في الثلاثين من عمره ، دليل آخر على كفاياته العالية المتميزة .

لقد فرض يزيد نفسه بكفاياته العالية على الأحداث وعلى المناصب الرفيعة وهو لايزال في ريعان الشباب غضّاً فتيا ، فيا قرب ذلك من مولد ، ويابُعْد ذلك من سؤدد .

الفاتح

١ ـ المرحلة الأولى

أ . في سنة ثمانين الهجريّة (٦٩٩ م) . قطع المهلّب نهر (بَلْخ) (٢٩) ، وهو نهر (جَيْحُون) ونزل على (كِشّ) (٣٠) .

وأتى المهلّب وهو نازل على (كِشّ) ابن عمٍّ ملك (الخُتَّل) (٣١) ، وملك الخُتَّل يدعى (السَّبَل) (٣٢) ، فدعاه إلى غزوها .

(٢٩) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، من اجلّ مدن خراسان واذكرها واكثرها خيراً وأوسعها غلّة ، تحمل غلّتها الى جميع خراسان والى خوارزم ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (١٥٥ ـ ١٥٦) ومعجم البلدان (٢/٢٦٣ ـ ٢٦٤) وتقويم البلدان (٤٦٠ ـ ٤٦١) .

(٣٠) كش : مدينة تقارب سمرقند ، من اقليم الصغد احد أقاليم بلاد ماوراء النهر . انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (١٨١ ـ ١٨٢) ومعجم البلدان (٧/٢٥٠ ـ ٢٥١) وتقويم البلدان (٤٩٠ ـ ٤٩١) .

(٣١) الختّل : بلاد الوخش في قسمها الشمالي حيث مخرج نهر (وخشاب) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٤٠١) .

(٣٢) السَّبَل : لقب ملك الختّل . وطرخون : ملك الصغد . رتبيل ملك كابل . واخشاد : ملك فرغانة . والسَّبَل يعنى اصطلاحاً ملك من ملوك ماوراء النهر والخاص بالختّل فقط من بلاد ماوراء النهر .

ووجّه المهلّب ابنه يزيد مع ابن عمّ ملك الخُتّل ، فنزل يزيد ناحية ، ونزل ابن عمّ ملك الخُتّل ناحية أخرى ، والناحيتان في أرض الخُتَّل .

وبيّتَ (السَّبَلُ) ابن عمّه . فأخذه وقتله .

وحصر يزيد قلعة ملك الخُتَّل ، فصالحوه على فديةٍ حُملت إليه ، فرجع يزيد عنهم (٣٣) ، بعد أن أعاد فتحه من جديد .

وكان هذا الفتح على عهد المهلّب ، وكان يزيد يومها قائداً مرؤوسا .

ب . وبعد موت المهلّب ، أصبح يزيد سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١م) على خُراسان والياً وقائدا ، فغزا مغازا كثيرة ، واستعاد فتح (البُتَّم) (٣٤) على يد ابنه مُخَلَّد .

وغزا يزيد (خُوَارِزْم) (٣٥) وأصاب سبياً واستعاد فتحها (٣٦) .

وليس هناك نص يشير إلى سنة فتح (البُتَّم) و(خُوَارِزْم) ، ولكن يزيد بقي على خراسان من سنة اثنتين وثمانين الهجرية إلى سنة خمس وثمانين

---

(٣٣) الطبري (٦/٣٢٥) وابن الأثير (٤/٤٥٣) ، ووردت : السَّبَل في ابن الأثير (٤/٤٥٣) : الشبل ، وهذا خطأ النسّاخ ، ويبدو انهم لم يكونوا يعرفون معنى السَّبَل ، فجعلوه : الشبل الذي هو ابن الأسد ، ولا يخطأ ابن الأثير مثل هذا الخطأ ، ولكن النسّاخ الذين قد يجهلون التاريخ يمكن أن يقعوا في مثل هذا الخطأ .

(٣٤) البتّم : اسم حصن منيع جداً ببلاد فرغانة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٥٧) ، والبتَم : جبال شاهقة منيعة ، فيها حصون منيعة ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (١٨٤) .

(٣٥) خوارزم : اقليم من اقاليم ماوراء النهر ، يحدّه من الغرب بعض بلاد الترك ، ومن الجنوب خراسان ، ومن الشرق بلاد ماوراء النهر ، ومن الشمال بلاد الترك أيضاً ، ويقع الاقليم في آخر نهر جيحون ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (١٦٨ ـ ١٧٠) ومعجم البلدان (٣/٤٧٤ ـ ٤٧٩) وتقويم البلدان (٤٧٧ ـ ٤٨١) .

(٣٦) البلاذري (٥٨٧) .

الهجرية (٧٠١ ــ ٧٠٤ م) ، فلا بدّ أن يكون فتح هذين الأقليمين خلال هذه المدّة الزمنيّة .

ج . وفي سنة أربع وثمانين الهجريّة (٧٠٣ م) ، غزا يزيد قلعة (نِيزْاك) بـ (باذَغِيْس) (٣٧) ، وكان نيزك ينزل بهذه القلعة ،فتحين يزيد غزوه ، ووضع عليه العيون . وبلغ يزيد خروجه فخالفه إليها ؛ فلما بلغ نيزك قدوم يزيد قلعته رجع إليها ، فصالح يزيد على أن يدفع إليه ما في القلعة من الخزائن ويرتحل عنها بعياله وكانت القلعة من أحصن القلاع وأمنعها ، وكان نيزك إذا رآها سجد لها تعظيماً لها .

وقد قال كعب بن مَعْدان الأشقريُّ في وصف القلعة والفتح :

وباذَغِيْس التي مَنْ حَلَّ ذُرْوَتها
عزَّ الملوكَ فان شا جارَ أوْ ظَلَما

مَنِيْعَةٌ لم يَكِدْها قَبْلَهُ مَلِكٌ
إلاّ إذا واجَهَتْ جيشاً له وَجَما

تخالُ نيرانَها من بُعْدِ مَنْظَرِها
بعضَ النّجوم إذا ما ليلُها عَتَما

لمّا أطافَ بها ضاقتْ صدورهُمُ
حتى أقرّوا له بالحُكم فاحْتَكَما

فذلّ ساكنُها من بعد عِزَّتِه
يُعْطِي الجِزْيَ عارفاً بالذلّ مُهْتَضَما

وبعدَ ذلك أياماً نُعَدِّدها
وقبلها ما كَشَفْتَ الكرب والظُّلما

---

(٣٧) باذغيس : ناحية تشمل قرى من اعمال هراة ومرو الرّوذ ، قصبتها : بَوْن وباميين ، بلدتان متقاربتان ، وهي في بلاد خراسان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣١) وتقويم البلدان (٤٥٤ ــ ٤٥٥) .

أعطاك ذاك وليُّ الرزقِ يَقْسِمُهُ
بين الخلائقِ والمحرومُ مَنْ حُرِما
يداكَ إحداهُمَا تُسقي العدوَّ بها
سُمّاً وأُخرى نداها لم يَزَلْ دِيَما
فهل كَسَيْبِ يزيدٍ أو كنائلِه
إلاَّ الفُراتُ وإلاّ النيلُ حين طَمَا
ليسا بأجوَدَ منه حينَ مَدُّهما
إذ يَعْلوَان حداب الأرض والاَ كما (٣٨)

وقال :

ثنائي على حيٍّ العَتيكْ بأنَّها
كرامٌ مَقَارِيْها (٣٩)، كرام نصابُها (٤٠)
إذا عقدوا للجارِ حَلَّ بِنَجْوَةٍ
عزيزٌ مراقِيها ، منيعٌ هِضَابُها
نفى نَيْزَكاً عن باذَغَيْسَ ونيزكٌ
بمنزلةٍ أعيا الملوكَ اغتِصابُها
مُحَلِّقَةٍ دونَ السَّماء كأنَّها
غَمَامةُ صَيفٍ زَلَّ عنها سَحَابُها
ولا يبلغ الأَرْوَى شماريخَها العلا
ولا الطَّيرُ إلا نَسْرُها وعُقابُها

(٣٨) الطبري (٦/٣٨٦) وانظر ابن الأثير (٤/٤٩٨ ـ ٤٩٩) .
(٣٩) المقار : جمع مَقَر ، وهو موضع الاستقرار ، ومحلٌ يتخذه الانسان مكاناً لاقامته ، ويريد بهم الذين استقروا في المدن والحواضر .
(٤٠) نصاب : الأصل والمرجع ، ويريد به رئيس القبيلة وشيخها .

وما خُوِّفَتْ بالذِّئبِ ولدانُ أهلها
ولا نَبَحتْ إلاّ النّجومَ كلابُها
تمَنَيْتُ أن ألقى العتيكَ ذوي النُّهى
مُسَلَّطة تُحمى بملكٍ ركابُها
كما يتَمَنَّى صاحبُ الحرثِ أعْطَشَتْ
مزارعُهُ غَيْثاً غزيراً رَبابُها
فأُسْقِيَ بَعْدَ اليأس حتى تحيَّرَتْ
جَدَاولها ريّاً وعبّ عبابُها
لقد جمع الله النوى وتَشَعَّبَتْ
شعوبٌ من الآفاقِ شتى مآبها (٤١)

وقد حرصت على نقل هذا الشِّعر الجميل ، لأنه يصف وصفاً دقيقاً مناعة قلعة نيزك ، ويصف بشكل غير مباشر مبلغ ما تحمّله المسلمون من عناء شديد في فتحها .

وليس نيزك اسم شخص من الأشخاص ، بل لقب ملك باذغيس ، أحد الملوك المحلِّيين في خُراسان .

وقد نجح يزيد في مباغتة نيزك ، إذ استطاع تطويق القلعة ونيزك بعيد عنها ، مما أجبر نيزك على الصلح .

ومن الواضح أنّ هذه القلعة الحصينة ، كانت جيباً من جيوب المقاومة المعادية للمسلمين . فكان فتحها إيذاناً بالسيطرة الكاملة على منطقة باذغيس بأكملها .

ولما فتح يزيد القلعة ، كتب إلى الحجّاج بالفتح ، وكان يكتب له يحيى

(٤١) الطبري (٦/٣٨٧) وابن الأثير (٤/٤٩٩) .

ابن يَعْمر العَدْوانِيّ حليف هذَيْل (٤٢): «إنّا لحقنا العَدُوّ، فمنحنا الله أكتافهم، فقتلنا طائفةً، وأسرنا طائفةً، ولحقت طائفة برؤوس الجبال، وعَرَاعر (٤٣) الأودية، وأهضام (٤٤) الغِيطان، وأثناء الأنهار»، فقال الحجّاج: «مَنْ يكتب ليزيد؟» فقيل له يحيى بنُ يَعْمرَ. وكتب الحجّاج إلى يزيد فحمله على البريد، فقدم عليه أفصح الناس.

وقال له: «أين وُلدت؟» قال: «بالأهواز» فقال: «فهذه الفَصاحة؟»، فقال: «حفظتُ كلام أبي وكان فصيحا». قال: «هل يلحن عَنْبَسة ابن سعيد؟»، قال: «نَعم كثيراً»، قال: «فَفُلان؟»، قال: «نعم»، قال: «فأخبرني عنّي أألحَن؟»، قال: «نعم، تلحَنُ لحْناً خَفِيّاً، تزيد حرفاً وتنقص حرفاً، وتجعَل أنْ في موضع إنْ، وإنْ في موضع أنْ»، قال: «قد أجّلتُك ثلاثاً، فإنْ أجدْك بعد ثلاث بأرض العراق قتلْتك»، فرجع إلى خُراسان (٤٥).

وهكذا جنى على الكاتب الفصيح علمُه، فقد كان عالماً أكثر مما ينبغي كما يقول المثل، فلم يحتمله الحجّاج الذي كان لايحتمل أحداً كائناً مَن كان أفضل منه في أي شيءٍ من الأشياء.

والحجّاج ليس وحده يُعاني من هذه النقيصة على كل حال!

د. والذي يُؤخذ على يزيد أنه لم يَعْرِض لموسى بن عبد الله بن خازِم بسوء (٤٦)، وهو الذي كان أحد الخارجين على الدولة في (تِرْمِذ) فاتخذها

(٤٢) كان بنو هذيل معروفين بالفصاحة، وكانوا حجّة في الفصاحة والبلاغة والبيان، وشعراؤهم مشهورون.

(٤٣) عراعر: جمع عَرْعَرَة، وعرعرة كل شيء: اعلاه، يقال: عَرْعَرَة الجبل.

(٤٤) أهضام: جمع الهِضْم: المطمئن من الأرض، وبطن الوادي.

(٤٥) الطبري (٣٨٧/٦ - ٣٨٨) وابن الأثير (٤٩٩/٤).

(٤٦) الطبري (٤٠٣/٦) وابن الأثير (٥٠٨/٤).

مقراً له في بلاد ماوراء النهر ، وهو الذي قاتل مع ابيه عبدالله بن خازم سنتين ثم خرج يسير في بلاد خراسان حتى أتى ملك ترمذ فغلبه على مدينته وأخرجه منها واقام في حصنه خمسَ عشرة سنة ، وصار ماوراء النهر له لا ينافسه فيه أحد (٤٧) ، يسيطر على معظم أجزائه ، ويجبي الضرائب ويجمع الأموال ويأوي الخارجين على الدولة ويستعين بهم في حرب العرب وغير العرب .

وقد كانت بلاد ما وراء النهر ، هي المجال الحيويّ في الفتح واستعادة الفتح من جديد بالنسبة لأمير خُراسان ، فما كان ينبغي ليزيد السكوت عن موسى وسيطرته على تلك البلاد .

ولكن لم يكن يزيد وحده السّاكت عن موسى ، فقد سكت أبوه المهلّب من قبله على موسى أيضاً ، فحين قدم المهلّب أميراً على خُراسان ، لم يَعْرض لابن خازم ، وقال لبنيه : « إيّاكم وموسى ، فانّكم لا تزالون ولاة هذا الثّغر ما أقام هذا الثّطّ (٤٨) بمكانه ، فان قُتِل كان أوّل طالع عليكم أميراً على خُراسان رجل من قَيْس » ، فمات المهلّب ولم يوجّه اليه أحدا (٤٩) .

فلما عُزل يزيد وولى المفَضّل ، سيرَ إليه الجيوش وقضى على موسى (٥٠) وكان سكوت يزيد عنه خطأً من أخطائه مهما تكن أسباب سكوته ، وكان قضاء المفضل على موسى حسنة من حسنات المفضّل بلامِراء ، فمهّد لفتح قُتَيْبَة بن مُسْلِم الباهِلي الذي خلفَ المفضّل ، لأنه قاتل أهل البلاد المفتوحة ولم يقاتلهم ويقاتل معهم موسى بن عبد الله بن خازِم وغيره من الخارجين على الدولة ، فكان فتح قتيبة بحق حسنة من حسنات المفضّل ، جرت على يدى قتيبة .

(٤٧) الطبري (٦/٤٠٩) .

(٤٨) الثط : خفيف شعر اللّحية والحاجبين ، والذي ثقل بطنه وبطؤت حركته .

(٤٩) الطبري (٦/٤٠٣) .

(٥٠) ابن الأثير (٤/٥١١) .

٢ ـ المرحلة الثانية

أ . في سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤ م) عزل الحجّاج بن يوسُف، عن خُراسان يزيدَ بن المهلّب وولّى أخاه المفُضّل مكانه (٥١) .

وفي سنة سبع وتسعين الهجرية (٧١٥ م) ولّى سليمان بن عبد الملك خُراسان يزيد بن المهلّب (٥٢) .

وفي سنة ثمان وتسعين الهجرية (٧١٦ م) غزا يزيد (جُرْجَان) (٥٣) و(طَبَرِسْتَان) (٥٤) ، وكان قد قَدِمَ خُراسان ، فأقام ثلاثة أشهر أو اربعةً ، فأعدَّ العُدَّة اللازمة للفتح ، وكان أهم ما حققه في الجانب الداخلي هو القضاء على مصادر الشَّغَب . وعلى رأسها وَكِيع بن حسّان ابن قيس بن أبي سُود بن كَلْب بن عَوْف بن مالِك بن غُدانة بن يَرْبوع والي خُراسان وقاتل قتيبة بن مُسْلِم الباهليّ . ووَكِيع من بني تَميم ، وكان معروفاً بالشّجاعة والاقدام ، وله مواقف بطولية في أيام الفتح ، ولكنه كان أعرابياً ، وقد توّلى خُراسان بعد مقتل قتيبة تسعة أشهر أو عشرة ، ثمّ عُزل بيزيد بن المهلّب، فَحَبَس وَكِيع واخذ أصحابه (٥٥) ، وبذلك استطاع يزيد السيطرة على (مَرْو) قاعدة الفتح المتقدمة .

---

(٥١) الطبري (٣٩٣/٦) وابن الأثير (٥٠٢/٤) وانظر البدء والتاريخ (٧٣/٦).

(٥٢) الطبري (٥٢٣/٦) وابن الأثير (٢٣/٥) وانظر تاريخ خليفة بن خياط (٣٢٤/١) والمعارف (٤١٦) .

(٥٣) جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين خراسان وطبرستان ، فبعض يعدها من خراسان ، وبعض يعدها من طبرستان ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك (١٢٥) ومعجم البلدان (٧٥/٣ ـ ٧٩) وتقويم البلدان (٤٣٨ ـ ٤٣٩) .

(٥٤) طبرستان : بلاد واسعة تضم بلداناً كثيرة منها : جرجان وآمُل واستراباذ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك (١٢٤ ـ ١٢٥) ومعجم البلدان (١٧/٦ ـ ٢١) وتقويم البلدان (٤٣٢ ـ ٤٣٩) .

(٥٥) انظر التفاصيل في الطبري (٥٢٧/٦ ـ ٥٢٨) .

أما ما حقّقه يزيد في الجانب العسكري ، فهو حشد قوات ضاربة قادرة على الفتح ، فحشد في جيشه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشّام ووجوه أهل خُراسان والرّيّ ، في مئة ألف مقاتل سوى الموالى والمماليك والمتطوعين (٥٦)

ولكي يضمن قاعدته المتقدِّمة وهي خُراسان ، خلّف ابنه مَخْلَد عليها (٥٧) ؛ وكان مخلّد حاد الذكاء ألمعياً شجاعاً على الرغم من صغر سنِّه . كما سيرد ذلك وشيكا .

ولما أكمل يزيد الجانبين : الأمني في الداخل ، وحشد جيشه حشداً متكاملاً ، انطلق إلى هدفه في الفتح .

وسبب غزو جُرْجان وطَبرِستان المباشر واهتمام يزيد بهما ، أنه لما كان عند سليمان بن عبد الملك حين كان سليمان ولياً للعهد ، كان سليمان كلّما فتح قُتَيْبَة بن مُسْلِم الباهليّ فتحاً يقول ليزيد : « ألا ترى إلى ما يفتح الله على قُتَيْبَة ؟ » ، فيقول يزيد : « ما فَعَلَتْ جُرْجان التي قطعت الطريق . وأفسدت (قُومِس) (٥٨) و (نَيْسَابور) (٥٩)؟ هذه الفتوح ليست بشيءٍ . الشان هي جُرْجان ! » .

أما سبب الغزو غير المباشر . فهو استعادة فتح هذه المناطق الحيوية ،

---

(٥٦) الطبري (٥٣٢/٦) .

(٥٧) الطبري (٥٣٢/٦) .

(٥٨) قومس : كورة كبيرة واسعة . تشتمل على مدن وقرى ومزارع ، وهي في ذيل جبال طبرستان وأكبر ما يكون في ولاية ملكها ، وقصبتها المشهورة (دامغان) . وهي بين الريّ ونيسابور ، ومن مدنها المشهورة : بسطام وبيار ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٥/٧ ــ ١٨٦) وتقويم البلدان (٤٣٢) .

(٥٩) نيسابور : مدينة عظيمة من مدن خراسان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٦/٨ ــ ٣٥٩) وتقويم البلدان (٤٥٠ ــ ٤٥١) والمسالك والممالك (١٤٥ ــ ١٤٧) .

وبسط سيطرة الدولة عليها ، أسوة ببقية الأمصار المفتوحة وبخاصة في خُراسان وبلاد ما وراء النهر .

فلما أصبح سليمان بن عبد الملك خليفةً وولي يزيد خُراسان ، لم يكن ليزيد همة غير جُرْجان .

ولم تكن جُرْجان يومئذ مدينة ، إنما هي جبال ومخارِم (٦٠) وأبواب ، يقوم الرجل على باب منها ، فلا يستطيع أحدٌ أن يتغلّب عليه .

وابتدأ يزيد بحصار (قُهِسْتان) (٦١) ، وكان أهلها طائفة من الترك . وأقام يزيد بجيشه عليها ، وكان أهلها يخرجون ويقاتِلون ، فيهزمهم المسلمون في كلٍّ مرّة ، فاذا هُزموا دَخلوا الحصن .

وخرج الترك ذات يوم ، وخرج إليهم المسلمون ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . وحمل محمد بن أبي سَبْرَة على أحد الترك الذي صدّ الناسَ عنه لقتاله بشجاعة فائقة ، فاختلفا ضَرْبَتَيْن ، فثبتَ سيف التركي في بيضة (٦٢) ابن أبي سَبْرَة ، وضربه ابنُ أبي سبرة فقتله ، ورجع وسيفه يقطر دماً وسيف التركي في بيضته ، فنظر الناس إلى أحسن منظر رأوه .

وخرج يزيد بعد ذلك يوماً ينظر مكاناً يدخل منه عليهم ، وكان في أربعمائة من وجوه الناس وفرسانهم ، فلم يشعروا حتى هجم عليهم الترك في نحو أربعة آلاف ، فقاتلوهم ساعة ، وقاتل يزيد قتالاً شديداً ، فسلم

---

(٦٠) مخارم : جمع مَخْرِم . والمخرم : الطريق في الجبل أو الرّمل . ومخرم الأكمة : منقطعها . ومخرم الجبل : انفه .

(٦١) قهستان : وردت في معجم البلدان (١٨٧/٧) : قَوَهِستان ، وهو تعريب : كوهستان ، ومعناه : موضع الجبال ، لأن كوه هو الجبل بالفارسية ، وهي كورة على مفازة فارس من خراسان ، وتشتمل على عدّة مدن ، وهي قائن وتون وجنابذ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٧/٧ ــ ١٨٨) وتقويم البلدان (٤٤٤ و ٤٥٢) .

(٦٢) البيضة : الخوذة الفولاذية التي يُغَطّى بها الرأس في الحرب .

يزيد ورجاله وانصرفوا ، وكانوا قد عطشوا ، فانتهوا إلى الماء وشربوا ، ورجع عنهم العدو .

ثمّ إنّ يزيد ألح في القتال ، وقطع عنهم المواد ، حتى ضعفوا وعجزوا ، فأرسل صُول . دهقان قُهِستان إلى يزيد . يطلب منه أن يصالحه ويؤمنه على نفسه وأهله وماله ، ليدفع إليه المدينة وما فيها ، فصالحه ووَفى له . ودخل يزيد المدينة . فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز والسبي ما لا يُحْصى ، وقتل كثيراً من الترك ، وكتب إلى سليمان بن عبد الملك بالفتح .

ب . وأتى يزيد جُرْجان . وكان أهل جُرجان قد صالحهم سعيد بن العاص . وكانوا يجبون أحياناً مئة ألف وأحياناً مئتَيْ ألف وأحياناً ثلاثمائة ألف ، وربما أعطوا ذلك وربما منعوه . ثمّ امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خَراجا . ولم يأتِ جُرجانَ بعد سعيد بن العاص أحد ، ومنعوا ذلك الطريق ، فلم يكن يسلك طريق خُراسان أحد إلاّ على (فارس) و(كَرْمان) . وأوّل مَنْ صيّر الطريق من (قُومس) قتيبة بن مسلم حين وليَ خُراسان .

وبقي أمر جُرجان كذلك بعيداً عن سيطرة الدولة اسلامية ، حتى وليَ يزيد وأتاهم ، فاستقبلوه بالصُّلح وزادوه وهابوه ، فأجابهم إلى الصّلح . ولما صالح يزيد (صُوْل) (٦٣) وفتح (البُحَيْرَة) (٦٤) و(دِهِسْتان)(٦٥)

(٦٣) صول : لفظة تركية ، وهو اختصار (صَوْل قول اغاسي) أي رئيس الجناح الأيسر ، وهو من ضباط الصف ، ورتبته أعلى رتبة بين ضباط الصف ، بين الملازم ورئيس العرفاء ، هكذا معناه في الجيش العثماني ، ويبدو انه كان برتبة ضابط في الأيام القديمة .

(٦٤) البحيرة : جزيرة في البحر ، بينها وبين قهستان خمسة فراسخ ، وهي من جرجان مما يلي خَوارِزم ، انظر ابن الأثير (٥/٣٢) .

(٦٥) دهستان : مدينة مشهورة عند مازندران ، ومعناها بالفارسية : موضع القرى ، وهي بين جرْجان وخَوارزم ، وهي آخر حدود طبرستان ، انظر التفاصيل في تقويم البلدان (٤٣٨ ــ ٤٣٩) .

صالح أهل جرجان على سعيد بن العاص (٦٦) .

جـ . ولما فتح يزيد جُرْجان وقهستان ، طمع في فتح (طَبَرِسْتَان) ، فعزم على أن يسير إليها ، ويفتحها .

واستعمل محمد بن المُعَمَرّ اليَشْكُري على قُهِسْتان وخلّف معه اربعة آلاف ، ثمّ أقبل إلى أداني جُرجان مما يلي طبرستان ، فاستعمل على (ايذوسا) (٦٧) راشد بن عمرو (٦٨) وجعله في أربعة آلاف ، وكانت هاتان الحاميتان لحماية خطوط مواصلات يزيد .

ودخل يزيدطبرستان ، فأرسل إليه (الأصبهبذ) صاحبها (ملكطبرستان) يسأله الصّلح وأن يخرج من طبرستان ، فأبى يزيد ورجا أن يفتتحها .

ووجّه يزيد أخاه أبا عُيَيْنَة من وجه ، وابنه خالد بن يزيد من وجه ، وأبا الجَهْم الكلبيّ من وجه ، وقال : « إذا اجتمعتم فأبو عُيينة على الناس » ، فسار أبو عُيَيْنَة ، وأقام يزيد مُعَسْكِرا .

واستنجد الاصبهبذ بأهل (جِيْلان) (٦٨ أ) و(الدَّيْلَم) (٦٩)

(٦٦) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٣٢ ــ ٥٣٩) و (٤/٢٧١) وابن الأثير (٤/٢٩ ــ ٣٠) و (٣/١١١) ، وانظر ابن خلدون (٢/١٠١٩) والبدء والتاريخ (٦/٤٣) والعبر (١/١١٦) وتاريخ خليفة بن خياط (١/٣١٩) ووفيات الأعيان (٥/٣٤١) .

(٦٧) ابن الأثير (٥/٣٠) ، وفي الطبري (٦/٥٣٩) : اندرِسْتان .

(٦٨) في الطبري (٦/٥٣٩) ، اسد بن عمرو او عبدالله بن الربعة .

(٦٨أ) جيلان : اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان ، يحيط بها من الغرب شيىء من أذربيجان وبعض بلاد الريّ ، ويحيط بها من جهة الجنوب قزوين وشيء من أذربيجان وبعض بلاد الرى ، ويحيط بها من جهة الشرق بقية الرى وطبرستان ، ويحيط بها من الشمال بحر الخزر ، وجيلان غربي طبرستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٩٤) وتقويم البلدان (٤٢٦ ــ ٤٢٧) .

(٦٩) الديلم : اسم بلاد واسعة ، يحيط بها من الغرب شيء من أذربيجان وبعض بلاد الريّ ، ويحيط بها من جهة الجنوب قزويا وشيء من ←

فأتوه ، فالتقوا في سفح أحد جبال طبرستان ، فانهزم المشركون في الجبل . وطارد المسلمون المنهزمين حتى انتهوا إلى فم الشَّعْب (شِعْب الجبل) ، فدخله المسلمون . وصعد المشركون الجبل ، وأتبعهم المسلمون يرومون الصعود ، فرماهم العدوّ بالنُّشّاب والحجارة ، فانهزم أبو عُيَيْنَة والمسلمون يركب بعضهم بعضاً يتساقطون في الجبل ، حتى انتهوا إلى عسكر يزيد .

وكفّ العدو عن مطاردة المسلمين . وخافهم الأصبهبذ ، ولكنه كتب إلى المَرْزُبان (٧٠) المُقَدَّم في أهل جُرجان يسأله أن يُبَيِّتَ مَنْ عنده من المسلمين . وأن يقطعوا عن يزيد المواد التموينيّة والطريق فيما بينه وبين بلاد المسلمين ، ويَعِدُه أن يكافئه على ذلك . وقال في رسالته : « إنا قد قتلنا يزيد ومَن معه . فأقتل مَنْ عندك من العرب » . وثار أهل جُرجان بالمسلمين ، فقتلوهم أجمعين وهم غارّون في بيوتهم ليلاً ، وقُتل عبد الله بن المُعَمَّر وجميع مَنْ معه . فلم ينج منهم أحد ، وكتب المرزبان بأخذ المضايق والطرق .

وبلغ ذلك يزيدَ وأصحابه . فعظم عليهم وهالهم .

وفزع يزيد إلى حَيَّان النَّبطي أحد الرجال العقلاء من العجم الذين أسلموا . وقال له : « لايمنعك ما كان مني إليك ، من نصيحة المسلمين ، وقد جاءنا عن جُرْجان ما جاءنا . فاعمل في الصُّلح » .

وقصد حيّان الأصبهبذ . فقال : « أنا رجل منكم ؛ وإن كان الدِّين فرّق بيني وبينكم . فأنا لكم ناصح ، فأنت أحبّ إليّ من يزيد ، وقد بعث يستمدّ . وأمداده منه قريبة . وإنما أصابوا منه طرفاً ، ولست آمَنُ أن

أذربيجان وبعض بلاد الريّ . ويحيط بها من جهة الشرق بقيّة الريّ وطبرستان ، ويحيط بها من الشمال بحر الخزر . انظر التفاصيل في تقويم البلدان (٤٢٦ ــ ٤٢٧) والمسالك والممالك (١٢١ ــ ١٢٦) .

(٧٠) المرزبان : الرئيس من الفرس . جمعها : مرازبة .

يأتيك مالا تقوم له ، فأرح نفسك منه وصالحه ، فأنك إن صالحته صيّر حدّه على أهل جُرجان بغدرهم وقتلهم أصحابه » .

ويبدو أنّ الأصبهبذ كان خائفاً من المسلمين ، لأن اندحار أبي عُيَيْنَة ابن المهلّب قضى على جزء من جيش المسلمين حسب ، كما أنّ إبادة المسلمين في جُرْجَان قضى على جزء آخر من جيش المسلمين أيضاً ولا تزال القوّة الضّاربة الأصلية من جيش المسلمين بقيادة قائدها العام يزيد سالمة وجاهزة للقتال ؛ كما أنّه قدّر أنّ المسلمين لن يسكتوا على مالحق بجيش يزيد من خسائر ، وهم بدون شك سينتقمون اليوم أو غدا ، لذلك آثر السّلامة ، وصالح المسلمين على سبعمائة آلف . وقيل : خمسمائة ألف درهم ، او أربعمائة وِقْر (٧١) زعفران أو قيمته من العَيْن (٧٢) ، وأربعمائة رجل ، على كل رجلٍ منهم بُرْنُس (٧٣) وطَيْلَسَان (٧٤) ، ومع كل رجل منهم جام من فضّة وخرقة حرير وكسوة .

ورجع حيّان إلى يزيد ، فقال : « ابعث مَن يَحْمِل صُلحهم » ، فقال : « من عندهم أو من عندنا ؟ ! » قال : « من عندهم » ، وكان يزيد قد طابت نفسه ان يعطيهم ماسألوا ويرجع الى جرجان ، فارسل يزيد من يقبض ما صالحهم عليه حيان ، فلما قبض ما صالحهم عليه انصرف الى جرجان (٧٥) .

وكان يزيد قد غرّم حيانا مئتى الف درهم ، فخاف ألا يناصحه ولكن ايمان حيّان كان أقوى من حقده ، فنصح المسلمين لأنه منهم ، (فنَسي نفسه من أجلهم ، ولو كان الأمر يخصّ يزيد بالذّات ، لاختلف الامر كثيرا .

---

(٧١) الوقر : الحمل الثقيل .
(٧٢) العين : ماضرب نقداً من الدنانير ، يقال : اشتريت بالعين لا بالدين .
(٧٣) برنس : كل ثوب راسه منه ، ملتزق به . وبرنس : قلَنسوة كبيرة .
(٧٤) الطيلسان : ضربٌ من الأوشحة يلبس على الكتف ، أو يحيط بالبدن ، خالٍ عن التفصيل والخياطة ، والكلمة فارسية معرّبة .
(٧٥) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٣٩ ـ ٥٤١) وابن الأثير (٥/٣٠ـ٣٢) .

د . وقيل : إنّ سبب سير يزيد إلى جُرجَان ، أنّ (الصُّوْل) التركي كان ينزل قُهِستان والبُحيرة ، وكان يُغير على فَيرُوز بن قُول مَرزُبان جُرْجان فيصيب من بلاده ، فخافه فيروز فسار إلى يزيد بخُراسان وقدم عليه ، فسأله يزيد عن سبب قدومه فقال : « خفتُ صُوْلاً فهربت منه ، وقد أخذ صول جُرجان » . وقال يزيد لفيروز : « هل من حيلة لقتاله ؟ » . قال : « نعم ، شيءٌ واحد إن ظفرتَ به قتلته واستسلم لك » ، قال : « ما هو ؟ » ، قال : « تكتب إلى الأصبهبذ كتاباً تسأله فيه أن يحتال لصوْل حتى يقيم بجُرجان ، واجعلْ له على ذلك جُعْلاً ، فانه يبعث بكتابك إلى صول ، يتقرّب به إليه ، فيتحوّل عن جُرجان ، فينزل البحيرة ، وإن تحوّل عن جُرجان وحاصرتَهُ ظفرتَ به » .

وكتب يزيد إلى الأصبهبذ بما أشار به عليه فيروز ، وضمن له خمسين ألف دينار إن هو حبس صولاً عن البحيرة ليحاصره بجرجان ، فأرسل الأصبهبذ الكتاب إلى صول ، فلما أتاه الكتاب رحل إلى البحيرة ليتحصّن بها .

وبلغ يزيدَ مسيرُه ، فخرج إلى جُرجان ومعه فيروز ، واستعمل على خراسان ابنه مَخْلَداً (٧٦) .وعلى سَمَرْقند وكِشّ ونَسَف وبُخارى ابنه معاوية ، وعلى طَخَارِستان حاتم بن قَبِيْصَة بن المهلّب ، وأقبل حتى أتى جُرجان ، فدخلها ولم يمنعه منها أحد . وسار منها إلى البحيرة ، فحصر صولاً بها فكان يخرج إليه صول فيقاتله ثمّ يرجع . ومكث يزيد ستة أشهر محاصراً صولاً ورجاله ، فأصيب صول ومَنْ معه بالمرض (٧٧) والموت.

---

(٧٦) مَخْلَد : بفتح الاول ، وسكون الثاني ، وفتح الثالث ، وهذا هو الصواب ، والخطأ في تحريكه بغير ذلك ، كما نجده في بعض المصادر والمراجع ، اذ يضمون الاول ويفتحون الثاني ، فيصبح : مُخَلَّد ، وليس في الأحياء مخلد .

(٧٧) اصيبوا بمرض السُّوَاد : داء يأخذ الانسان والابل والغنم من شرب الماء المِلْح .

وأرسل صول يطلب الصُّلح على نفسه وماله وثلاثمائة من أهله وخاصّته ويسلم إليه البحيرة ، فأجابه يزيد ، فخرج صول بماله وثلاثمائة ممّن أحبّ ، وصار مع يزيد ، فقُتل من رجاله كثير ، ومَنّ يزيد على الآخرين ، فكان صول مثالاً سيّئاً للقائد ، لأنّه اشترى نفسه وذويه بموت رجاله .

وقال الجُندّ ليزيد : أعطنا أرزاقنَا ، فَدَعَا إدريس بن حَنْظَلة العَمِّي وقال : « أَحْصِ لنا ما في البحيرة حتى نُعطي الجند » ، فدخلها إدريس ، فلم يقدر على إحصاء ما فيها فقال ليزيد « فيها ما لا استطيع احصاءه ، وهو في ظروف فتحصي الجواليق ونعلم ما فيها ونقول للجند : ادْخلُوا فخذُوا ، فمن أخذ شيئاً عرَفنا ما أخذ من الحنطة والشّعير والأرُز والسمسم والعَسَل » .

وأحصَوا الجَواليق عدداً ، وعلّموا كل جُوالَق ما فيه ، وقالوا للجند : خذوا ، فكان الرجل يخرج وقد أخذ ثياباً أو طعاماً أو ما حَمَل من شيْ ، فيكتب على كلّ رجلٍ ما أخَذ ، فأخذوا شيئاً كثيرا .

وكان على خزائن يزيد رجل يدعى : شَهْر بن حَوْشَب ، فرفعوا عليه أنه أخذ خريْطة (٧٩) ، فسأله يزيد عنها ، فأتاه بها ، فقال بعضهم :

لقد باعَ شَهْرٌ دينَه بخريطة
فمن يأمَنُ القُرّاء بَعْدَك ياشَهْرُ !

وقال مُرَّة النَّخَعِيّ :

يا ابن المهلّب ما أردتَ إلى امرئٍ
لولاك كان كصالحِ القُرّاء

وإخبار يزيد عن الخريطة التي حجزها شَهْر لنفسه ، دليل على الرقابة الدقيقة على تصرّفات الأشخاص ، والحرص الشديد على أموال الدولة ، والاحصاء

(٧٨) الجواليق : جمع الجُوالَق ، وهي الفرارة ، معرّبة ، وتجمع الجُوالَق : جوالق وجَوالِيق ، وجُوالِقَات . والجُوالِق كالجِوالق ، بضم الجيم وكسرها .

(٧٩) الخَرِيطَة : وعاء من جلدٍ أو نحوه يُشَدّ على ما فيه .

الدقيق للغنائم ، مما يصعب تنفيذه حتى في هذه الأيام .

كما أنّ تصرّف شهر في حجز الحريطة لنفسه ، كان مدعاة لاستهجان الرأي العام في حينه ، مما يجعل المجاهدين يحرصون أعظم الحرص على الغنائم ، فلا يأخذون منها إلاّ ما يستحقون .

وصدق الله العظيم : (ومَن يَغْلُلْ يأْتِ بما غَلّ يوم القيامة ، ثم تُوَفّى كلُّ نفس بما كَسَبَتْ ، وهُمْ لايُظْلَمون) (٨٠) .

وأصاب يزيد تاجاً فيه جواهر ، فقال : « أترون أحداً يزهد في هذا ؟! » ، قالوا : لا ! فدعا محمد بن واسع الأزديَ ، فقال : « خذ هذا التاج » ، قال : « لاحاجة لي فيه ! » ، قال : « عزمتُ عليك » ، فأخذه .

وأمر يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به ، فلقى سائلاً ، فدفعه إليه . وأخذ الرجلُ السائل وأتى يزيد وأخبره ، فأخذ يزيد التاج ، وعوّض السائل مالاً كثيرا (٨١) .

والفرق بين الروايتين هو في الحافز الذي حفز يزيد على غزو جُرْجان ، وقد يكون الحافزان تضافرا على حفز يزيد على المسير إلى جُرجان واستعادة فتحها . وهذا ما أراه في الحافز لهذه الغزوة : رغبة يزيد في استعادة فتح جُرجان تنفيذاً للوعد الذي قطعه على نفسه لسليمان بن عبد الملك ، وتشجيع فيروز له على استعادة فتحها .

ومهما قيل في هذه المرحلة من جهاد يزيد ، فانّها كانت إخفاقاً كاملاً ، والاخفاق يقع على عاتق القائد حتى ولو لم يكن مسؤولاً عن أسباب هذا الاخفاق . إذ لايمكن أن نلوم يزيد على هزيمة جيش أبي عُيَيْنَة بعد أن اندفع في مطاردة العدو المنهزم في الجبال على غير هدى وبصيرة في أرض يجهل

(٨٠) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٦١) ، وغَلّ فلانٌ غلولاً : خان في المغنم وغيره ، وكان السلف الصالح أبعد ما يكونون عن الغلول .

طبيعتها كلّ الجهل ، فاندفع بالعمق في مطاردته دون مسوِّغ . كما لايمكن أن نلوم يزيد على التخلّي عن الحذر والحيطة من حامية ابن المُعَمَّر في محيط معادٍ في منطقة وعرة بعيدة عن جيش يزيد من جهة وقاعدة المسلمين المتقدّمة في خُراسان من جهة أخرى .

ولكنّ القائد دائماً يصطلي بنار لم يضرمها ولا يرضى باضرامها .

٣ ـ المرحلة الثالثة

أ . لما صالحَ يزيد أصبهبذَ طَبَرِستان ، سار إلى جُرجان ، وعاهد الله لئن ظفر بهم لا يرفع السّيف حتى يطحن بدمائهم ويأكل من ذلك الطحين (٨٢) .

وأتى يزيد جُرْجان ، فحصر أهلها بحصن (فجاه) (٨٣) الذي جمع المَرْزبان أصحابه فيه ، ويبدو أنه أحد الحصون المنيعة القريبة من مدينة جُرْجان الحالية ، ومَنْ يكون بها لايحتاج إلى عدّة من طعام أو شراب ، ويظهر أنها تقع على مصدرٍ للمياه ، وقد كُدّست فيها الأرزاق والعلف والقضايا الاداريّة الأخرى .

وحصرهم يزيد في القلعة سبعة أشهر ، وهم يخرجون إليه في الأيام ، فيقاتلونه ويرجعون إلى الحصن ، دون أن يستطيع يزيد أن يحملهم على الاستسلام ، لأن حول الحصنِ غياضاً ولا يَعرِف لهم مَأتىً إلاّ من

(٨١) انظر التفاصيل في الطبري (٥٣٨/٦ ـ ٥٣٩) وابن الأثير (٣٢/٥ ـ ٣٣).

(٨٢) يريد : أن تكبدهم خسائر جسيمة في الأرواح ، فتختلط الدماء الغزيرة بالمياه الجارية على الأرحاء . فتطحن الطحين ويأكل منه ، ليبرّ يمينه .

(٨٣) فجاه : جاء في ابن الأثير (٣٤/٥) كذلك ، أما في الطبري (٥٤٦/٦) فقد جاء اسم هذا الحصن : وجاه ، وحاولت أن اجد ذكره في المصادر الجغرافية العربية القديمة ، فلم افلح .

وجهٍ واحد ، ولأنّ المُرْزبان قائد الحصن قد كدّس ما يحتاج إليه من طعام وشراب ، ولأنّ المرزبان ورجاله المحصورين في الحصن يعلمون أنّ استسلامهم معناه الموت لغدرهم وإبادتهم المسلمين غدرا .

وطال أمد الحصار كثيراً ، فبينما هم على ذلك ، إذ خرج رجل من عجم خُراسان ينصّيد ، وقيل : رجل من طـيّ ء ، فأبصر وعلاً في الجبل ، فأتبعه يرقى في الجبل على أثر الوعل ، فما شعر الرجل إلاّ وهو يشرف على معسكر أهل جُرجان في حصنهم ، فاكتشف بذلك طريقاً جديدة تؤدي إلى الحصن مباشرة

ورجع الرجل أدراجه ، وجعل يخرق قباءه ويعقد على الشَجر علامات ، حتى عاد إلى معسكر المسلمين بعد أن أشّر الطريق بقطع من قبائه .

وأتى الرجلُ يزيدَ ، فأخبره باكتشافه الجديد ، فضمن له يزيد هبة مالية مجزية إن دلّهم على الحصن ، فانتخب ثلاثمائة رجل استعمل عليهم يزيدُ ابنَه خالد بن يزيد ، وقال له : « إن غُلبتَ على الحياة ، فلا تُغلبنّ على الموت . وإياك أن أراك عندي مهزوما » .

وقال يزيد للرجل : متى تَصِل إليْهم ؟ » ، قال : غداً عند العَصْر فيما بين الصّلاتين » ، فقال : « امضوا على بركة الله ، فاني سأجْهد على مُنَاهَضَتهم غداً عند صلاة الظهر .

وسارت جماعة المغاوير بقيادة خالد بن يزيد ، فلمّا كان الغد وقت الظُّهر . أحرق يزيد كلّ حطبٍ كان عندهم ، فصار مثل الجبال من النيران .

ونظر العـدو إلى النيران ، فهالهم ذلك . فخرجوا إلى المسلمين .

وتقدم إليهم يزيد ، فنشب القتال بين الجانبين بشدّة ، والتحم الجانبان التحاماً قريباً . فهجم أصحاب يزيد الذين ساروا في الطريق الجبلي على العدو قبل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه ، ويزيد يقاتلهم من هذا الوجه ، فما

شعروا إلاّ بالتكبير من ورائهم ، فانسحبوا جميعاً إلى حصنهم وقد أثرّت المباغتة في معنوياتهم تأثيراً سيئاً .

وطاردهم المسلمون مطاردة عنيفة ، فاستسلموا دون قيد أو شرط وسبى يزيد ذرارى العدو الغادر ، وقتل مقاتليهم ، وأجرى الماء على دم القتلى وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ويبرّ بيمينه ، فطحن وخبز وأكل .

وبنى يزيد مدينة جُرْجان في مكانها الحاليّ ، ولم تكن قبل ذلك بُنيت مدينة ، ثم رجع إلى خرُاسان (٨٤) .

ب . وقيل : إنّ يزيدَ دعا جَهْم بن زَحْر ، فبعث معه أربعمائة ، حتى أخذوا في المكان الذي دُلّوا عليه ، وقد أمرهم يزيد فقال : « إذا وَصَلْتُم إلى المدينة فانتظروا ، حتى إذا كان في السَّحَر فكبّروا ، ثم انطلقها نحو باب المدينة ، فانّكم تجدوني وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها » ، فلما دخل ابن زَحْر المدينة أمْهَل ، حتى إذا كانت السّاعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها ، مشى بأصحابه ، فأخذ لايستقبل أحداً من أحراسِهم إلاّ قتله . وكبّر ، ففزع أهل المدينة فزعاً لم يَدخُلهم مثلهُ قطّ فيما مضى ، فلم يَرعهم إلاّ والمسلمون معهم في مدينتهم يكبّرون ، فدُهشوا فألقى الله في قلوبهم الرُّعب ، وأقبلوا لايَدْرون أين يتوجّهون !

غيرَ أنّ عِصابةً منهم ليسوا بالكثير ، قد أقبلوا نحو جَهْم بن زَحْر ، فقاتلوا ساعة ، فدُقّت يدُ جَهْم ، وصبرَ لهم جَهْم وأصحابُه ، فلم يُلْبِثوهم أن قتلوهم إلاّ قليلا .

وسمع يزيد بن المهلّب التكبيرَ ، فوثب في النّاس إلى الباب ، فوجدوهم قد شَغَلَهم جَهْم بن زَحْر عن الباب ، فلم يجد عليه مَن يمنَعُه ولا يَدْفَع عنه كبير دَفع ، ففتح البابَ ودخلَها من ساعته ، فأخرج مَن كان

(٨٤) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٤١ ــ ٥٤٣) وابن الأثير (٥/٣٤ ــ ٣٥) .

فيها من المُقاتلة وقتلهم ، وسبى أهلها ، وأصاب مَن كان فيها . (٨٥)

ومن الواضح أنّ الرواية الأولى أقرب للمنطق والعقل ، وأبعد عن الصدفة والخرافة . واشبه بالخطة العسكرية المتكاملة . التي تعتمد تطويق المحاصَرين ، ومباغتتهم في وقت لايتوقعونه ومكان لايتوقعونه أيضاً . وإجبار المحاصَرين على الخروج من حصنهم لاستطلاع ما وراء إيقاد النيران الضخمة من أحداث ، والهجوم عليهم من الجبهة الأمامية وضربهم من الخلف بالمغاوير من أصحاب يزيد بقيادة ابنه ، مما أدىّ إلى ارتباك العدو واستسلامه .

جـ . وكتب يزيدُ إلى سليمان بن عبد الملك : « أما بعد ! فان اللهَ قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً ، وصَنعَ للمسلمين أحسنَ الصُّنْع ، فلِرَبِّنا الحمدُ على نعِمه وإحسانه ، أظهرَ في خلافة أمير المؤمنين على جُرْجان وطبرِستان ، وقد أعيْا ذلك سابُورَ ذا الأكتاف وكسرى قُباذ وكسرى هُرْمُز ، وأعيْا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفّان ومنْ بعدهما من خلفاء الله ، حتى فتح الله ذلك لأمير المؤمنين ؟ كرامةً من الله له ، وزيادة في نِعمه عليه . وقد صار عندي من خُمس ما أفاءَ الله على المسلمين بعد أن صار إلى كلٍّ ذي حق حقُهُ من الفي والغنيمة ستة آلاف ألف ، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله » .

وقال له كاتبه المُغيرة بن أبي قُرَّة مولى بني سَدوس : « لا تكتب بتسمية مال ، فإنّك من ذلك بين أمرين : إما استكثره فأمركَ بحمْله ، وإما سَخَتْ نفسُه لكَ به فسوّغنهُ فتكلّفت الهديّة ، فلا يأتيه من قِبلك شيْ إلاّ استقلّه ، فكأني بك قد استغرقْت ما سمّيتَ ولم يقع منه موقعاً ، ويبقى المال الذي سمّيت مخلّداً عندهم عليك في دواوينهم ، فان وَلِيَ والٍ بعدَه أخذكَ به ، وإن وَلِيَ مَنْ يتحاملُ عليك لم يرْضَ منك بأضعافه ،

---

(٨٥) انظر التفاصيل في الطبري (٥٤٣/٦ ـ ٥٤٤) وابن الأثير (٣٥/٥) .

فلا يُمْضِ كتابك ، ولكن اكتب بالفتح وسَلْهُ القُدومَ فتُشافِهه بما أحببتَ مُشافَهةً ، ولا تُقصِّر ، فانك إنْ تُقصِّر عما أحببتَ أحرى من أن تكثِّر » ، فأبى يزيدُ وأمضى .

وقال بعضهم : كان في الكتاب أربعة آلاف ألف (٨٦) .

ولا يخلو كتاب يزيد من مبالغة واضحة ، فما أعيْا فتحُ طَبَرِسْتان وجُرْجان الفاروقَ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فقد فتحها سُوَيْد من مُقَرِّن المُزَنِي (٨٧) سنة اثنتين وعشرين الهجرية (٦٤٢) م على عهد عمر ابن الخطّاب (٨٨) ، كما استعاد فتحهما سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر سنة ثلاثين الهجرية على عهد عثمان بن عفّان رضى الله عنه (٨٩) .

ولما وليَ معاوية بن أبي سفيان وَلّى مَصْقَلَة بن هبيرة الشّيباني أحد بني ثعلبة بن شيبان طَبَرِستان ، فسار إليها ومعه عشرة آلاف (٩٠) رجل ، فأوغل فيها يسبى ويقتل ، فلما تجاوز المضايق والعِقاب ، أخذها عليه وعلى جيشه العدو عند انصرافه للخروج ، ودَهْدهُوا عليه الحجارة والصخور من الجبال ، فهلك أكثر جيشه وهلك مَصْقَلة ، فضرب الناس به مثلاً ، فقالوا : « لا يكون هذا حتى يَرْجع مَصْقَلة من طَبَرِستان ! » (٩١) . . . . . فكان المسلمون بعد ذلك إذا غزوا هذه البلاد تحفّظوا وتحذّروا من التوغّل فيها (٩٢) .

(٨٦) الطبري (٦/٥٤٤ ــ ٥٤٥) وانظر ابن الأثير (٥/٣٥ ــ ٣٦) .
(٨٧) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح فارس (١٩٥ ــ ٢٠١) .
(٨٨) انظر التفاصيل في الطبري (٤/١٥١ ــ ١٥٣) وابن الأثير (٣/٢٥) .
(٨٩) انظر التفاصيل في الطبري (٤/٢٦٩ ــ ٢٧١) وابن الأثير (٣/١٠٩ ــ ١١١) .
(٩٠) في معجم البلدان (٦/٢٠) : عشرون الفاً .
(٩١) انظر الطبري (٦/٥٣٥ ــ ٥٣٦) .
(٩٢) معجم البلدان (٦/٢٠) .

وكان يكفي يزيد أن ينصّ في كتابه على استعادة فتح جُرْجان وطَبَرِستان، وكفى بذلك له فخرا، وأعاد فتح طريق خُراسان من ناحية (قومِس) بعد أن امتنع أهل طبرسان وقطعوه فلا يسلكه المسلمون إلاّ على خوف شديد منهم، فكان الطريق إلى خُراسان من فارس إلى كَرْمان إلى خُراسان، وأول من صيرّ الطريق من قومِس إلى خُراسان قُتَيْبة بن مُسْلِم حين ولي خُراسان (٩٣)، فلما استعاد يزيد فتح طبرستان أصبح طريق قُوْمِس إلى خُراسان سالكاً وأمينا (٩٤).

لقد كانت معاناة يزيد في فتح جُرجان وطبرستان صعبة للغاية، وكان صبره على الحصار لمدة طويلة جميلا جداً، وكان صبره الجميل دليلاً عملياً على أنّ العرب يصبرون على الحصار الطويل خلافاً لما يزعمه المغرضون بأنّ العرب لايصبرون على حصار طويل، على أن يكون القائد قادراً وذا كفاية قياديّة عالية، كما كان عليه يزيد.

لقد كان استعادة فتح جُرجان وطبرستان إنجازاً عظيماً من أهم إنجازات يزيد بن المهلّب قائدا.

وبقدر ما نفع هذا الأنجازُ المسلمين بعامة، بقدر ما أضر بيزيد بخاصة، فقد حوسب حساباً عسيراً على أرباحه المادية في هذه الغزوة كما نصّ عليها كتابه، فندم على مافرّط في ضخامة المال، ولات ساعة مَنْدم.

في ميدان الصّراع الداخلي

١ - في حرب الخوارج

كان المهلّب بن أبي صُفْرَة من أبرز القادة الذين حاربوا الخوارج وانتصروا عليهم إن لم يكن أبرزهم على الاطلاق، وكان يزيد وسائر أولاده من ألمع

(٩٣) ابن الأثير (١١١/٣).
(٩٤) الطبري (٥٣٥/٦).

المقاتلين الذين أعانوا أباهم المهلّب على تحمّل أعبائه القتالية ، وعاونوه في ميادين القتال .

وأوّل ماورد ذكر يزيد في حرب الخوارج كان في حوادث سنة سبع وسبعين الهجرية (٦٩٦ م) ، فقد كانت هناك حرب بين المهلّب والخوارج في (كَرْمان) ، فانتصر فيها المهلّب على الخوارج . وبعث المهلّب إلى الحجاج بن يوسف الثّقفي مُبَشِّراً ، فلما دخل على الحجّاج أخبره عن الجيش وعن الخوارج وذكر حروبهم ، وأخبره عن المهلّب فقال : « المُغيرْة فارسهم وسيّدهم ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، وجوادهم وسخيّهم قَبيصة ، ولا يستحي الشّجاع أن يفرّ من مُدْرِكة ، وعبد الملك سُمٌّ ناقع ، وحبيب موت ذُعاف ، ومحمدٌ ليث غاب ، وكفاك بالمفضَّل نجدة » ، فقال الحجاج : « فأيهم كان أنجد ؟ » ، فقال : « كانوا كالحلْقة المفرغة ، لا يُعرف طرفها » ، فاستحسن الحجّاج قوله ، وكتب إلى المهلّب يشكره ويأمره أن يولى كَرْمان مَنْ يثق به ، ويجعل فيها مَن يحميها ويقدِم إليه ، فاستعمل على كَرْمان يزيد ابنه . (٩٥)

وفي معارك كَرْمان التي انتصر فيها المهلّب على الخوارج انتصاراً مؤزّرا ، أخرج المهلّب بنيه ، كلّ ابنٍ له على كتيبة ، وأخرج النّاس على راياتهم . وجاء موفد الحجاج البَراء بن قَبيصَة الذي بعثه إلى المهلّب ليراقب بلاءه وبلاء بنيه في حرب الخوارج ، فوقف على تل قريب منهم حيث يراهم . وأخذت الكتائب تحمل على الكتائب والرجال على الرجال ، فيقتتلون أشدّ قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف النهار ، ثمّ انصرفوا .

وجاء البَراء بن قَبيصة إلى المهلّب فقال له : « لا والله ، مارأيت كبَنيكَ فُرساناً قط ، ولا كفرسانك من العرب فرساناً قط ، ولا رأيتُ مِثلَ

(٩٥) ابن الأثير (٤/٤٤٠ – ٤٤١) .

قوم يُقاتلونك قط أصبرَ ولا أبْأس ، أنت والله المعذور » .

حتى إذا كان عند العصر ، خرج المهلّب إلى الخوارج بالناس وبنيه في كتائبهم ، فقاتلوا كقتالهم في أول مرّة (٩٦) .

وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلّب ، فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم ، فقال : « آنَسَ الله الاسلام بتلاحقكم ! أما والله ، لئن لم تكونوا أسباط نُبوّة ، إنكم لأسباط مَلْحَمة » (٩٧) .

لقد خاض يزيد غمار قتال الخوارج بامرة أبيه المهلّب ، وكان له في تلك الحروب أثر حميد ، لم يبرز المؤرخون القُدامى كعادتهم في توجيه كل الضوء على القائد ، وإغفال غيره من الناس إلاّ نادرا . وعلى الرغم من هذا الاغفال ، فان دور يزيد ظاهر واضح ، يدلّ على أنه كان أبرز إخوته في هـذا المجال .

في قتال الهاشميّ

أعلن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ثورته على الحجّاج بن يوسف الثقفي سنة إحدى وثمانين الهجرية (٧٠١ م) ، إذ بايعه الناس على خلع الحجّاج ونفيه من أرض العراق وعلى النّصرة له ، ولم يذكروا عبد الملك ابن مروان .

ولكن رجال الأشعث قالوا : إذا خلعنا الحجّاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك ، فاجتمعوا إلى ابن الأشعث وأعلنوا خلع عبد الملك وبايعوه (٩٩) .

وأقبل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى دخل البصرة ، فبايعه جميع أهلها ؛ قراؤها وكهولها مستبصرين في قتال الحجّاج ومَن معه من أهل الشّام . وكان السبب في سرعة إجابتهم إلى بيعة ابن الأشعث ، أن عُمّال

(٩٦) الطبري (٦/٣٠٢) .
(٩٧) وفيات الأعيان (٥/٣٢٦) ، والملحمة : الحرب الشديدة .
(٩٨) الطبري (٦/٣٣٦) وابن الأثير (٤/٤٦٣) .
(٩٩) الطبري (٦/٣٣٨) وابن الأثير (٤/٤٦٤) .

الحجّاج كتبوا إليه : إنّ الخراج قد انكسر ، وإنّ أهل الذمّة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار ؛ فكتب إلى عامل البصرة وغيرها : إنّ مَنْ كان له أصل من قرية ، فليُخْرَجْ إليها » ، فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية ، فجعلوا يبكون وينادون : يامحمّداه ! يامحمّداه ! ولا يدرون أين يذهبون ، وجعل قرّاء البصرة يبكون لما يرون ، فلما قدم ابن الأشعث عُقَيْبَ ذلك بايعوه على حرْب الحجّاج وخَلْعِ عبد الملك (١٠٠) .

وأقبلت سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠٢ م) ، فاشتد القتال بين الحجّاج وابن الأشعث ، فتخلىّ ابن الأشعث عن البصرة وانسحب إلى الكوفة ، فاجتمع مَنْ بقي في البصرة مع عبد الرحمن بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطّلب الهاشمي ، فقاتل بهم الحجّاج خمس ليالٍ أشدّ قتال رآه الناس ، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة (١٠١).

واستمرّت الحرب بين الحجّاج وابن الأشعث سنة ثلاث وثمانين الهجرية (٧٠٣ م) سجالاً ، واخيراً انتصر الحجّاج على ابن الأشعث (١٠٢) ، فغادر ابن الأشعث العراق إلى سِجِسْتان أولاً والى كَرْمان منسحباً من سجستان ، وأخيراً سار ابن الأشعث مع (رُتبيل) إلى بلاده ، فأنزله وأكرمه وعظّمه (١٠٣) .

وكان كثير من أصحاب ابن الأشعث من الرؤوس والقادة الذين لم

(١٠٠) الطبري (٣٤١/٦) وابن الأثير (٤٦٥/٤) .

(١٠١) انظر الطبري (٣٤٣/٦) وابن الأثير (٤٦٧/٤) ، وانظر تفاصيل هذه المعارك في هذه السنة في الطبري (٣٤٢/٦ - ٣٥٠) وابن الأثير (٤٦٧/٤ - ٤٧٢) .

(١٠٢) انظر التفاصيل في الطبري (٣٥٧/٦ - ٣٦٨) وابن الأثير (٤٧٨/٤ - ٤٨٣) .

(١٠٣) انظر التفاصيل في الطبري (٣٦٨/٦ - ٣٦٩) وابن الأثير (٤٨٤/٤ - ٤٨٥) .

يقبلوا أمان الحجّاج ونصبوا له العداوة في كل موطن ؛ قد تبعوا ابن الأشعث فبلغوا سِجِسْتان في نحو ستين ألفاً ونزلوا على (زَرَنْج) يحاصرون مَن بها ، وكتبوا إلى ابن الأشعث يستدعونه ، ويُخبرونه أنهم على قصد خُراسان ليقووا بمن بها من عشائرهم . فأتاهم . وكان يصلي بأصحاب ابن الأشعث قبل قدومه عبد الرحمن بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب ، إلى أن قدم ابن الأشعث . واستولى على مدينة (زَرَنْج) .

فقال : إن بها يزيد بن المهلّب ، وهو رجل شجاع ، ولا يترك لكم سلطانه ، ولو دخلناها لقاتلنا وتبعنا أهل الشّام ، فيجتمع علينا أهل خُراسان وأهل الشام » ، فقالوا : لو دخلنا خُراسان ، لكان مَنْ يتبعنا أكثر ممّن يقاتلنا .

وسار ابن الأشعث إلى (هَراة) ، فهرب من أصحابه عُبَيْد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرَة القُرَشِيّ في ألفين ، فقال لهم عبد الرحمن : « إني كنتُ في مأمن وملجأ ، فجاءتني كتبكم : أَنْ أَقْدِمْ ! فانّ أمرنا واحد ، فعلّنا نقاتل عدوّنا ، فأتيتكم فرأيتم أن أمضي إلى خراسان ، وزعمتم أنّكم تجتمعون إليّ . وأنكم لاتتفرّقون . وهذا عبيد الله قد صنع ما رأيتُم ، فاصنعوا ما بدا لكم . أما أنا فمنصرف إلى صاحبي الذي أتيتُ من عنده » .

وتفرّق منهم طائفة ، وبقي معه طائفة ، وبقي أعظم العسكر مع عبد الرحمن بن عبّاس الهاشميّ . فبايعوه .

وسار عبد الرحمن الهاشميّ إلى (هَراة) ، فلقوا بها الرُّقاد الأَزْدِي ، فقتلوه .

وأرسل يزيد بن المهلّب إلى الهاشميّ : « قد كان لك في البلاد متّسع ومَن هو أهوَن مني شوكة . فارتحلْ إلى بلدٍ ليس لي فيه سلطان ، فاني أكره قتالك . وإن أردتَ مالاً أرسلتُ إليك » .

ولكن الهاشمي أعاد الجواب : « إنّا ما نزلنا لمحاربة ولا لمقام . ولكنّا أردنا أن نُريحَ ثمّ نرحل عنك ، وليست بنا إلى المال حاجة » .

وأقبل الهاشميّ على الجباية ، وبلغ ذلك يزيد ، فقال : « مَنْ أراد أن يربح ثمّ يرتحل ، لم يَجْبِ الخراج ، فلك ما جبيتَ وزيادة ، فاخرج عني ، فاني أكره قتالك ! » .

وأبى الهاشميّ إلاّ القتال ، وكاتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم إلى نفسه ، فعلم يزيد فقال : « جَلَّ الأمر عن العتاب » .

وتقدّم يزيد بجيشه ، فقاتل الهاشميّ ورجاله ، فلم يكن بينهم كثير قتال ، حتى تفرّق أصحاب عبد الرحمن بن عبّاس الهاشميّ عنه ، وصبر وصبرت معه طائفة ، ثم انهزموا .

وأمر يزيد أصحابه بالكفّ عن مطاردة المنهزمين ، وأخذوا ما كان في معسكرهم ، وأسروا منهم أسرى .

ولحق الهاشميّ بالسِّند ، فانصرف يزيد إلى (مَرْو) مقرّه في خُراسان ، وبعث الأسرى إلى الحجّاج عدا مَنْ كان منهم من الأَزْد قبيلة يزيد كعبد الله بن فَضَالة الزَّهْرانيّ الأزديّ ، وعدا مَنْ كانت له عليه أو على أهله يَدٌ ، كعبد الرحمن بن طلحة بن خلف الخُزاعيّ ، فأطلقهم وأرسل الباقين من الأسرى إلى الحجّاج الذي قتلهم بسيفه بعد أن قتلهم بلسانه تأنيباً وتقريعاً وهم على قيد الحياة (١٠٤) .

ولئن أحسن يزيد في نصح الهاشميّ وإنذاره والصبر على انحرافه ، ولم يقاتله إلاّ مكرهاً وبعد أن تصرّمت محاولاته السلميّة كلّها ولم يبق غير القتال حلاًّ ، إلاّ أنه أساء في إطلاق سراح أبناء قبيلته وذوي المعروف عليه من الأسرى ، وأرسل الباقين إلى الحجّاج ليلاقوا حتفهم ، وكان ينبغي أن يعفوَ عن جميع الأسرى أو يعاقبهم جميعاً ، لأنّ ذنبهم واحدٌ وجريمتهم واحدة.

(١٠٤) انظر التفاصيل في الطبري (٣٦٩/٦ - ٣٨٠) وابن الأثير (٤٨٤/٤ - ٤٨٧) وابن خلدون (١١٢/٣ - ١١٤) وانظر تاريخ خليفة بن خياط (٢٨٣/١) و (٢٨٤/١) ، وهو غير عبدالله بن عامر القائد الفاتح .

وإحسانه بالنسبة للهاشميّ ، يدلّ على تقديره العميق لآل البيت وكراهيته قتالهم ؛ وإساءته في تصرفه بالأسرى ، يدلّ على التزامه بالنزعة القبلية ، وهي دعوة من دعاوى الجاهليّة التي حاربَها الاسلام حرباً لا هوادة فيها وحرّمها على المسلمين تحريما .

وقد أثّر إحسانه وإساءته في مصيره أميراً على خراسان ، ولئن سكت المؤرخون عن إحسانه سبباً من أسباب غضب الحجّاج عليه والتشبث بعزله ، فانهم لم يسكتوا عن إساءته سبباً من أسباب غضب الحجاج عليه .

فقد أُتي بعبد الله بن عامر أحد الأسرى لينال عقابه ، فلما قام بين يدي الحجّاج قال : لارأتْ عيناك الجنّة إن أقلْتَ ابنَ المهلّب بما صنع » ، قال : « وما صنع ؟ » . قال :

« لأنه كاسَ في إطلاق أسْرَتِه
وقادَ نحوكَ في أغلالها مُضَرا
وَقَى بقومِكَ وِرْدَ الموتِ أسْرَتَه
وكان قومُك أدنى عنده خطَرا »

فأطرق الحجّاج مَلِيّاً ووَقَرتْ في قلبه ، وقال : « ما أنتَ وذاك ؟ ! اضرِب عنقَه . فضُربت عنقُه ، ولم تزل في نفس الحجّاج حتى عزَلَ يزيد عن خُراسان وحبسه (١٠٥) .

بقي عليّ أن أذكر بأن ابن الأشعث هاب يزيد . فلم يحاول جدّياً أن يجدّد ثورته في خُراسان بعد أن انهارت في العراق . مما يدلّ على نجاح يزيد والياً نجاحاً جعل خصوم الدولة بوجوده يحسبون لها ألف حساب

(١٠٥) الطبري (٦/٣٨٠) وابن الأثير (٤/٤٨٨) .

٣ ـ في رحلة الموت

أ ـ الانغلاق :

في سنة مئة الهجرية (٧١٧ م) ، كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عَدِيّ بن أَرْطَاة والي البصرة لعمر ، يامره بأنفاذ يزيد بن المهلّب موثقاً . وكان عمر قد كتب إلى يزيد أن يستخلف على عمله ويُقْبِل إليه ، فاستخلف ابنه مَخْلَداً وقدم من (خُراسان) ونزل (واسِطاً) (١٠٦) ثمّ ركب السُّفُن يريد البصرةَ ، فبعث عَدِي بن أَرْطَاة موسى بن الوجيه الحِمْيَرِيّ ، فلحقه في نهر (مَعْقِل) (١٠٧) عند الجسر ، فأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز في دمشق .

وكان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ويقول : « هؤلاء جبابرة ، ولا أُحبّ مثلَهم » ، وكان يزيد يبغض عمر ويقول : « إنّه مُراءٍ » فلما وليَ عمر عرف يزيد أنه بعيد عن الرياء وأنّ باطنه خير من ظاهره .

ودعا عمرُ يزيدَ ، فسأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال : « كنتُ من سليمان بالمكان الذي قد رأيتَ ، وإنما كتبتُ

---

(١٠٦) واسط : مدينة كبيرة بناها الحجّاج بن يوسف الثّقفِيّ ، وسمِّيت : واسطاً ، لانها متوسطة بين البصرة والكوفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٨/٨ ـ ٣٨٧) ، وقد أُطلق اسم واسط على محافظة من محافظات العراق الحديث ، وهي محافظة (الكوت) على نهر دجلة .

(١٠٧) نهر معقل : منسوب الى مَعْقِل بن يَسَار المُزَنِيّ ، من أصحاب النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، وهو نهر معروف بالبصرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٥/٨ ـ ٣٤٦) ، وفيه : انّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، امر أبا موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن يحفر نهراً بالبصرة ، وأن يجريه على يد معقل بن يسار المزني ، فنسب اليه .

ولا يزال النهر موجوداً في البصرة حتى اليوم ، وعليه ضاحية المعقل احدى ضواحي البصرة ، تقع شمالي البصرة وبالقرب منها ، وهي معروفة جداً في الوقت الحاضر ، يقصدها السائحون في الشتاء بخاصة ، وفيها مناظر خلابة جداً ، وجوّها معتدل شتاءً .

إلى سليمان لأُسمعَ الناس به ، وقد علمتُ أن سليمان لم يكن ليأخذني به ! » ، فقال عمر : « لا أجدُ في أمرك إلاّ حبسك ، فاتّقِ الله وأدِّ ما قِبلَك فانها حقوق المسلمين ولا يَسَعُني تركُـهـا » .

وحبس عمرُ بن عبد العزيز يزيدَ في حصن (حَلَب) ، وبعث إلى الجراح ابن عبد الله الحَكَمِيّ فسرّحه إلى خُراسان أميراً عليها .

وأقبل مَخْلَد بن يزيد من خُراسان يعطي الناسَ ، ففرّقَ أموالاً عظيمة ، ثمّ قَدِم على عمر ، فقال له : « يا أمير المؤمنين ! إنّ الله صنع لهذه الأُمة بولايتك ، وقد ابتُلينا بك ، فلا نكن نحن أشقى الناس بولايتك عَلامَ تحبِسُ هـذا الشّيخ ؟ أنا أتحمّل ما عليه ، فصَالحْني على ما تَسْأل » (١٠٨) . وقيل : إنّ مَخْلَداً قال لعمر : « قد وسِعَ الناسَ عفوُك ، فما بالك حبست هذا الشيخ ؟ فان تكن عليه بيِّنة عادلة فاحكم عليه ، وإلاّ فيمينه أو فصالحه على ضياعه » ، فلما سمع يزيد وهو في سجنه بقول ابنه لعمر : « وإلاّ فيمينه » . قال : أما اليمين ، فلا تتحدّث العرب أنّ ابن المهلّب صبر عليها . ولكن ضياعي فيها وفاء لما يطاب ! » (١٠٩).

وقال مَخْلَد لعمر رضي الله عنه : « يا أمير المؤمنين ! إن كانت له بيّنة فَخُذْ بها . وإلاّ فصدِّق مقالة يزيد واستحلِفه ، فان لم يفعل فصالحه » ، فقال عمر : « ما آخذه إلاّ بجميع المال » .

وخرجَ مَخْلَد من عند عمر . فقال عمر : « هذا خير من أبيه » ،

---

(١٠٨) انظر التفاصيل في الطبري (٥٥٦/٦ ــ ٥٥٧) وابن الأثير (٤٨/٥ ــ ٤٩) . وانظر البدء والتاريخ (٤٦/٦ ــ ٤٧) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٢٥/١) و (٣٢٨/١ وابن خلدون (١٦٢/٣ ــ ١٦٦) ووفيات الأعيان (٣٢٢/٥ ــ ٣٢٣) و (٣٤٣/٥ ــ ٣٤٤) .

(١٠٩) وفيات الأعيان (٣٢٨/٥ ــ ٣٢٩) .

فلم يلبث مَخْلَد إلاّ مات وهو ابن سبع وعشرين سنة ، فقال عمر : « لو أراد الله بهذا الشيخ خيراً يريد يزيد بن المهلّب – لأبقى له هذا الفتى » ، ويقال : إنّ مَخْلَد بن يزيد أصابه الطّاعون ، فمات . وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، ثم قال : « اليوم مات فتى العرب » ، وأنشد متمثلاً :

على مِثْل عَمْرو تذهب النَّفس حسرةً
وتَضْحي وجوهُ القومِ مُغْبَرَّةً سودا

وأنشد عمر :

بكوا حُذَيْفَةَ لم يبكوّا مثلَهُ
حتى تبيدَ خلائق لم تُخْلَقِ

ولما أبى يزيد أن يؤدي إلى عمر شيئاً ، ألبسهُ جُبّة صوف ، وحمله على جَمَل ، وقال : « سيروا به إلى (دَهْلَك) (١١٠) » ، فلما خرج ومرّوا به على الناس أخذ يقول : « أما لي عشيرة ؟ ! إنما يذهب إلى دَهْلَك الفاسق واللّص ! » ، فدخل سلامة بن نُعَيْم الخَوْلانيّ على عمر فقال : « يا أمير المؤمنين ! ارددْ يزيد الى محبسه . فاني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه

(١١٠) دهلك : جزيرة في بحر عَيْذاب بالقرب من سواكن ، كان الخلفاء يحبسون بها مَن نقموا عليه ، انظر وفيات الأعيان (٤٤٢/٥) وعيذاب : بليدة على ضفة بحر القلزم ، وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن الى الصعيد ، انظر معجم البلدان (٢٤٦/٦) ، وسواكن : بلد مشهور على ساحل بحر القلزم ، ترفأ اليها سفن الذين يقدمون من جُدّة ، وأهلها سود ، انظر معجم البلدان (١٦٥/٥ – ١٦٦) ، وبحر القلزم ، هو البحر الاحمر ، والقلزم هي مدينة السويس ، ويسمى هذا البحر قديماً في كل موضع يمر به باسم ذلك الموضع ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦٩/٢ – ٧٠) .

قومُه ، فانهم قد عصبوا له » ، فردّه عمر إلى محبسه في حلب . فبقى فيه حتى بلغه مرض عمر (١١١) .

ب ـ الانعتاق :

واشتدّ مرض عمر بن عبد العزيز ، فعمل يزيد في الهرب من السِّجن ، وخاف يزيد بن عبد الملك الذي يتولى الخلافة بعد عمر ، لأنه عذّب أصهاره آل أبي عَقِيْل ، وهم قوم الحجّاج بن يوسف الثّقَفِيّ ، وكانت أمّ الحجّاج بنت محمد بن يوسف الثّقَفِيّ ، وهي ابنة أخي الحجّاج بن يوسف الثّقَفِي ، زوجة يزيد بن عبد الملك .

وكان سبب تعذبهم ، أنّ سليمان بن عبد الملك لما وليَ الخلافة ، طلب آل أبي عَقِيل . فأخذهم وسلّمهم إلى يزيد بن المهلّب ليخلّص أموالهم ، فعذّبهم ، وكان الحجّاج قد وافق الوليد بن عبد الملك على إقالة سليمان بن عبد الملك من ولاية العهد . فحقد سليمان على الحجّاج ، فلما تولى الخلافة انتقم من آل أبي عَقِيل قوم الحجّاج .

وبعث ابن المهلّب إلى (البَلْقَاء) (١١٢) من اعمال دمشق ، وبها خزائن الحجّاج بن يوسف وعياله . فنقلهم وما معهم إليه ، وكان فيمن أُتي به أم الحجّاج زوجة يزيد بن عبد الملك ، وقيل : بل أخت لها ، فعذّبها ، فأتى يزيد بن عبد الملك إلى ابن المهلّب في منزله ، فشفع فيها ، فلم يشفّعْه ، فقال : « الذي قرّرتم عليها ، أنا أحمله » . فلم يقبل منه ، فقال لابن المهلّب :

---

(١١١) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٥٥ ـ ٢٥٦) وابن الأثير (٥/٤٩ ـ ٥٠) وانظر وفيات الأعيان (٥/٣٢٨ ـ ٣٢٩) و (٥/٣٤٢) .

(١١٢) البلقاء : كورة من اعمال دمشق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٧٦ ـ ٢٧٧) .

« أما والله لئن وليتُ من الأمر شيئاً ، لأقطعنّ منك عضواً ! » ، فقال ابن المهلّب : « وأنا والله لئن كان ذلك ، لأَرْمينَّكَ بمئة ألف » ، فحمل يزيد بن عبد الملك ما كان على أمّ الحجّاج ، وكان ما عليها مئة ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك .

فلما اشتدّ مرض عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، خاف يزيدُ بن المهلّب من يزيد بن عبد الملك ، فأرسل إلى مواليه ، فأعدّوا له إبلاً وخيلاً ، وواعدهم مكاناً يأتيهم فيه ، وأرسل مالاً إلى والي حلَب والى الحرس الذين يحفظونه وقال : إنّ أمير المؤمنين قد ثقل وليس برجاء ، وإن وليَ يزيد ابن عبد الملك يسفك دمي » ، فأخرجوه من السجن ، فهرب إلى المكان الذي واعد أصحابه فيه ، فركب الدّواب وقصد البصرة .

وكتب ابن المهلّب إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً يقول فيه : « إني والله لو وثقتُ بحياتك لم أخرج من محبسك ، ولكني خفتُ أن يليَ يزيد فيقتلني شرَّ قتلة » ، فورد الكتاب وبه رمق ، فقال : « اللّهمّ إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فألحقْهُ به وهِضْه (١١٣) فقد هاضني » .

ومرّ يزيد بن المهلّب بطريقه إلى البصرة بالهذَيل بن زُفَر بن الحارث ، وكان يخافه ، فلم يشعر الهذيل إلا وقد دخل يزيد منزله ، ودعا بلبن فشربه ، فاستحيا منه الهذيل ، وعرض عليه خيله وغيرها ، فلم يأخذ منها شيئاً . وكان هروب يزيد من سجنه سنه إحدى ومئة الهجرية (١١٤) (٧١٩ م) .

ج ـ الانطلاق :

ولما مات عمر بن عبد العزيز وبويع يزيد بن عبد الملك ، كتب إلى عبد

---

(١١٣) هاض الشيء : كسره .

(١١٤) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٦٤ ـ ٥٦٥) وابن الأثير (٥/٥٧ ـ ٥٨) وابن خلدون (٣/١٦٦) .

الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامله على الكوفة ، وإلى عَدِيّ ابن أَرْطَاة عامله على البصرة ، يأمرهما بالتحرّز من يزيد بن المهلّب ويعرِّفهما هربه ، وأمر عَدِيّاً أن يأخذ مَنْ بالبصرة من آل المهلّب ، فأخذهم وحبسهم ، فيهم : المفُضَّل ، وحَبيب ، ومروان بنو المهلّب .

وأقبل يزيد بن المهلّب ، حتى ارتفع إلى (القُطْقُطَانة) (١١٥) ، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن جنداً إليهم عليهم هُشام بن مُسَاحِق العامِريّ ، عامر بني لؤيّ ، فسار باتّجاه ابن المهلّب على عجل وبسرعة ، يريدون عرقلة مسيرته إلى الكوفة أو إلى البصرة ، ويبدو أنهم كانوا يحاولون عرقلة مسيرته إلى الكوفة أولاً وقبل كلّ شيء ، حتى نزلوا (العُذَيْب) (١١٦).

ومرّ يزيد بن المهلّب قريباً منهم ، فلم يقدموا عليه ، لأنّه كان يريد البصرة لا الكوفة ، ومضى يزيد نحو البصرة ، وقد جمع عَدِيّ بن أَرْطَاة أهل البصرة وخندق عليها ، وبعث على خيل البصرة المِغيْرَة بن عبد الله ابن أبي عَقِيْل الثَّقَفِيّ .

وأقبل يزيد في أصحابه الذين معه ، فالتقاه أخوه محمد بن المهلّب فيمن اجتمع إليه من أهله وقومه ومواليه .

وبعث عَدِيّ على كلّ خمس من أخماس البصرة رجلاً ، فبعث على الأَزْد المغيرة بن زياد بن عمرو العَتَكِيّ ، وبعث على تميم مُحْرِز بن حُمْران السَّعْدِيّ ، وعلى خمس بكر مُفرِّج بن شَيْبان بن مالك بن مِسْمَع ،

(١١٥) القطقطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف ، انظر معجم البلدان (٧/٢٥) .

(١١٦) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية اربعة أميال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/١٣١) ، والمغيثة منزل في طريق مكة بعد العذيب نحو مكة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١٠٦).

وعلى عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود ، وعلى أهل العالية عبد الأعلى ابن عبد الله بن عامر ، وأهل العالية قُرَيْش ، وكِنانة ، والأَزْد ، وبَجِيلْة ، وخَثْعَم ، وقَيْس عَيْلان كلّها ، ومُزَيْنة ، وأهل العالية والكوفة يقال لهم : رُبْع أهل المدينة .

وتقدم يزيد ، لايمرّ بخيلٍ من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلاّ تنحّوا له عن طريقه ، وأقبل حتى نزل داره ، فاختلف الناس إليه ، فأرسل إلى عَدِيّ بن أرطاة أمير البصرة ، إن : « ابعثْ إليَّ إخوتي أصالحك على البصرة وأخليّك وإياها حتى آخذ لنفسي من يزيد بن عبد الملك ما أحب » ، فلم يقبل منه .

وسار حُمَيْد بن عبد الملك بن المهلّب إلى يزيد بن عبد الملك ، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالداً القَسْرِيّ وعمرو بن يزيد الحَكَمِيّ بأمان يزيد بن المهلّب وأهله .

وأخذ يزيد بن المهلّب يُعْطي مَنْ أتاه قِطَعَ الذّهب والفضّة ، فمال الناس إليه . وكان عَدِيّ بن أَرْطاة لا يُعْطِي إلاّ دِرْهَمَيْن درهمَيْن ويقول : « لا يحلّ لي أن أَعطيكم من بيت المال درهماً إلاّ بأمر يزيد بن عبد الملك ، ولكن تبَلّغوا بهذه حتى يأتي الأمرُ ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

أَظُنُّ رجالَ الدِّرهمَيْن تقودُهم إلى الموتِ آجالٌ لهم ومَصَارِعُ
وأكيَسُهم مَنْ قَرَّ في قَعرْ داره وأيقَنَ أنّ الموتَ لا بُدّ واقِعُ

وخرجت بنو عمرو بن تَميم من أصحاب عَدِيّ بن أَرْطَاة ، فنزلوا (المِرْبَد) (١١٧) ، وبعث يزيد بن المهلّب مولىً له ، يقال له : دارس ، فحمل عليهم فهزمهم .

(١١٧) المربد : مربد البصرة من أشهر محالها ، وكان يكون فيه سوق الابل قديماً ، ثمّ صار محلّة كبيرة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات

وخرج يزيد حين اجتمع الناس له ، حتى نزل (جَبّانة بني يَشْكُر) ، وهي النصف فيما بينه وبين قصر الامارة في البصرة ، فلقيه قيس وتميم وأهل الشّام واقتتلوا هُنَيْهَةً ، فحمل عليهم أصحاب يزيد ، فانهزموا .

وتبعهم ابن المهلّب حتى دنا من القصر ، فخرج إليهم عَدِيّ بن أَرْطاة بنفسه ، فقُتِل من أصحابه موسى بن الوَجِيه الحِمْيَرِيّ والحارث بن المُصَرِّف الأَوْدِيّ وكان من فرسان الحجّاج وأشراف أهل الشّام .

وانهزم أصحاب عَدِيّ ، وسمع إخوة يزيد ، وهم في محبس عَدِيّ ، الأصوات تدنو والنُّشّاب تقع في القصر ، فقال لهم عبد الملك بن المهلّب : « إني أرى أنّ يزيد قد ظهر ، ولا آمن مَنْ مع عَدِيّ من مُضَر وأهل الشّام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد ، فأغلقوا الباب ثمّ القوا عليه ثياباً » . ففعلوا . . . . ولم يلبثوا إلاّ ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عامر ، وكان على حَرَس عَدِيّ ، فجاء يشتدّ إلى الباب هو وأصحابه ، وقد وضع بنو المهلّب متاعاً على الباب ، ثمّ اتّكوا عليه ، فأخذ الآخرون يعالجون الباب ، فلم يقدروا عليه ، وأعجلهم الناسُ فخلّوا عنهم .

وكان سَلْم بن زياد بن أبي سفيان له دار إلى جانب القصر ، فجاء يزيد حتى نزل تلك الدار وأتى بالسّلالم وفتحَ القصرَ ، فأُتي بعديّ بن أَرْطاة فحبسه وقال له : « لولا حبسُك إخوتي لما حبستُك » .

فلما ظهر يزيد ، هرب رؤوس أهل البصرة من تميم وقيس ومالك بن المُنْذر فلحقوا بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشّام .

وخرج المغيرة بن زياد العَتَكِيّ نحو الشّام ، فلقي خالداً القَسْرِيّ

الشعراء ومجالس الخطباء ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١١/٨ - ١٢) .

وعمرو بن يزيد الحَكَمِيّ ومعهما حُمَيد بن عبد الملك بن المهلب : قد اقبلوا بأمان يزيد بن المهلب ، وكل شيء ارادوه فسألاه عن الخبر ، فخلا بهما سرّاً من حُمَيْد واخبرهما وقال : « أين تريدان ؟ » ، فأخبره بأمان يزيد ، فقال : « إنّ يزيد قد ظهر على البصرة ، وقتل القتلى وحبس عُدَيّاً ، فأرجعا » ، فرجعا وأخذا حُمَيْداً معهما ، فقال لهما حُمَيْد : « أنشدكما الله أن تخالفا ما بُعثتما به ، فانّ ابن المهلّب قابل منكما ، وإنّ هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء ، فلا تسمعا مقالته » ، فلم يقبلا قوله ، ورجعا به إلى دمشق .

وأخذ عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة خالدَ بن يزيد بن المهلّب وحمالَ بن زَحْر ، ولم يكونا في شيءٍ من الأمر ، فأوثقهما وسيّرهما إلى الشّام ، فحبسهما يزيد بن عبد الملك ، فلم يفارقا السِّجنَ حتى هلكا فيه .

وأرسل يزيد بن عبد الملك إلى الكوفة شيئاً من الأموال وُزِّعت على أهلها ويمنّيهم الزيادة ، وجهّز أخاه مَسْلَمة بن عبد الملك وابن أخيه العبّاس بن الوليد بن عبد الملك في سبعين ألف مقاتل من أهل الشّام والجزيرة (جزيرة ابن عمر) ، وقيل : كانوا ثمانين ألفاً ، فساروا إلى العراق وقدِما الكوفة ونزلا (النُخَيْلَة) (١١٨) .

ولما سمع أصحاب ابن المهلّب وصول مَسْلَمة وأهل الشّام راعهم ذلكَ فبلغ خوفهم ابن المهلّب ، فخطب الناس وقال : « قد رأيت أهل العسكر وخوفهم ، يقولون : جاء أهل الشّام ومَسْلَمةُ ! وما أهل الشّام ؟ ! هل هم إلاّ تسعة أسياف ، سبعة منها إلى ، وسيفان عليّ ؟ وما مَسْلَمة إلاّ جرادة صفراء ، أتاكم في برابرة وجرامقة وجراجمة وأنباط وأبناء فلاّحين وأوباش وأخلاط ! ؟ أوَ لَيْسُوا بشراً يألمون كما تألمون ، وترجون من الله مالا يرجون ! ؟ أعيروني سواعدكم تصفّقون بها وجوههم وقد ولّوا الأدبار » .

---

(١١٨) النَخيلة : موضع بالقرب من الكوفة على سمت الشّام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٦/٨ ـ ٢٧٧) .

ولما سيطر يزيد على البصرة ، بعث عمّاله على الأهواز وفارس وكَرْمان ، وبعث على خُراسان مُدْرِك بن المهلّب وعليها عبد الرحمن بن نُعَيْم ، فقال لأهلها : « هذا مُدْرِك ابن المهلّب قد أتاكم ليُلْقي بينكم الحرب وأنتم في بلاد عافية وطاعة » ، فسار بنو تميم ليمنعوه ، وبلغ الأَزْد بخراسان ذلك ، فخرج منهم نحو أَلفَيْ فارس ، فلقوا مُدْرِكاً على رأس المفازة ، فقالوا له : « إنك أحبّ النّاس إلينا ، وقد خرجَ أخوكَ ، فان يظهر فانما ذلك لنا ونحن أسرع الناس إليكم وأحقّه بذلك ، وإن تكن الأخرى فما لك من أن البلاء راحة ! » فانصرف مدرك عنهم .

ولما استجمع أهل البصرة ليزيد ، خطبهم وأخبرهم أنه يدعوهم لكتاب الله وسُنة نبيّه ويحثّهم على الجهاد ، ويزعم أنّ جهاد أهل الشّام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم !

وكان الحسن البصري رضي الله عنه يسمع ، فرفع صوته يقول : « والله لقد رأيناكَ والياً ومولىً عليك ، فما ينبغي لك ذلك » ، ووثب أصحابه فأخذوا بفمه وأجلسوه .

وخرج الناس من المسجد ، فمرّ الحسن البصريّ بالناس وقد نصبوا الرايات وهم ينتظرون خروج يزيد وهم يقولون : تدعونا إلى سنّة العُمَرَيْن ! فقال الحسن البصري : « كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين تَرَوْن ثم يرسلها إلى بني مروان يريد رضاهم ! فلما غضب نصب قَصَباً ثم وضع عليها خِرَاقاً ، ثم قال : إني قد خالفتهم ، فخالفوهم ! قال هؤلاء : نعم . ثم قال : إني أدعوكم إلى سُنّة العُمَرَين ، وإن من سُنّة العُمَرَيْن أن يوضع في رجله قيد ، ثم رُدّ إلى محبسه » . فقال ناس من أصحابه : لكأنك راضٍ عن أهل الشّام ! فقال : « أنا راضٍ عن أهل الشّام ! قَبَّحَهُم الله وبَرَّحهم ! أليس هم الذين أحلّوا حرم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ،

يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ! قد أباحوها لأنباطهم وأقباطهم ، يحملون الحرائر ذوات الدين ، لايتناهون عن انتهاك حرمة ، ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام ، فهدموا الكعبة وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها . . . . عليهم لعنة الله وسوء الدار » .

ثمّ إنّ يزيد سار من البصرة واستعمل عليها أخاه مَرْوان بن المهلّب ، وأتى (واسِطاً) ، وقد كان استشار أصحابه حين توجّه نحو (واسِط) ، فقال له أخوه حبيب وغيره : نرى أن تخرج وتنزل بفارس ، فنأخذ بالشّعاب والعِقاب ، وندنو من خُراسان ، ونطاول أهل الشّام ، فانّ أهل الجبال يأتون إليك ، وفي يدك القلاع والحصون . فقال : « ليس هذا برأيي ، تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل ! » ، فقال حبيب : « إنّ الرأي الذي كان ينبغي أن يكون أوّل الأمر قد فات ، قد أمرتُك حيث ظهرتَ على البصرة أن توجّه خيلاً عليها بعض أهلكَ إلى الكوفة ، وإنما فيها عبد الحميد ، مررتَ به في سبعين رجلاً فعجز عنك فهو عن خيلك أعجز . فسبق إليها أهل الشّام ، وأكثر أهلها يرون رأيك ، ولأن تلي عليهم أحبّ إليهم من أن يلي عليهم أهل الشّام ، فلم تطعْني . وأنا أشير الآن برأي : سرّحْ مع بعض أهلك خيلاً كثيرة من خيلك ، فتأتي الجزيرة (جزيرة ابن عمر) وتبادر إليها ، حتى ينزلوا حصناً من حصونهم ، وتسير في أثرهم ، فاذا أقبل أهل الشّام يريدونك ، لم يدَعوا جندك بالجزيرة يُقْبِلون إليك ، فيقيمون عليهم فيحبسونهم عنك حتى تأتيهم ، ويأتيك مَنْ بالموصل من قومك ، وينفضَ إليك أهل العراق وأهل الثغور ، وتقاتلهم في أرضٍ رخيصة السِّعر ، وقد جعلتَ العراقَ كلّه وراء ظهرك » فقال يزيد : « أكره أن أقطع جيشي » !

ولما نزل (واسطاً) ، أقام بها أياماً يسيرة ، وخرجت سنة إحدى ومئة الهجرية (١١٩) .

د ـ الاخفاق :

ودخلت سنة اثنتين ومئة الهجرية (٧١٩ م) ، فسار يزيد عن واسط واستخلف عليها ابنه معاوية ، وجعل عنده بيت المال والخزائن والأُسراء .

وسار يزيد على فم (النِّيْل) (١٢٠) حتى نزل (العَقْر) (١٢١) ، وقدّم أخاه عبد الملك بن المهلّب نحو الكوفة فاستقبله العبّاس بن الوليد بن عبد الملك بـ (سُوْرَا) (١٢٢) ، فاقتتلوا . وحمل أصحاب عبد الملك على أهل الشّام حملة كشفوهم فيها ، ومعهم ناس من تميم وقيس من أهل البصرة ، فنادوا : الله . . . . الله أن تُسْلِمونا ! وقد اضطرهم أصحاب عبد الملك إلى النهر ، فقال أهل الشّام : لابأسَ عليكم ، إنّ لنا جولة في أول القتال ؛ ثمّ كرّوا عليهم فانكشف أصحاب عبد الملك وانهزموا وعادوا إلى يزيد .

وأقبل مَسْلَمة بن عبد الملك يسير على شاطئ الفرات إلى (الأنبار) (١٢٣) ،

---

(١١٩) انظر التفاصيل في الطبري (٥٧٨/٦ ـ ٥٨٩) وابن الأثير (٧١/٥ ـ ٧٧) وابن خلدون (١٦٦/٣ ـ ١٦٩) ، وانظر خلاصة الذهب المسبوك (٢٦) .

(١٢٠) النيل : بليدة في سواد الكوفة قرب (حِلّة) بني مزْيد ، يخترقها خليج كبير ، يتخلّج من الفرات الكبير ، انظر معجم البلدان (٣٦٠/٨) .

(١٢١) العقر : عقر بابل ، قرب كربلاء من الكوفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٤/٦ ـ ١٦٥) .

(١٢٢) سورا : موضع بأرض بابل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/ ١٦٨) .

(١٢٣) الأنبار : مدينة على الفرات في غرب بغداد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٠/١ ـ ٣٤٢) ، وهي مدينة الفلّوجة كما تسمى اليوم . وقد أطلق اسم الأنبار على محافظة (الرّمادي) احدى محافظات العراق التي تتاخم سورية شمالاً والأردن غرباً .

وعقد عليها الجسر ، فعبر وسار حتى نزل على ابن المهلّب .

وأتى إلى ابن المهلّب ناس من أهل الكوفة كثير ومن الثغور ، فبعث على مَنْ خرج إليه من أهل الكوفة ورُبْع أهل المدينة عبدَ الله بن سفيان بن يزيد بن المُغَفَّل الأزدي ، وعلى رُبْع مَذْحِج وأسد النُّعمان بن إبراهيم ابن الأشتر ، وعلى كِنْدة وربيعة محمد بن إسحق بن الأَشْعث ، وعلى تميم وَهمْدان حنظلة بن عَتَّاب بن ورقاء التَّميمِي ، وجمعهم جميعاً مع المُفَضَّل بن المهلّب .

وأَحصى ديوانَ ابن المهلّب مئة ألفٍ وعشرين ألفاً ، فقال : « لوَدِدْتُ أنّ لي بهم مَنْ بخُراسان من قومي » ، ثم قام في أصحابه فحرّضهم على القتال فقال : « إنّ هؤلاء القوم لن يَرُدَّهم عن غيِّهم إلاّ الطعن في عيونهم والضرب بالمشرفيّة على هامهم » ، ثم قال : « : « إنّه قد ذُكر لي أنّ هذه الجرادة الصفراء – يعني مَسْلَمَة بن عبد الملك – وعاقر ناقة ثمود – يعني العبّاس بن الوليد بن عبد الملك ، وكان العبّاس أزرق أحمر ، كانت أمّه روميّة – والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلّمته فأقرّه على نسبه ؛ فبلغني أنه ليس همّهما إلاّ الْتِمَاسي في الأرض ، والله لو جاء أهل الأرض جميعاً وليس إلاّ أنا . ما برحت العَرْصة حتى تكون لي أو لهم » ، فقالوا : نخاف أن تُعَنِّينا كما عَنّانا عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث ، فقال : « إنّ عبد الرحمن فضحَ الذِّمار ، وفضح حَسَبه ، وهل كان يعدو أجله ! » ، ثم نزل .

وجاءته الجموع الحاشدة تبايعه ، وكان نص البيعة : نبايع على كتاب الله وسنة نبيِّه صلّى الله عليه وسلّم ، وعلى ألاّ تطأ الجنودُ بلادنا ولابيضتَنا ، ولا تعاد علينا سيرة الفاسق الحجّاج .

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن والي الكوفة قد عسكر بالنُّخَيْلة ،

وشق المياه ، وجعل مع أهل الكوفة الأرصاد لئلا يخرجوا مع ابن المهلّب وبعثَ بعثاً إلى مَسْلَمَة مع سَبْرَة بن عبد الرحمن بن مخْنَف .

ولكنّ مَسْلَمة عزل عبد الحميد عن الكوفة ، واستعمل عليها محمد ابن عمرو بن الوليد بن عُقْبَة ، لأنَّ عبد الحميد تردّد في لقاء ابن المهلّب حين قدم هارباً من السجن في طريقه من حَلَب إلى البصرة .

وجمع يزيد رؤوس أصحابه فقال : « قد رأيت أن أجمع اثنى عشر ألفاً . فأبعثهم مع أخي محمد بن المهلّب حتى يُبَيِّتوا مَسْلَمة ، ويحملوا معهم البراذع والأكُف والزُبُل لدفن خندقهم ، فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقيّة ليلتهم . وأمدّه بالرجال حتى أُصبح ، فاذا أصبحت نهضت إليهم أنا والناس . فنناجزهم . فاني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم » .

ولكن السَّمَيْدَاع اعترض على يزيد قائلاً : « إنّا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم . وقد زعموا أنهم قبلوا هذا منّا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر حتى يردّوا علينا مازعموا أنهم قابلوه منّا » .

وأيّد أبو رؤبة ، وهو رأس طائفة من المرجئة ، ومعه أصحاب له ، فقال : « صَدَقَ ! هكذا ينبغي » .

فقال يزيد : « وَيْحَكُم ! أتصدّقون بني أُمّية أنّهم يعملون بالكتاب والسُنّة ! إنهم يخادعونكُم ليمكروا بكم ، فلا يسبقوكم إليه . إني لقيتُ بني مَرْوان . فما لقيتُ منهم أمكر ولا أبعد غَوْراً من هذه الجرادة الصفراء – يعني مَسْلَمة – » . قالوا : لانفعل ذلك حتى يردّوا علينا مازعموا أنهم قابلوه منا ! .

وكان مروان بن المهلّب بالبصرة يحثّ الناس على حرب أهل الشّام ، وكان الحسن البصريّ يثبّطهم . فلما بلغ ذلك مروانَ قام في الناس يأمرهم بالجدّ والاحتشاد ، ثم قال : « بلغني أنّ هذا الشيخ الضال المرائي – ولم

يسمــّه – يشبّط الناس ، والله لو أنّ جاره نزع من خُصّ داره قصبة لظلّ يرعُف أنفُه ! أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقّنا وأن ننكر مظلمتنا ! أما والله ليكُفّنّ عن ذكرنا وعن جمعه سُقّاط ((الأُبُلّة))(١٢٤) وعلوج فُرات البصرة – قوماً ليسوا من أنفسنا ، ولا ممّن جرت عليه النّعمة من أحدٍ منّا – أو لأُنحينّ عليه مِبْرَداً خشناً » . فلما بلغ الحسن البصريّ ذلك قال : « والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه » ، فقال ناس من أصحابه : لو أرادك ثم شئت لمنعناك ، فقال لهم : « قد خالفتكم إذاً إلى ما نهيتكم عنه ! آمر ألاّ يقتل بعضكم بعضا مع غيري ، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضاً دوني ! » ، فبلغ ذلك مَرْوان بن المهلّب ، فاشتدّ على أصحاب الحسن وطلبهم حتى تفرّقوا . ولم يدع الحسن كلامه ذلك ، ولكنّ مروان كفّ عنه ولم يصبه بأذى .

وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول للناس : « أيّها النّاس ! الزموا رحالكم ، وكفوا أيْديَكم ، واتّقوا اللهَ مولاكم . ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة ، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباقٍ ، وليس الله عنهم بما اكتسبوا براضٍ . إنه لم تكن فتنة إلاّ كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التّيه والخُيَلاء ، وليس يسلم منها إلاّ المجهول الخفيّ والمعروف التّقيّ ، فمن كان منكم خفيّاً فليزم الحق ، وليحبس نفسه عمّا يتنازع الناس فيه من الدنيا ، فكفاه واللهِ بمعرفة الله إياه بالخير شَرفا ، وكفى له بها في الدنيا خلَفا ؛ ومَنْ كان منكم معروفاً شريفاً ، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادةَ الله بذلك ، فواهاً لهذا ! ما أسعدَه

(١٢٤) الأبلّة : بلدة على شاطيء دجلة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة ، لأنّ البصرة مُصّرت في ايام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وكانت الأبلّة حينئذ فيها مسالح من قبل كسرى وقائد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٨٩–٩٠) .

وأرشدَه وأعظم أجره وأهدى سبيله ! فهذا غداً – يعني يوم القيامة – القرير عيناً ، الكريم عند الله مآبا » .

وكان اجتماع يزيد بن المهلّب ومَسْلمة بن عبد الملك بن مروان ثمانية أيام ، فلما كان يوم الجُمُعَة لأربع عشرة مضت من صَفَر ، بعث مَسْلَمة إلى الوضاح أن يخرج بالسُّفن حتي يحرق الجسر ، ثمّ بعث من أحرق الجسر .

وخَرَج مسلمة فَعَبَّأَ جنود أهل الشّام ، ثم قرب من ابن المهلّب ، وجعل ميمنته جَبَلَة بن مَخْرَمة الكِنْدِيّ ، وعلى ميسرته الهُذَيْل بن زُفَر بن الحارث الكِلابي . وجعل العباس بن الوليد على ميمنته سيف بن هانئ الهمداني ، وعلى ميسرته سُوَيد بن القَعْقَاع التميميّ ، وكان مَسْلَمة على الناس . وخرج يزيد بن المهلّب ، وقد جعل على ميمنته حبيب ابن المهلّب ، وعلى ميسرته المُفَضَّل بن المهلّب . وبرز رجل من أهل الشّام ، فدعا إلى المبارزة . فبرز إليه محمد بن المهلّب ، فضربه محمدٌ ، فاتّقاه الرجل بيده وعلى كفّه كفٌ من حديد . فضربه محمد فقطع الكفّ الحديد ، وأسرع السيّف في كفّه واعتنق فرسه فانهزم .

فلما دنا الوضّاح من الجسر ، ألهب فيه النار ، فسطع دخانه ، وقد اقتتل الناس ونشبت الحرب ، ولم يشتدّ القتال . ولما رأى الناس الدخان ، وقيل لهم : أُحرق الجسر . انهزم أصحاب ابن المهلّب ، فقيل لابن المهلّب : انهزم الناس . فقال : « مِمَّ انهزموا ؟ هل كان قتال يُنْهزم من مثله ؟! » ، فقيل له : قالوا أُحرِقَ الجسر ، فلم يثبت أحد ! فقال : « قبحّهم الله ، بَقٌ دُخِّن عليه فطار » .

وخرج يزيد وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه ، فقال :

« اضربوا وجوه مَنْ ينهزم » ففعلوا ذلك بهم حتى كثروا عليه ، واستقبله منهم أمثال الجبال ، فقال : « دعوهم ، فوالله إني لأرجو ألاّ يجمعني الله وإياهم في مكان واحد أبدا ، دعوهم يرحمهم الله ، غَنَم عدا في نواحيها الذّئب ! » .

وكان يزيد لا يحدّث نفسه بالفرار ، وقد كان يزيد بن الحَكَم بن أبي العاص الثَقفي . وهو ابن أخي عثمان بن أبي العاص (١٢٥) صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وليس بينه وبين الحَكَم بن أبي العاص والدِ مَرْوان نسب ، وأمّه ابنة الزَبرْقَان السَّعْدِيّ ، أتاه وهو بواسِط قبل أن يصل إلى العَقْر ، فقال :

إن بني مَرْوان قد بادَ ملكُهم
فان كنتَ لم تَشْعُرْ بذلك فاشْعرِ

قال يزيد : « ما شعرتُ ! » ، فقال يزيد بن الحَكَم بن أبي العاص الثَقفيّ :

فَعِشْ مَلِكاً أو مُتْ كريماً ، وإن تَمُتْ
وسَيْفُك مَشْهورٌ بِكَفِّكَ تُعْذَرِ

قال يزيد : « أما هذا ، فعسى » .

ولما خرج يزيد إلى أصحابه ، واستقبلته الهزيمة ، قال : « ياسَمَيْدَع ! أرأيي أم رأيُك ؟ ألم أُعْلِمْكَ ما يريد القوم ! » بلى والله ، والرأيَ ما كان رأيُك ، وأنا ذا معك لا أُزايلُكَ فمرْني بأمرك » .

ونزل يزيد ونزل سَمَيْدَع في أصحابهما ، وكان يزيد على فرسٍ أشهب ، فأتاه آتٍ فقال : « إنّ أخاك حبيباً قد قُتِل » ، فقال : « لاخيرفي

(١٢٥) انظر سيرة حياته المفصّلة في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢٦٢ ـ ٢٦٩) .

العيش بعده ، قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة ، وقد ازددتُ لها بغضا . . . . امضوا قُدُما » ، فعلموا أنه قد استقتل ، فتسلّل عنه مَنْ يكره القتال ويخاف الموت . وبقي معه جماعة حسنة وهو يتقدّم فكلما مرّ بخيلٍ كشفها ، أو جماعه من أهل الشّام عدلوا عنه .

وأقبل نحو مَسْلَمة لا يريد غيره ، فلما دنا منه أدنى مَسْلَمة فرسه ليركب ، فعطفت عليه خيول أهل الشّام وعلى أصحابه ، فقتل يزيد وقتل السَّمَيْدَع وقتل محمد بن المهلّب .

وكان رجل من كلب يقال له : القَحْل بن عَيَّاش ، فلما نظر إلى يزيد قال : « هذا والله يزيد ! واللهِ لأقتلنّه أو ليقتلني ! فمَنْ يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصلَ إليه ؟ » ، فحمل معه ناس ، فاقتتلوا ساعة ، وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً وعن القَحْل بآخر رمقه ، فأومأ إلى أصحابه يُريهم مكان يزيد وأنه هو قاتله وأنّ يزيد قتله .

وأتى برأس يزيد مولى لبني مُرَّة ، فقيل له : أنت قتلته ؟ قال : « لا » ، فلما أتى مَسْلَمة سيّره إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان مع خالد بن الوليد ابن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط .

وقيل : بل قتل يزيد بن المهلّب الهُذَيْل بن زُفَر بن حارث الكلابيّ ، ولم ينزل يأخذ رأسه أنفةً .

ولما قُتل يزيد ، كان المُفَضَّل بن المهلّب يقاتل أهل الشّام وما يدري بقتل يزيد ، وكان كلّما حمل على الناس انكشفوا ، ثمّ يحمل حتى يخالطهم ، وكان معه عامر بن العَمَيْثَل الأَزْدِيّ يضرب بسيفه ويقول :

قد علمتْ أمُّ الصبيّ المولودْ
أني بِنَصْلِ السَّيْفِ غيرُ رِعْدِيد

واقتتلوا ساعة . فانهزمت ربيعة ، فاستقبلهم بالسَّيف يناديهم :

« أيْ معشر ربيعة ! الكَـرَّةَ . . . . الكَـرَّةَ . . . . والله ماكنتم بكُشُفٍ ولا لئام ، ولا هذه لكم بعادة ، فلا يؤتينّ أهل العراق من قِبَلكم اليوم . أيْ ربيعة ! فدتكم نفسي ، اصبروا ساعة من النهار » ، فرجعوا إليه يريدون الحَـملة ، فجاءه مَنْ يقول له ما تصنع ههنا ، وقد قُـتـل يزيد وحَبِيب ومحمدّ وانهزم الناس منذ أمدٍ طويل ؟

وتفرّق الناس عن المفضّل ، فمضى إلى واسِط ، فما كان من العرب أضرب بسيف ولا أحسن تعبية للحرب ولا أغشى للناس منه .

وقيل : بل أتاه أخوه عبد الملك ، وكره أن يُخْبره بقتل يزيد فيستقتل ، فقال له : « إنّ الأمير قد انحدر إلى واسط » ، فانحدر المفضّل بمَنْ معه من ولد المهلّب إلى واسِط . فلما علم بقتل يزيد ، حلف ألاّ يكلّـم عبد الملك أبدا .

وأسر مَسْلمة نحو ثلاثمائة أسير . فسرّحهم إلى الكوفة فحبسوا بها وجاء كتاب يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو بن الوليد بن عُقْبَة ابن مُعَيْط والي الكوفة ، يأمره بضرب رقاب الأسرى ، فبدأ بالتنفيذ وقتل قسماً من الأسرى ، فجاء رسول بكتاب من عند مَسْلَمة يأمره بترك قتل الأسرى ، ثمّ أقبل مَسْلَـمة حتى نزل (الحِيـْرَة) (١٢٦) .

ولما بلغت هزيمة يزيد مدينة واسِط ، غادرها آل المهلّب إلى البصرة ، ومن هناك حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحريّة ، ثم لجـوّا في البحر ، فلما كانوا بحيال (كَرْمَـان) (١٢٧) خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدّواب ، وكان المقدّم عليهم المُـفَضّـل بن المهلّب .

(١٢٦) الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له : النجف ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٨٦) ، والنجف اليوم قريبة من الكوفة ، وفيها مرقد الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وكان بكَرْمان فلول كثيرة اجتمعوا إلى المُفضَّل ، فبعث مسلمة قوّات من أصحابه ، فقاتلوا فلول المفضّل وانتصروا عليهم وكبّدوهم خسائر فادحة بالأموال والأرواح .

ومضى آل المهلّب ومَنْ معهم إلى (قَنْدابِيل) (١٢٨) ، فطاردهم أصحاب مَسْلَمَة إلى هناك ، فتفرّق الناس عن آل المهلّب ، ولكن المهالبة تقدّموا بأسيافهم ، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم ، منهم : المُفَضَّل ، وعبد الملك ، وزياد ، ومَرْوان بنو المهلّب وثلاثة من أبنائهم ، فبعث مسلمة برؤوسهم إلى يزيد بن عبد الملك .

وحين بلغ يزيد بن عبد الملك مقتل يزيد بن المهلّب وكثير من آل المهلّب ، سرّه هذا النصر سروراً عظيماً (١٢٩) .

هـ ــ الكارثة :

انتصر مَسْلَمة بن عبد الملك على يزيد بن المهلّب وآل بيته ، فخدم الدولة خدمة لا تُقدّر ، لقضائه على يزيد بن المهلّب الذي خلع يزيد بن الملك ، وقاد أخطر ثورة هدّدت كيان الأُمويين .

ومن الانصاف أن نذكر أنّ يزيد بن المهلّب كان قائداً فذّاً وإدارياً حازما . ولكنه خسر حياته وحياة أكثر آل المهلّب ، لأنه قاد جيشاً لايثق به ولا يعتمد عليه . أفراده أكثرهم مرتزقة ، كلّ همهم كسب المال ،

---

(١٢٧) كرمان : ولاية مشهورة في ايران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤١/٧) .

(١٢٨) قندابيل : مدينة بالسند ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٧/٧).

(١٢٩) انظر التفاصيل في الطبري (٥٩٠/٦ ــ ٦٠٤) وابن الأثير (٧٧/٥ ــ ٨٩) وابن خلدون (١٦٦/٣ ــ ١٧٢) ، وانظر المسعودي (١٩٩/٣ ــ ٢٠٠) وتاريخ الموصل (١٠ ــ ١٦) والمعارف (٤٠٠) والتنبيه والاشراف (٣٢٠ ــ ٣٢٢) .

لذلك لم ينفذوا أوامره ولم يطبقوا تعليماته .

ولم يكن يزيد بن المهلّب يجهل قابلية جيشه المتضعضعة ومعنوياتهم المنهارة ، وأدرك في أول المعركة بأنه يقود معركة خاسرة ، ولكنه ثبت كالطود وقاتل عن شرفه وأحسابه ، ولم يرض لنفسه الفرار او الاستسلام ، حتى لاتتحدّث العرب حاضراً ومستقبلاً بأنه فرّ أو استسلم ، والموت عنده أهون من مثل هذا الحدث .

وكان مسلمة أيضاً يقود جيشاً أكثره من المرتزقة ، ولكنهم كانوا ملتزمين بالدولة ، أما جيش يزيد بن المهلّب فكان من المرتزقة غير الملتزمين بدولة ، أو بمعنى آخر ، فقد كان جيش مسلمة يقاتل عن حاضر مضمون ومستقبل مضمون هو حاضر دولة قائمة ومستقبلها ، أما جيش يزيد فكان يقاتل عن حاضر غير مضمون ومستقبل غير مضمون ، لذلك كان جيش مسلمة يتحلّى بارادة القتال فأنتصر ، وكان جيش يزيد لايتحلّى بهذه المزيّة فانهزم .

أما تفاصيل أسباب هزيمة يزيد بن المهلّب في هذه المعركة ، فسيكون لها ذكر مفصل في الحديث عن يزيد قائدا .

لقد خسرت الدولة بالقضاء على يزيد بن المهلّب وبني المهلّب خيرة قادتها وأحسن جنودها وأقدر أمرائها وأبرز ولاتها ، وهي خسارة جسيمة بلا مِراء .

وأدهى من ذلك وأمرّ ، أنّ الاقتتال الذي نشب بين الاخوة ، أدّى إلى عداء عميق الجذور بين القبائل العربية في العراق قاعدة الفتح الاسلامي الرئيسة في المشرق الاسلاميّ ، وفي بلاد المشرق الاسلامي كافة قاعدة الفتح الاسلاميّ المتقدّمة ، مما أدىّ إلى انصراف الفاتحين عن الفتح واستعادة الفتح إلى الاقتتال المرير فيما بينهم ، فأصبحت طاقاتهم وجهة إلى انفسهم بدلاً من أن تكون موجهة على أعدائهم ، وأصبحت سيوفهم عليهم لا على أعدائهم ،

فانحسر مدّ الفتح الاسلامي واستعادة الفتح ، وتقلّص نفوذ الدولة في العراق وفارس وخُراسان وكَرمان وسِجِسْتان وما وراء النهر وسائر المشرق الاسلامي ، وأصبحت تلك القواعد الرئيسة والمتقدِّمة تعجّ بالفتن والاضطربات والفوضى ، .

وانتهز هذه الفرصة السانحة العباسيّون ومن ورائهم الفرس للقضاء على الدولة الأمويّة ، وأصبح دعاة بني العبّاس وعلى رأسهم أبو مُسْلِم الخُراسانيّ يسرحون ويمرحون في بلاد المشرق الاسلامي كافة وبخاصة بلاد فارس وخُراسان بحريّة كاملة تحت سمع وبصر ولاة الدولة الأمويّة العاجزين عن اتخاذ إجراءات مؤثِّرة ، لأنّ الخرق اتسع على الرّاقع – كما يقول المثل العربي المشهور .

لذلك كان انتصار مَسْلَمَة على يزيد بن المهلّب في هذا الاقتتال انتصاراً تعبوياً ، ولكنه كان هزيمة سَوْقِيّة (أستراتيجيّة) على المدى القريب والبعيد أيضاً .

والانتصار التعبوي ، لا قيمة له بالنسبة للهزيمة السّوقيّة كما هو معروف .

(يتبع)

دراسات في أبعاد وأنماط المسام
في المـــواد الصلبـــة

الدكتور جلال محمد صالح
عضو المجمع العـلمي العراقي
واستاذ في جامعة بغداد

عُرف منــذ القــدم أن باستطاعة المــواد الصلبة المسامية امتزاز Adsorption وامتصـــاص Absorption حجــوم كبيرة من الغـــازات والابخرة . فقــد وجــد فونتانا (١) Fontana عام ١٧٧٧ أن بامكان مسحوق الفحم (الحيواني أو النباتي منه) المبرد الى درجـــة الصفر المئوي امتزاز كمية كبيرة من الغازات أو امتصاصها تُقدر بأضعاف الحجم الحقيقي للمسحوق . وأظهر شيلي (٢) Scheele فيما بعد أن الغازات الممتزة على الفحم أو الممتصة فيه تتحرر من مسحوق الفحم عنــد التسخين . ويمكن للغازات والابخرة المتحررة من مسحوق الفحم في عملية التسخين أن تعود ثانية الى سطح مسحوق الفحم والى داخله عند اعادة تبريد المسحوق الى درجة الصفر المئوي . وامكن التوصل الى معرفة أن كمية الغاز أو البخار التي يلتقطها الفحم تتغير بحسب نوع الفحم . وأصبح معروفاً الآن أن هذه

---

(1) F. Fontana, Memorie Mat. Fiz. Soc. Ital. Sci., 1, 679 (1777).

(2) C. W. Scheele, Chemical Observations on Air and Fire, 182 (1980).

القابلية على التقاط الغازات والابخرة بعمليتي الامتزاز والامتصاص تعتمد على المساحة السطحية لدقائق المسحوق وعلى طبيعة المسام الموجودة فيه .
وقد أظهر متشرلخ (٣) Mitscherlich عام ١٨٤٣ أن فعالية الفحم على امتزاز الغازات والابخرة وامتصاصها تعود الى دور المسام الموجودة بين دقائق الفحم ، وأوضح هذا العالم ان غاز ثنائي اوكسيد الكربون يتكاثف داخل مسام الفحم على هيئة طبقات على غرار تحول الغاز الى حالة السيولة بتأثير التبريد والضغط . ويتضح الآن ان المساحة السطحية Surface Area والمسامية Porosity عاملان مهمان في تحديد مدى امتزاز الغازات والابخرة لا على مسحوق الفحم وحده بل على عدد هائل من المواد الصلبة الأخرى . وأدخل العالم قيصر (٤) Kayser عام ١٨٨٣ تعريفاً محدداً للامتزاز للدلالة على تكثف جزيئات الغازات (أو الابخرة) على السطوح الحرة بعكس ظاهرة الامتصاص التي تدل على اختراق جزيئات الغاز أو البخار الهيكل البلوري للمادة الصلبة . واطلق العالم مكبين (٥) McBain عام ١٩٠٩ على ظاهرتي الامتزاز والامتصاص معاً بـ Sorption

السطح النوعي والمسامية :

يُقصد بالسطح النوعي Specific Surface لاية مادة صلبة المساحة السطحية لغرام واحد من تلك المادة . وهناك علاقة عكسية بين السطح النوعي للمادة الصلبة وحجم دقائق المادة . لنفرض أن مادة صلبة

(3) E. Mitscherlich, Pregg. Ann., 59, 94 (1843).
(4) H. Keyser, Wied. Ann., 14, 451 (1881).
(5) S. J. Gregg, Surface Chemistry of Solids, Chapman and Hall, London (1961).

تتألف من دقائق مكعبة الشكل طول ضلع المكعب الواحـــد منهـــا l سنتمتر فاذا كانت كثافة المادة الصلبة P (غرام على السنتمتر المكعب) كان السطح النوعي S للمادة :

$$S = \frac{6}{pl}$$

فاذا بلغت كثافة المادة الصلـــبة (٣) غم عـــلى السنتمتر المكعب وكان طـــول كل دقيقـــة من دقائق المادة (١) مايكرون (أي (١٠-٤ متر) أصبـــح السطح النوعي S للمادة وفقـــاً للمعادلة (١) (٢ × ١٠ ٤) سنتمتر مربـــع للغرام الواحد أو مترين مربعين للغرام الواحد . يستنتج من هذا أن المادة الصلبة تمتلك مساحة سطحية كبيرة اذا كانت بهيئة مسحوق ، أي اذا كانت بشكل دقائق صغيرة وتزداد هذه المساحة كلما زادت نعومة الدقائق .

تدعى الدقائق الصغيرة التي تتكون منها المادة الصلبة الدقائق الاولية Primary particles وتتحد الدقائق الاولية الصغيرة عادة لتكوين دقائق أكبر حجماً من الدقائق الاولية وتسمى الدقائق الثانوية Secondary Particles ويحدث مثل هذا الارتباط بين الدقائق الأولية بفعل القوى الكهربائية الموجودة عند السطوح الخارجية لتلك الدقائق . وتعمل تلك القوى الكهربائية على جذب الدقائق الاولية بعضها نحو البعض الاخر وتجميعها في وحدات أكبر حجماً . ويزداد تأثير هذه القوى الكهربائية بارتفاع درجة الحرارة وازدياد الضغط . ويساعد الماء في احيان كثيرة ، كما هو الحال مع الاكاسيد والاملاح غير العضوية ، على اتحاد الدقائق الاولية لمادة صلبة لتكوين دقائق ثانوية . وقد يكون مصدر هذا الماء هو الامتزاز من الجو أو المحيط الذي تحفظ فيه المادة . ويتحول قسم من السطح الخارجي الفعال للدقائق الأولية بسبب الاتحاد والتجمع الى سطح داخلي. وتحتفظ الدقائق الثانوية المتكونة بفراغات تتخلل الدقائق الاولية المرتبطة معاً ، وتدعى مثل هـــذه الفراغات المسام

Pores أو الحجوم المسامية Pore Volumes وتدعى الفراغات أحيـاناً الشعيرات Capilaries أو الكهوف Cavities .

وتختلف المسام في مـادة ما من حيث الشكل والحجم . وتتكون جدران المسام من أجزاء من سطوح الدقائق الاوليـة التي تكونت منها . ولاينشأ السطح النوعي الكبير لمادة صلبة من خلال تجمع دقائقها الاولية الصغيرة معاً فقط ، بل قد يتحقق ذلك بازالة أجزاء معينة من المادة الصلبة الاصلية بالشكل الذي ينتـج عنـه تكوين المسام . وتؤلف جدران المسام المتولدة الجزء الاكبر من المساحة السطحية للمادة الصلبة المتكونة . وتحدث مثل هذه الظاهرة في الطبيعة عندما تطرأ عمليات فيزيائية أو كيميائية معينة على بعض المواد الصلبة . فالنيكل المعروف باسم نيكل راني Raney Nickel يتم تحضيره صناعياً بمعاملة سبيكة النيكل والالمنيوم مع الصودا الكاوية التي تعمـل على ازالة الالمنيوم من السبيكة وترك النيكل على هيئـة مادة صلبـة كثيرة المسام وواسـعة المساحة . والزيادة في السطح النوعي للكربون المتحول جزئياً الى غرافيت بسبب الاحتراق هي مثال آخر على ازالة بعض المادة الصلبة بالتأثيرات الكيميائية . فالاحتراق يتم خلال قنوات في باطن الكربون فتتوسع بذلك تلك القنوات وتزداد مسامية المادة المتبقية . ويحدث تنشيط فحم الخشب بالمعاملة مع البخار بطريقة الكربون الغرافيتي نفسها . وهناك طريقة أخرى لتحضير المواد الصلبة الفعالة تشتمل على تجزئة المادة الصلبة . فالتجزئة الحرارية لمادة صلبة من النوع (أ) تؤدي في أحيان كثيرة الى تكوين مادة صلبة أخرى من النوع (ب) مصحوباً بانبعاث غاز . وتنتج عادة أعداد كبيرة من بلورات صغيرة للمادة (ب) من تحول كل بلورة من بلورات المادة (أ) ، فتقل بذلك أبعاد البلورات المتولدة وتزداد المساحة السطحية . والتقلص الحاصل في الأبعاد البلورية ينجم عنه ازدياد كثافة المادة الجديدة

(ب) قياساً بالمادة الاصلية (أ) . وهذا التقلص في الابعاد البلورية نتيجة لازدياد الكثافة يؤدي الى ظهور شقوق Cracks بين كل بلورة من بلورات المادة (ب) والبلورات المجاورة لها .

وقد تكون عملية التشقق Cracking Process مسؤولة أيضاً عن زيادة السطح النوعي لرقوق الاكاسيد التي تتكون على سطوح بعض الفلزات والمعادن . وعندما تعاني صفيحة المغنيسيوم تأكسداً في الاوكسجين بدرجات الحرارة العالية (٥٥٠ مئوية) تتمتع قشرة الاوكسيد المتكونة على سطح الفلز بدرجة عالية من المسامية وتمتلك سطحاً نوعياً كبيراً يصل الى (٥٠) متراً مربعاً للغرام الواحد . وتسمح قشرة الاوكسيد بنفوذ الاوكسجين من خلالها للوصول الى طبقات الفلز غير المتأكسدة . وتسلك فلزات الكلسيوم والسيزيوم والنايبيوم واليورانيوم سلوك المغنيسيوم نفسه عند التعرض الى الاوكسجين في الدرجات الحرارية المناسبة . أما قشرة الاوكسيد على فلزات النحاس والالمنيوم والكوبالت فانها تكون غير مسامية عادة ولذلك تعمل على وقاية الفلز من التأكسد والتاكل ومنع وصول الغازات والمواد من خلالها الى ذرات الفلز .

وقد تحتوي بلورات بعض المواد الصلبة على شقوق طبيعية ، وتحدث هذه الشقوق في العادة من جراء بعض العيوب البلورية Crystal Defects كالانخلاع البلوري Cryatal Dislocation التي تنجم عن وجود بعض الشوائب أو من جراء تغيرات الظروف اثناء عملية النمو البلوري . وقد تسمح الشقوق بامتزاز بعض المواد على جدرانها اذا كانت بسعة كافية بحيث تسمح بوصول المواد من خلالها الى السطوح الداخلية للمادة . ان سطح أية قطعة من مادة صلبة ، كبيرة كانت أم صغيرة ، لايكون عادة مستوياً اذا قيس ذلك بالمقياس الذري . فالسطح مهما كانت

درجة صقله يحتوي عادة على مسام وشقوق . وقد تكون المسام والشقوق عميقة وتصل الى باطن المادة الصلبة ، وبذلك تعمل على زيادة السطح الداخلي Internal Surface للمادة الصلبة . أما الشقوق والمسام الضحلة فانها تسبب في الغالب زيادة السطح الخارجي External Surface للمادة الصلبة . فالسطح الخارجي لمادة صلبة يتمثل بجميع السطوح الظاهرية للمادة بجانب سطوح المسام والشقوق الضحلة المنتشرة فيها . أما السطح الداخلي فانه يضم جدران الشقوق والمسام التي تتصف بالعمق والسعة وتصل الى باطن المادة الصلبة . ويصعب في بعض الاحيان وضع حدود فاصلة بين السطح الداخلي والسطح الخارجي في مادة صلبة .

وهناك العديد من المواد الصلبة التي تمتلك سطوحاً داخلية اكبر بعشرات (أو مئات أو الوف) المرات عن السطح الخارجي للمادة بحيث يصح القول عندئذ أن السطح الكلي للمادة هو سطح داخلي . والمساحيق الناعمة جداً لبعض المواد الصلبة تمتلك سطوحاً خارجية كبيرة وسطوحاً داخلية في غاية الصغر . وعندما تتحد الدقائق الناعمة للمسحوق معاً فان قسماً من السطوح الخارجية يصبح سطحاً داخلياً يتمثل بجدران المسام المتكونة .

تختلف أبعاد المسام وأشكالها في المواد الصلبة . ويتم عادة وصف سعة المسم بدلالة قطره (أو نصف قطره) . ولنتصور المسم على هيئة اسطوانة منتظمة ، وان قطر المسم يتمثل في قطر مقطع دائري من الاسطوانة وقد استطاع العالم دوبنين (٦) Dubinin تصنيف المسام الموجودة في المواد الصلبة الى ثلاثة أصناف بالاعتماد على قطر المسم وهي :

١ ــ المسام المجهرية (أو الدقيقة) Micropores ويكون قطر المسم

---

(6) M. M. Dubnin, Zhur. Phys. Chem., 34, 959 (1960); Chem. Rev., 60, 235 (1960).

في هـــذا النوع من المسام أقل من (٢) نانو متر (أي اقل من ٢٠ انكستروم)
٢ – المسام المتوسطة (أو الانتقالية) Mesopores ويتراوح قطـــر المسم من (٢) الى (٥٠) نانو متر (اي من ٢٠ الى ٥٠٠ انكستروم) .
٣ – المسام العيانية Macropores ويزيد قطر المسم في هـــذا النوع من المسام على (٥٠) نانو متر (أي يزيد على ٥٠٠ انكستروم) .
وقدأقر هذاالتصنيف(٧)الاتحادالدولي للكيمياء الصرفة والتطبيقية عام ١٩٧٢.

تقدير المساحة السطحية والمسامية :

هناك طرائق كثيرة لتقدير (٨ – ١٠) المساحة السطحية والمسامية في المواد الصلبة ، وأن بعض هذه الطرائق يعتمد على اسس نظرية وعملية صلدة بحيث يمكن استخلاص معلومات دقيقة ومهمة منها عن المواد الصلبة . وتُعَدُ طريقة « برونر وايميت وتيلر» Brunauer - Emmett aad Teller (ويرمز اليها بـ BET) أحسن الطرائق المعروفة الآن وأكثرها شيوعاً لاغراض تقدير المساحة السطحية للمواد الصلبة ولاسيما لامر بالنسبة للمساحيق الصلبة والمواد الصلبة المسامية . وقد استخدمت هذه الطريقة في ايجاد المساحة السطحية لانواع كثرة من المواد الصلبة كالعوامل المساعدة الصلبة والسمنت والاصباغ والعقاقير الطبية والتبوغ والانسجة القطنية والصوفية وغيرها . وتعتمد طريقة برونر وايميت وتيلر اليوم أمهات دوائر التقييس والسيطرة النوعية الدولية لغرض ايجاد المساحة السطحية وتقدير سعة المسام واشكالها وابعادهـــا . وسنذكر فيما يلي أهم الطرق الأخرى المستعملة في تقدير المسامية في المواد الصلبة.

(7) G. D. Parfitt and K. S. W. Sing, Characterization of Powder Surfaces, Academic Press, 1976, P. 4.

(١) طريقة السماحية والجريان في الاوساط المسامية – وتستخدم هذه الطريقة في ايجاد المساحة السطحية وتقدير درجة المسامية في بعض المواد الصلبة . وتعتمد هذه الطريقة على قياس مقدار المقاومة التي تواجه جريان غاز (او سائل) خلال عمود مملوء تماماً بدقائق المادة الصلبة المراد ايجاد مساحتها ومساميتها . وهذه الطريقة مقبولة لبساطة الاجهزة المستخدمة فيها وللسرعة التي ينجز بها القياس ، ولكن النتائج المستخلصة منها تكون في احيان كثيرة معقدة وصعبة التفسير وقد تشتمل على نسبة عالية من الخطأ .

(٢) طريقة الامتزاز من المحلول – عندما يمزج محلول يشتمل على مكونين مع مادة صلبة نقية ، يعاني احد مكوني المحلول او كلاهما امتزازاً على سطح المادة الصلبة في المحلول . ويتم ايجاد الامتزاز الظاهري من قياس التغير في تركيز المكوّن الذي يعاني امتزازاً على السطح الصاب في المحاول . وتحسب مساحة المادة الصلبة من مقدار طبقة الامتزاز على وزن معلوم من المادة الصلبة وكلما اقتصر الامتزاز على أحد مكوني المحلول زادت دقة النتائج المحسوبة من هذه الطريقة .

(٣) طريقة حرارة الغمر (٨) – تُعرف حرارة الغمر Heat of Immersion بأنها الحرارة المنبعثة عند غمر وزن معلوم من مادة صلبة نقية في سائل نقي ويمكن قياس هذه الحرارة باستخدام أجهزة خاصة . ويقتصر استعمال هذه الطريقة على تلك الانظمة التي تكون حرارة غمرها معروفة بدقة كافية . وكلما كانت حرارة الغمر صغيرة قلت النتائج المستخلصة .

(٤) تُعَدُ المجاهر (٩) طريقة مباشرة لايجاد أبعاد الدقائق الصغيرة التي تتكون منها مادة صلبة . ولكن مُحدّدات استعمال المجاهر لهذه الاغراض كثيرة ومتنوعة . وقد ناقش جارمان (١٩٦٣) وهودكنسن

---

(8) G. D. Parfitt and K. S. W. Sing, Characterization of Pawder Surfaces, Academic Press, 1976, P. 11 — 13.

Hodkinsnn (١٩٦٥) وألين Allen (١٩٦٨) مصادر الخطأ المختلفة عند استعمال المجاهر في تقدير أبعاد الدقائق الصلبة وخلصوا الى نتيجة فحواها ان الابعاد المقيسة باستعمال المجهر تشتمل على أخطاء محسوسة اذا كان قطر الدقيقة اقل من (٢) مايكرو متر . وهناك توصية معروفة لدائرة المواصفات والسيطرة البريطانية بعـدم استعمال المجاهر البصرية في تقدير ابعاد الدقائق التي تقل اقطارها عن (٨ و٠) مايكرو متر . وقد استخدم المجهر الالكتروني النفوذي في السنين الأخيرة للفحص المباشر للدقائق التي تتراوح اقطارها من (١) الى (٥) ما يكرو متر . والمجهر الالكتروني المسحي يمكنه فحص الدقائق الصلبة التي تصل اقطارها الى (٥) نانو متر .

(٥) طريقة الترسيب(١٠) Sedimentation Method وتعتمد هذه الطريقة على فرضية عدم حدوث تفاعل أو تداخل بين الدقائق المنتشرة في وسط من جهة وبينها وبين جزيئات الوسط من جهة اخرى . ويجب كذلك تفادي تكوين دقائق كبيرة من جراء تجمع الدقائق الصغيرة معاً . واستخدم ترسيب المساحيق الصلبة في المـاء لايجاد ابعـاد الدقائق التي تزيد اقطارها على (٣) مايكرو متر .

متساوي درجة الحرارة للامتزاز : Adsorption Isotherm

عندما تتعرض دقائق مادة صلبة موجودة في اناء مغلق الى غاز (أو بخار) عند ضغط ثابت تعمل دقائق المادة الصلبة على امتزاز جزيئات الغاز على سطحها الخارجي والداخلي . ويسبب هذا الامتزاز تناقص ضغط الغاز في

---

(9) K. S. W. Sing, Characterization of Catalysts, ed. J. M. Thomas and R. M. Lambert, Wiley, 1978, P. 11.

(10) S. J. Gregg and K. S. W. Sing, Adsarption, Surface Area and Porosity. Academic Press, 1967, P. 23 — 33.

الاناء وفي ازدياد وزن المادة الصلبة . وبعد انقضاء زمن قصير يثبت ضغط الغاز الباقي في الاناء ويثبت وزن المادة الصلبة ، ويقال عندئذ أن النظام بلغ حالة الاتزان ، ويسمى ضغط الغاز الباقي في الاناء عند بلوغ حالة الاتزان بضغط التوازن . ويمكن حساب مقدار الامتزاز الحاصل على سطح دقائق المادة الصلبة من تغير ضغط الغاز ومعرفة حجم الاناء ودرجة حرارة القياس باستعمال القانون العام للغازات . ويحسب مقدار الامتزاز عادة بدلالة حجم الغاز الممتز (او وزنه) على وحدة الوزن من المادة الصلبة . وجرت العادة ان تكون هذه الوحدة غراماً واحداً من المادة الصلبة . ويمكن متابعة عملية امتزاز الغاز على السطح الصلب عقب كل اضافة من الاضافات اللاحقة للغاز وحساب مقادير الغاز الممتز عند ضغوط اتزان مختلفة عند الدرجة الحرارية نفسها . والامتزاز على السطوح يكون على نوعين ، امتزاز فيزيائي Physical Adsorption وامتزاز كيميائي Chemisorption . والامتزاز الفيزيائي يحدث بتأثير قوى فاندرفالز Van der Weals Forces بين الدقائق الممتزة Adsorbates والسطح الماز Adsorbent .

اما الامتزاز الكيميائي فانه يؤدي الى تكوين اواصر كيميائية بين الجزيئات الممتزة وذرات السطح الصلب .

إن مقدار ما يحدث من الامتزاز X على كل غرام من المادة الصلبة يعتمد على ضغط التوازن P ودرجة حرارة القياس T وعلى طبيعة كل من المادة الممتزة والسطح الماز ، أي أن :

X دالة (المتغيرات : الضغط . درجة الحرارة ، الدقائق الممتزة ، السطح الماز)

ويُقاس مقدار الامتزاز X إما بوحدات الغرام او الملتر او السنتمتر المكعب (في الظروف القياسية) او المولات على الغرام الواحد من السطح الصلب . وبالنسبة لامتزاز غاز معين على سطح مادة صلبة معروفة بدرجة حرارة

ثابتة ، يكون X = دالة (الضغط) . وعندما يكون الغاز بدرجة حرارة اقل من الدرجة الحرجة Critical Temperature للغاز (أي عندما يكون بخاراً) يفضل أن نكتب العلاقة بين X والضغط على النحو الاتي :

X دالة (ضغط الغاز الى ضغط بخاره المشبع) . وعندما نرمز للضغط (الضغط المتوازن) بـ P ولضغط البخار المشبع بـ Po فان العلاقة بين مقدار الامتزاز X والضغط النسبي P/Po عند ثبوت درجة الحرارة هي :

$$X = f (P/po) \qquad (٢)$$

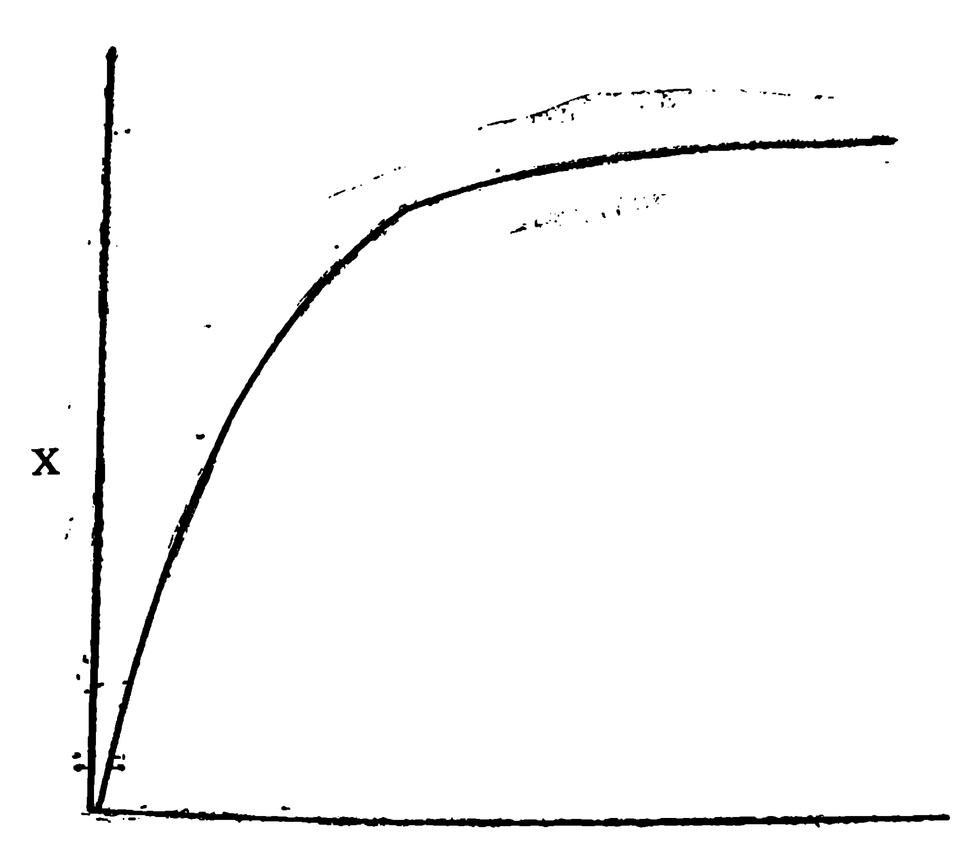
حيث يشير الرمز f الى الدالة . والمعادلة (٢) تمثل الصيغة الرياضية لمتساوي درجة الحرارة للامتزاز Adsorption Isotherm . ويجرى في العادة تمثيل متساوي درجة الحرارة للامتزاز بشكل بياني وذلك برسم قيم X المختلفة على المحور الصادي مقابل قيم الضغوط النسبية P/Po على المحور السيني ، فيكون البياني الحاصل بحسب نوع المادة الصلبة كما في الشكل (١)

أنواع متساوي درجة الحرارة للامتزاز :

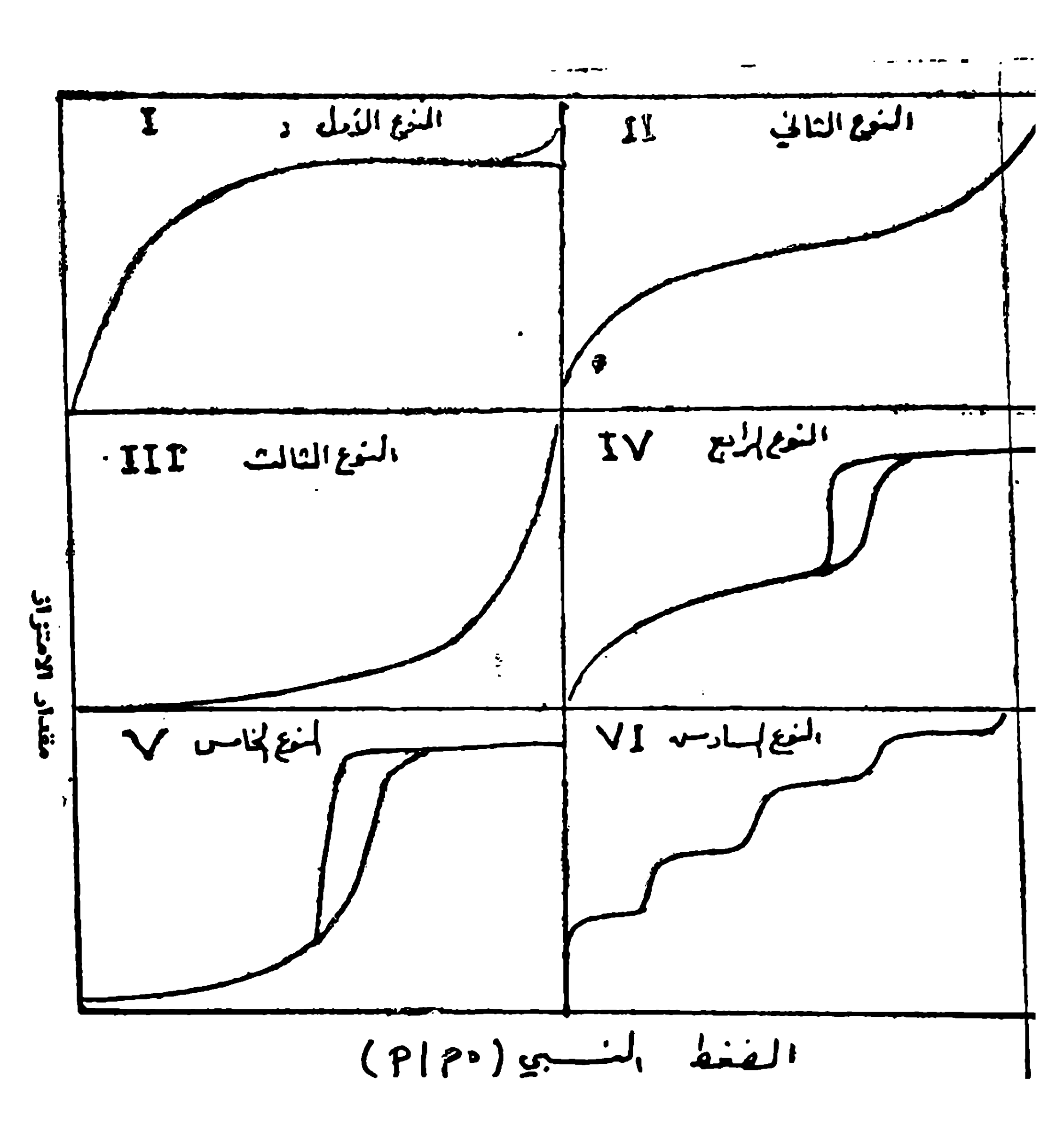
هناك ما يزيد على عشرة آلاف نوع من العلاقات البيانية التي تمثل متساوي درجة الحرارة لامتزاز الغازات المختلفة على المواد الصلبة . والغالبية العظمى من هذه الانواع تنجم عن الامتزاز الفيزيائي لجزيئات المواد على السطوح الصلبة . وقد صنف العلماء برونر و ديمنك و تيلر (١١) Brunauer - Deming - Teller الانواع الكثيرة من متساوي درجة الحرارة للامتزاز على ستة انواع رئيسة (الشكل ٢) . ويقترن هدا التصنيف اليوم

(11) S. Brunauer, P. H. Emmett and E. Teller, J. Amer. Chem. Soc., Chem. Soc., 62, 172 (1940).

(12) S. Brunauer, P. H. Emmett and E, Teller. J. Amer. Chem. Soc. 60, 309 (1938).



الشكل (١) ـ متساوى درجة الحرارة لامتزاز الغازات على المواد الصلبة .



الشكل (٢) ـ الأنواع الستة لمتساوي درجة الحرارة للامتزاز

بأسماء العلماء الثلاثة برونر وايميت وتيلر (١٢– ١٤)- Brunuaer - Emmett - Teller ويشتمل متساوي درجة الحرارة للامتزاز من الانواع : الاول (1) والرابع (1V) والخامس (V) في الشكل (٢) على ذيول اضافية تبدو واضحة في الضغوط النسبية العالية ، وهي مبينة في الشكل عــلى هيئة امتدادات ممثلة بخطوط منقطة ويشتمل النوع الرابع (1V)على منحنى التخلفية Hysteresis Loop اما النوع السادس (V1) فقد اكتشف في السنين الاخيرة ، ولم يرد بوضوح في تصنيف برونر وايميت وتيار الاصلي . وفيما يلي موجز بالانواع الستة من متساوي درجة الحرارة لامتزاز المواد على السطوح الصلبة .

١ – النوع الاول Type I – وينجــم عن ازدياد كميــة الامتزاز X مع الضغط النسبي بصورة شبه خطية وذلك في الضغوط النسبية الواطئة ثم لايلبث أن يتشبع السطح بالدقائق الممتزة ويقف عنده الامتزاز ، وهذا يتمثل بالجزء الافقي من المنحني الذي يبدو واضحاً في الضغوط النسبية المعتدلة والعالية . وامتزاز النوع الاول رجوعي Reversible في طبيعته ، ويبلغ مقدار الامتزاز (X)حده الاقصى (Xs) عندمايصبح P/Po = 1 . وقد يمتد متساوي درجة الحرارة في هذا النوع بصورة عمودية نحو الاعــلى وذلك في الضغوط النسبية العالية . وعند عدم ظهور مثل هذا الامتداد في الشكـل . يكافئ الحـــد الاقصى للامتـزاز (Xs) امتـزاز طبقة واحدة Monolayer Adsorption على السطح . ويخضع امتزاز الغازات والابخرة على سطوح الفحم المنشط أو على جل السايكا Silica Gel أو على الزيوليت Zeolite لمتساوي درجة الحرارة للامتزاز من النوع الاول (١٤) .

---

t(13) S. Brunauer, The Adsorption of Gases and Vapours, Oxford University Press (1944).

(14) R. M. Barrer, Zeolites and Clay Minerals, Academic Press, (1978), P. 174.

وهناك دلائل قاطعة الان على ان متساوي درجة الحرارة للامتزاز من النوع الاول يقترن بوجود مسام مجهرية دقيقة جـــداً في المادة الصلبة . ويمكن الحصول على سعة طبقة الامتزاز الاولى (Xm) على السطح الصلب من متساوي درجة الحرارة مباشرة أو برسم قيم P/X علىالمحور الصادي مقابل قيم P على المحور السيني ، فيكون ميل الخط الحاصل مساوياً $\frac{1}{Xm}$ ومنه يتم حساب المقدار Xm .

٢ – النوع الثاني Type II – و يكون شبيهاً الى حد كبير بالرمز اللاتيني سيجمـــا . ويُستحصل على هذا النوع من متساوي درجة الحرارة للامتزاز في حالة كون المادة صلبة غير مسامية أو عندما تكون مسامها عيانية . ويدل هذا النوع على حدوث امتزاز احادي الطبقة على السطح في الضغوط الواطئة بينما يصبح الامتزاز متعدد الطبقات في الضغوط العالية . ويمكن الحصول عـــلى سعة طبقة الامتزاز Monolayer Capacity من تطبيق معادلة برونر وايميت وتيلر (معادلة بي واي وتي) على المعلومات الكامنة في متساوي درجة الحرارة من النوع الثاني كما سنأتي الى شرح ذلك في موضوع لاحق . وسعة طبقة الامتزاز تمثل كمية الغاز الممتز على السطح الصلب بحيث تتكون طبقة جزيئية واحدة على السطح الصلب تكون فيها الجزيئات الممتزة في تماس تام مع بعضها البعض . ويمكن استخدام متساوي درجة الحرارة من النوع الثاني في ايجاد سعة طبقة الامتزاز بطريقة (١٥ – ١٦) النقطة ب

---

(15) P. H. Emmett and S. Brunauer, J. Amer. Chem. Soc., 59, 1553 (1937).

(16) D. M. Young and A. D. Crowell, Physical Adsorption of Gases, Butterworths, London (1962), P. 198.

Point B Methed ، حيث يتم مــد الخط ب ج في الشكل (٣) على استقامته حتى يلتقي بالمحور الصادي عند النقطة ا . أن كمية الامتزاز المناظرة النقطة ب تمثل عند ئذ سعة طبقة الامتزاز الاولى Xm على السطح . فالنقطة ب في الشكل (٣) تدل على اكتمال تكوين طبقة الامتزاز الاولى على السطح وبعد اكتمال هذه الطبقة يبدأ تكاثف الجزيئات الممتزة الجديدة على سطح جزيئات هذه الطبقة بعملية شبيهة بتكاثف جزيئات البخار لمادة لتكوين السائل . ويمكن تمثيل المقدار Xm بدلالة الوزن (الغرامات) أو بدلالة الحجم (السنتمترات المكعبة في الظروف القياسية) .

٣ – النوع الثالث Type III – وهذا النوع يكون عــلى شكل مقلوب النوع الأول . والمنحنى الحاصل في هذا النوع يسير بمحاذاة المحور السيني وعلى مقربة منه وذلك في الضغوط الواطئة والمعتدلة ثم لايلبث أن يتخذ وضعاً شبه عمودي في الضغوط النسبية العالية . أي أن العلاقة البيانية الخاصة بالنوع الثاني تشتمل على تقعر نحو محور الضغط النسبي P/Po ، ويعني هذا أن الامتزاز من هــذا النوع تعاوني Cooperative ، فكلمــا زاد عدد الجزيئات الممتزة على السطح ازداد احتمال امتزاز جزيئات اخرى على السطح . فالتجاذب الكهربائي بين جزيئات الغاز الممتز في هذا النوع من متساوي درجة الحرارة للامتزاز أكبر من التجاذب بين جزيئات الغاز والسطح الصلب ولاتشتمل هذه العلاقة البيانية على النقطة ب . وقد وجد ان امتزاز بخار الماء على الكربون الغرافيتي وعلى الكثير من المواد غير القطبية وعلى متعدد الاثيلين يخضع لهذا النوع من متساوي درجة الحرارة للامتزاز .

٤ – النوع الرابــع Type IV – والشكل البياني المناظر لهذا النــوع شبيه بالشكل البياني الخاص بالنوع الثاني . ويشتمل هذا النوع من متساوي

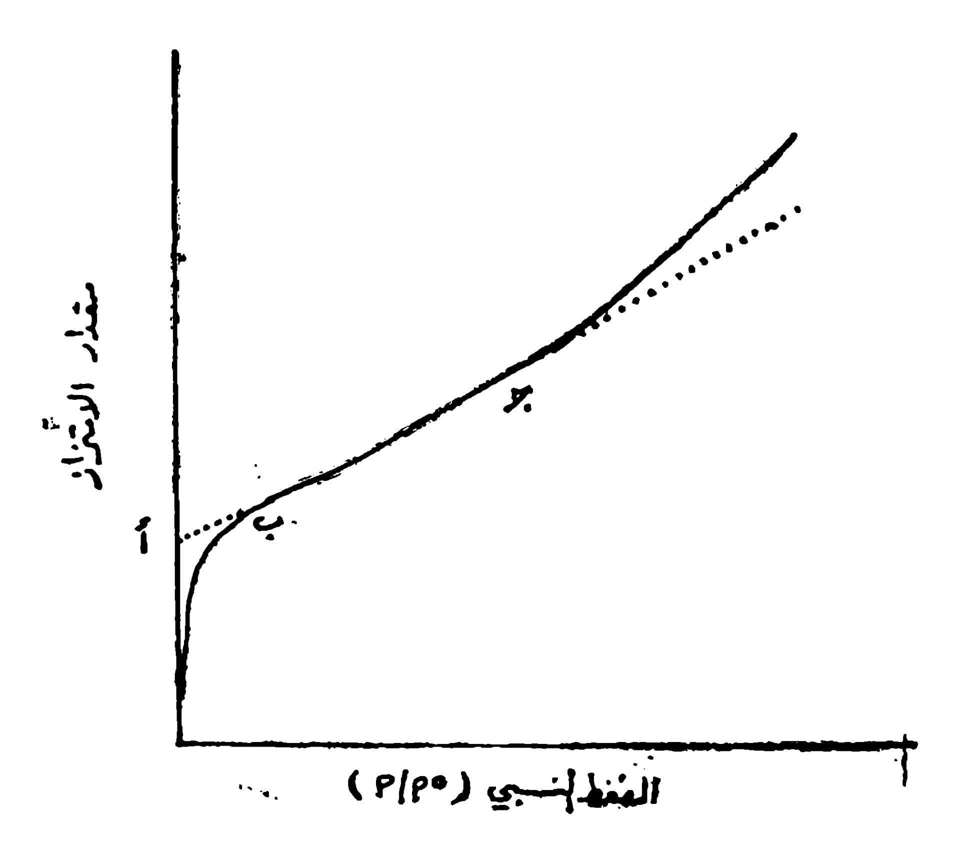
درجة الحـــرارة للامتزاز على منحنى التخلفيـــة Hysteresis Loop . فالجزء الاول من منحنى النوع الرابع المناظر للضغوط الواطئة والمعتدلة شبيه بمنحنى النوع الثاني . اما منحنى التخلفية الذي يلي هذا الجزء فانه يمثل تكاثف جزيئات الغاز الممتز في مسام المـــادة الصلبة بوصفها خطوة لاحقة عقب اكتساء جدران المسام بطبقةالامتزاز الاولى وبطبقـــات اخرى فوقها . ويستخدم منحنى التخلفيـــة في تقدير أبعاد المسام في المواد الصلبة وفي ايجاد توزيع احصائي للمسام بحسب تلك الابعاد . ويستخدم النوع الرابـــع في تقدير المساحة السطحية ودراسة مسامية المواد الصلبة وبصورةخاصة للمنتجات الصناعية .

٥ – النوع الخامس Type V – وهذا النوع غير شائع ، وهو يمثل اصعب انواع درجة الحرارة للامتزاز واعقدها . ولايمكن استخدام هذا النوع في تقدير المساحة السطحية وابعـــاد المسام بدقة كافية . ويمكن ايجاد المساحة السطحية لبعض السطوح الصلبة من متساوي درجة الحرارة للامتزاز بعد تطبيق معادلة بي واي وتي واستخدام طريقة النقطة ب. ولما كان السطح المراد تقديره في هذه الحالة سطحاً داخليـــاً مؤلفا من جدران المسام ، لذا لايمكن ايجاد المساحة السطحية بالطرق المجهرية التي كانت تُعَدُّ طرقاً مفيدة في ايجاد المساحة السطحية للمواد التي تخضع لمتساوي درجة الحرارة من النوع الثاني .

٦ – النوع السادس (١٧) Type VI – وهذا النوع هو نتيجـــة حدوث الامتزاز المتعدد الطبقات على بعض السطوح الصلبة بمراحل متعددة . ويظهر

---

(17) K. S. W. Sing, Spec. Per. Report ((Colloid Science)) Ed. D. H. Everett, 1, P. 1, The Chem. Soc. London (1973).



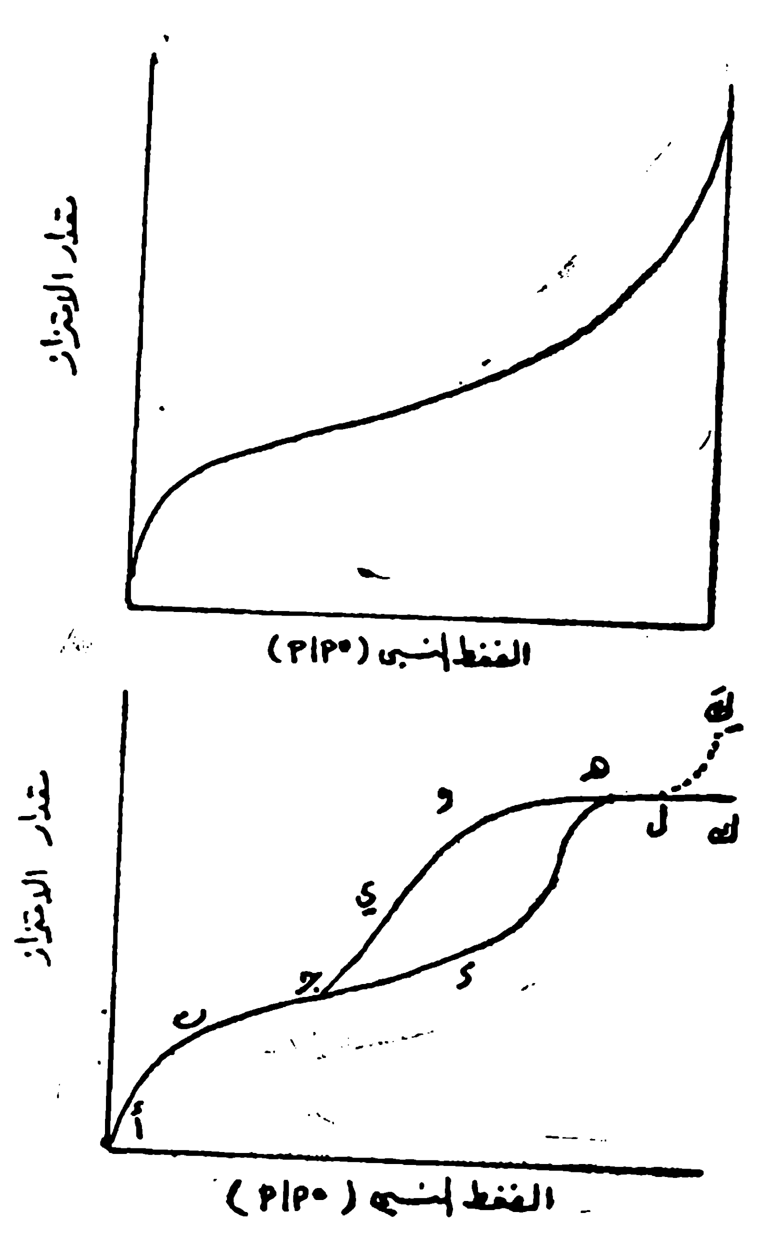
الشكل (٣) ـ طريقة النقطة (ب) لايجاد سعة طبقة الامتزاز الاولي .

هذا النوع من متساوي درجة الحرارة للامتزاز عند امتزاز بعض الغازات النبيلة كالارغون والكربتون على بعض السطوح المتجانسة . يكون المنحنى الحاصل في هذة الحالة على هيئَة سلالم ويمثل كل سُلَّم فيه اكتمال تكوين طبقة امتزاز واحدة على السطح او على سطح الجزيئات التي تحتها .

متساوى درجة الحرارة للامتزاز من النوع الرابع :

هناك شَبه كبير بين متساوي درجة الحرارة من النوع الرابع (IV) ومتساوي درجة الحرارة من النوع الثاني (II) . إذ أن كلا من النوعين يشتمل على نقطة التواء تظهر عند الضغوط النسبية الواطئة (الشكل ٤) . ويستمر متساوي الحرارة من النوع الثاني بعد ذلك بصورة منتظمة حتى يلتقي بالمحور العمودي الايمن عند قيمة $P/Po = 1$. أما متساوي درجة الحرارة للامتزاز من النوع الرابع فانه عقب اجتيازه نقطة الالتواء عند ب يستمر مقدار الامتزاز بالازدياد ببطء وانتظام لغاية النقطة جـ ، وعندها يتفرع المنحنى الى فرعين احدهما (الأسفل) وهو جـ د هـ والآخر (الاعلى) وهو هـ و ي ، حيث يلتقيان ثانية عند الوصول الى النقطة هـ وبذلك يتكون منحنى التخلفية جـ د هـ و ي (الشكل ٤) . والفرع جـ د هـ من منحنى التخلفية يسمى فَرع الامتزاز ويستحصل عليه عادة عند دراسة امتزاز المواد على السطوح الصلبة المسامية ، اما النوع هـ و ي فانه يدعى فرع الابتزاز ، وهو يحصل عند دراسة ابتزاز الغاز الممتز ثانية من السطح المسامي .

ويستمر المنحنى بعد بلوغ النقطة هـ بالامتداد الافقي لبلوغ النقطة ل وقد يستمر الخط هـ ل في سيره حتى يقطع المحور العمودي الايمن عند قيمة $p/po = 1$ وقد يمتد الخط عند النقطة ل نحو الاعلى لبلـــوغ النقطة كَ وبذا يقطع الخط (المنقط) ل ك المحور العمودي الايمن عند زاوية صغيرة .



الشكل (٤) ـ (أ) متساوي درجة الحرارة للامتزاز من النوع الثاني .
(ب) متساوي درجة الحرارة للامتزاز من النوع الرابع .

ويدل منحنى التخلفية ج د هـ و ي على أن مقدار الامتزاز الذي يحدث عند أية قيمة للضغط النسبي P/Po يكون اكبر على امتداد فرع الابتزاز هـ و ي منه على فرع الامتزاز ج د هـ . ومتساوي درجة الحرارة من النوع الرابع شائع جداً ويمكن الاستفادة منه في الحصول على السطوح النوعية للمواد الصلبة وفي الحصول على معلومات تخص توزيع أبعـــاد المسام في المواد الصلبة التي تتراوح أقطار مسامها من (١٠و٠) الى (١٠) انكسترومات ويمكن تلخيص اهم مزايا متساوي درجة الحرارة من النوع الرابع بما يأتي :

١ ـ الجزء أ ب ج من المنحنى في الشكل (٤) يقترن بتكوين طبقة جزيئية واحدة على جـــدران المسام ، وهذة العملية رجوعية ولاتشتمل على تكوين منحنى التخلفية . ويكتمل تكوين طبقة جزيئية واحدة على سطح المادة الصلبة عند بلوغ النقطة ج .

٢ ـ يبدأ تكوين طبقات الامتزاز التالية فوق طبقة الامتزاز الاولى وذلك عقب اجتياز النقطة ج على امتداد الفرع ج د هـ . ويستمر تكاثف الغاز الممتز داخل المسام على هيئة سائل . وتكون المسام قد امتلأت تمـــاماً بالسائل عنـــد الوصول الى هـ .

٣ ـ والجزء هـ ل من المنحنى في الشكل (٤) يدل عل حدوث امتزاز اضافي خارج المسام وخارج الحبيبات البلورية ، وتحدث هذه العملية ببطء كبير ؛

٤ ـ والآن اذا زيد سحب السائل المتكاثف من مسام المادة الصلبة فان العملية تسير عندئذ وفق المنحنى هـ و ي .

٥ ـ ان ظهور الفرع ل كَ في متساوي درجة الحرارة للامتزاز على بعض المواد الصلبة يدل على تكاثف جزيئات الغاز في المسام العيانية الكبيرة او على حدوث التكاثف بين الحبيبات البلورية للمادة الصلبة .

والامثلة على خضوع الامتزاز لمتساوي درجة الحرارة من النوع الرابع كثيرة ومتنوعة (١٨ ــ ٢٠) نذكر منها امتزاز $CF_2\ Cl_2$ عــلى الكربون الاسود وامتزاز البيوتان عــلى الغرافيت وامتزاز الارغون على الكربون وامتزاز النتروجين على الكثير من المواد المصنعة والانسجة والتبوغ

الطرائق العملية للحصول على متساوي درجة الحرارة :

لغرض الحصول على متساوي درجة الحرارة لامتزاز غاز على مادة صلبة لابد من تنقية سطح المادة الصلبة جيداً وذلك قبل اجراء أية دراسة عليه . ويتطلب هذا ازالة طبقات الاوكسيد وطبقات الغازات الممتزة من سطح المادة الصلبة . ويمكن تحقيق ذلك بوضع المادة الصلبة في اناء زجاجي (او معدني) يرتبط بنظام تفريــغ Vacuum System ، ثم يجري طرد الهواء والغازات من الاناء والمادة بالتفريغ الى ضغوط واطئة تصل الى (١٠ــ^{٦}) ملمتر زئبق ويسخن الاناء والمادة الصلبة الموجودة فيه الى حوالي (٣٠٠) درجة مئوية اثناء عملية التفريغ . والمواد الصلبة التي تشتمل عــلى مسام مجهرية تحتاج الى تسخين أشد لغرض تخليصها من طبقات الاوكسيد التي تغطي سطوحها الداخلية والخارجية ، ولذا فانه يفضل تسخينها الى (٤٠٠ ــ ٥٠٠) درجة مئوية اثناء عملية التفريغ . ويتم الحفاظ على نظافة المادة الصلبة ونقاوتها عقب عمليتي التفريغ والتسخين بتبريد اناء مجاور للاناء الذي يحتوي على المادة الصلبة الى درجة ٧٧ كلفن لغرض تكثيف بعض الابخرة والغازات فيه ومنع وصولها الى الاناء الذي يحتوي على المادة الصلبة .

---

(18) A. V. Kiselev, The Structure and Properties of Porous Materials, Butterworths, London (1958) P. 128.

(19) P. C. Carmen and F. A. Raal, Proc. Roy. Soc., 209 A, 59 (1951).

(20) R. M. Rarrer and E. Strachan, Proc. Roy. Soc., 231 A, 52 (1955).

تستخدم الطريقة الحجمية Volumetric Method عادة لغرض الحصول على متساوي درجة الحرارة لامتزاز النتروجين بدرجة ٧٧ كلفن . وتبدأ دراسة الامتزاز عقب تنقية سطح المادة الصلبة من طبقات الاكاسيد وغيرها بعمليتي التفريغ والتسخين . يضاف حجم معلوم من النتروجين الى الاناء الذي يحتوي على المادة الصلبة والذي يحفظ بدرجة ٧٧ كلفن اثناء عملية الامتزاز . يقاس مقدار التغير في ضغط غاز النتروجين نتيجة الامتزاز ويحسب من هذا التغير مقدار النتروجين الممتز على سطح المادة الصلبة بدرجة ٧٧ كلفن . تستمر اضافات النتروجين على دفعات صغيرة ويقاس مقدار الامتزاز بعد كل اضافة . تستخدم هذه المعلومات في حساب مقدار الامتزاز X عند قيم مختلفة من الضغط النسبي المتوازن لغاز النتروجين؛ وترسم بعد ذلك قيم X مقابل الضغط النسبي P/Po فيستحصل بذلك على البياني الذي يمثل متساوي درجة الحرارة لامتزاز النتروجين على المادة الصلبة بدرجة ٧٧ كلفن

واستعملت الطريقة الوزنية (٢٢) Gravimetric Method لغرض الحصول على متساوي درجة الحرارة لامتزاز الغازات على المواد الصلبة . وتشتمل العملية هنا على تقدير كمية الامتزاز بدلالة الوزن . ولما كان الامتزاز على سطح مادة صلبة يكون مصحوباً بحدوث تغير طفيف في وزن المادة الصلبة استلزمت العملية استخدام موازين مجهرية Microbalances وأصبح بالامكان في يومنا هذا متابعة عمليات الامتزاز على السطوح الصلبة بالطريقةالوزنية باستخدام أجهزة تضم موازين في منتهى الضبط والدقة ولها قدرة تحسس بالتغيرات الطفيفة في وزن المادة الصلبة اثناء عملية الامتزاز .

---

(21) R. Haul and G. Dürbgen, Chem. Ing. Techn., 32, 349 (1960); 35, 586 (1963).

(22) A. G. Foster, Proc. Roy. Soc., 147 A, 128 (1934).

وتستخدم كذلك طريقة الرسم الغازي اللوني(٢٣)- Gas Chromatographic Method لدراسة عمليات الامتزاز على المواد الصلبة وفي الحصول على متساوي درجة الحرارة للامتزاز . وتفيد هذه الطريقة في دراسة المواد الصلبة التي تمتاز بمساحات سطحيـــة صغيرة . والطريقة المسعرية Calorimetric Method تستخدم اليوم ايضاً في دراسة الامتزاز وفي الحصول على متساوي درجة الحرارة للامتزاز على سطوح المواد الصلبة . وقد صممت انواع مختلفة من المساعر المجهرية Micro Calorimeters لتحقيق هذه الاغراض .

ميزان الوزن لدراسة المساحة السطحية والمسامية :

لنفرض ان جزيئات غاز النتروجين أمكن رصها على مساحة (١) سنتمتر مربع من سطح مادة صلبة بدرجة ٧٧ كلفن. ان وزن جزيئات النتروجين اللازمة لتحقيق هذا الغرض بقدر بـ (٢٫٨ × ١٠—^٨) غرام . ويفترض هنا ان يكون الرص في طبقة جزيئية واحدة بمستوى أفقي بحيث لا تقع اية جزيئة فوق جزيئة اخرى . ان رص (١) مايكرو غرام من غاز النتروجين بهذه الدرجة الحرارية نفسها في طبقة جزيئية واجدة يتطلب مساحة سطحية تقدر بـ (٣٥) سنتمتراً مربعاً . ولو استبدل النتروجين بغاز الارغون لبلغت المساحة التي يشغلها (١) مايكرو غرام من الغاز (٢٤) سنتمتراً مربعاً . إن نفس هذا الوزن من البنزين يغطى بدرجة ٢٩٨ كلفن مساحة (٣٠) سنتمتراً مربعاً ، وعلى هذا الاساس يصبح بالامكان دراسة متساوي درجة الحرارة للامتزاز

(23) F. M. Nelsen and F. T. Eggertsen, Anal. Chem. 30, 1387 (1958).

(24) A. C. Zettlemoyer, G. J. Young, J. J. Chessick and F. H. Hecley, J. Phys. Chem., 57, 649 (1953).

من تغيرات وزن الغاز الممتز على سطح المادة الصلبة بالاعتماد على ميزان مجهري Microbalance تـكون حساسيتـه في مــدى المايكروغرام اذا كـــانت المساحة السطحية للمادة الصلبة بحدود (٤٠٠) سنتمتر مربع . وهناك انواع كثيرة من الموازين المجهرية التي تفي بمستازمات مثل هذه الدراسة . يسمى الميزان الذي يستخدم لقياس وزن الغاز الممتز بميزان الفراغ Vacuum Balance

ولغرض قياس سعة طبقة الامتزاز وايجاد السطح النوعي وتوزيع أبعاد وانماط المسام في المواد الصلبة يستعمل في العادة الميزان المجهري الفائق (٢٥ـ٢٨) Ultramicrobalance . والجهاز الذي يشتمل عــلى الميزان يمــكن أن يعمل بصورة ذاتية ، ويمكن للتجارب المراد اجراؤها ان تبرمج مسبقاً ، فيتم تسجيل وزن المادة الممتزة وضغط الغاز في الجهاز ودرجة الحرارة وغيرها من المتغيرات لحظة فلحظة على أجهزة خاصة مرتبطة بالجهاز . يمكن باستعمال الجهاز المشتمل على الميزان متابعة عمليتي الامتزاز والابتزاز على المواد الصلبة من تغيرات الوزن ، ويتم قياس الضغط بواسطة ميزان طفو Buoyancy Balance وقيـــاس درجـــة الحرارة بواسطة محرار الضغط البخاري . ويفيد هذا الجهاز في متابعة عملية تنظيف وتنقية النماذج الصلبة المستعملة في الدراسة من الغازات الذائبة فيهـــا وذلك بمتابعة تغيرات الوزن اثناء عملية التنظيف والتنقية . ويفيد الجهاز في الاستدلال على ثبات المواد الصلبة وعلى عدم تضررها بعملية التسخين والتنقية من معلومات تغيرات الوزن التي

---

(25) M. J. Katz (Ed.), Vacuum Microbalance Techniques. Plenum Press 1 (1961); 2 (1962); 3 (1963).

(26) E. A. Gulbransen, Rev. Sci. Instrum. 15, 201 (1944).

(27) E. P. Bowden and W. R. Throssell, Proc. Roy. Soc., 209 A, 297 (1951).

(28) A. W. Czanderna and J. M. Honig, Anal. Chem., 29, 120 (1957).

يسجلها الجهاز . ويمكن دراسة امتزاز الغازات على انواع مختلفة من المواد الصلبة لغرض ايجاد المساحة السطحية ودرجة المسامية والكثير من الخصائص الاخرى . والمواد التي يمكن دراستها في مثل هذا الجهاز كثيرة نذكر منها مواد البناء المتنوعة والعوامل المساعدة والمواد المصنعة والانسجة والاصباغ واللواصق والاتربة والاملاح والسمنت وغيرها . ويمكن باستخدام الجهاز المعروف باسم غرافيمات (٢٩ — ٣٠) Gravimat قياس سطح المادة الصلبة التي تقدر مساحته بـ (١٠) سنتمترات مربعة فاكثر لانه حساسية الميزان المستعمل في الجهاز تصل الى (٠,١) مايكرو غرام .

يشتمل جهاز الغرافيمات على ميزان مجهري خارق كالمغناطيس سعته إما (٢,٥) غرام أو (٢٥) غرام وتبلغ حساسيته (٠,١) أو (١) مايكروغرام . وتجري ملاحظة ازاحة ذراع الميزان باستعمال محول تفاضلي - Differential Transformer ويتحكم هذا الكاشف في تيار مباشر يسرى خلال ملف يرتبط بذراع الميزان ويمكن به اعادة الذراع الى موضع قريب من الصفر في مجال مغناطيسي دائم . ويفيد التيار المباشر في قياس التغير الذي يحدث في الوزن اثناء الامتزاز . وهناك ميزان ثان في الجهاز مجهز ببالون زجاجي يعمل كمقياس طفو لغرض قياس الضغط والتحكم فيه في مدى من (١٠—٦) الى (٧٦٠) ملمتر زئبق . تبدأ دراسة الامتزاز على مراحل بدءاً بالضغط الواطيء (١٠—٦ ملمتر زئبق) وينتهي عند بلوغ الضغط الى (٧٦٠) ملمتر زئبق تقريباً . وعملية الابتزاز تكون معكوس عملية الامتزاز . فهي تبدأ عند ضغط (٧٦٠) ملمتر زئبق تقريباً وتنتهي باخلاء الجهاز من الغاز الممتز على المادة الصلبة وبلوغ ضغط يصل الى (١٠—٦) ملمتر زئبق .

(29) T. Gast, Z. angew. Phyik, 8, 167 (1956).

(30) T. Gast, Vakuum Technik, 14, 41 (1965).

تقدير المساحة السطحية للمواد الصلبة :

توصل العلماء الثلاثة برونر وايميت وتيلر (١٢)- Brunauer - Emmett - Teller من خلال تطوير معادلة لنكماير (٣١) Langmuir وافتراض تحقيق التوازن بين عمليتي الامتزاز والابتزاز على سطوح المواد الصلبة الى معـــادلتهم المشهورة التي تعرف بالاسم نفسه (معادلة بي واي وتي BET) (٢، ٣٢–٣٤) والتي تكتب عادة بصيغ مختلفة نذكر منها الصيغة المشهورة الاتية

$$\frac{P}{X(Po-P)} = \frac{1}{Xm\ C} + \frac{C-1}{Xm\ C}\ \frac{P}{Po} \qquad (٣)$$

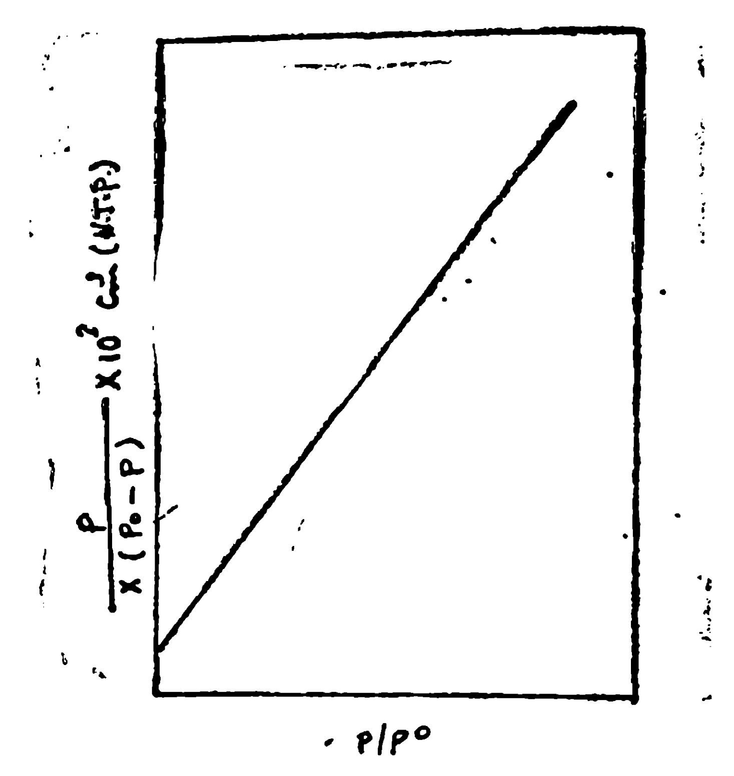
حيث يمثل X مقدار الامتزاز الذي يحدث عند بلوغ الضغط النسبي المتوازن $\frac{P}{Po}$ و Xm هو سعة طبقة الامتزاز الاولى على السطح و C ثابت يشتمل على حرارة امتزاز q طبقة الامتزاز الاولى وعلى حرارة اسالة(L)الغاز الممتز في طبقات الامتزاز الاخرى وفقاً للمعادلة :

$$C = \exp[(q - L)/RT] \qquad (٤)$$

وتنطوي هذه المعادلة على ضرورة تحقيق علاقة خطية بين المقدار $\frac{P}{X(Po-P)}$ وقيم الضغط النسبي P/Po كما في الشكل (٥) . والعلاقة الخطية هذه تتحقق عملياً على مدى قيم الضغط النسبي P/Po التي تمتد من (٠,٠٥) الى (٠,٣) ويتـــم الحصول على قيمتي Xm و C في المعـــادلة (٣) من ميل ومقطع العلاقة الخطية الحاصلة . فاذا كانت المساحة التي تشغلها جزيئيـــة الغاز الممتز (النتروجين مثلا) على السطح هي A امكن حساب السطح النوعي S للمادة الصلبة من العلاقة (٣٤) :

$$S = \frac{Xm}{M} NA(10^{-20}) \qquad (٥)$$

حيث M هو الوزن الجزيئي للغاز الممتز و N عدد افوكادرو . وتكون وحدة السطح النوعي هي المتر المربع للغرام الواحد عند التعبير عن كل من Xm و M



الشكل (٥) ـ طريقة بي واي وتي لايجاد المساحة السطحية .

بوحدات الوزن نفسها (الغرام عادة) وعن A بالانكستروم المربع .

أما اذا كان Xm بدلالة عدد السنتمترات المكعبة (في الظروف القياسية) من الغاز الممتز ، فان المعادلة (٥) تتحول الى الصيغة الاتية :

$$S = \frac{Xm}{22414} N A (10^{-20}) \qquad (٦)$$

وتبلغ قيمة A بالنسبة لجزيئة غاز النتروجين ١٦,٢ انكستروماً مربعاً (او ٠,١٦٢ نانومتر مربعاً) بدرجة ٧٧ كلفن .

وتشير القيم العالية للثابت C (في المعادلة ٣) اما الى تكوين طبقة امتزاز احادية موقعية على سطح المادة الصلبة او الى الامتلاء التـــام للمسام المجهرية في المادة الصلبة بالغاز المتكاثف . والمعلوم ان نظرية بي وإي وتي لا تتطرق الى موضوع امتلاء المسام المجهرية بالغاز المتكاثف لذا وجب ان يشتمل الامتزاز للنقطة ب على هذه المساهمة فضلا عن تكوين طبقة الامتزاز الاولى على السطح . وعلى اي حال ، فان تقدير قيمة C من معادلة بي وإي وتي (المعادلة ٣) امر مهم جداً بجانب استخلاص قيمة Xm . ولغرض حساب قيمة A يمكن الاستعانة بالعلاقة :

$$A = f \left(\frac{M}{PN} \right)_{10}^{16} \qquad (٧)$$

حيث f هو عامل رص الجزيئات الممتزة (وتبلغ قيمته ١,٠٩١) على السطح ، و P كثافة الغاز الممتز . وعندما تكون قيمة C مساوية الواحد الصحيح يصبح q مساوياً L (المعادلة ٤) ، اي أن حرارة الامتزاز q في طبقة الامتزاز الاولى تكون مساوية حرارة الاسالة L لجزيئات الغاز الممتز على الطبقات الأخرى .

---

(31) I. Langmuir, J. Amer. Chem. Soc., 38, 2221 (1916).
(32) J. H. de Boer, The Dynamical Character of Adsorption, Oxford University Press, London (1953), P. 61.
(34) P. H. Emmett and S. Brunauer, J. Amer. Chem. Soc., 59, 1553 (1937).

وعندما يكون C مساوياً(٢) تكون قيمة q أكبر من قيمة L بمقدار يعتمد على درجة الحرارة . ففي درجة الحرارة(٣٠٠) كلفن يكون q اكبر من L بحوالي (٢) كيلو جول للمول الواحد .

تقدير ابعاد المسام في المواد الصلبة :

اهتم الباحثون في العشرين سنة الاخيرة بالخصائص الامتزازية للمواد الصلبة المسامية بحيث أصبحت طريقة امتزاز الغازات على سطوح مثل هذه المواد احسن السبل لدراسة أبعاد واشكال وتراكيب المسام في هذه المواد . والمعلوم أن تكاثف الغاز الممتز في المسام العيانية يحدث عادة عند القيم العالية للضغط النسبي P/Po (القيم القريبة من الواحد الصحيح) . أما تكاثف الغاز في المسام المتوسطة فانه يحدث عند القيم المتوسطة للضغط النسبي . ويمكن استخدام معادلة كلفن (٣٥) Kelvin Equation في دراسة المسام العيانية والمتوسطة في المواد الصلبة المسامية ، ويمكن كتابة هذه المعادلة في أحيان كثيرة على النحو الاتي (٣٥) .

$$\ln (P/Po) = \frac{-\gamma \; V_L}{r_K \; RT} \qquad (٨)$$

حيث يرتبط الضغط النسبي P/Po الذي يحدث عنده تكاثف الغاز الممتز في المسام بالمقدار r_K الذي يمثل نصف قطر السطح المتقعر للسائل المتكاثف في المسام وأن γ و V_L هما على التوالي الشد السطحي والحجم المولي للغاز المتكاثف. R ثابت الغاز ، T درجة حرارة القياس . والواقع أن المقدار r_K يكون بمثابة نصف القطر التقريبي للمسم الاسطواني الشكل . وتفيد المعادلة (٨) في حساب قيمة r_L عند أية قيمة للضغط النسبي P/Po . فاذا أخذنا البنزين بدرجة (٢٠) مئوية مثالا حيث الشد السطحي γ يبلغ (٢٨,٩)

داين على السنتمتر والحجم المولى V_L يقدر بـ (٨٩,٢) سنتمتر مكعب للمول الواحد ، وباستعمال قيمـــة R (= ٨,٣١ × ١٠^٧ ارك للمول للدرجـــة) و T (٢٩٣ كلفن) نجد بالاعتماد على المعادلة (٨) ان تكاثف البنزين بصـــورة سائل في المسام التي يبلغ قطرها (٥٠) انكستروم r_K = ٥٠ ×١٠^٨ سنتمتر) يتحقق فقط عندما يصبح الضغط النسبي P/Po بحـــدود ٠,٦٦ . واذا كان نصف قطر المسم (٥٠٠)أنكستروم فان تكاثف البنزين في المسامات يحدث عند P/Po = ٠,٩٦ . واذا اصبح نصف القطر بحدود (٥٠٠٠) انكستروم فان التكاثف يتم عندما يصل الضغط النسبي الى ٩٩٦و٠ .وعندما يصبـــح نصف قطر المسم كبيراً جداً الى حـــد يمكن مشاهدته بالعين المجردة فان التكاثف في المسامات يتحقق فقط عندما يصبح الضغط بقدر الضغط البخاري المشبع تقريباً . فاذا كـــان القطر بحدود (١٠—٦) سنتمتر فان الضغط النسبي الذي يحدث عنده التكاثف يقدر بـ ٠,٩٩٩٩ . وتدل هذه النتائج على أن تكاثف جزيئات الغـــاز الممتز في المسام الدقيقة للمادة الصلبة يمكن أن يحدث في الضغوط النسبية الواطئة او المعتدلة للغاز ، والجزء الايسر من منحنى التخلفية (أي فرع الابتزاز من المنحنى) في الشكل (٤) تعبير لعملية التكاثف .

ويمكن ايجـــاد نصف القطر الحقيقي r_P للمسام في المـــادة الصلبة (بافتراض أن المسام اسطوانيـــة في اشكالها) من نصف القطر التقريبي r_K باستخدام العلاقة —

$$r_P - r_K + t \qquad (٩)$$

وبادخال هذه العلاقة في المعادلة (٨) نحصل على المعادلة الاتية :

$$r_P = \frac{2 \gamma \, V_L}{RT \ln (P/Po)} + t \qquad (١٠)$$

(35) W. T. Thomson, Phil. Mag., 42, 448 (1871).

و t يمثل هذه المعادلة عامل التصحيح لسمك طبقة الامتزاز . والاسلوب المتبع حاليا لتقدير قيمة t يتلخص في ايجاد متساوي درجة الحرارة لامتزاز الغاز نفسه عــلى مادة مرجع reference غير مسامية تمتلك مساحة سطحية مقاربة لمساحة سطح المادة المسامية قيــد الدراسة ، وبذا تكون طبقة الامتزاز في الحالتين بالسمك والمقدار نفسيهما . ويتم ايجاد قيمة طبقة الامتزاز الاولى Xm على مادة المرجع من تطبيقات معادلة بي وإي وتي على معلومات الامتزاز على سطح المادة . يتم بعد ذلك تحويل مقدار الامتزاز X على مادة المرجع عند اي ضغط نسبي الى عامل تصحيح السمك t باستخدام العــلاقة –

$$t = (X / X_m)\,\sigma \qquad (١١)$$

أو أن :

$$t = n\sigma \qquad (١٢)$$

ويمثل σ هنا معدل سمك طبقة امتزاز واحدة على سطح المادة الصلبة (الشكل ٦) و n عدد الطبقات الجزيئية المتكونة على السطح . ويفترض هنا أن يكون رص الجزيئات في طبقة الامتزاز على شكل سداسي الاضلاع Hexagonal . وقد كانت قيمة σ المقدرة بهذه الطريقة بالنسبة لغاز النتروجين ٣,٥ × ١٠ —⁸ سنتمتراً أو (٣,٥) انكستروم .

وقد اشار العالمان ويلر (٣٦) wheeler وهــالي (٣٧) Halsey الى معادلة انسب وادق لحساب قيمة t والتي تكتب على النحو الاتي :

$$t = \sigma \left[\frac{5}{2.303 \log (P_o/P)}\right]^{1/3} \qquad (١٣)$$

حيث σ = ٠,٣٥٤ نانو متر بالنسبة لغاز النتروجين . ويبين الجدول (١) قيم t ، rK ، rP بالنسبة لامتزاز غاز النتروجين على السطوح الصلبة وقــد حسبت باستخدام المعادلات (٨) ، (٩) على التوالي .

(36) A. Wheeler, Catalysis, Vol. II, P. 118, Reinhald, New York (1959).

الجدول (١) – قيم t , r_K , r_P بالنسبة لغاز النتروجين بدرجة ٧٧ كلفن على سطوح المواد الصلبة في الضغوط النسبية المختلفة للغاز .

P/Po	t (انكستروم)	r_K (انكستروم)	r_P (انكستروم)
٠,٩٨	٢٢,١	٤٨١	٥٠٣
٠,٩٧	١٩,١	٣١١	٣٣٠
٠,٩٥	١٦,٣	١٨٥	٢٠١
٠,٩٢	١٣,٧	١١٤,٤	١٣٨,١
٠,٩٠	١٢,٧	٩٠,٦	١٠٣,٣
٠,٨٧	١١,٥	٦٨,٦	٨٠,١
٠,٨٥	١١,—	٥٨,٢	٦٩,٢
٠,٨٢	١٠,٣	٤٧,٩	٥٨,٢
٠,٨٠	٩,٨	٤٢,٧	٥٢,٥
٠,٧٥	٩,—	٣٣,٢	٤٢,٢
٠,٧٠	٨,٥	٢٦,٧	٣٥,٢
٠,٦٥	٧,٩	٢٢,١	٣٠,٠
٠,٦٠	٧,٥	١٨,٧	٢٦,٢
٠,٥٠	٦,٨	١٣,٨	٢٠,٦
٠,٤٠	٦,٢	١٠,٤	٠٦,٦
٠,٣٠	٥,٦	٧,٩	١٣,٥

(37) G. D. Halsey, J. Chem. Phys., 16, 931 (1948).

دراسة انماط المسام في المواد الصلبة :

يلاحظ في متساوي درجة الحرارة للامتزاز من النوع الرابع (الشكل ٤) أن المنحنى يتفرع عند ضغط نسبي معين الى فرعين ثم لا يلبث أن يلتقي الفرعان ثانية عند قيمة أعلى للضغط النسبي . تسمى هذه الظاهرة بـ « تخلفية الامتزاز » Adsorption Hystersis وأن المنحنى المتكون في هذه العملية يسمى « منحنى التخلفية » Hysteresis Loop . وهنـــاك ثلاثة أنواع من منحنى التخلفيـــة (الشكل ٧) وهي تصف ثلاثة انماط مهمـــة من المسام التي تشتمل عليها المواد الصلبة .

١ – المسام الانبوبية او الاسطوانيـــة (٣٨) (منحنى التخلفية من النـــوع أ) يدل منحنى التخلفية من النوع (أ) على تكاثف الغاز الممتز في مسام شبيهـــة بأنابيب أو اسطوانات مفتوحة النهايات ويكون امتلاء المسام بالغـــاز المتكاثف مصحوباً بتكوين سطح متقعر (أو متحدب) عند نهايتي كل مسم . ويحدث هذا عند قيم اعلى للضغط النسبي في حالة الامتزاز مما في حالة الابتزاز .

٢ – المسام المحصورة بين الالواح والصفائـــح المتوازية (٣٩) ، (منحنى التخلفية من النوع ب) – لاحظ الشكل ٧ – .

ويظهر مثل هذا النمط من منحنى التخلفية عندما تكون المسام عـــلى هيئة شقوق أو فتحات Slit - Shaped محصورة بين الألواح أو الصفائح المتوازية .

---

(37) J. H. de Boer, The Structure and Properties of Porous Materials, P. 68, Butterworths, London (1958).

(38) L. H. Cohan, J. Amer. Chem. Soc., 60, 433 (1938).

(39) R. M. Barrer and D. M. Macleod, Trans. Faraday Soc., 50, 980 (1954).

(40) E. O. Kraemer in H. S. Tayler's ((A Treatise on Physical Chemistry)) P. 1661, McMillan, New York (1931).

٣ – المسام الشبيهـة بقناني الحبر (٤٠) (منحنى التخلفية من النوع جـ) كما في الشكل (٧) .

ويتألف فرع الابتزاز من منحنى التخلفية من جزئين أحدهماأفقي ويظهر عند الضغوط النسبية العالية والاخر عمـودي تقريباً ويحدث في الضغوط المعتدلة . ويدل منحنى التخلفية من النوع جـ على تكاثف الغاز الممتز في مسام عـلى هيئة قناني الحبرInk Bottles حيث يمتلك كل مسم جسماً واسعاً ورقبة ضيقة (الشكل ٨) .

وتفترض نظرية قنينة الحبر أن الغاز المتكاثف في المسم يتم حصره في جسم المسم حتى ينخفض الضغط النسبي الى الحد الذي يستطيع السائل المتكاثف عنده التبخر من خلال عنق القنينة . والابتزاز الحاد المناظر للجزء العمودي من فرع الابتزاز في منحنى التخلفية يدل على انطلاق الغاز من جميع اجزاء المسم عند قيم الضغط النسبي المناظرة الى نصف قطر عنق المسامة .

توزيع ابعاد المسام (٣٦ – ٤١) :

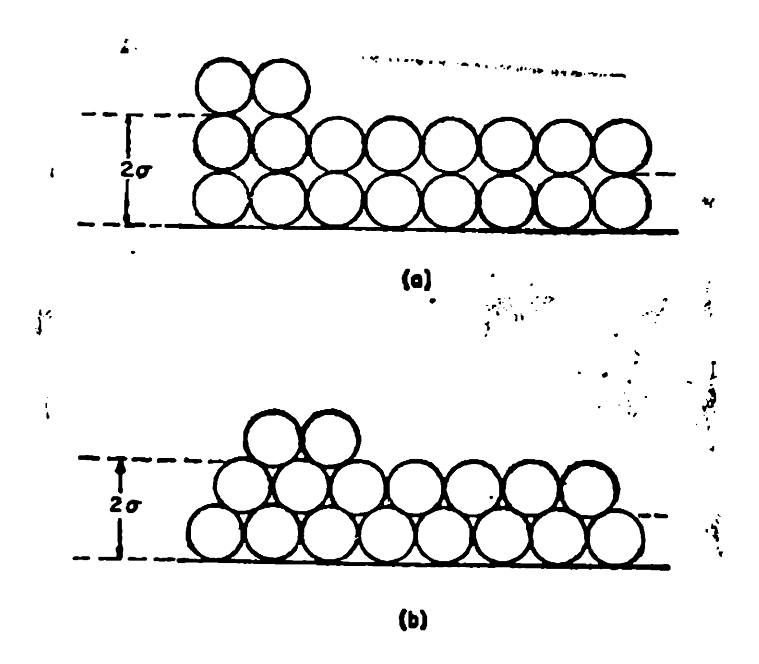
يمكن ايجاد نصف قطر r مسم اسطواني الشكل من معرفة حجـم المسم V_p وسـطحه الداخـلي S_I باستخـدام العلاقـة –

$$r = \frac{2\,V_p}{S_I} \qquad (١٤)$$

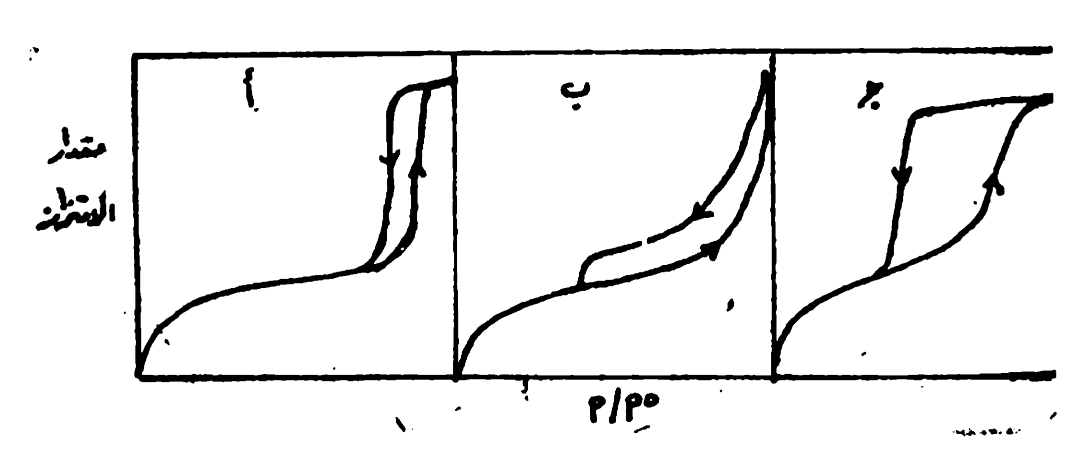
فاذا كان S_I = (١٠^٦) سنتمتر مربع للغرام الواحد و V_p=٠,٠٥ سنتمتر مكعب للغرام الواحد تكون قيمة r =(١٠) انكستروم . وعندما يكون S_I= (٥٠٠) سنتمترمربع للغرام الواحد و V_p = (٠,١) سنتمتر مكعبللغرام الواحد فان r = (١٠٠٠) انكستروم .

ولغرض ايجاد طريقة ادق لمعرفة ابعاد المسامات ، يتم الحصول على قيمة المشتقة dV_p/dr كدالة للمقدار V_p أو كدالة للمقدار r فاذا كان متساوي

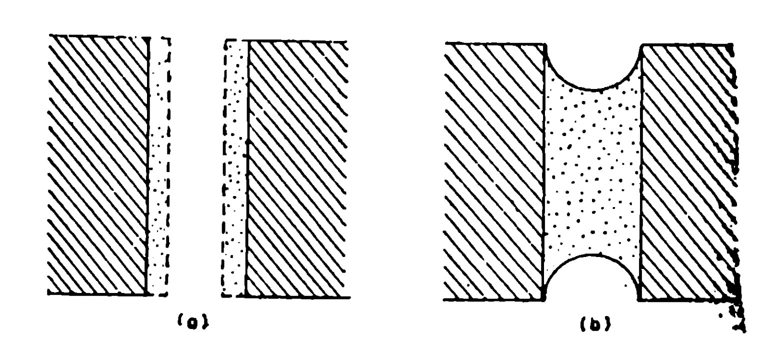
(41) S. J. Gregg and K. S. W. Sing, Adsorption, Surface Area and Porosity, Academic Press (1967), P. 160 — 183.



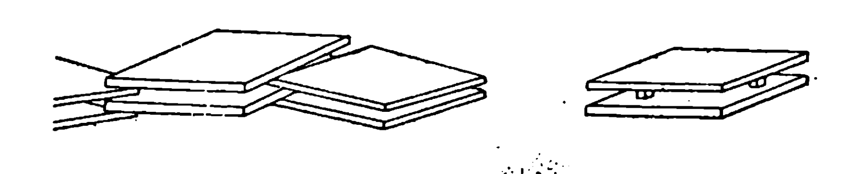
الشكل (٦) ـ رص الجزيئات في طبقات الامتزاز على سطح صلب ويمثل المقدار σ معدل سمك طبقة امتزاز واحـدة .



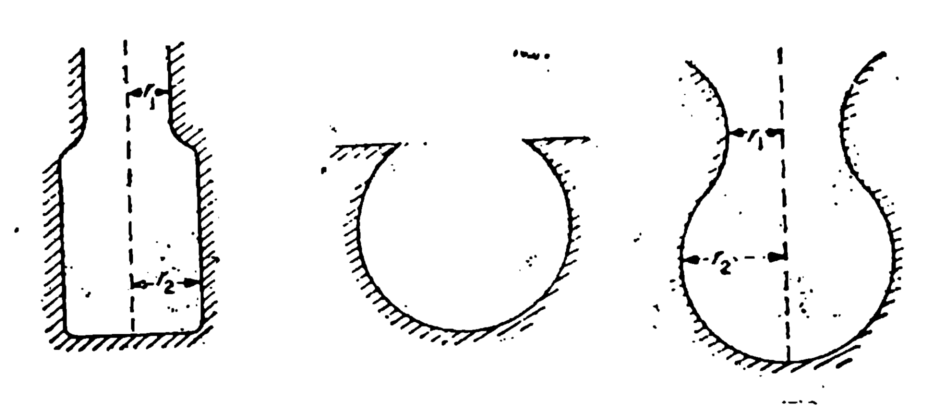
الشكل (٧) ـ ثلاثة انواع من منحنى التخلفية .



(أ) مسامات أسطوانية الشكل.



ب ـ مسامات رنتحات محصورة بين ألواح أو صفائح .



حـ ـ مسام شبيهة بقناني الحبر :

الشكل (٨) ـ ثلاثة أنواع من المسام في المواد الصلبة

درجة الحرارة للامتزاز على المـــادة الصلبة من النوع الرابع وأن المسام اسطوانية الشكل فانه يتم حساب أنصاف اقطـــار r المسام من معادلة كلفن الاتية : —

$$r = \frac{-2 M \gamma}{P\ RT \ln(P/Po)} \qquad (١٥)$$

حيث P كثافة الغاز و M وزنه الجزئي . ويتماستحداث منحنى توزيع ابعاد المسام على النحو الآتي :

أ — يتم اختيار نقاطمعينة على فرع الابتزاز من منحنـــى التخلفية لمتساوي درجة الحرارة من النوع الرابع (الشكل ٤ ب) . تستخرج قيم P/Po (على المحور السيني) المناظرة للنقاط التي وقع عليها الاختيار .

ب — تعوض قيم P/Po الحاصلة في الخطوة (أ) في المعادلة (١٥) لحساب أنصاف اقطار(r) المسام .

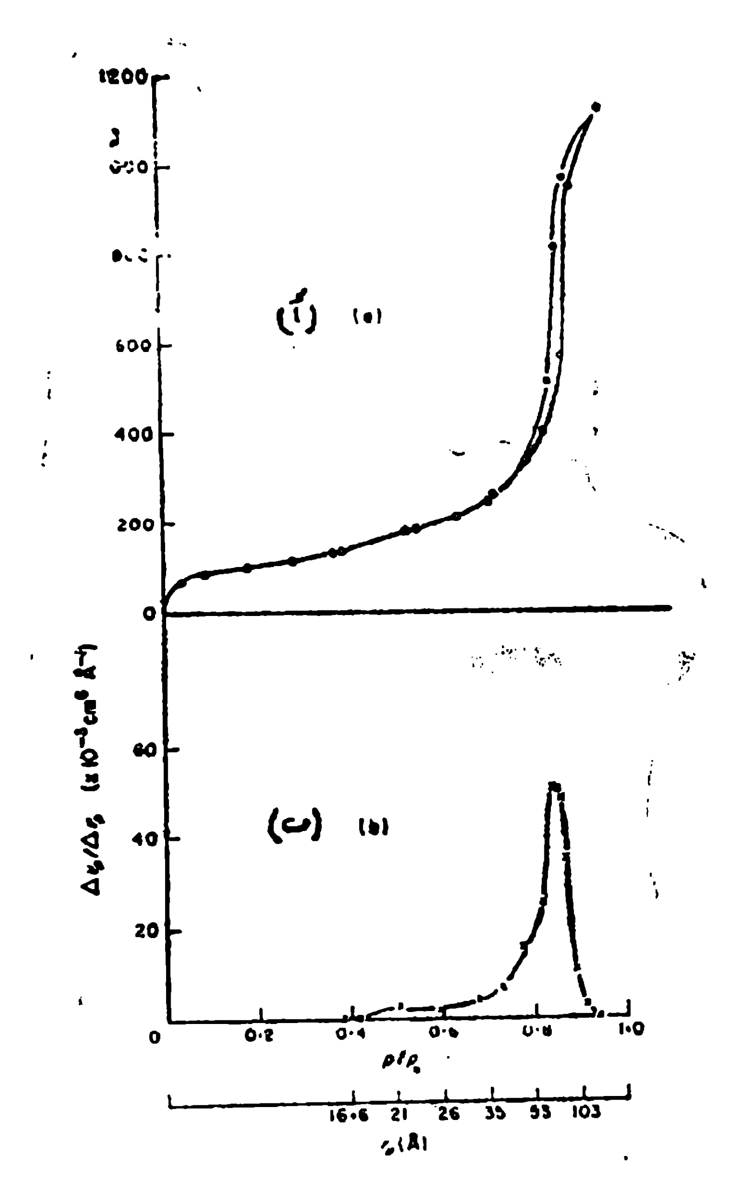
ج — يتم حساب مقادير الامتزاز X المختلفة المناظرة للنقاط التي ذكرت في الخطوة (أ) وتحسب منها قيم Vr حيث Vr يمثل هنا الحجم الكلي للمسم التي يبلغ نصف قطره r وذلك من العلاقة : —

$$Vr = X/P \qquad (١٦)$$

حيث (P) كثافة الغاز المتكاثف في المسامات .

د — ترسم علاقة بيانية من قيم Vr على المحور الصادي مقابل قيم r على المحور السيني، ويستحصل من الرسم على منحنى توزيع الحجوم والابعاد المسامية . يتم اختيار نقاط على المنحنى ويرسم مماس للمنحنى في كل نقطة من هذه النقاط ويستخرج ميل كل مماس والذي يساوي dVr/dr .

هـ — ترسم القيم المختلفة للمشتقة dVr/dr على المحور الصادي مقابل قيم r على المحور السيني كما في الشكل (٩) الذي يبين توزيـــع أبعاد المسام في مادة الالومينا :



الشكل (٩) ـ (أ) متساوى درجة الحرارة لامتزاز النتروجين على الالومينا بدرجة ٧٧ كلفن .

(ب) ـ توزيع أبعاد المسامات في مادة الالومينا .

البحوث والدراسات الجارية في القطر :

إن دراسة الطبيعة المسامية للمواد الصلبة مهمة جداً لغرض معرفة الكثير من الخصائص الفيزيائية والكيميائية لهذه المواد . فالطبيعة المسامية للاتربة تؤثر في قابليتها في امتصاص المياه والامــلاح وفي مدى ملاءمة التربة للزراعة أو لغيرها من الاغراض . والطبيعية المسامية للانسجة الصوفية والقطنية وغيرها تسهم في تحديد قدرة هذه الانسجة على اختيار وتقبل الاصباغ ، وتؤثر كذلك في متانة هذه الانسجة وفي مقدار تحملها لعمليات الغسل والتجفيف اثناء الاستعال . والمسام الموجودة في اوراق التبــغ تفيد في امتصاص الماء والمواد الاخرى ، وإن زيادة قدرة هذه الاوراق على امتصاص الماء تساعد على تقليل نسبة التلف خلال عمليات الخزن وفي مراحل التصنيــع والتعبئة . ان معرفة انماط المسام الموجودة في اوراق التبغ تفيد ايضاً في اختيار انواع المواد التي يمكن أن تضاف الى التبغ لاغراض التحسين وزيادة الجودة ، ومواد البناء على اختلاف انواعها تحتاج الى دراسة مستفيضة لطبيعة مساميتها من اجل معرفة متانتها وقدرتها على تقبل الماء والاصباغ وغيرها من المواد المضافة .

تستورد القطاعات الانتاجية في القطر كميات هائلة من انواع العوامل المساعدة Catalysts لغرض تيسير عمليات التصنيع المختلفة ، ولاتتوفر في الوقت الحاضر وسائل للسيطرة والتحكم في مواصفات هــذه المواد المستوردة . إن الطبيعة المسامية للعوامل المساعدة تؤثر بشكل مباشر في فعالية هــذه المواد وفي عمر استعمالها . وتفقد هذه المواد قسماً كبيراً من فعاليتها نتيجة الاستعمال ، فهي تحتاج الى عمليات تنشيط واعادة تقدير للمساحة السطحية ودرجة المسامية للتأكد من اهليتها للاستعمال ثانية .

ويستورد القطر كذلك الوف الاطنان من الاصباغ العضوية وغير العضوية سنوياً . ويتم اختيار هذه الاصباغ عادة بالاعتماد على المواصفات التي تعلنها

الشركات المنتجة . وهناك حاجة ماسة الان للتأكد من هذه المواصفات ولا سيما المساحة السطحية والطبيعية والمسامية . واللدائن بانواعها المختلفة ولا سيما المنتجة منها محلياً تتطلب التحكم في مواصفاتها وخصائصها المسامية . والمعادن المستعملة بانواعها واشكالها المختلفة تحتاج هي الاخرى الى دراسة متينة للمساحة السطحية والصفات المسامية وغيرها من الخصائص لغرض اعداد المواصفات الاصولية الخاصة بها من اجل ربط هذه المواصفات بمجالات استعمالها وباساليب العمل بها في الحياة اليومية وفي عمليات الانتاج والتصنيع المختلفة .

ويتوفر الآن مختبر متخصص في قسم الكيمياء بكلية العلوم في جامعة بغداد يتولى القيام بمثل هذه القياسات والدراسات . وهو يضم جهاز الغرافيمات Gravimat من طراز (٤٣٠٣) الحديث مع كامـــل ملحقاته (الشـــكل ١٠) ويمكن برمجة هذا الجهاز للعمل بصورة تلقائية لانجاز عمليات الحصول على معلومات دقيقة تخص المساحة السطحية والخصائص المسامية لانواع مختلفة من المواد الصلبة . ويقوم المختبر حالياً باجراء مثل هذه الدراسات على الانماط الاتية من المواد الصلبة .

١ – العوامل المساعدة المستعملة في :

أ – تحضير حامض الكبريتيك المستعمل لاغراض صناعه الحرير الصناعي .

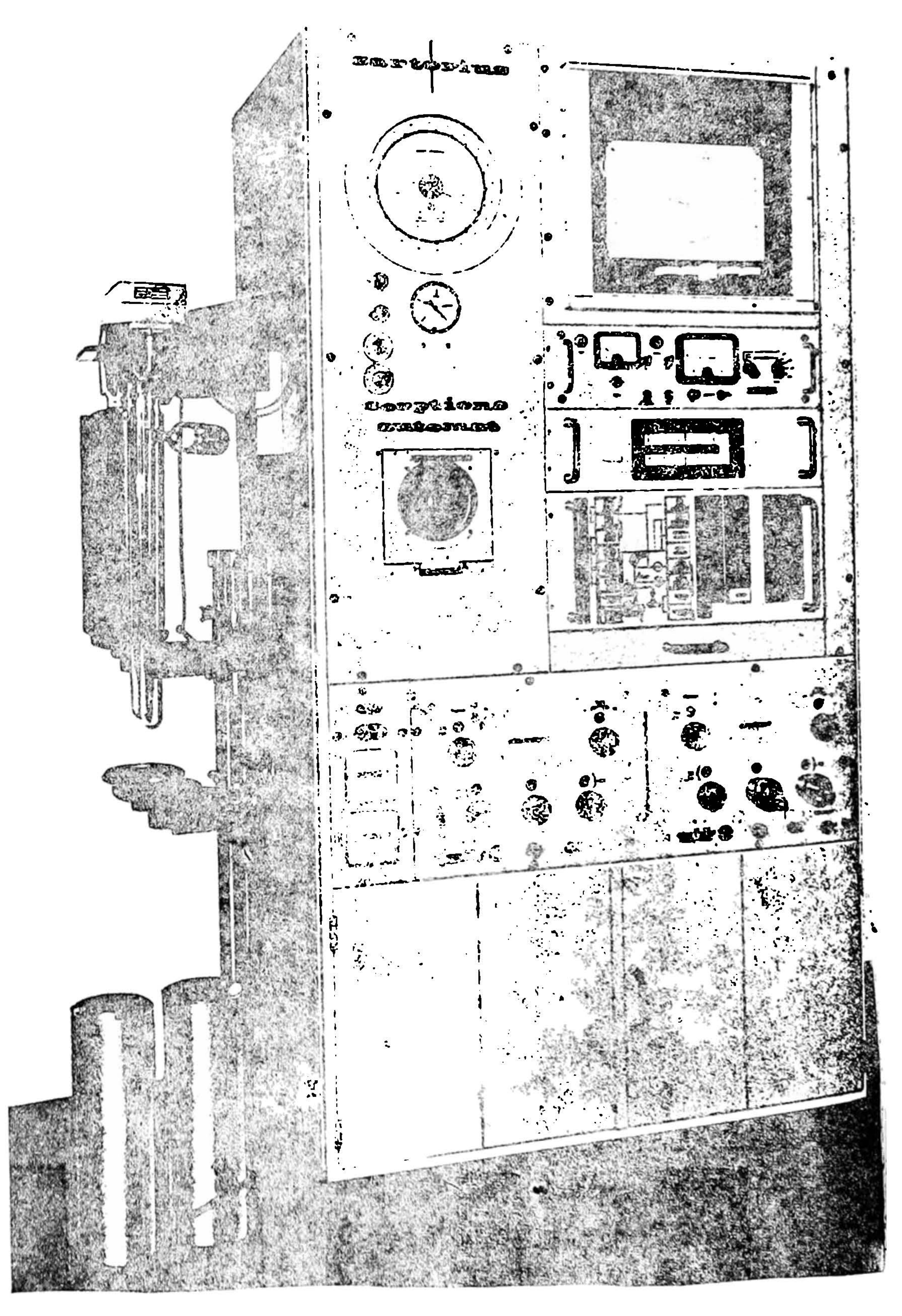
ب – تحضير الامونيا لاغراض صناعة الاسمدة .

ج – تيسير عمليات التجزئة والتكرير والتصفية في مصافي النفط .

٢ – انواع الكاؤولين والاتربة من المناطق المختلفة في بغداد ومن خارج بغداد .

٣ – بعض المنتجات الصناعية المحلية .

ويؤمل توسيع آفاق هذه الدراسات لتشمل مواد البناء بانواعها المختلفة وانواع التبوغ العراقية والاصباغ واللدائن وغيرها .



الشكل (١٠) ـ صورة لجهاز الفرافيمات الذي يستخدم لدراسة المساحة السطحية والمسامية في المواد الصلبة .

عبدالله بن هَمّام السَلولي

حياته وما تبقى من شعره

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

لعل من أبرز ما يميز الشاعر عبدالله بن همام السلولي هو احساسه بالتعبير عن هموم الآخرين والتزامه بالحديث عن سوء معاملة العمال للناس وجرأته في مواجهة المواقف الصعبة وولاؤه الصادق للبيت الأموي الذي اثار عليه حفيظة الخارجين والذين كانوا يضمرون لهذا البيت الحقد والحسد والضغينة .. وقد كلفه هذا الموقف نقداً جارحاً وتعرضاً لمواقف حرجة واستطاع أن يحدّد لنفسه منهجاً شعرياً تميّز بقدرته على التعبير ، وجودته في الأداء عن الكوامن والوقوف على المواطن التي كانت تمس احساس الجمهور الذي يشعر بوطأة المعاملة وقسوة الظالمين من العمال وهم يجورون بالأحكام ويستمرئون تعذيب الآخرين .. وكانت أبياته صورة ترفع الى الخلفاء ليقتصّوا من اولئك الذين أساؤوا الى الدولة وأفسدوا ذمم الناس ، وهيأوا الأجواء المناسبة لاستثارة الحاقدين ، وتذرّع الناقمين ، انها الصوت الشعري الذي أولى هذا الجانب ما يستحق وألزم نفسه بما يراه كفيلاً لبيان صدقه في الولاء الى الدولة من خلال كشفه عن أعمال هذه الفئات ، وتشخيصه اسماءَهم ، وتشهيره بهم على رؤوس الأشهاد على الرغم من كونهم محسوبين على الحكم الأموي ... ولم تكن ظاهرة الشاعر عبدالله بن هَمّام

فريدة وانما هي امتداد لتوجه شعري واضح يعكس نمط الشعور الذي ألفه العربي ، وصورة الاحساس التي وجد نفسه عليها وهو يتحمل أعباء التزامات انسانية لم تترك له حرية الاختيار بين السكوت والتعبير ، أو الانصراف عن المشكلات وهو يراها قائمة ، والابتعاد عن هموم الناس وهو يتلمسها حادّة عنيفة فكان عليه أن يعطي هذا الجانب حجمه ، وهو يشعر بارتياح واطمئنان . وكانت شكوى الشعراء ترفع ـ وبصوت مدوي ـ عن معاملة بعض العمال والولاة والأمراء لتصرفهم غير المقبول ، واستغلال مناصبهم ، وكانت دعوى الشعراء صريحة لمعاقبتهم ، وتجريدهم من مهماتهم ولعلّ أبيات يزيد بن الصعق الى عمر بن الخطاب (رضي) التي تؤكد فيها هذه المحاسبة خير دليل على الدعوة التي أكدتها هذه الروح والتزم بها الشعراء وحملوا أنفسهم على مواجهة الظالمين[1] . ولم يمنعهم احساسهم من التصريح بأسماء المقصرين والمواضع التي قصروا فيها بحزمهم والحجج الكفيلة بادانتهم وكانت أصداء تلك القصائد تجد أهميتها في أعمال الخليفة ليقاسم الذين ذُكرت أسماؤهم شطر أموالهم[2] . وتأتي أشعار عبدالله بن همّام وهو يهجو فيها عامر بن مسعود والي الكوفة ، ويذكر فيها بعض عماله الذين أسرفوا في معاداة الرعية ومالوا الى الخيانة تعد صرخة من صرخات الشعراء الذين وظفوا الشعر للتعبير عن احساس المظلومين الذين أطبقت عليهم سطوة الحاكمين وحرمتهم من أبسط حقوقهم المشروعة .. وجندوا طاقاته لايقاف الجائرين عن ممارسة هذا الدور التعسفي واشعار المسؤولين بأعمال هؤلاء الذين سلمت اليهم أحوال الرعية ، وترك لهم حق التصرف في شؤونهم فأساؤوا السيرة .. ولم يكن عبدالله بعيداً عن الدولة أو معادياً لها وانما هو رجل له جاه

---

(١) تنظر الابيات في البلاذري . فتوح البلدان ٥٤١ ، ٥٤٢ والاصابة ٢/٢٩٦.
(٢) البلاذري . فتوح البلدان ٥٤٢ ـ ٥٤٣ .

عند السلطان ، ووُصْلَة به ، وكان سريّاً في نفسه له همة تسمو به ، وكان عند آل حرب مكيناً ، حظيّاً فيهم ، وكان الذي حَدَا يزيد بن مُعاوية على البيعة لابنه مُعاوية بن يزيد : أن عبدالله بن هَمّام السّلولي قام الى يزيد ابن مُعاوية فأنشده شعراً رثى فيه معاوية بن أبي سفيان وحَضّه على البيعة لابنه معاوية[٣] فبايع الناس ، وحين يسمع أحداً ينال من عثمان بن عفان (رض) يغضب ويثور . وفي حادثة أبي عمرة (صاحب شرطة المختار) وكيف علاه بالسوط دلالة على صدق انتمائه الذي عُرف به الشاعر وصدق المبدأ الذي ألزم به نفسه[٤] . وفي اعتزاله عند ظهور المختار حتى استأمن له عبدالله بن شداد وما تعرّض له في مجلسه لولا اجارة ابن الاشتر[٥] وتحذير المختار وهو يقول .. وويل لابن هَمّام اللعين[٦] .. تتحقق المواقف المتباعدة من حيث المصادر والمتقاربة من حيث التوجه وتحدّد الطرف الذي يقف فيه الشاعر من حركة المختار ، فهو عثماني الهوى كما وصفه البلاذري[٧] . ويمكن ان نقول في مديحه للمختار انه كان مديحاً سياسياً ، وقد وجد الفرصة مواتية حين استأمن له عبدالله بن شداد وأن الظرف السياسي يدعوه الى هذا الموقف ، وفي تعليق المختار على القصيدة بعد انتهائها ما يثير بعض التساؤلات وهو يقول لأصحابه .. قد اثنى عليكم كما تسمعون وقد أحسن الثناء عليكم ، فأحسنوا الجزاء ، ثم قام المختار وقال لأصحابه .. لا تبرحوا حتى أخرج اليكم .. ان احجام المختار عن اكرامه وتركه في المجلس يوحي

---

(٣) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ٥٩٣/٢ والجاحظ . البيان والتبيين ٣٨٣/١ .
(٤) تاريخ الطبري ٣٥/٦ .
(٥) البلاذري . أنساب الاشراف ٢٣٠/٥ .
(٦) البلاذري . انساب الاشراف ٢٣٥/٥ .
(٧) البلاذري . انساب الاشراف ٢٣٠/٥ .

بأكثر من مسألة ، واذا تابعنا الحوار الذي جرى في هذه الجلسة ، وما انتهت اليه بعد أن رفع يزيد بن أنس السوط وطلب من ابن شميط أن يضربه بالسيف لولا ابراهيم بن الاشتر الذي أجاره . ان هذه الصورة تكشف عن عدم رضا المختار عن الشاعر ــ على الرغم من قصيدته التي قالها ــ ولما خرج المختار وهو يسمع لغطهم وقد تواثبوا على الشاعر كانت مقولته تدل على ما يضمره له .. « واتقوا لسان الشاعر فانّ شرّه حاضر ، وقوله فاجر ، وسعيه بائر ، وهو بكم غداً غادر »[٨] .

ان هذه النظرة وطريقة الحوار وما شابه من ألفاظ تنبىء بالكوامن التي كانت تخالج فكر المختار وتغتلي في قلوب أصحابه وتجدّد طبيعة العلاقة غير الطبيعية بين الشاعر وبين اولئك الخصوم وما يضمرونه حتى بعد قول القصيدة وكأنهم كانوا يتربصون به للانتقام ويتضح هذا في قولهم .. أفلا نقتله ... فالشاعر سياسي ، أخذ نهجه في الذي ارتضاه ، واتخذ من شعره الوسيلة التي يدافع فيها عن فكره ويعرّض بها من خلال هجائه لكل الذين حاولوا أن يكونوا في المواقف المناهضة لفكره والمناقضة لما الزم به حياته ولم يمنعه هذا من مخاطبة الولاة بما يراه مناسباً للمخاطبة بعد أن باعوا الطعام واقتسموا جلب الخراج واستعانوا بوسائل التزوير التي تبيح لهم أعمالهم بعد أن استمرأوا الخيانة ، وقد حدد اماكنهم في الكوفة واصبهان ونهاوند وامتلأت خزائنهم وأصبحوا من أهل الخيل والابل بعد أن جاؤوا وهم لا يملكون ما يركبونه ، وان السياط ستحملهم على الاعتراف بما اقترفوا ليعيدوا الى الدولة ما سرقوه من أموال وحلل[٩] .

ان جرأته في المقارعة ، وصراحته في مواجهة الخصوم كانت تبدو واضحة

(٨) تاريخ الطبري ٦/٣٥ ــ ٣٧ وينظر انساب الاشراف ٥/٢٣٠ .
(٩) تنظر القصيدة رقم (٢٧) .

في كثير من مواقفه وهو يكيل الشتائم لخصومه ويسخر منهم في قصائده[١٠] وقد تركته حالته هذه هدفاً لاولئك الذين وجدوا في لسانه سوطاً يلهب ظهورهم وصحيفة تنشر فضائحهم وتكشف عن آثامهم بحق من ائتمنوا عليهم[١١] . وكانت مراثيه لمعاوية تنم عن ولائه المطلق ، واقترن ذكر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) في شعره بالشهيد[١٢] ، وأظهر تفجّعه لمقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي) فيالاشهرالحرم[١٣] وكيف ضرجت أثوابه بالدم. وتتوزع قصائده بين الممدوحين من آل أبي سفيان وبين اولئك الذين وقفوا الى جانبه عند الشدة ، ودفعوا عنه أذى الغاضبين الذين تلهبهم عباراته ويؤذيهم هجاؤه ، واتسمت مدائحه باخلاصه لهذا البيت ، ودعوته الى التمسك بالخلافة ، وتحريضه على توريثها بين الابناء والاحفاد ، وحصرها بينهم ، وتحذيره لهم من الخصوم الذين يتربصون بهم[١٤] . وتتردد في قصائده مفردات الاحساس بالتهيّب والتوجس من السعاية مثل (واش) و (ساع) و (الخيانة) و (الاثم) و (يحرض) و (يؤلب) و (يفتري) وهي مفردات توحي بحالة الشاعر النفسية القلقة ، وصورة التشكيك التي يراها في وجوه الآخرين ، ولجاجة السعاية التي تأخذ بخناق عباراته ، وهي تلاحق حركة الوشاة ، الذين يعجزون عن مواجهته ، وتكشف القصة التي رواها ابن قتيبة والقالي بشأن الرجل الذي وشى به زياد وأبياته التي جابهه بها ، واعجاب زياد بجوابه ، واقصاؤه الواشي الذي لم يقبل منه ، عن حجّة الشاعر في الرد وصراحته في المواجهة[١٥] .

ان المقطعات التي توحي باقتطاعها من قصائد والابيات المفردة التي

---

(١٠) تنظر القطعة رقم (٨) .
(١١) تنظر القصيدة رقم (٩) .
(١٢) تنظر القصيدة رقم (٧) .
(١٣) تنظر القصيدة رقم (٢٥) .
(١٤) تنظر القصيدة رقم (٣٠) .
(١٥) تنظر القصيدة رقم (٣٦) .

وقفنا عندها من خلال استشهاد سريع تؤكد نفس الشاعر وهو يجول في ميدان الشعر ليقدم شعراً متميزاً في عبارته ، محكماً في نسجه وتسلسل معانيه ، يمكن أن يأخذ مكانته في صفوف الشعراء المتقدمين مع أن ابن سلام قد صنفه في الطبقة الخامسة مع أبي زبيد الطائي والعجير السلولي ونقيع بن لقيط الاسدي[١٦] .

وتأتي أخباره متباعدة ، فهو كما يذكر صاحب السمط شاعر اسلامي قديم أدرك معاوية وبقي الى أيام سليمان أو بعده[١٧] (حكم من سنة ٩٦ ـ ٩٩) وألحقه صاحب الخزانة بالتابعين ، وقال : وكانت له صحبة[١٨] ، وكنيته أبو عبدالرحمن[١٩] ، وعدّه اليغموري من فصحاء الكوفة الاثنين ومن فصحاء العرب الأربعة[٢٠] ، وتبقى حياته التي لم يعرض لها في شعره بعيدة عن التناول ، خارجة على اطار الاحداث السياسية التي عاصرها أو خاض غمارها أو اكتوى بلهبها . ويبدو ان اقامته كانت في الكوفة كما تدل أخباره وعلاقاته بولاة هذه المدينة وان أكثر الاحداث التي ارّخ لها كانت وقائعها في الكوفة وربما حملت هذه الاقامة الطويلة بعض الرواة على اعتباره من فصحاء الكوفة ، وكان يقال له من حسن شعره (العطار)[٢١] . وقيل لقب بذلك لحسن شعره[٢٢] . وقد وجد الشاعر في أيام قومه من هوازن مجالاً للفخر ، وميداناً يتطاول به عند المناظرة ، كما

---

(١٦) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ٥٩٣/٢ .
(١٧) ينظر سمط اللآلي ٦٨٣/٢ .
(١٨) البغدادي . خزانة الأدب ٦٣٩/٣ والشعر والشعراء ٦٥١/٢ .
(١٩) ابن حبيب . كنى الشعراء ومن غلبت عليه كنيته ٢٩٠ (نوادر المخطوطات)
(٢٠) اليغموري . نور القبس المختصر من المقتبس ٢٣٦ .
(٢١) البغدادي . خزانة الادب ٦٣٨/٣ .
(٢٢) ابن حبيب . القاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه ٣١١/٢ (نوادر المخطوطات) .

وجد في أيامهم التي سجلوا فيها المآثر مجداً يعتز به ، وسجلاً من المحامد يغرف من بطولاته ما يُعينه على ردّ اولئك الذين كانوا يضمرون له الكيد ، ويهيئون له أسباب القتل ، أما خؤولته لبني أمية فكانت هي الاخرى موضع ابائه ومرتكز اعتداده بما ظل يردده في مديح الأمويين وينفرد صاحب العقد الفريد برواية عن خطبته لامرأة ولكنه لم يتزوجها ويذكر أربعة أبيات يسجل فيها هذا الحدث(٢٣) ..

وعبدالله بن هَمّام ، سلولي من بني مُرّة بن صعصعة من قيس عيلان ، وبنو مرة ـ كما يذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء(٢٤) ـ يُعرفون ببني سلول لأنها أمهم وهي بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة(٢٥) ، وقد فرّق استاذنا الكريم المحقق حمد الجاسر بن قبيلة سلول هذه وبين سميّتها القبيلة القحطانية المنسوبة الى سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ..(٢٦) ، وأسهب في تحديد منازل سلول من هوازن ، وهي تتجاوز فيها فروع القبيلة ، وكانت بنو سلول تَحلّ الجزء الغربي الجنوبي منها ، وهو فروع الأودية التي تنحدر من جبال الحجاز ، جنوب الطائف ، ثم تغيض في نجـد ، وتنتشر بقية فروع هوازن على جوانب هذه الأودية مختلطة ، وأعالي هذه الاودية تحلّها قبائل قحطانية ، وبنو سلول هم الذين يُحادّون تلك القبائل في أعلى بلاد هوازن فهم يُحادّون قبيلة خثعم القحطانية ، ويجاورهم منها بنو الحُلَيْس يشاركون بني سلول في بعض المياه(٢٧) . وبدأت منازل سلول تنكمش بترك القبيلة بعض مياهها وانضمامها حول نفسها في وادي (بيشة) موطنها القديم الذي

---

(٢٣) ابن عبد ربه . العقد الفريد ١٢٧/٦ .
(٢٤) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ٦٥١/٢ .
(٢٥) حمد الجاسر . مجلة العرب . من شعراء الجزيرة . الشاعر عبدالله بن همام ص ٣٨ .
(٢٦) المصدر نفسه ٣٨ . (٢٧) المصدر نفسه ٣٩ .

لاتزال تستوطنه • ويُفيض استاذنا الجاسر في حديثه عن منازل سلول وأسماء مناهلها وجبالها وقراها وشعرائها بما لم يترك لمزيد ان يستزيد فجزاه الله خير الجزاء وأمدّه بقوة من عنده •

ديوانه وشعره :

تُعدّ اشارة صاحب الخزانة الى ديوان عبدالله بن همام أول اشارة وآخرها لأن المصادر الاولى لم تقف له على ذكر وفي حدود ما توفر لنا من المراجع [٢٨] • وتأتي محاولة الاستاذ المحقق حمد الجاسر أول مبادرة لجمع شعره ودراسة حياته ونشره ضمن سلسلة شعراء الجزيرة في مجلة العرب وفي عددين • وهي كما قدم لها مقتطفات من شعره هي جُلّ – ان لم يكن كل – ما أمكنه العثور عليه مما بين يديه من كتب الادب والتاريخ وهي على قلتها قد تضع أمام القارىء ملامح واضحة عن شاعريته[٢٩] • وبهذا العمل الكريم يكون استاذنا الجاسر قد وضع يده على مقتطفات من شعر هذا الشاعر الذي يضيف الى التاريخ حقائق جديدة ، ويؤرخ لحوادث خطيرة تجاوزتها روايات المؤرخين ، وهي وثائق لها أهميتها في تحديد الصورة التي كان بعض العمال يعاملون بها الجمهور ، وقد استطاع الشاعر أن يقف بحزم لمجابهة المقصرين ويجاهر بمعاداة السرّاق واللصوص • وكان مجموع ما وقع بين يدي الاستاذ الجاسر مائة وسبعة أبيات ، وهو مجموع يحمد عليه في حينه • وقد توفرت لدي اضافات شعرية تغني حياته وتوسع الدائرة الشعرية التي تحرك فيها ، وتؤكد اهتمامه السياسي الذي صرف اليه شعره • فكان عدد الأبيات التي جمعتها مائتين وأربعة وثلاثين بيتاً ، ومن المؤمل أن يزداد هذا العدد بعد ظهور مجاميع شعرية أو تحقيق مخطوطات تحتفظ بقصائد أو مقطعات لشاعرنا الذي شقّ تياراً جديداً ، وهيأ لغرض شعري وجاهر بموقف

---

(٢٨) البغدادي . خزانة الادب ١/١٠ .

(٢٩) مجلة العرب ١٥٧ .

سياسي عبَّر فيه عن حسّه وجرأته ، ونقل الى الخلفاء هموم الجمهور الذي أثقلته مغارم العمال ونفّرته سوء ادارتهم . ويبقى الفضل للمتقدم في هـذا الجهد المحمود .

ولم تكن محاولة جمع شعره الا بداية لوضع هذا الشاعر على طريق الدراسة التي يستحقها واظهار التيار الشعري الذي حمل رايته ونادى به ورفع لواءه ، ليس من باب الانتقاص من الدولة وليس من جانب التنكيل بها فهو معروف باخلاصه ، وصادق بولائه ، ولكنه كان يجد في هذا الولاء مسؤولية تفرض عليه الاخلاص في نقل الاحساس ، والصراحة في التعامل ، والكشف عن كل الذين يعملون تحت خيمة الدولة ويجدون في حمايتها ستراً لمواقفهم الشائنة ، وفي مواقعهم اخفاءً لما يحققونه من مطامع أو يحصلون عليه من مكاسب ، وان الولاة والخلفاء كانوا يسمعون صوته ، ويستجيبون له ويتخذون من المواقف ما يردع هؤلاء المتلاعبين ، ويقتص من المقصرين ، ويسترد الحقوق ممن تجاوز عليها بغير حق . فهو صوت شعري أمين ، وضمير انساني مخلص . ولون أدبي معبّر . وهذه صورة تدعو الباحثين الى الوقوف عليها ، وتحمل الدارسين على اعطائها ما تستحق من العناية لنكشف عن جانب مشرق من تراثنا الشعري وهو غاية هذه الدراسة .

وفاته :

اقترنت قصائد الشاعر بأحداث تاريخية أرّخها المؤرخون ووقف عندها أصحاب الأخبار فكان من الداخلين على الوليد بن عبدالملك حين مات والده وقال أبياتاً في مدحه وكان ذلك سنة ست وثمانين . وأشار البكري الى أنه بقي الى أيام سليمان بن عبدالملك أو بعده . وانتهت خلافة سليمان سنة تسع وتسعين ، فاذا أخذنا برأي البكري فان وفاته كانت سنة مائة أو بعدها وربما

كان هذا التصوّر سبباً من أسباب تغليب وفاته سنة مائة كما ذهب صاحب الاعلام . ولم نجد ذكراً للشاعر بعد هذه الحقبة ولم تتحدث عنه الاخبار ، ويبدو أن صوته قد خفت وان حياته السياسية قد انتهت وان عامل الزمن قد أخذ نصيبه منه فوجد في الانزواء أو الانصراف الى الامور الذاتية ما يرضيه بعد أن قطع مرحلة متقدمة من العمر ..

(١)

قال لما قتل زياد أوفى بن حصن الطائي ، وكان أول من قتله في الكوفة بسبب حوار جرى بينهما بعد أن بلغه عنه شيء فطلبه فهرب .

[من الخفيف]

خَيَّبَ الله سَعْيَ أوفى بن حِصنٍ
حين أضْحَى فَرَبُّوجَةَ الرُّقاءِ

قادَهُ الحَيْنُ والشقاءُ الى
ليثٍ عَرينٍ وَحَيَّةٍ صَمَّاءِ

(١) البيتان في تاريخ الطبري ٥/٢٣٦ .

(٢)

[من البسيط]

قال ابن هَمّام السلولي :

١ ــ اني أرَى فِتنةً تَغْلي مَرَاجِلُها
والمُلكَ بعد أبي ليلى لمن غلبا(*)

(٢) البيت في اللسان منسوب لابن همام ولم ينسب في نسب قريش ١٢٨ .
(*) أبو ليلى : معاوية بن يزيد كان يكنى ابا ليلى .

(٣)

[من الكامل]

وقال في أمر المختـار :

١ ــ أضحت سُليمى بعد طولِ عِتابِ
وتَجرُّمٍ ونفادِ غَرْبِ شبابِ

٢ ــ قد أزْمَعَت بصريمتي وتجنُّبي
وتهوُّكٍ مُذْ ذاك في اعتابِ

٣ ــ لمّا رأيتُ القصرَ أُغلقَ بابُهُ
وتوكّلت هَمْدان بالأسبابِ

٤ ــ ورأيتُ أصحابَ الدقيق كأنَّهمْ
حولَ البُيُوتِ ثعالبُ الأسرابِ

٥ ــ ورأيتُ أبوابَ الأَزِقَّة حولَنا
دربت بكُلِّ هِراوة وذُبابِ

٦ ــ أيقَنْتُ أن خيولَ شيعةِ راشدٍ
لم يبقَ منها فَيْشُ أيْرِ ذُبابِ

---

(٣) الابيات [١ ــ ٦] في الطبري ٣٨/٦ .
والابيات [٣ ــ ٦] في أنساب الاشراف ٢٣٠/٥ ورواية الثالث :
. . . . . . وتعلقت همدان
والخامس . ورأيتُ أفواهَ الازقة مُلِئت . . .
والسادس . أيقنت أن امارة بن مُضاربٍ . . .
والبيتان [٣ ، ٦] في حيوان الجاحظ ٧٦/٦ ورواية الثالث .
. . . غلّق بابه وتعلقت
والسادس . أيقنت أن امارةَ ابن مُضاربٍ لم يَبْقَ منها قِيسُ
وبلا نسبة في الحيوان ٣١٧/٣ ورواية الابيات تختلف .
والبيتان [٣ ، ٦] في ثمار القلوب ٥٠٤ بلا نسبة وفي روايتهما اختلاف .

(٤)

ودخل عبدالله ذات يوم على ابن زياد فقال ألك حاجة فقال :

[من الطويل]

١ ــ نَعَمْ حاجَةٌ كَلَّفْتُها القيْظَ كُلَّهُ
أُراوِحُها البَرْدَيْن حتى شَتَيتُها

٢ ــ يُعاوِدُها حَسّانُ عمرو بنَ نافعٍ
فَحَسّانُ يُحْيِيها وعَمْرو يُميتُها[1]

(٤) البيتان في أنساب الاشراف . الجزء الرابع ــ القسم الثاني ٨ .

(١) عمرو بن نافع وحسان مولى الانصار كاتبا يزيد وقد أمرهما أن يدفعا الى الشاعر جائزته فكان عمرو يدافعه وحسان يعينه .

(٥)

[من الطويل]

ألا رُبَّ ذي نُصْحٍ وقد تستغِشُّهُ
ومن جاهِدٍ في الغِشِّ يُحْسَبُ ناصحا

(٥) حماسة البحتري ١٧٥ .

(٦)

[من الطويل]

وقال أيضاً :

١ ــ رأيتُكَ تُقْصِي مَنْ يَوَدُّكَ قَلْبُهُ
وتُدْني الذي يطوي الأذى في الجوانحِ

٢ ـ وقد يستغشّ المرءُ مَنْ لا يَغشّه
ويأمنُ بالغيبِ امرءاً غيرَ ناصحِ

(٦) حماسة البحتري ١٧٥ .

(٧)

وكان الذي حدا يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية بن يزيد : أن عبدالله بن همّام السلولي قام الى يزيد بن معاوية فأنشده شعراً رثى فيه معاوية بن ابي سفيان وحَضّه على البيعة لابنه معاوية فقال :

[من الوافر]

١ ـ تَعَزّوْا يا بني حَرْبٍ بصَبْرٍ
فمن هذا الذي يَرْجُو الخُلُودا

٢ ـ لَعَمْرُ مُنَافِهِنّ ببَطْنِ جَمْعٍ
لقد جَهّزْتُمُ مَيْتاً فقيدا

٣ ـ لقد وَارَى قليبُكُمُ بَياناً
وحِلْماً لا كِفَاءَ لهُ وَجُودا

٤ ـ وجدناه بغيضاً في الأعادي
حَبيباً في رَعيّته حَمِيدا

٥ ـ يجودُ لهمْ بما مَلكت يَداهُ
ويغفر ذنبهُمْ الاّ الحدودا

٦ ـ أميناً مؤمِناً لم يَقْضِ أمراً
فيوُجَدُ غِبُّهُ الا رشيدا

٧ ـ اماماً لا يجوزُ كأن فينا
به الصدّيقَ أو عُمرَ الشهيدا

٨ ــ فقد أضحى العدوُّ رخيَّ بالٍ
وقد أمسى التقيُّ به عميدا

٩ ــ فعاضَ اللهُ أهلَ الدين منكم
وَرَدَّ لنا خِلافتكم جَدِيدا

١٠ــ مُجَانِبَةَ المُحاقِ وكلِّ نَحْسٍ
مُقَارِنَةَ الأيامِنَ والسُّعُودا

١١ــ خِلافَةَ ربِّكم حامُوا عليها
اِذا غُمِزَتْ ، خَنَابسةً أُسُودا

١٢ــ تُعَلِّمُها الكُهُولُ المُرْدَ حتى
تَذِلَّ بها الأكُفُّ وتستقيدا

١٣ــ اِذا ما بَانَ ذو ثِقةٍ تَلَقَّتْ
اخاثِقَةٍ بها صَنَعاً مُجيدا

١٤ــ تَلَقَّفَها يَزيدُ عن أبيهِ
وخُذْهَا يا مُعَاوِيَ عن يَزِيدا

١٥ــ اديرُوها بَني حَرْبٍ عليكم
ولا تَرْمُوا بها الغَرَضَ البَعيدا

١٦ــ فانْ دُنْياكُمُ بِكُمُ اطمأنَّتْ
فأوْلُوا أهْلَهَا خُلُقاً سَديدا

١٧ــ وان ضَجِرَتْ عَليكُمْ فاعصِبُوهَا
عِصَاباً تستَدِرُّ به شديدا

(٧) الابيات في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٦٢٦ ــ ٦٢٨ عدا الخامس والسابع فهما زيادة من نقائض جرير والاخطل [١ ــ ٣] ونسبت الابيات لعلي بن الغدير الغنوي خطأ . والابيات [١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧] في انساب الاشراف الجزء الرابع ــ القسم الثاني ٥ مع اختلاف في الرواية . والبيتان [١٤ ، ١٥] في مروج الذهب ٥٣/٣ مع اختلاف في الرواية والبيتان [١٤ ، ١٦] في نسب قريش ١٢٩ .

(٨)

قال ابن هَمّام يذكر عمر بن يزيد وقد اصابته صاعقة فهلك ويقال : رعدت السماء رعدة شديدة فمات خوفاً .

[من الخفيف]

١ ـ عُمَرَ الخير يا شبيهَ ابيه
أنتَ لو عِشْتَ قد خَلَفْتَ يَزيدا

٢ ـ سُلِّطَ الحتفُ في الغمام عَليه
فَتَلَقّى الغَمامُ روحاً سعيدا

٣ ـ أيّها الراكبانِ من عبد شمسٍ
بَلِّغا الشامَ أهلَها والجُنودا

٤ ـ أنّ خيرَ الفتيانِ أصبحَ في لَحْدٍ
وأمسى من الكرام فقيدا

(٨) الابيات [١ ـ ٤] في انساب الاشراف . الجزء الرابع ـ القسم الثاني ٧٣

(٩)

خطب عامر بن مسعود (وكان يقال له دُحروجة الجُعَل لقصرهِ) أهل الكوفة ـ فقال : إن لكلّ قومٍ اشربةً ولذاتٍ فاطلبوها في مظانّها وعليكم بما يجمُلُ ويحلّ منها واكسروا شرابكم بالماء وتواروا عني بهذه الجدران فقال عبدالله بن همّام السلولي :

[من البسيط]

١ ـ اشْرَبْ شرابَكَ وانْعَمْ غير مَحْسودِ
واكْسِرْهُ بالماءِ لا تَعْصِ ابنَ مَسْعودِ

٢ ـ انّ الأميرَ لـه في الخمرِ مأْرُبَةٌ
فاشرَبْ هنيئاً مريئاً غَيْرَ تَصْريدِ

فلما بلغ ابن مسعود قول ابن هـّمام قال : قطع الله لسانَ عِدْلِ الحمار فقد اساء القول ..

(٩) البيتان في أنساب الاشراف الجزء الخامس / ١٩٠ .

(١٠)

هجا عبدالله بن هَمّام عمرو بن نافع مولى بني أميّة وكان يتولى ديوان الكوفة لزياد فلما ولي عبيدالله وُشِي به اليه فطلبه فهرب الى يزيد بن معاوية ومدح عثمان بن عنبسة بن ابي سفيان واستجار به في شعر يقول فيه :

[من الوافر]

١ ـ أراكَ اِذا أجَرْتَ على أميرٍ
وثيقَ عُرَى الأمانةِ والجِوارِ

٢ ـ فاني لا أَبُثُكَ بَثَّ فَقْرِي
ولكِنّي أحاذِرُ من طَمارِ (١)

٣ ـ أعوذُ من العُقوبَة يا ابن حَرْبٍ
ومَعْقِدِ ما عَقَدْتُ مِنَ الازار

(١٠) الابيات [١ ـ ٣] في أنساب الاشراف الجزء الرابع ـ القسم الثاني / ٨٣ ـ ٨٤ .

(١) طِمار : كل مرتفع .

(١١)

وقال عبدالله بن هَمّام السلولي :

١ ـ أَقِلّي عليَّ اللومَ يا بنتَ مالكٍ
وذُمّي زمانأ سادَ فيه الفلافس

[من الطويل]

٢ ــ فساعٍ مــع الســلطانِ يسعى عليهم
ومُحْتَرَسٌ مِن مِثْلِهِ وهو حارِسُ

٣ ــ وكم قائلٍ ما بالُ مِثْلِكَ راجِــلاً
فقلتُ له من أَجْلِ أَنَّك فــارِسُ

٤ ــ اذا لم يكنْ صدرَ المجالِسِ سيِّدٌ
فلا خيرَ فيمنْ صَدَّرَتْهُ المجالِسُ

(*) البيتان في عيون الاخبار ١/٥٨ .

(١١) البيتان الاول والثاني في حيوان الجاحظ ١/٢١٦ ورواية الاول يا ابنة مالك والثاني وساعٍ . . .
وهما في الشعر والشعراء ٢/٦٥١ وعيون الاخبار ١/٥٨ ورواية الاول
أقِلِّي عليَّ اللوم يا ابنةَ مالِكِ　　وذُمِّي زماناً ساد فيه الفلافِس(١)
وساع معالسلطان ليسبناصحٍ　　ومحتَرَسٌ من مِثلِهِ وهو حارسُ

---

(١) وكان الفلافس هذا على شرَط الكوفة ، من قبَل الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي وخرج الفلافِسَ مع ابن الاشعث فقتله الحجّاج . وفي فصل المقال / ٩٤ . ساد فيه الحَمارس .

(١٣)

وقال :

[من الطويل]

أُتيحَ لــه مِنْ شُــرطة الحَيِّ جــانبٌ
غليظُ القُصَيْرَى لحمُهُ مُتَكاوِسُ(١)

تــراه اذا يمضــي يحُــكُّ كأنمــا
بــه من دَماميــل الجَزيــرة نافس

(١٣) البيتان في حيوان الجاحظ ١٣٦/٤ ـ ١٣٧ .
وهما في بلدان ياقــوت ٧٣/٢ وروايــة الاول .. عريض القصيري ..
والثاني .. ابدّ اذا يمشي يحيك ..

(١) القصيري : الضلع التي تلي الشاكلة وهي الواهنة في اسـفل البطن .
والآبدُ : السمين . ومتكاوس : متراكب .

(١٤)

وقال عبدالله بن هَمّام :

[من الطويل]

١ ـ ترنَّمْتَ يا ابنَ الحُرِّ وحَــدَكَ خاليــاً
بقولِ أمرىءٍ نَشوانَ أو قولِ ســاقِطِ

٢ ـ أتذكُرُ قومــاً أوجَعَتْكَ رِماحُهُــمْ
وذَبّــوا عن الأحســابِ عنــد المآقِطِ

٣ ـ وتبــكي لمــا لاقَت ربيعــةُ منهــمُ
ومَا أنتَ في أحســابِ بــكرٍ بواســطِ

٤ ـ فهــلاّ بجُعْثنــيٍّ طلبْــتَ ذُحُولَهــا
ورهْطك دُنْيــا في الســنين الفَوارطِ

٥ ـ تركنــاهُمْ يــومَ الثــريِّ أذلّــةً
يــلوذُونَ من أســيافِنا بالعَرَافِــطِ

٦ ـ وخالَطكُم يوم النخيل بجَمْعِه
عُمَيرُ فما استَبْشَرتمُ بالمُخالِطِ

٧ ـ ويوم شراحيلٍ جَدَعْنا أنوفَكُمْ
وليسَ علينا يومَ ذاك بقاسطِ

٨ ـ ضَرَبنا بحدِّ السَّيف مفرِق رأسِه
وكان حديثاً عَهْدُهُ بالمَواشِطِ

٩ ـ فان رغمتْ من ذاك آنُفُ مَذْحِجٍ
فرغماً وسخْطاً للأُنوفِ السَّواخطِ

(١٤) الابيات [١ ـ ٩] في الطبري ١٣٧/٦ ـ ١٣٨ .
والابيات [١ ـ ٤] في أنساب الاشراف ٢٨٧/٥ وعقب عليها .. في ابيات . وقال : وقد انكر أن ابن الحر قتل هذه القتلة .

(١٥)

[من الطويل]

فامَّا ترَيِنْي اليومَ مَزْجِي مَطيَّتي
أصَعِّدُ سَيْراً في البلاد وأفْرِعُ(١)

(١٥) البيتان في اللسان [صعد] .

(١) صَعَّد في الجبل وعليه وعلى الدرجة رَقى ولم يعرفوا فيه صَعِدَ ..
وأفرِعَ : انحدر لان الأفراع من الأضداد فقابل التَصعُّد بالتَّسَفُّل .
وانما انتسب الى فَهِمْ واشجع وهو من سلول بن عامر لانهم كانوا كلّهم من قيس عيلان بن مضر .

فاني من قومْ سِواكُمْ وانّما
رِجَاليَ فَهْمٌ بالحجاز وأشجَعُ

(١٦)

وكان عبدالله بن همّام سمع أبا عمرة صاحب شرطة المختار يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان (رضي) فقنّعه بالسوط فلما ظهر المختار كان معتزلاً حتى استأمَنَ له عبدُالله بن شداد ، فجاء الى المختار ذات يوم فقال :

[من الطويل]

١ ـ ألا انتسأتْ بالودّ عنك وأدْبَرتْ
مُعَالِنَةً بالهَجْر أمُّ سَريع

٢ ـ وحَمّلَها واشٍ سَعَى غيرُ مُوْتَلٍ
فأُبتَ بِهَمٍّ في الفؤاد جميع

٣ ـ فخفِّضْ عليكَ الشأنَ لا يُرْدِكَ الهَوَى
فليسَ انتقالُ خَلّةٍ ببديع

٤ ـ وفي ليلة المُختار ما يُذهِلُ الفَتَى
ويُلهيهِ عن رُؤْد الشباب شَمُوعِ

٥ ـ دعا يا لَثارات الحُسين فأقبَلتْ
كتائبُ من هَمْدانَ بعد هَزيع

٦ ـ ومن مَذْحجٍ جاءَ الرئيسُ ابنُ مالِك
يَقودُ جُمُوعاً عُبِّئت بجمُوعْ

٧ ـ ومن أسَدٍ وافى يَزيدُ لِنَصْرِهِ
بكُلِّ فتىً حامي الذّمار منيع

٨ ـ وجاءَ نُعَيْمٌ خيرُ شَيبان كُلِّها
بأمرٍ لدى الهَيجاء جِدُّ جميع

٩ ـ وما ابنُ شُميط اذْ يُحَرِّضُ قومَهُ
هناك بمخذولٍ ولا بمُضيعِ

١٠ـ ولا قيسُ نهْـــدٍ لا ولا ابنُ هَــوازنٍ
وكُلٌ أخــو اخبَــاتــةٍ وخشـــوع

١١ـ وســار أبو النُّعْمَــانِ للــه سَــعيُهُ
الى ابن اياسٍ مُصْحِـراً لوقـــوغ

١٢ـ بخَيْلٍ عليها يــومَ هَيْجَا دُرُوعُهـا
وأُخـرى حُسُــوراً غــيرَ ذاتِ دُرُوع

١٣ـ فــكَرَّ الخُيــولَ كَــرَّةً ثقِفَتْهُــمُ
وشَــدَّ بأُولاَهــا عــلى ابــن مُطيــع

١٤ـ فوَلّى بضربٍ يَشْــدَخُ الهامَ وَقْعُهُ
وطعــنٍ غَــداةَ السِّــكّتين وجيــع

١٥ـ فحُوصِــرَ في دار الأمــارة بائيَــا
بــذُلٍّ وارغـــامٍ لــــه وخُضُــوع

١٦ـ فمَنَّ وزيــرُ ابــن الوصِــيِّ عليهـــمُ
وكانَ لهــمْ في النــاسِ خــيرَ شــفيع

١٧ـ وآبَ الهُــدى حَقّــاً الى مُسْــتَقَرِّه
بخــير ايــابٍ آبَــهُ ورجُــوُعِ

(١٦) الابيات [٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧] في أنساب الاشراف ٢٣٤/٥ .
ورواية السادس .. لجموع ..
والسابع .. .. ماضي الجَنان منيع .
الأبيات [١ ــ ١٨] في الطبري ٣٥/٦ ــ ٣٦ .
والابيات عدا البيتين [١٢ ، ١٥] في طبقات فحول الشعراء ٦٣٣
٦٣٥ مع اختلاف في رواية الابيات .

١٨ـ الى الهاشــميّ المُهْتَــدِي المهتَــدى بــه
فنحــنُ لــه مــن سَـــامع ومطيــعِ

(١٧)

[من الطويل]

وقال ابن هَمّام في عمرو بن نافع :

١ ـ أفي جَرْجَرايا أنْتَ كَفْنا بنُ فَرْزَنٍ
وفينا أبو عُثمان عمرو بنُ نافعِ

٢ ـ وأُنبئتُ في جُوجَا فلا تَتْرُكنَّهُ
بَقيّةَ ميراثٍ لشيخكَ ضائعِ

٣ ـ ثلاثةَ أخلاق بَلينَ ومِنْجَلاً
وأمٌ جِراءٍ تَتَّقِي في المراقِعِ

٤ ـ فلَهْفى عليكم آلَ كَفْنا بن فَرْزنٍ
فكم كان فيكمْ من مُثيرٍ وتارعِ

(١٧) الابيات [١ ـ ٤] في انساب الاشراف الجزء الرابع ـ القسم الثاني / ٨ .

(١٨)

[من الكامل]

قال أنس بن أبي أُناس وبعضهم يقول : ابن همّام والاول اثبت :

١ ـ أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً
من ناصحٍ ما ان يُريدُ مَتاعَا

٢ ـ بَضَعَ الفتاةُ بألفِ ألفٍ كاملٍ
وتَبيتُ قاداتِ الجيوش جياعا

٣ ـ فلو انني الفاروق أُخبرُ بالذي
شاهدْتُهُ ورأيتُهُ لارتاعا

(١٨) الابيات [١ ـ ٣] في انساب الاشراف . الجزء الخامس / ٢٨٣ وينظر

تخريجها في شعر أنس بن زنيم الدؤلي .
وفي الاغاني ١٤ (ساسي) / ١٧٠ ورواية الأول
من ناصـحٍ لك لا يـريـد خداعـــا
والثاني . . . وتبيت سـادات الجنـود جيـاعا
والثالث . .
لو لأبي حفصٍ أقولُ مقالتي وابثُ مــا ابثثتــكم لارتاعـــا

(١٩)

ودعا ابنُ مطيع الناس الى البيعة لابن الزبير ولم يسمّه وقـال : بايعوا لأمير المؤمنين فكان ممن بايعه فَضالة بن شَرِيك الاسدي • ويقال : ابن همّام السلولي وقال :

[من الطويل]

١ ــ دعـا ابنُ مُطيـعٍ للبيـاعِ فجئْتُـهُ
الـى بَيْعَـةٍ قلبي لها غَـيرُ عـارفِ

٢ ــ فأخْرَجَ لي خَشْنَاءَ حيث لَمَسْتُها
من الخُشْنِ ليستْ من أكفّ الخلائف

٣ ــ من الشَّثِنات الكُزْم انكَرْتُ مَسَّها
وليستْ من البيضِ السـباط اللطـائفِ

٤ــ مُعـاوِدةٍ ضَرْبَ الهراوَى لقـوْمِها
فروداً اِذا مـا كانَ يـوْمُ التسايُفِ

٥ ــ ولم يُسْمِ اِذْ بايَعْتُهُ مَـنْ خليفتي
ولم يَشْتَرط الا اشـتراطَ المُجـازف

---

(١٩) الابيات [١ ــ ٥] في أنساب الاشراف الجزء الخامس / ٢٢٠ .

(٢٠)

[من الوافر]

وقـال :

١ ـ ألا أبلِـغْ ابا حَسَنٍ عَليّاً
بأنّي قد أتيْتُ على شَرَافٍ

٢ ـ وأنّك انّما هَـدَّمتَ طيناً
ولن تسطيعَ تهـديمَ القوافي

(٢٠) البيتان في الوحشيات / ١٠٣ .

(٢١)

وكان اول من قام لبيعة الوليد بن عبدالملك (سنة ست وثمانين) عبدالله ابن هَمّام السلولي ، فانه قام وهو يقول :

[من الرجز]

اللهُ أعطَـاكَ التي لا فَوْقَهَـا
وقد أرَادَ المُلْحِـدُون عَوْقَها
عَنْكَ ويَأْبى اللهُ الا سَوْقَها
اليـكَ حتى قَلَّـدوكَ طَوْقَهـا

فبايع الناس ..

(٢١) البيتان في الطبري ٦/٤٢٣ .

(٢٢)

وممن ذكر حَيّةَ الماء عبدالله بن هَمّام السلولي فقال :

[من البسيط]

١ ـ كَحَيَّةِ الماءِ لا تنحاشُ من أحَـدٍ
صِلْبُ المِراسِ إذا ما حُلَّتْ النُّطُقُ

(٢٢) البيت في حيوان الجاحظ ٢٣٩/٤ . وحلت النطق : كناية عن اشتداد الأمر .

(٢٣)

وفي اين : قوله وهو ابن همّام السّلولي :

[من الخفيف]

أينَ تضربْ بنا العُداةُ تجدْنا
نَصْرِفْ العيسَ نحوِها للتلاقي

(٢٣) سيبويه ٤٣٢/١ والمقتضب ٤٨/٢ .

(٢٤)

لما قدم يزيد بن معاوية كتب اليه أنْ احمـلْ اليّ ابن همّام السلولي وكان قد وجد عليه في قصيدته التي يقول فيها :

حشينا الغَيْظَ حتى لـو شَرِبْنا
دِمـاءَ بني أُميّـةَ مـا رَوِينـا

فأخذه ابن زياد فسأله أن يُكفله عريفه وكان اسم العريف مالكاً ففعل وهرب ابن همّام وأُخذَ عريفه به وقدم على يزيد فعزّاه عن معاوية وهنـأه بالخلافة وأتى ابنَه معاوية فاستجار به فآمنه يزيد وصفح عنه وكتب الى ابن زياد يأمره أن لا يتعرّض له وأوصاه به فقال ابن همّام حين رجع :

[من المتقارب]

١ ــ جَعَلتَ الغَــوانيَ من بالِــكا
وَلَمْ يَنْهَكَ الشيبُ عَنْ ذالِكا

٢ ــ على حِينَ كانَ الصِّبا شــائناً
وأقصيرَ باطــلُ أخــذانــكا

٣ ــ بكيتَ العشــيرة اذ فارقــو
كَ لالفِــكَ فيهــم وأوطــانــكا

٤ ــ أقــولُ لِعثمــانَ لا تَلْحَنــي
أفِقْ عثْمَ عن بَعْض تَعْذالِكا

٥ ــ غــريبٌ تَــذَكَّرَ اخْوانَــهُ
فهــاجوا لــه سَــقَماً ناهــكا

٦ ــ وكرَّهنــي أرضَــكُمْ أنّنــي
رأيتُ بهــا أســداً ناهــكا

٧ ــ فلمــا خَشِــيتُ أظــافيرَهُ
نجــوتُ وأرْهَنْتُهُــمْ مالِــكا

٨ ــ عريفــاً مُقيمــاً بــدار الهــوا
نِ أهــوِنْ عَليَّ بــه هــالــكا

٩ ــ وَيمَّمْتُ أبيــضَ ذا سُــؤْدُدٍ
عَلا ذِرْوَةَ المجــدِ والحــارِكا

١٠ــ أجــوبُ اليــه أديــمَ النهــا
رِ وادَّرِعُ الأســودَ الحــالــكا

١١ــ بأدمــاءَ قــد ضمَّ منهــا السـفا
رُ وأفنــى سِناماً لهــا تامِــكا

١٢ــ فلمّــا أنَخْتُ الى بابِــهِ
رأيتُ خَليفَتَنــا ذالِــكا

١٣ـ فقُلْتُ أجِرْني أبا خالِدٍ
والاّ فهبني أمرءً هالِكا

١٤ـ فجادَ بنا ثم قلْتُ اعْطفي
بِنا يا صَفِيَّ ويا عاتِكا(١)

١٥ـ فأطّتْ لنا رَحِمٌ بَرَّةٌ
ولم نحقر النَسَبَ الشابكا

١٦ـ فكم فرِجَتْ بكَ من كُرْبةٍ
ومِنْ خُلْفَةٍ عند أبوابكا

١٧ـ وكان وراءَك ضِرْغامَةٌ
تَوَايلُ منه بحَوْبائكا

١٨ـ فيا ابن زيادٍ وكُنْتَ امرءاً
كما زعموا عابداً ناسكا

١٩ـ فانّ مَعي ذِمَّةً من يَزيدَ
واني أعوذُ باسلامكا

٢٠ـ مِن أنْ أُظْلَمَ اليومَ أو أن تُطيعَ بي الكاذبَ الآثمَ الآفِكا

٢١ـ فلولا الثِقالُ تِسِفاعاتُهُمْ
وعَهْدُ الخليفةِ لم آتِكا

٢٢ـ فقدْ خَطّ لي الرقّ فيه الأمان
اليكَ مَخافَةَ أنبائكا

٢٣ـ فلا تَحْقَرَنْهُ فقد خَطّ لي
رُقىً مِنْ مخافةِ حَيَّاتِكا

٢٤ـ وأحضرْتُ عُذْراً عليه الشهو
دُ انْ قائلاً ذاكَ أو تارِكا

٢٥ـ أحبُّ رِضَاكَ وان لم تُثبْـ
ـني به وتثبيت سلطانِكا

٢٦ـ وقد شهِد الناسُ عند الأما
مِ أنّي عدوٌّ لأعدائكا

(٢٤) الابيات [١ ـ ٢١] في انساب الاشراف الجزء الرابع ـ القسم الثاني/٨ .
والابيات [١ـ٢٦] عدا ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ . في شرح ابيات مغني اللبيب ٢٦٢/٧ ـ ٢٦٣ والشعر والشعراء ٦٥١/٢ .
والبيتان السابع والثامن في الشعر والشعراء ٦٥١/٢ وخزانة الادب ٣/ ٦٣٩ مع اختلاف .
والابيات [٥ ، ٨ ، ٢٤ ، ٢٦] مع اختلاف في اللسان [رهن] .
والبيت [١٤] في نسب قريش / ١٢٢ وروايته : فحلت بنا ثم قلت اعطفيه ..
والبيتان الخامس والسادس في الشعر والشعراء ٦٥١/٢ .
ورواية الأول : ولما خشيت اظافيرَهم .

(١) يريد صفية بنت حزْن ، وعاتكة بنت مرّة .

(٢٥)

دخل عطاء بن أبي صيفي بن نضلة بن قائف الثقفي على يزيد وقد مات معاوية فقال : اصبحت يا أميرَ المؤمنين فارقت الخليفة وأُعطيتَ الخلافة فآجرَكَ الله على عظيم الرزيّة ورَزَقك الشكر على حسن العطيّة فاحتذى ابن هَمّام مِثَاله في هذا النثر فنظمه فقال :

[من البسيط]

١ ـ اصْبِرْ يَزيدُ فقد فارَقْتَ ذا ثِقةٍ
واشكُرْ عطاءَ الذي بالمُلك أَصْفاكا

٢ ـ أصبَحْتَ لا رُزْءَ في الأقوام نَعلَمُهُ
كمــا رُزِئْتَ ولا عُقبَى كعُقبَــاكا

٣ ـ أُعْطيتَ طاعــةَ أهلِ الأرضِ كُلِّهِم
فأنْتَ تَرْعــاهُمُ واللــهُ يَرْعــاكا

٤ ـ وفــي مُعاويــةَ البــاقي لنــا خَــلَفٌ
اذا هَــلَكْتَ ولا نسْــمَعْ بمَنْعَــاكا

---

(٢٥) الابيات [١ ـ ٤] في انساب الاشراف الجزء الرابع ـ القسم الثاني/٥ ،
والابيات في البيان والتبيين ١٣٦/٢ ، ١٣٧ ،
وهما في الشعر والشعراء ٦٥٢/٢ ورواية الاول :
فقد فارقت ذامِقَةٍ واشكرِ حَباءَ ... حاباكا
والثاني : لارُزءَ اعظمُ .
والثالث : اصبحت راعي اهل الدين ...
والرابع : اِذا نعيت ...
ويعني معاوية بن يزيد ، وهو ابو ليلى ..
ورواية الاول .. فارقت ذا كَرَمٍ واشكر حباء ...
ورواية الثاني .. لارُزءَ أصبح في الاقوام قد علموا
ورواية الثالث .. أصبحت راعيَ أهل الدين كلهم
ورواية الرابع .. اِذا نعيتَ ..
والابيات [١ ـ ٤] في كامل المبرد ١٢٧٠/٣ ورواية الاول واشكر بلاءَ
والابيات [١ ـ ٤] في الخزانة ٦٣٩/٣ وفي روايتها اختلاف .
والابيات عدا الثاني في نهاية الارب ٢١٩/٥ مع اختلاف الرواية .
ورواية الثاني .. ماإن رُزيٌ احدٌ في الناس نعلمه ..
ورواية الثالث .. اصبحت تملك هذا الخلق كلّهمُ ..
ورواية الرابع .. اِذا نعيت
وفي كتاب الفتوح ٩/٥ مع اختلاف في الرواية .
وعدا الثالث في انوار الربيع ٣٢١/١ مع اختلاف في الرواية .

(٢٦)

[من الطويل]

قال يمدح ابن الاشتر :

[من الطويل]

١ ـ اطفأ عَنّي نارَ كَلْبَين ألّبا
علي الكلابَ ذُو الفِعال ابنُ مالكِ [(١)]

٢ ـ فتىً حين يَلْقى الخيلَ يَفْرقُ بينها
بطَعْن دِرَاكٍ أو بضَرْبٍ مُوَاشِك

٣ ـ وقد غَضِبَتْ لي من هَوازنَ عُصبةٌ
طِوالُ الذّرى فيها عراض المَبارِك

٤ ـ اذا ابنُ شُسَيط أو يَزيدُ تعرّضا
لها وقَعَا في مُسْتَحار المهالكِ

٥ ـ وَثبْتُمْ علينا يا مَوَالِيَ طَيِّءٍ
مع ابن شُميط شَرَّ ماشٍ وراتك [(٢)]

٦ ـ واعظِم ديَّارٍ على الله فِرْيَةً
وما مُفْتَرٍ طاغٍ كآخَرَ ناسكِ

٧ ـ فيا عجباً من أحمسَ ابنةِ أحمسٍ
تَوَثّبُ حولي بالقَنا والنيازك

(٢٦) الابيات [١ ـ ٨] في الطبري ٦/٣٧ .
والابيات عدا السابع في طبقات فحول الشعراء ٦٣٦ ـ ٦٣٧ .
(١) الكلبان يعني يزيد بن أنس واحمر بن شميط .
(٢) الراتك : الراكب .

٨ ـ كأنكمُ في العِزّ قيسٌ وخثعمٌ
وهل أنتم الا لئامُ عَوارك

أمَر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطياتهم ، وعامله يومئذ

على الكوفة وأرضها النعمان بن بشير . وكان عثمانياً ، فأبى أن يُنْفذها لهم ، فكلموه وسألوه بالله فأبى أن يفعل ، وكان اذا خطب على المنبر أكثر من قراءة القرآن ...

فقال عبدالله بن هَمّام السلولي :

[من الطويل]

١ ـ زيادتنا نعمانُ لا تَحْبِسَنَّها
خَفِ اللهَ فينا والكتابَ الذي تتلو

٢ ـ فانك قد حُمِّلْتَ منّا أمانةً
بما عَجزت عنه الصَّلاخِمَةُ البزل

٣ ـ فلا يَكُ بابَ الشرِّ تُحسِنُ فتحه
لدينا وبابُ الخير أنت له قُفْل

٤ ـ وقد نِلْتَ سُلطاناً عظيماً فلا تَكن
لغيرك جَمّاتُ النَّدَى ولك البُخل

٥ ـ وأنت امرؤ حُلْوُ اللّسانِ بليغُه
فما باله عند الزيادة لا يَحْلُو

٦ ـ وقَبْلكَ قد كانوا علينا أئمةً
يُهِمُّهُم تَقْوِيمُنا وهُمُ عُصْلُ

٧ ـ اذا أنصتوا للقولِ قالوا فأحسنوا
ولكنَّ حسنَ القول خالفَهُ الفِعْلُ

٨ ـ يَذُمّون دنيانا وهم يَرْضِعُونها
أفاويقَ حتى ما يَدِرُّ لها ثُعْلُ(١)

٩ ـ فيا معشرَ الأنصارِ اني أخوكمُ
واني لمعروفٌ أبي مِنْكُمُ أهْلُ

١٠ـ ومن أجل ايواء النبيّ ونَصْرِه
يُحبِّكُمُ قلبي وغيركمُ الاصلُ

(٢٧) الابيات [١ ـ ١٠] في الاغاني ١٦/٥ ـ ٦ والابيات [١ ، ٧ ، ٨] في السمط ٢/٩٢٣ .
والبيتان [٧ ، ٨] في كامل المبرد ١/٥٢ ، ٢/٦٥٧ والثامن في اللسان [رضع] وفي الرواية اختلاف .
والابيات [١ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٨] في الحماسة البصرية ٢/٢٧١ مع اختلاف.
والاول في القالي ٢/٤٦ واللسان (وقي) والثامن في بلدان ياقوت ١/٢٧ .

(١) الثعل : السن الزائدة عن الاسنان وخلف زائد صغير في اخلاف الناقة وفي ضرعها . ذكر الثعل للمبالغة في الارتضاع والثعل لا يدر .

(٢٨)

لما وصلت الى الشاعر عبدالله بن هَمّام جائزة معاوية شكرها ثم كتب اليه بهذه الابيات :

[من الطويل]

١ ـ أتاني كتابُ اللهِ والدّينُ قائمٌ
وبالشامِ أنْ لا فيه حكمٌ ولا عَدْلُ

٢ ـ أُريدُ أميرَ المؤمنين فانّه
على كُلّ أحوالِ الزمانِ لهُ الفضلُ

٣ ـ فهاتيكمُ الأنصارُ يرجون فَضْلَهُ
وهُلاّكُ أعراب أضرّ بها المَحْلُ

٤ ـ ومن بعدها كنا عباديدَ شُرّداً
أقمْتَ قناةَ الدين واجتمعَ الشملُ

٥ ـ فأيّ أناسٍ أثقلَتْهُمْ جنابَةٌ
فما انفكّ عن أعناقهم ذلك الثقل

٦ ـ أبو خالدٍ أخْلِقْ به أن يُصيبَنا
بجلٍ من المعروفِ يتبعه سجل

٧ ـ هو اليوم ذو عهدٍ وفينا خَليفةٌ
اذا فارق الدنيا خليفتنا الكهلُ

(٢٨) الابيات [١ ـ ٧] في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٤/٢٢٨ .

(٢٩)

[من الطويل]

قال عبدالله بن هَمّام :

١ ـ زيادتنا نُعمانُ لا تَحْرِمَنّنا
تَقِ اللهَ فينا والكتابَ الذي تَتْلُو

٢ ـ أيثْبَتُ ما زِدْتم وتُلْقَى زِيَادَتي
دَمي انْ أُسيغَتْ هذه لكُمُ بَسْلُ

(٢٩) البيتان في نوادر ابي زيد الانصاري /٤ وقال : البَسْلُ : الحلال وهذا الحرف من الاضداد .
وقال : وقال ابو الحسن ويُروى أُجيزت وأُحِلّتْ ايْ حَلالٌ ويُروى لا تَنْحوَنّها واضداد ابي الطيب ١/٣٥ .
والثاني في اضداد ابي حاتم السجستاني /١٠٤ والثاني في شروح سقط الزند السفر الثاني القسم الثالث /١١٠٧ .
وروايته .. ايثبت ما نِلتم وتلغى زيادتي دمي اِن أُبيحت ...
واللسان [بسل] وروايته .. وتلغى .. ذمي اِن أُحِلّتْ ...
والاول كرر في القطعة (٢٧) .

(٣٠)

[من الطويل]

وقال عبدُالله بن هَمّام السَّلُولي :

١ ـ فأخْلِفْ وأتلِفْ انما المالُ عارةٌ
فكُلْهُ مع الدّهر الذي هو آكِلُهْ(١)
٢ ـ فأهْوَنُ مفقودٍ وأيسرُ هالِكٍ
على الحيِّ من لا يَبْلُغُ الحيَّ نائِلُهْ

(٣٠) البيتان في كامل المبرد / ٤٨١ .
(١) عارة : اي مُعار .

(٣١)

وولّى عامر عُمّالا فأساءوا السيرة ومالوا الى الخيانة فقال ابن همّام في ذلك :

[من البسيط]

١ ـ يا ابْنَ الزُبَيْرِ أَميرَ المُؤْمِنينَ أَلَمْ
يَبْلُغْكَ ما فَعَلَ العُمّالُ بِالعَمَلِ
٢ ـ باعوا التِجارَ طَعامَ الأَرْضِ واقْتَسَموا
صُلْبَ الخَراجِ شِحاحاً قِسْمَةَ النَفَلِ
٣ ـ وقَدّموا لَكَ شَيْخاً كاذِباً خَذِلاً
مَهْما يَقُلْ لَكَ شَيْخٌ كاذِبٌ يَقُلِ
٤ ـ وفيكَ طالِبُ حَقٍ ذو مَرانِيَةٍ
جَلْدُ القُوَى لَيْسَ بِالواني ولا الوَكَلِ
٥ ـ أُشْدُدْ يَدَيْكَ بزَيْدٍ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ
وَاشْفِ الأَرامِلَ مِنْ دُحْروجَةِ الجُعَلِ
٦ ـ إنّا مُنِينا بضَبٍّ مِن بَني خَلَفٍ
يَرَى الخِيانَةَ شُرْبَ الماء بالعَسَلِ

٧ ـ خُذِ العُصَيْفِيرَ فانْتِفْ رِيشَ ناهِضِهِ
حَتَّى يَنوءَ بِشَـرٍّ بَعْـدَ مُقْتَبَلِ

٨ ـ وما أَمانَـةُ عَتّـابٍ بِسالِمَـةٍ
لا غَمْزَ فيها ولكِنْ جَمَّةُ السَبَلِ

٩ ـ وقَيْسُ كِنْدَةَ قَـدْ طالَتْ إمارَتُـهُ
بِسُرَّةِ الأَرْضِ بَيْنَ السَهْلِ والجَبَلِ

١٠ـ وخُـذْ حُجَيْراً فأَتْبِعْـهُ مُحاسَبَةً
ومَنْ عَذَرْتَ فلا تَعْـذِرْ بني قَفَلِ

١١ـ مـا رابَني مِنْهُـمُ إلاّ ارْتِفاعُهُـمُ
إلى الخَبيصِ عَنِ الصَحْناةِ والبَصَلِ

١٢ـ ومـا غُـلامٌ علـى أَرْضٍ مُسالِمَـةٍ
كَمَنْ غَـزا دَسْتَبَيَ غيرَ مُجْتَعِلِ

١٣ـ يُجْبَى إليْهِ خَراجُ الأَرْضِ مُتَّكِئاً
مُسْتَهْزِئاً بِغِنـاءِ القَيْنَةِ الفُضُـلِ

١٤ـ والـوالِبِيُّ الـذي مِهْـرانُ أَمَّـرَهُ
فَـزالَ مِهْـرانُ مَذْموماً ولَمْ يَزَلِ

١٥ـ ودونَكَ ابْنَ أَبي عُشٍّ وصاحِبَهُ
قبـلَ السبيع فقَدْ أَجْرَى على مَهَلِ

١٦ـ لا تَجْعَلَنَ [•••] بَيْتَ المالِ مأْكَلَةً
لِكُلِ أَزْرَقَ مِنْ هَمْدانَ مُكْتَحِلِ

١٧ـ والـدارِميُّ يُطيفُ البَهْرَمانُ بِـهِ
في شاربٍ بُدِّلَتْ مِن رِعْيَةِ الابِلِ

١٨ـ ومُنْقِذُ بْنُ طَريفٍ مِنْ بني أَسَدٍ
أُنْبِئْتُ عامِلُهُمْ قد راحَ ذا ثَقَلِ

يعني منقذ بن طريف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان

١٩ـ وما أُخَيْنِسُ جُعْفِيٍّ يُمانِعُـهُ
مِنَ المَتـاعِ قِيامُ اللَيْلِ بِالطُوَلِ

٢٠ـ وآخَـرانِ مِنَ العُمّـالِ عِنْدَهُمـا
بَعْضُ المَنالَـةِ إِنْ تَرْفُقْ بهـا تَنَلِ

٢١ـ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ والـذي كَذَبَتْ
بَكْرٌ عَلَيْهِ غَداةَ الرَوْعِ والوَهَلِ

٢٢ـ وما فُراتٌ وإِنْ قيـلَ امْرُؤٌ وَرِعٌ
إِنْ نالَ شَيْئاً بِـذاكَ الخائفِ الوَجِلِ

٢٣ـ والحـارِثِيُّ سَيَرْضَى أَنْ تُقاسِمَهُ
إِذا تَجـاوَزْتَ عَنْ أَعْمالِـهِ الأُوَلِ

٢٤ـ وادْعُ الأَقارِعَ فَاقْرَعْهُمْ بِداهِيَةٍ
واحْمِلْ خِيانَـةَ مَسْعودٍ على جَمَلِ

٢٥ـ كانوا أَتَوْنـا رِجـالاً لا رِكابَ لَهُمْ
فَأَصْبَحوا اليَوْمَ أَهْلَ الخَيْـلِ والإِبِلِ

٢٦ـ لَنْ يُعْتِبوكَ ولَمّا يَعْلُ هامَهُمُ
ضَرْبُ السياطِ وشَدٌّ بَعْدُ في الحُجَلِ

٢٧ـ انَّ السياطَ اذا عَضَّتْ غَوارِبَهُمْ
أَبْدَوْا ذَخائِرَ مِن مالٍ ومِنْ حُلَلِ

---

(٣١) الابيات [١ ـ ٢٧] في انساب الاشراف الجزء الخامس ١٩١ ـ ١٩٤ .
والابيات [١ ـ ٥] مع اختلاف في رواية الرابع في انساب الاشراف الجزء الرابع ـ القسم الثاني / ١٠١ .
والبيت [١٦] في حيوان الجاحظ ٣٣٢/٥ وروايته ..
ولا يكونَنَّ مالُ الله مأكلةً

(١) الشيخ هو مَرْثَد بن شراحيل كان أمينا على التِجار في بيع الطعام ..

(٢) زيد خازنه وهو مولى عتّاب بن وَرْقاء ..

(٣) يعني عامرا ..

(٤) يعني عبدالله بن أبي عصيفير الثقفي وكان على المدائن وهو الذي مات الأحنف في داره بالكوفة ..

(٥) يعني عَتّاب بن ورقاء كان على اِصبهان ..

(٦) قال هشام ابن الكلبي : هو قيس بن يزيد بن عمرو بن شراحيل بن النعمان ابن المنذر بن مالك بن الحارث الكندي ، وبعض من لا عِلْمَ له يقول : هو قيس بن الأشعث ..

(٧) يعني حجير بن حجّار بن الحُرّ ، ويقال : حجير بن جُعَيل الجُمَحي كان على الزوابي او الراذانات وبنو قَفَل من تيم الله بن ثعلبة كان منهم قوم على صدقات بكر بن وائل ..

(٨) مهران مولى زياد كان شفع في هذا الرجل فصار في عِداد العُمّال ، والرجل سعيد بن حَرْمَلة بن الكاهل الوالبي ، ويقال : هو ابو هيّاج عمرو ابن مالك الوالبي ..

(٩) ابن أبي عَشّ همداني" قدم الكوفة فقال مَنْ سيّد قومي فقالوا الحجّاج بن عمرو الزُبَيْدي فقال انا لا أُقيم ببلدة يسود فيها زُبَيْدي ، وكان على الدِينَوَر ، وصاحبه عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ..

(١٠) الدارمي لبيد بن عُطارد ، ويقال مسعود بن قيس بن عطارد ..

(١١) ابن أَسد ، وأُخْبِرَ أنّ عاملهم ، وهو رجل منهم ، قد حسنت حاله للخيانة ، وقال ابن الكلبي : كان عاملهم نُعيم بن دَجّاجة وكان على أسفل الفرات ..

(١٢) يعني زَحْر بن قيس ، ويقال محمد بن أبي سَبْرة كان على جوخى ..

(١٣) محمد بن عمير بن عُطارد ويزيد بن رُوَيم حين أمر به عمرو بن حُريث..

(١٤) فُرات بن زَحْر قتله المختار يوم جَبّانة السَبيع ..

(١٥) الحارثي السَرِيّ بن وقّاص وكان على نِهاوَنْد ..

(١٦) مسعود من بني أَسَد ..

(١٧) جَمْعُ حجل ..

(٣٢)

أرسل عبدالله بن هَمّام السلولي شاباً الى امرأة ليخطبها عليه ، فقالت له : فما يمنعك أنت ؟ فقال لها : ولي طمع فيك ؟ قالت : ما عنك رغبة. فتزوجها ثم انصرف الى ابن هَمّام ، فقال له : ما صنعت ؟ فقال : والله ما تزَوجَتْني الا بعد شرط . فقال : أولهذا بعثتك ؟ فقال ابن هَمّام في ذلك :

[من البسيط]

١ ـ رأت غلاماً عَلا شُرب الطِّلاء به
يَعيا بارقاص بَرْديٍّ الخَلاخيل

٢ ـ مُبَطَّناً بلخيس اللحم تحسبه
مما يُصَوَّر في تلك التماثيل

٣ ـ أكفى من الكفء في عقد النكاح وما
يَعيا به حِلٌّ هِمْيان السراويل

٤ ــ تركتها والأيـامَى غـيرَ واحـدةٍ
فاحبِسْهُ عن بيتها ياحابس الفيـل

(٣٢) الابيات [١ ــ ٤] في العقد الفريد ١٢٧/٦ .

(٣٣)

[من الطويل]

وقال عبدالله بن همّام السلولي :

١ ــ متى مـا أَقلْ يومـاً لطالبِ حاجـةٍ
نَعَمْ أَقْضِها قِدماً وذلك من شَكْلي

٢ ــ وانْ قـلتُ لابتَتُّهـا من مكانهـا
ولم أُوذِهِ فيهـا بجَـرٍّ ولا مَطْـلِ

٣ ــ ولَلبَخْلَةُ الأولى أَقـلُّ مـلامـةً
من الجُودِ بَدْءاً ثم تَثنيـهِ بالبُخْلِ

(٣٣) حماسة البحتري ١٤٥ ــ ٤٦ .

(٣٤)

وقال ابن هَمّام السلولي :

[من البسيط]

١ ــ لمـا تمـكّنَ دُنيـاهم أطاعهـمُ
في أي نَحْـوٍ يميـلو دينُـه يَمِلِ

اللسـان : ميل .

(٣٥)

[من البسيط]

١ ــ يا دارَ لَيْـلَى بأُبْلىً فَذِي حُسُمِ
فجانبِ القُفِّ ذي القِيعانِ فالأَكمِ

٢ ــ انا نقولُ ويَقضي اللهُ مُقْتَدِراً
مَهْما يُدِمْ رَبُّنا من صالح يَدُمِ

٣ ــ يزيدُ يا ابن أبي سُفيانَ هل لكُمُ
الى ثَنَاءٍ ومَجْدٍ غير مُنْصَرِمِ

٤ ــ أعزِمْ عَزيمةَ أمرٍ غِبُّهُ رَشَدٌ
قبلَ الوَفاةِ وقَطِّعْ قَالَةَ الكَلِمِ

٥ ــ واقدُرْ بقائلِكُمْ : خُذها يزيدُ فقُلْ
خُذْها مُعَاوي لا تَعجِزْ ولا تُلِمِ

٦ ــ ان الخِلافةَ ان تُعْرَفْ لِثَالثكُمْ
تَثْبُتْ مَراتبُها فيكُمْ ولا تَرِمِ(١)

٧ ــ ولا تَزَالُ وُفودٌ في ديارِكُمُ
يَغْشَوْنَ أبلجَ سَبّاقاً الى الكَرَمِ

٨ ــ يَزُمُّ أمرَ قريشٍ غيرَ مُنْتَكِثٍ
ولو سما كُلُّ قرمٍ مِنْهُمُ قَطِمِ(٢)

٩ ــ عيشوا وأنتُم من الدنيا قلى حَذَرٍ
واستصلِحُوا جُنْدَ أهل الشام للبُهَمِ

١٠ــ ولا تُحِلُّنَّها في دار غَيْرِكُمُ
انّي أخافُ عليكُم حَسْرَةَ النَّدمِ

١١ـ وأطْعَمَ اللهُ أقواماً على قَدَرٍ
ولم يُحَاسِبْكُمُ في الرِّزْق والطُّعَمِ

١٢ـ ولا لمِنْ سَالَكَ الشُورَى مُشَاوَرةٌ
الاّ بطَعْنٍ وضَرْبٍ صَائبٍ خَذِمِ

١٣ـ أنَّى تكونُ لَهُمْ شُورىَ وقد قَتَلُوا
عُثْمانَ،ضَحَّوْا بهفيأشهُرِ الحُرُمِ (٣)

١٤ـ خيرُ البَرِيّةِ ، رَاعُوا المُسلمينَ بـه
مُلَحَّبَاً ضُرِّجتْ أثوابُه بِدَمِ (٤)

١٥ـ وكانَ قاتِلُهُ منكُمْ لِمَصْرَعِهِ
مِثْلَ الأُحَيْمِرِ اِذْ قَفَّى علىاِرَمِ (٥)

١٦ـ أو كَالدُهَيْمِ ، وما كانت مُبَارَكةً
أدّتْ الى أهْلِها ألفاً من اللُّجُمِ

١٧ـ نَفْسي فداءُ الفَتى في الحرب لَزَّهُمُ
حَتّى تَدانَوْا وأَلْهى الناسَ بالسَّلم

١٨ـ وبارَكَ اللهُ في الأرض التي ضَمِنَتْ
أوصَالَهُ ، وَسَقاها باكِرُ الدِّيَمِ

---

(٣٥) الابيات [٢ ـ ١٨] في طبقات فحول الشعراء ٢/٦٢٩ ـ ٦٣٢ والاول وبقية الابيات في نقائض جرير والاخطل ٣ ـ ٥ والابيات [٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠] مع اختلاف في الرواية في انساب الاشراف . الجزء السابع ـ القسم الثاني/٥ .

(١) ثالثهم معاوية بن يزيد بن معاوية والاول معاوية والثاني يزيد .

(٢) زم الشيء يزمه . شده بالزمام لينقاد . الانتكاث : الانتقاض بعد قوة والقرم : أصله الفحل من الابل ، يترك من الركوب والعمل والقطم : من الأبل الهائج .

(٣) كان عبدالله عثمانياً وكان مقتله في الاشهر الحرم . ضحوا به اقتلوه .

(٤) لحّبه : مشددة الحاء بالسيف ضربه او جرحه او قطعه ..
(٥) الأحيمر : هو أحمر ثمود ، عاقر ، ناقة صالح عليه السلام وارم : ارض عاد . قفى على الشي : ذهب به واباده .

(٣٦)

[من الطويل]

وقال في رجل وشى به الى زياد ..

١ ــ وأنتَ امرؤٌ اما ائتمنتك خَاليـاً
فَخُنْتَ واما قلتَ قولاً بلا علمِ
٢ ــ فأنْتَ من الأمرِ الذي كان بَيْنَنَا
بمنزلةٍ بين الخيانة والاثم

فأعجب زياد بجوابه وأقصى الواشي ولم يقبل منه .

---

(٣٦) البيتان في حماسة ابي تمام ١١٣٩/٣ ــ ١١٤٠ وعيون الاخبار ٤١/١ . البيتان في امالي القالي ٤٦/٢ وبهجة المجالس ٥٧٥/١ بلا نسبة وهي في محاضرات الادباء ١٩٠/١ . ومجموعة المعاني /٧١ وفي بعض المصادر فأبتَ .. وفي بعضها الآخر ..
وانك في الأمر الذي قد اتيته . لفي منزل ...

(٣٧)

قال عبدالله بن همام السلولي في أبي العمرّطة وهو يخترط سيفه ويضرب به رأس يزيد بن طريف فيخر لوجهه ويبرأ :

[من الطويل]

١ ــ ألؤمَ ابنَ لؤم ما عدا بك حاسراً
الى بَطَلٍ ذي جُرْأةٍ وشَكيمِ
٢ ــ معاودِ ضَرْبِ الدّارعين بسيفهِ
على الهام عند الرّوع غيرَ لئيمِ

٣ ـ الى فارِس الغارَيْنِ يومَ تلاقَيا
بصِفّينَ قَرْمٍ خيرِ نَجل قُرُوم

٤ ـ حَسِبْتَ ابنَ بَرْصاءَ الخِتار قِتالَهُ
قِتالَكَ زَيْداً يَوْمَ دارِ حكيم

(٣٧) الابيات [١ ـ ٤] في تاريخ الطبري ٤/٢٦٠ وكامل ابن الاثير/٤٧٥ .

(٣٨)

[من الوافر]

قال عبدالله بن هَمّام السلولي :

١ ـ لقد ضَاعَت رَعِيَّتُكُمْ لَدَيكُمْ
تَدَرَّوْنَ الأَرانبَ غافلينا

٢ ـ اِذا ما مَاتَ كِسْرى قام كِسْرى
نَعُدُّ ثلاثَةً مُتَتَابِعَينا

٣ ـ وكُلُّ الناسِ نَحنُ مُبَايعُوهُ
وانْ شِئْتُم فَعَمُّكُمُ السَمّينا

٤ ـ وان جِئتُمْ بِرَمْلَةَ أو بِهنْدٍ
نُبَايِعْهَا أميرَةَ مُؤمنِينا

٥ ـ نُثَبِّتْ مُلْكَكُمْ واذا أَرَدْتُمْ
بِنا الصَّلْعَاءَ قُلْنَا مُخْبِتِينا

٦ ـ فيا لَهَفي لو انَّ لنا أنوفاً
ولكنْ لَنْ نَعُودَ كما غنينا

٧ ـ اِذاً لَضُرِبتُمُ حتّى تعُودُوا
بمَكّةَ تَلْحَسُونَ بها السَّخينا

٨ ـ حُشِينَا الغَيْظَ حتى لو شَرِبْنَا
دِمَاءَ بني أُميَّةَ مَا رَوِينَا

٩ ـ ضعوا كلباً على الأعناق منّا
وسَرّحكم اصاغر ورّثونا

١٠ـ هبونا لا نريدكمُ بسوءٍ
ولا نعصيكُمُ ما تأمرونا

١١ـ فأولوا بالسداد فقد بقينا
لحلفكم عناداً مفترينا

(٣٨) الابيات في الوحشيات /١٠٢ والابيات [١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨] في مروج الذهب ٢٨/٣ مع اختلاف في الرواية والتسلسل ونسبت الى عبدالرحمن بن همام وهو وهم وينظر تخريج الابيات في الوحشيات .
الابيات [١ ـ ١١] مع اختلاف في رواية الابيات [١ ـ ٨] في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٢٢٦/٤ ـ ٢٢٧ وعقب على الابيات فبلغ ذلك معاوية فقال : ماترك ابن همام شيئاً ، ذكر الحرم وعيّرنا بالسخينة ، ماله الا يخرجنا من جندنا . قال : ثم وجه اليه معاوية ببدرة والرابع فياللسان [أمر] وروايته ..

ولو جاءوا برملة أو بهندٍ لبايعنا ...

(٣٩)

خطب عامر بن مسعود فقال يا أهل الكوفة لأُنسينّكم سيرة عمر بن الخطاب . وقال يوماً يا أهل الكوفة اني قد تزوجت امرأة من بني نصر بن معاوية فأعينوني بأرزاقكم شهراً فقال قائل : نعم فأخذوا ارزاقهم كلها لشهر ، وحُصب ذات يوم على المنبر فغطّى وجهه بكمّه وقال : لِمَ ذا حسبُكم الآن وقال ابن هَمّام السلولي :

[من البسيط]

١ ـ مازِلْتُ أرْجو أبا حَفْصٍ وسيرَتَهُ
حتى نَكَحْتَ بأرزاقِ المساكين

٢ ـ أنْكَحْتُمُ يا بني نَصْرٍ فَتَاتَكُمُ
وَجْهاً يَشينُ وجُوهَ الرَّبْرَبِ العِين

٣ ـ أنْكَحْتُمُ لا فتى دُنْيا يُعاشُ بِهِ
ولا شُجاعاً اِذا شُقَّتْ عصا الدين

٤ ـ يا ابنَ الزبَيْرِ لقد وَلَّيْتَهُ شَبِقاً
كزَّ اليَدَيْنِ بخَيلاً غير عِنّينِ

٥ ـ لا يَسْتَطِفُ لَهُ مالٌ فيَتْرُكُهُ
ولا يقولُ لِما يُعطاهُ يَكفيني

---

(٣٩) الابيات [١ ـ ٥] في انساب الاشراف الجزء الخامس /١٩١ .

(٤٠)

قال عبداللّه بن همّام : [من الطويل]

١ ـ ألا رُبَّ من تغتشُهُ لكَ ناصِحٌ
ومؤتَمَنٌ بالغيبِ غيرُ أمينِ

٢ ـ فلا يجتلِبْكَ القولُ لا فِعْلَ تَحْتَهُ
فكم مِن نصيحٍ باللسانِ خَؤونِ

---

(٤٠) البيتان في حماسة البحتري / ١٧٥ والاول بلا نسبة في بهجة المجالس ٥٧٦/١ .
وروايته الارُبَّ من تَعْتَدُهُ لك ناصحاً ومؤتمناً
وينظر محاضرات الادباء ٦١/١ وفيات الاعيان ١٩٦/٦ .

(٤١)

وقال أيضاً :

رُبَّ مَنْ أغتَشُّهُ ينصَحُني
وأخي نُصْحٍ بغيبٍ قد يخونْ

(٤١) حماسة البحتري ١٧٥ .

ما نسب له ولغيره وهي لغيره

(٤٢)

وفي تولية قتيبة وعزل يزيد قال عبدالله بن هَمّام السلولي :

[من الطويل]

١ ـ أقُتيبَ قد قلنا غداةَ أتيتنا
بَدلٌ لَعمرُكَ من يزيد أعورُ

٢ ـ ان المُهَلّبَ لم يكُنْ كأبيكُمُ
هيهاتَ شأنكُمُ أرقُّ وأحقرُ

٣ ـ شتان مَنْ بالصنج ادرك والذي
بالسيفِ شَمَّرَ والحروبُ تسعَّر

٤ ـ حولانُ باهلة الألى في ملكهم
مات الندى فيهم وعاش المنكر

(٤٢) الابيات [١ ـ ٤] في وفيات الاعيان ٦/٢٩٠ ـ ٢٩١ .
وقيل ان هذه الابيات ليست لعبدالله بن هَمّام . وانها لنهار بن توسعة اليشكري . والذي أراه انها لنهار لصلة الشاعر بقتيبة وفي اخبارهما ما يؤكد هذه الصلة . ونسب الاول في التاج [عور] الى عبدالله بن همام وينظر شعر نهار بن توسعة في مجلة المورد .

المصطلح اللغوي في القرآن الكريم

الدكتور محيي الدين توفيق
كلية الآداب ـ جامعة الموصل

المقدمة

لم تول امة من الامم كتاباً من الكتب بالعناية والرعاية والحفظ ، كما فعل العرب والمسلمون بالقرآن الكريم . وغني عن القول ما لهذا الكتاب العظيم من أثر في حفظ اللسان العربي ونشوء علوم العربية . وقد ظل العرب خاصة والمسلمون عامة يتدارسون هذا الكتاب ، ومازالوا يبحثون فيه وينقّبون عن شواهد المعرفة ودلائل الانجاز ، ويستنبطون منه القواعد ويستشهدون به على نظرياتهم ومقولاتهم في النحو واللغة والبلاغة والادب.

وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين،فلم يكن بالذين كانت تتلى عليهم آياته حاجة الى توضيح أو تفسير . واذا ما حدث أن سأل أحدهم عن هذه اللفظه اوتلك فلأنه لم يسمعها في لغته . فقد تكون من الالفاظ التي تحتفظ بها لغة الادب الرفيع أو هي لفظة تشيع لدى قبيلة غير قبيلته أو في بيئة غير بيئته . وهكذا كان ابن عباس يوضح لأمثال هؤلاء تلك الالفاظ ويشرحها لهم مستعيناً بالشعر العربي الذي كان ديوان العرب .

فالناظر في تفسير ابن عباس لهذه الالفاظ سرعان ما يتبين له أن ذلك التفسير لايعدو أن يكون تفسيراً لغوياً ، بعيداً عن التأويل وما الى ذلك . حتى اذا تقادم الزمن ، واتسعت المسافة بين المسلمين وبين عهد نزول القرآن، ودخلت في الاسلام امم كثيرة من غير العرب أصبحت الحاجة الى الشرح والتوضيح ضرورة لا بد من اقتفائها .

في البدء كانت هناك كتب الغريب التي تعنى بألفاظ القرآن ذات المعاني الخاصة من حيث تركيبها ومعناها واستعمالها .

فالذي ينظر في كتب التفسير الاولى كمجاز القرآن لأبي عبيدة مثلا ، يجد أن المفسر لايفسر الآيات الواحدة تلو الاخرى مبينا ما فيها من أقوال وأحكام ، بل يكتفي بايراد معاني الالفاظ التي يظنها تصعب على القارئ أو التي يجد فيها مشكلا لغوياً أو معنوياً من تلك المشكلات التي يعنى بها اللغويون عموماً .

ولكن الباحث المحدث يجد في كتب الغريب ، وكتب معاني القرآن نفسه مادة بكراً . لابد من تمحيصها وتدقيقها ليسهل الى حقائق ربما كانت قد فاتت الاولين لالجهلهم بها ولكن لأنهم لم تكن بهم حاجة اليها ، ولم يكن الناس ممن يقرأون عليهم أو يتعلمون منهم يسألون عنها أو يلتفتون اليها . ومع ذلك زخرت كتبهم بمادة وفيرة عن أصول الالفاظ والتراكيب وتطورها الى معان جديدة لايشعر القارئ غير المتخصص بالصلة بينها وبين أصولها .



« المصطلح اللغوي »

المصطلح لغة مشتق من الصلح ، ومادة (صلح) كما ينص المعجميون لها معنى واحد وهو نقيض الفساد ، قال ابن منظور : « الصلاح ضد الفساد صلح يصلح ويصلح صلاحاً » وقال ايضاً « وربما كنوا بالصالح عن الشيء الذي هو الى الكثرة كقول يعقوب مغرت في الارض مغرة من مطر وهي مطرة صالحة ، وكقول بعض النحويين كأنه ابن جني أبدلت الياء من الواو ابدالا صالحاً وهذا الشيء يصلح لك أي هو من بابتك » (١) .

وينقل مصطفى الشهابي عن (مستدرك التاج) ان الاصطلاح هو: « اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص » (٢) . وهذا الاتفاق والتواطؤ أو التصالح ان تم بين جماعة المحدثين تفتق عن مصطلح في الحديث ، وان قام بين جماعة الفقهاء على مسائل في الفقه ، وان كان بين جماعة من النحاة صنعوا مصطلحاً نحوياً (٣) .

وواضح أن هذا المعنى في الاصطلاح مأخوذ من قولهم : « هذا الشيء يصلح لك أي هو من بابتك » . الذي أشرنا اليه آنفاً ، واذا كان يشترط في الاصطلاحات العلمية والفنية أن تكون باتفاق من العلماء أي بعمل ارادي مقصود ، فان المصطلح اللغوي ليس كذلك . فهو كغيره من الفاظ اللغة وأساليبها ليس عملا ارادياً مقصوداً ، بل هو الشيء يخضع لقوانين التطور الاجتماعية ، وتؤثر فيه عوامل مختلفة أهمها البيئة والثقافة . فللالفاظ دلالات أصلية تتطور بتطور الزمن باتجاه التجريد والانتقال من المادى الى المعنوى بعد أن تمر بمراحل مختلفة بحسب الحاجة ونتيجة لكثرة الاستعمال فما من شك في

(١) لسان العرب مادة صلح .
(٢) كتاب المصطلحات العلمية ص ٥ .
(٣) المصطلح النحوي ص ٢٢ .

أن لفظة (سبب) التي تعنى في الاصل (الحبل) لم تصل في معناها المجرد الذي يدل على التأثير والعلة الا بعد ان مرت بمراحل في الاستعمال كثيرة فبعد أن كانت تدل على الحبل مطلقاً ، أصبحت في مرحلة من مراحل التطور دالة على الحبل الذي يربط أحد طرفيه بسقف أو نحوه ليتسلق به ولايسمى الحبل سببا حتى يصعد به وينحدر به . ولذلك قالوا في السبب « كل شيءٍ يتوصل به الى غيره » (٤). وما حدث للسبب أعني انتقال معناه من الدلالة المادية البحتة . الى المعنى الكلي المجرد هو الذي يحدث لألفاظ اللغة عموماً . فالتطور المنطقي ان تكون الدلالة المادية سابقة للدلالة المعنوية . وهذا الامر ينسجم كل الانسجام مع تطور الانسان وعقله وادراكه عبر آلاف السنين .

الفرق بين المصطلح والمثل والقول السائر :

ليس المصطلح اللغوي هو التركيب الوحيد الذي يعطي معنى لاتدل عليه حقيقة ألفاظه ، بل هناك أنواع أخرى من التركيب تتكثف فيها معان زاخرة وتتلخص فيها تجارب أجيال وقرون. من ذالك (المثل) ، ولكن المثل كما هو معروف لدى اللغويين قول يحكي قصة واقعة ويلخص معانيها وتجاربها ولذلك حرص مؤلفو الامثال على ايراد تلك القصص فضلا عن شرحهم لالفاظها وبيان مضاربها . (٥) وليس المصطلح كذلك ، فلا علاقة له بالقصص والحكايات . وانما تطور في المعاني يطرأ على الالفاظ فيحوّلها الى معان جديدة بينها وبين المعاني القديمة أو ألاصلية قرينة أو علاقة . وفرق آخر بين المثل والمصطلح هو أن المثل يبقى محتفظاً بنصه لايتغير فيها شيءٌ وان اختلف المخاطب وتغير المضروب له . قال الزمخشري: «والامثال يتكلم

---

(٤) لسان العرب مادة سبب .
(٥) ينظر المستقصى للزمخشري المقدمة ص د .

بها كما هي ، فليس لك أن تطرح شيئاً من علامات التأنيث في (أطرى فإنك ناعلة) ولا في (رمتني بدائها وانسلت) وان كان المضروب له مذكراً ، ولا أن تبـــدل اسم المخاطب من عقيل وعمرو في (أشئت عقيـل الى عقلك) (هذه بتلك فهل جزيتك ياعمرو) (٦) . ولا يشترط في المصطلح اللغوي ذلك فقد يتغير بتغير الخطاب . تقول (ضاقت ذرعاً) و (ضق ذرعاً) و (يضيق ذرعاً) (ضيقي ذرعاً) الى غير ذلك . وان كان بعض المصطلحات يلزم حالة واحدة لا يحول عنها ولا يتطرق الى الفاظه التغير . كقولهم « بعين ما أرينك» (٧) وهذا النوع من المصطلح يكون في حالة الجمود كما سنبين فيما بعد .

ومن ذلك أيضاً القول السائر . كقولهم (لا آتيك ما حنّت النيب) أو (لايضرّ الحوار ما وطئته أمه) (٨) . وهذا يختلف اختلافاً بيّناً عن المصطلح لأنه ليس فيه انتقال من معنى أصلي الى معنى جديد متأت من تركيب الالفاظ أو إسنادها ، وهو يختلف عن المثل لأن المثل كما قلنا يحكي قصة وتلزم بمعاني الفاظه حالة واحدة مهما تغير الخطاب .

المصطلح الاسنادي وغير الاسنادي :

والمقصود بالمصطلح اللغوي ان تجتمع لفظتان فأكثر في تركيب معنى اسنادى فينشأ عن هذا التركيب معنى جديد لا تدل عليه معاني الالفاظ الداخلية فيه كل على حدة . غير أن هذا المعنى الجديد لم ينشأ اعتباطاً ، بل تربطه بمعاني الالفاظ روابط مختلفة سنتحدث عنها في هذا البحث .

فقولهم (ضاق ذرعاً) تركيب اسنادي أسند فيه الفعل الى الفاعل فنشأ عن هذا التركيب معنى جديد لا يفهم من معنى اللفظتين . فالضيق ضد السعة ، والذرع

(٦) مقدمة المستقصى ص هـ وينظر في معاني هذه الامثال ١/٢٢١ ، ٢/١٠٣ ، ١/١٧٥ ، ٢/٣٨٨ .
(٧) الميداني مجمع الامثال ومعناه اسرع .
(٨) مجمع الامثال ٢/٢١٩ ، ٢٢٠ .

هو مدّ الذرع ، وأصل هذا المعنى مأخوذ مما يحدث للجمل حين يثقل حمله ، فيضيق ذرعه فكلما زاد حمله ضاقت المسافة بين ذراعيه . وهكـــذا خلص معنى هذا التركيب الى الدلالة على قلة الطاقة عموماً ، واستعمل للجمل وغير الجمل ، وقد استعمل في القرآن الكريم في موضعين وهو قوله تعالى : « وضاق بهم ذرعاً » (٩) .

ومن ذلك ايضاً قوله تعالى : «قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق»(١٠) وللمفسرين فيه قولان: الاول انه بمعنى وضح وتبين وانكشف(١١). والثاني ثبت واستقر(١٢) ، وأصل المعنى الاول من « حصحصت التراب وغيره اذا حركته وفحصته يميناً وشمالاً» (١٣) وأصل المعنى الثاني من قولهم « حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة » (١٤) .

ومن ذلك ايضاً قوله تعالى : «فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم »(١٥)حكاية عن امراة ابراهيم قال المفسرون : ان المعنى هنا هو التعجب أي انها تعجبت عندما بشّرت بغلام (١٦). وأصل الصك لغة الضرب الشديد بالشيء العريض وقيل هو الضرب عامة بأي شيء كان (١٧). وقد أوضح المفسرون أيضاً ان امرأة ابراهيم ضربت جبهتها بجميـــع أصابعها (١٨). وقيل لطمت وجهها (١٩) . ولكن هـــذا الضرب لم يحدث إلا عند التعجب وهو عادة

(٩) سورة هود /٧٧ ، سورة العنكبوت /٣٢ .
(١٠) يونس /٥١ .
(١١) التفسير لابن قتيبة ٢١٨ ، تفسير الطبري ١٢/١٤٠ .
(١٢) الكشاف ٢/٣٢٦ .
(١٣) اللسان مادة حصحص .
(١٤) الكشاف ٢/٣٢٦ وينظر التاج مادة حصحص .
(١٥) سورة الذاريات /٢٩ .
(١٦) تفسير الطبري ٢٦/١٣٩ . الكشاف ٤/١٨ ، تفسير القرطبي ١٧/٤٧ .
(١٧) اللسان مادة صكك .
(١٨) تفسير ابن قتيبة ٤٢١ . تفسير الطبري ٢٦/١٢٩ .
(١٩) الكشاف ٤/١٨ ، تفسير القرطبي ١٧/٤٧ .

معروفة لدى النساء قديماً وحديثاً . وعلى هذا يكون معنى التعجب قد فهم من العلاقة بين الفعلين ، وهذا النوع من المصطلحات والتعابير ، ومثله قوله تعالى : «فيؤخذ بالتواصي والاقدام»(٢٠).وقوله‌تعالى : «لنسفعاً بالناصية(٢١) وقوله‌تعالى : «ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها»(٢٢)، والاخذ بالناصية او الامساك بها معناه الاذلال والقهر (٢٣) .

ومن ذلك مالايكون تركيباً اسنادياً ، بل شبه جملة ، من ذلك قوله تعالى «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٢٤)، فعن يد جار ومجرور اختلف في معناه ، فقيل ، «أعطاه عن يد وعن ظهريد اذا أعطاه مبتدئاً غيرمكافئ» (٢٥) . وقيل‌قهراً أونقداً غيرنسيئة(٢٦). وهذه‌المعاني‌كلها اصطلاحية خرجت عن المعنى الذي يؤديه الجار والمجرور أيضاً : (من خلاف) في قوله تعالى « أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف»(٢٧) . أي أن تقطع اليد اليمنى من كل منهم والرجل اليسرى (٢٨) . « والخلاف بالكسر المخالفة والخلاف أيضاً المضادة وقد خالفه مخالفة وخلافاً » (٢٩) ويجيء ظرفاً ، ومنه قوله تعالى : «بين يدى عذاب شديد » (٣٠) ، وقد ورد في القرآن

---

(٢٠) سورة الرحمن /٤١ .
(٢١) سورة العلق /١٥ .
(٢٢) سورة هود /٥٦ .
(٢٣) التأويل ١٨١ وانظر اللسان مادة نصا .
(٢٤) سورة التوبة /٢٩ .
(٢٥) التفسير ١٨٤ .
(٢٦) تفسير الطبري ٧٧/١٠ ، تفسير الكشاف ١٨٤/٢ .
(٢٧) سورة المائدة /٣٣ .
(٢٨) التأويل ٣٩٩ ، تفسير الطبري ١٣٧/٦ ، تفسير القرطبي ١٥١/٦ ، ٢٦١/٧ .
(٢٩) التاج مادة خلف .
(٣٠) سورة سبأ /٤٦ .

كثيراً (٣١) . ومعنى بين يدى الشيء أمامه أوقبله (٣٢) . وما جاء بمعنى (أمامه) قوله تعالى : «من بين أيديهم ومن خلفهم» (١٤) ويأتي بمعنى قبله ، قوله تعالى : «مصدقاً لما بين يديه» (٣٤) ، أي لما قبله .

طرق الانتقال من المعاني الحقيقية الى المعاني الاصطلاحية :

أثبت البلاغيون أساليب في البيان يلجأ اليها في التعبير عن كوامن النفس وخفايا الشعور ، لاتستطيـــع الالفاظ أن تؤديها اذا استعملت بمعانيها الحقيقية ، فينقلونها الى معان مجازية ترتبط بالمعاني الأصلية بروابط ظاهرة أو خفيّة ومن تلك الاساليب : المجاز والاستعارة والكناية ، ولكل من هذه الانواع الثلاثة علاقات وفروع زخرت بها كتب البلاغة . ولكن البلاغيين تحدثوا عن ذلك باعتباره وسيلة في التعبير الجميل يصل به صاحبه الى المعنى المراد بألفاظ منتقاة يقصد اليها قصداً . والذي أريد أن استخلصه من هذا أن استعمال المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من اساليب البلاغة الراقية عمل ارادى من صنع المتكلم وادراكه ، ولكن المجاز والاستعارة والكناية وغير ذلك تتخذ طريقاً آخر في أساليب التعبير التي تحدثنا عنها آنفا ، وأعني بها المثل والمصطلح اللغوي والقول السائر . ففي هذه الانواع يأتي المجاز والاستعارة والكناية لغرض الانتقال بالتركيب الى معان اخرى لاتؤديها ألفاظه فرادى وعلى هذا يكون المجاز والاستعارة والكناية مأتيا بها على غيرقصد ، وانما تتطور في ذلك تطوراً يأخذ زمنا قد يقصر ويطول. فاذا أراد العربي أن يعبر عن أن شيئاً ما أخذ بأكمله لا ينقص منه شيء قال أخذه برمته ، وأصله البعير يشدّ في عنقه حبل فيقال أعطاه البعير برمته (٦٣). وواضح أن هذا يدخل فيما يسميه

(٣١) ينظر المعجم المفهرس ٧٧ .
(٣٢) اللسان مادة يدى .
(٣٣) سورة الاعراف /١٧ .
(٣٤) سورة المائدة /٤٦ وانظر التفسير لابن قتيبة ٣٦١ .
(٣٥) اللسان مادة رمم .

البلاغيون الاستعارة المكنية ، فقد شبه الشيء المأخوذ بأكمله بالبعير الذي يؤخذ كاملا لا ينقص منه شيء حتى الرمة التى يقاد بها فحذف المشبه والمشبه به وأتي بأحد لوازم المشبه به أو ما يشتمل عليه وهو الرّمة . وقد نجد مثل هذا في كثير من التعبيرات الاصطلاحية ، وعلى ذلك يمكن تقسيمها من هذه الناحية الى الاقسام الثلاثة الآتية :

الاول : ما انتقل فيه المعنى الاصلي الى المعنى الجديد انتقالا مجازيا ، وأعني بالانتقال المجازي هنا ما كان اساسه مجازا مرسلا على حد البلاغيين لهذا النوع من المجاز ، والبلاغيون يثبتون للمجاز علاقات كثيرة تربط المعنى الجديد بالمعنى الحقيقي وتضبطه وقد وجدنا طائفة من هذه العلاقات في كثير من المصطلحات اللغوية القرآنية وحسبنا ان نشير الى طائفة منها مستشهدين بالمصطلح القرآني فهو هدفنا في هذا البحث .

١ — من ذلك قوله تعالى : « واللهمحيط بالكافرين » (٣٦) ، وتفسيره أن الله « جامعهم فحلّ بهم عقوبته » (٣٧) ، وقيل « عالم بهم » (٣٨) . وعلى هذا تأتي الاحاطة بالشيء في القرآن الكريم بمعنيين . أحدهما : الجمع وانزال العقوبة ، ومعنى ذلك الاهلاك والغلبة ، وعلى هذا المعنى فسّر قوله تعالى : « وظنوا أنهم أحيط بهم » (٣٩) ، أي دنوا من الهلاك (٤٠) وكذلك قوله تعالى : « وأحيط بثمره » (٤١) وقد حمل ابن قتيبة قوله تعالى « إلا أن يحاط بكم » (٤٢) على هذا المعنى ، فقال في تفسيره : « أي تشرفوا

---

(٣٦) سورة البقرة /١٩ .
(٣٧) تفسير الطبري ١/١٢٢ .
(٣٨) تفسير القرطبي ١/٢٢١ .
(٣٩) سورة يونس /٢٢ .
(٤٠) التأويل ١٦٧ ، والتفسير ١٩٥ ، ٢٦٨ .
(٤١) سورة الكهف /٤٢ .
(٤٢) سورة يوسف /٦٦ .

على الهلكة وتغلبوا » (٤٣) .والمعنى الثاني: هو العلم بالشيء من جميع جوانبه ، كما قال تعالى :« وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً»(٤٤) ،وقال تعالى« أحطت بمالم تحط به»(٤٥) ، ومثله في آيةالكرسي :« ولايحيطون بشيء من علمه » ، والمعنيان متأتيان من المعنى الحقيقي للاحاطة ، فهي في الاصل الاحداق . من ذلك قولهم : «احاطت به الخيل وحاطت : أحدقت ، واحتاطت بفلان وأحاطت اذا أحدقت به» (٤٦) وفي كل ذلك انتقل معنى الاحاطة الى المجاز. قال الزمخشري« واحاطة الله بالكافرين مجاز ، والمعنى أنهم لايفوتونه كمالا يفوت المحاط به المحيط حقيقة » (٤٧) .

٢ ــ ومما سبيله المجاز ايضاً . قوله تعالى : «ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل » (٤٨) والقطع هنا على المجاز لا على الحقيقة لان المقصود قطع صلة الرحم(٤٩)،ومثل هذا قوله تعالى: «فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم » (٥٠) قال الطبري : « وانما عني بالرحم أهل الرحم الذين جمعتهم واياه رحم والدةواحدة» (٥١). والعلاقةهنا كمايسميهاالبلاغيون(المحلية) .

٣ ــ ومنه قوله تعالى : « بلى من أسلم وجهه لله»(٥٢).قال الطبري :«وأما قوله من أسلم وجهه لله فانه يعني باسلام الوجه التذلل لطاعته والاذعان لامره (٥٣) .

---

(٤٣) التفسير ٢١٩ .
(٤٤) سورة الطلاق /١٢ .
(٤٥) سورة النمل /٢٢ .
(٤٦) اللسان مادة حوط .
(٤٧) الكشاف ٢١٨/١ ، وينظر التاج مادة حوط .
(٤٨) سورة البقرة /٢٧ .
(٤٩) تفسير الطبري ١٤٤/١ ، الكشاف ٢٦٩/١ .
(٥٠) سورة محمد /٢٢ .
(٥١) تفسير الطبري ١٤٤/١ .
(٥٢) سورة البقرة ١١٢ .
(٥٣) تفسير الطبري ٣٩٣/١ .

وعلى هذا يكون المقصود بالوجه سائر الجوارح التي ينقاد بها الانسان وقد خصه بالذكر لأنه أشرفها، والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشي (٥٤) ، ويلحظ أن (الاسلام) مأخوذ من هذا المعنى . وانما سمي المسلم مسلماً بالوجه مسلماً بخضوع جوارحه لطاعة ربه (٥٥). فذكر الوجه وارادة سائر الجوارح مجاز علاقته الجزئية .

٤ – ومنه قوله تعالى: « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك»(٥٦) والمراد بغلظة القلب الشدة والقساوة (٥٧)، والقاسي القلب غير ذى الرحمة ولا الرأفة (٥٨) ، أو هو تجهم الوجه وقلة الانفعال في الرغائب وقلة الاشفاق والرحمة » . وهو من المجــاز كالعهد الغليظ واغلاظ اليمين ، وأمر غليظ وماء غليظ » (٥٩) .

٥ – ومنه قوله تعالى : « ولكنه أخلد الى الارض» (٦٠) ومعنى أخلد ركن ومال (٦١)، ومعنى اخلد الى الارض ركن الى الدنيا وسكن (٦٢)، وآثر شهواتها ولذتها على الاخرة (٦٣) ، وقيل مال الى السفالة (٦٤) وعلى هذا يكون الاخلاد الى الارض مذموماً لأن المقصود بها متاعها ولذتها وشهواتها(٦٥)

---

(٥٤) تفسير القرطبي ٢/٧٥ .
(٥٥) تفسير الطبري ١/٣٩٣ .
(٥٦) سورة آل عمران /١٥٩ .
(٥٧) اللسان مادة غلظ .
(٥٨) تفسير الطبري ٤/٩٩ .
(٥٩) التاج مادة غلظ .
(٦٠) سورة الاعراف /١٧٦ .
(٦١) اللسان مادة خلد .
(٦٢) التفسير ١٧٤ .
(٦٣) تفسير الطبري ٩/٨٥ .
(٦٤) تفسير الكشاف ٢/١٣٠ .
(٦٥) تفسير الطبري ٩/٨٥ .

والارض موضع ذلك كله ، وليس المقصود السكن فيها لأن ذلك غير مذموم في حقيقته لأن حياة الانسان ومعاشه لاتتم بدونه ، ففيهـــا رزقه ومحياه ومماته
٦ ــ ومنه قوله تعالى : «حتى يعطوا الجزية عن يد » (٦٦) . اختلف في تفسيرقوله تعالى « عن يد » فاما أن يراد بها يد المعطي ، وا ان يراد بها يد الآخذ ، فاذا اريد بها يد المعطي فمعناه حتى يعطوها عن يد أي عن يد مؤاتية غير ممتنعة ، أو حتى يعطوها عن يد الى يد نقداً غير نسيئة لا مبعوثاً على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ ، والعرب تقول لكل معط قاهراً له شيئاً طائعاً له أوكارها أعطاه عن يده وعن يد وذلك نظير قولهم كلمته فما لفم ولقيته كفة لكفة وكذلك أعطيته عن يد ليد . وقال ابن عباس يدفعها بنفسه غير مستنيب فيها أحداً وأما على ارادة يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم (٦٧). والمعنى في كل ذلك على المجاز لأن اليد هي أداة الاعطاء والاخذ يتم دونما وساطة أو انابة فيكون ذلك نقداً وان تم ذلك دون رضا من المعطي دلّ على القهر ، وان كان الآخذ جالسا والمعطي واقفاً دلّ على الذل والصغار ، وان كان ذلك يدل عليه قوله تعالى « وهم صاغرون » في الآية نفسها عند القرطبي (٦٨) . ونجتزىء بهذه الامثلة : فالمصطلحات القرآنية التي جاءت على سبيل المجاز كثيرة في القران الكريم . وحسبنا أن نشير الى طائفة يسيرة منها فضلا عما شرحناه آنفا . من ذلك قوله تعالى : « وأخبتوا الى ربهم » (٦٩) ، وقوله تعالى

(٦٦) سورة التوبة /٢٩ .
(٦٧) التفسير لابن قتيبة ١٨٤ ، تفسير الطبري ٧٧/١٠ ، تفسير الكشاف ١٨٤/٢ ، تفسير القرطبي ١١٥/٨ ، وينظر اللسان مادة يدى والتاج ٤١٨/١ ٤١٩ .
(٦٨) تفسير القرطبي ١١٥/٨ .
(٦٩) سورة هود ٢٣ ، واصله من الخبت المطمئن من الارض . اللسان مادة خبت .

«فجاسوا خلال الديار»(٧٠)،وقوله تعالى : « فطفق مسحا بالسوق والاعناق»(٧١) والثاني : ماانتقل فيه المعنى عن طريق الاستعارة . والاستعارة كمّا يعرّفها البلاغيون « هي ان تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالا عل ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به » (٧٢). وللاستعارة أنواع معروفة يذكرها البلاغيون منها التصريحية والمكنية وغيرها . ولسنا بصدد أن نستفيض في ذلك فليس هذا موضعه ولكننا نريد أن نستعيد في الذاكرة ما يفيد فهم الاسلوب القرآني في مصطلحاته وتعابيره . وقد اتخذ الاسلوب القرآني هذه السبيل في معانيها الحقيقية الى معان جديد تربطها علاقة التشبيه على حد البلاغيين .

١ — من ذلك قوله تعالى : «ختم لله على قلوبهم وعلى سمعهم » (٧٣)، الختم لغة هو التغطية والاخفاء وختم البذر تغطيته ، والختم والطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشيء و الاستيثاق من أن لايدخله شيء ، كما قال جلّ وعلا : « أم على قلوب أقفالها » (٧٤) . قال الطبري : « فان قال لنا قائل وكيف يختم على القلوب وانما الختم طبع على الاوعية والظروف والغلف ، قيل : فان قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم ، وظروف لما جعل فيها من المعارف بالامور ، فمعنى الختم عليها وعلى الاسماع التي بها تدرك المسموعات ومن قبلها يوصل الى معرفة حقائق الانباء عن المغيبات نظير معنى الختم على سائر الاوعية والظروف » ((٧٥)) ، فالقلوب والسمع في هذه الآية الكريمة شبهها بوعاء يختم فلا يدخله شيء .

---

(٧٠) سورة الاسراء /٥ .
(٧١) سورة ص /٣٣ .
(٧٢) مفتاح العلوم للسكاكي ١٧٤ .
(٧٣) سورة البقرة /٧ .
(٧٤) اللسان مادة ختم .
(٧٥) تفسير الطبري ١/٨٦ — ٨٧ .

٢ – ومن ذلك قوله تعالى : « فقد استمسك بالعروة الوثقى » (٧٦). العروة لغة هي المقبض كعروة الدلو والكوز ونحوه (٧٧). أو هي في النبات ماله أصل باق في الارض كالنصّي والعرفج وأجناس الخلة والحمض (٧٨). والاستعارة متحققة على المعنيين . فعلى الاول يكون الايمان الذي يتمسك به المؤمن كعروة الدلو أو الكوز ونحوهما مماله مقبض فلا يمكن الامساك والتشبث به الا بالامساك بتلك العروة والتشبث بها (٧٩) . قال الزمخشري : «وهذا تمثيل للمعلوم والنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصور السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به » (٨٠). وهذا هو حاصل المعنى الثاني للعروة وهو كل ماله أصل في الارض من النبات فاذا أمحل الناس عصمت العروة الماشية (٨١) .

٣ – ومنه قوله تعالى : « وأقرضتم الله قرضاً حسناً » (٨٢). أصل القرض في اللغة القطع (٨٣) ، ثم استعير لكل ما يتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه (٨٤) قال ابو اسحق الزجاج : « تقول العرب لك عندي قرض حسن وقرض سيء وأصل القرض ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه » (٨٥) .

وقال القرطبي : « واستدعاء القرض في هذه الآية انما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه والله هو الغني الحميد لكنه تعالى شبه عطاء المؤمن

---

(٧٦) سورة البقرة /٢٥٦ .
(٧٧) اللسان مادة عرا .
(٧٨) تاج العروس مادة عرا .
(٧٩) تفسير الطبري ٨٤/٣ .
(٨٠) الكشاف ٣٨٧/١ .
(٨١) التاج مادة عرا .
(٨٢) سورة المائدة /١٢ .
(٨٣) التاج مادة قرض .
(٨٤) اللسان مادة قرض .
(٨٥) التاج مادة قرض .

في الدنيا بما يرجو به ثوابه في الاخرة بالقرض كما شبه اعطاء النفوس والاموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء (٨٦) .

٤ – ومنه قوله تعالى : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً» (٨٧) « الحرج الضيق وحرج صدره يحرج حرجاً : ضاق فلم ينشرح لخير فهو حرج وحرج»(٨٨). وقال الطبري : هو اشد الضيق (٨٩) ؛ ومن الضيق الشك(٩٠) قال الفراء : « والحرج فيما فسر ابن عباس الموضع الكثير الشجر الذي لا تصل اليه الراعية. قال فكذلك صدر الكافر لاتصل اليه الحكمة » (٩١) ، فشبه صدر الشاك بالحرج لانه يضيق فلايدخل اليه الايمان ، كما أن الحرجة تضيق بالاشجار والنبات فلا يجد الداخل اليها سبيلا .

٥ – ومنه قوله تعالى: « واتخذتموه وراءكم ظهريا » (٩٢) . قال الفراء « رميتم بأمر الله وراء ظهوركم كما تقول : تعظمون أمر رهطي وتتركون« أن تعظموا الله وتخافوه » (٩٣) ، وقال ابن قتيبة : « لم تلتفتوا الى ما جئتكم به عنه ، تقول العرب جعلتني ظهريا وجعلت حاجتي منك بظهر اذا اعرضت عنه وعن حاجته. وقال ثعلب(٩٤) : «نبذتم ذكر الله وراء ظهوركم» (٩٥) . وقال الطبري: « واستخففتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لاتأتمرون لامره

---

(٨٦) التفسير لابن قتيبة ٣/٢٤٠ .
(٨٧) سورة الانعام ١٢٥ .
(٨٨) اللسان مادة حرج .
(٨٩) التفسير ٨/٢١ .
(٩٠) التأويل ولابن قتيبة ٤٨٤ ، التفسير له ١٦٥ .
(٩١) معاني القرآن ١/٣٥٣ وينظر التأويل ٤٨٤ ، تفسير الطبري ٨/٢١١ ، اللسان مادة حرج .
(٩٢) سورة هود /٩٢ .
(٩٣) معاني القرآن ٢/٢٦ .
(٩٤) التفسير ٢٠٩ .
(٩٥) اللسان مادة ظهر .

ولاتخافون عقابه ولاتعظمونه حق عظمته ، يقال للرجل اذا لم يقض حاجة الرجل نبذ حاجته وراء ظهره أي تركها لايلتفت اليها واذا قضاها قيل جعلها أمامه ونصب عينيه . ويقال ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهرية أي خلف ظهرك (٩٦) . والظهري عند ابن زيد الفضل ، وأصله عنده أن يخرج الجمّال معه ابلا ظهارية لايجعل عليها شيئا احتياطا ليستعملها اذا احتاج اليها . فيقول انما ربكم عندكم مثل هذا ان احتجتم اليه وإن لم تحتاجوا إليه فليس بشيء » (٩٧) . ولذلك كان الاستظهار بمعنى الاحتياط (٩٨) .

ونجتزىء بهذا الايات التي تجري على سبيل الاستعارة فهي كثيرة، ونشير كذلك الى طائفة اخرى منها كقوله تعالى : « واحلل عقدة من لساني » (٩٩) وقوله تعالى : « أم على قلوب أقفالها » (١٠٠)، وقوله تعالى : « فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم » (١٠١)، وقوله تعالى : « فامشوا في مناكبها » (١٠٢) .

والثالث : ما انتقل فيه المعنى من طريق الكناية ، وقد عرّفها السكاكي بأنها : « ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور الى المتروك » (١٠٣)، ومن أمثلتها المشهورة عند البلاغيين قولهم (طويل النجاد) كناية عن طول القامة . و (نؤوم الضحى) كناية عن المرأة المرفهة المخدومة . والكناية سواء كانت عن الموصوف تشيع في المصطلحات القرآنية ، ولا

---

(٩٦) تفسير الطبري ١٢/٦٤ .
(٩٧) تفسير الطبري ١٢/٦٥ .
(٩٨) التاج مادة ظهر .
(٩٩) سورة طه /٢٧ .
(١٠٠) سورة محمد /٢٤ .
(١٠١) سورة الذاريات /٥٩ .
(١٠٢) سورة الملك /١٥ .
(١٠٣) مفتاح العلوم ١٨٩ .

غرابة في ذلك ، فالقرآن أبلغ أساوب خوطب به العربي وأبين ماسمعته العرب وقديماً قال العلماء ان القرآن نزل بلغة العرب وأساليبهم في التخاطب والبيان.

ونحن نورد طائفة من المصطلحات التي اتخذت سبيل الكناية :

١ – قوله تعالى: « وثبّت أقدامنا» (١٠٤)،وهي كناية عن الصمود في وجه الاعداء والصبر على مقارعتهم والانتصار عليهم . قال الطبري : «يعني وقّوقلوبنا على جهادهم لتثبت أقدامنا فلانهزم عنهم» (١٠٥).وقال الطبري : « وخصوا الاقدام بالثبات دون غيرها من الجوارح لان الاعتماد عليها » (١٠٦).

٢ – قوله تعالى: « يولوكم الادبار » (١٠٧). قال الطبري : كناية عن انهزامهم لأن المنهزم يحوّل ظهره الى جهة الطالب هرباً الى ملجأ وموئل يئل اليه منه خوفاً على نفسه والطالب في أثره فدبر المطلوب حينئذ يكون محاذى وجه الطالب الهازمة » (١٠٨) .

٣ – قوله تعالى : « نكص على عقبيه » (١٠٩)، هو كناية عن الهروب وأصل النكوص الرجوع ولا يقال ذلك الا في الرجوع عن الخير خاصة (١١٠) قال القرطبي : « وليس هاهنا قهقرى بل هو فرار » (١١١) .

٤ – قوله تعالى: « فردوا أيديهم في أفواههم » (١١٢)، اختلف المفسرون في معناه ، فقال بعضهم معنى ذلك فعضوا على اصابعهم تغيظاً عليهم في

(١٠٤) سورة البقرة /٢٥٠ .
(١٠٥) تفسير الطبري ٣٩٦/٢ .
(١٠٦) تفسير القرطبي ٢٣١/٤ .
(١٠٧) سورة آل عمران /١١١ .
(١٠٨) تفسير الطبري ٣١/٤ .
(١٠٩) سورة الانفال /٤٨ .
(١١٠) اللسان مادة نكص .
(١١١) تفسير القرطبي ٢٧/٩ .
(١١٢) سورة ابراهيم /٩ .

دعائهم اياهم ما دعوهم اليه ، وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ، ووضعوا أيديهم على أفواههم ، وقال آخرون هذا مثل وانما ازيد أنهم كفوا عما امروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا(١١٣) واختار اكثر المفسرين المعنى الاول وهو اختيار الطبري(١١٤)، والزمخشري(١١٥) والقرطبي (١١٦) وعلى هذا فهو كناية عن الغيظ والحنق .

٥ — قوله تعالى : « ولا تبسطها كل البسط » (١١٧)، أصل البسط النشر(١١٨)، وهو ضد القبض . ومعنى الاية : « ولا تبسطها بالعطية كل البسط فتبقى لاشيء عندك ولا تجد اذا سئلت شيئاً تعطيه سائلك » (١١٩)، وقد ضرب مثلا لذهاب المال ، فان قبض الكف يحبس ما فيها (١٢٠) . وبسط اليد هنا كناية عن التبذير .

ومما سبيله الكناية أيضا قوله تعالى: « ولا تمش في الارض مرحاً » (١٢١) كناية عن الاختيال. وقوله تعالى : « فسينغضون اليك رؤوسهم » (١٢٢) كناية عن الاستهزاء . وقوله تعالى : « فأصبح يقلّب كفّيه على ما أنفق فيها »(١٢٣) كناية عن الاسف والتندم. وقوله تعالى: « ثاني عطفه » (١٢٤) كناية عن التكبر . وقوله تعالى: « ينظرون اليك تدور أعينهم » (١٢٥) كناية عن شدة الخوف .

---

(١١٣) ينظر تفسير الطبري ١٣/١٢٦ ، ١٢٧ .
(١١٤) المصدر السابق ١٣/١٢٧ .
(١١٥) الكشاف ٢/٣٦٩ .
(١١٦) تفسير القرطبي ٩/٣٤٥ .
(١١٧) سورة الاسراء /٢٩ .
(١١٨) التاج مادة بسط .
(١١٩) تفسير الطبري ١٥/٥٦ .
(١٢٠) تفسير القرطبي ١٠/٢٥٠ .
(١٢١) سورة الاسراء /٣٧ .
(١٢٢) سورة الاسراء /٥١ .
(١٢٣) سورة الكهف /٤٢ .
(١٢٤) سورة الحج /٩ .
(١٢٥) سورة الاحزاب /١٩ .

المصطلحات اللغوية الجامدة والمنتقلة :

يقول علماء اللغة ان اللفظة كائن حي يولد وينشأ ويترعرع ويمر بكافة أطوار الحياة حتى يشيخ ثم يموت . وربما صدق هذا القول على اللغة نفسها . وقد تحدث علماء اللغة عن نشأة اللغات وتطورها وتفرعها الى شعب وفروع عبر تاريخ الانسان المديد . غير أن اللغة تنمو من حيث ثروتها اللغويةومعاني ألفاظها وانتقالها من المادي المحسوس الى المجرد ، فالمعنوي المعقول والكلي المدرك . وليست كل ألفاظ اللغة تخضع لهذا التدرج ؛ أو تسير في هذا المسار الى نهايته ، فمنها ما يبقى ماديا بحتا لا يغادر هذا المعنى أبدا ، ومنها ما ينتقل الى مراحل أخرى ثم يتوقف عندها لا يغادرها الى ما يليها ، ومنها ما يصل في تطور معناه الى أعلى درجات سلم الرقّي . وقد يحدث هذا في بعض الالفاظ بسرعة لا تستطيع المعجمات اللحاق به ، وقد يكون ذلك بطيئا جدا ، وقد يكون الامر بين هذا وذاك .

غير أن السؤال الملحّ الذي تنبغي الاجابة عليه . كيف يحدث هذا التطور أو هذا النمو ؟ وكيف ينتقل المعنى من مرحلة الى مرحلة ؟ ولماذا يتوقف بعض الالفاظ في تطوره على حين يستمر بعضها في الرقيّ كما أسلفنا ؟ تحدث علماء اللغة المحدثون كثيرا من وسائل نمو اللغة ، وخصوصا اللغة العربية . وقد أسهبوا في ذلك اسهابا لا يخلو من ملل في بعض الاحيان . تحدثوا عن الاشتقاق وأنواعه الصغير والكبير والاكبر والكبّار ، واختلفوا كما اختلف القدماء في هذه الاسماء ومسمياتها ، كما تحدثوا عن التعريب والنحت والتركيب وغير ذلك مما نقرأه في كتب اللغة الحديثة ، والحقيقة ان هذه الوسائل التي يسردونها في كتبهم لنمو اللغة وارتقائها ، اذا استثنينا الاشتقاق الصرفي والتعريب ، لم تعد من وسائل نمو اللغة العربية في يومنا هذا . فاذا كان الاشتقاق الكبير طريقة من طرائق نمو اللغة العربية ، فقد انقضى هذا الامر ولم يعد ممكنا بعد أن دوّنت اللغة . قد يكون صحيحاً أن معاني القطع المتنوعة في نحو (قطّ

وقطع وقطف وقطم) وغير ذلك متحقق في الثنائي (ق . ط) وأن الزيادة في المعنى او الاختلاف في درجة القطع أو نوعه متأت من الحرف الثالث أو مدلول عليه به ، قد يكون ذلك صحيحا ، ولكن هل يمكن أن يتم هذا اليوم ؟ وما يقال عن الاشتقاق الكبير يقال عن الاشتقاق الاكبر او الكبّار اذا استثنينا بعض أنواع النحت او التركيب الذي يستعمل في بعض أنواع المصطلحات العلمية المنقولة عن اللغات الاوربية .

لابد اذن من البحث عن الطريق الذي تسلكه الالفاظ في تطورها واكتسابها لمعان جديدة تنتقل بها عبر مسارها الذي أشرنا اليه من المادي البحث الى الكلي المدرك ، لنأخذ بعض الالفاظ التي تطورت معانيها ومازالت معروفة لدينا بالطريقة التي سلكتها في تطورها وارتقائها فلفظة (حرج) تعني في يومنا هذا المانع النفسي الذي يحول بين المرء وبين الاقدام على عمل شيْ ، فيقال ليس في ذلك حرج أي لا مانع يحول دونه . وسبق أن أشرنا الى أن أصل الحرج في اللغة الموضع الكثير الشجر الذي لا يصل اليه الراعية ، أو هو جمع حرجة وهي مجتمع شجر . والحراج غياض من شجر السلم ملتفة لا يقدر أحد أن ينفذ فيها أو غير ذلك من الشجر كالسدر والزيتون.(١٢٦) والحرج على هذا مكان يصعب السير فيه لشدة ضيقه ، ولذلك استعير للدلالة على الضيق مطلقاً ، ومن ذلك قوله تعالى: « فلايكن في صدرك حرج منه » (١٢٧)، ومثله قوله تعالى : « ومن يريد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصـّعـّد في السماء » (١٢٨) ، ثم انتقل هذا المعنى الى معنى جديد هو المنع عموماً ، كقوله تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم»(١٢٩)

(١٢٦) اللسان مادة حرج .
(١٢٧) سورة الاعراف /٢ .
(١٢٨) سورة الانعام /١٢٥ .
(١٢٩) سورة المائدة /٦ .

ثم تحول المعنى للدلالة على الاثم كقوله تعالى : « ليس على الاعمى حرج » (١٣٠) ومنه المتحرّج الذي يلقي الاثم عن نفسه ، ثم الى التحريم كما في قوله تعالى : « لكي لايكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم » (١٣١) . ولم ترد هذه اللفظة في القران الكريم الا على أصلها (حرج) بفتح الحاء والراء الا قوله تعالى : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » فقد قرئت بفتح الراء وكسرها (١٣٢). وقراءة الكسر تنقل اللفظة من الاسمية الى الوصفية وهو أول ما اشتق من هذا الاسم . غير أن الاستعمال ادّى الى ظهور مشتقات أخر تحمل المعاني الجديدة التي حملتها اللفظة في استعمالها القرآني بعد أن استعيرت استعارة حقيقية كما يسميها البلاغيون . فمما اشتق من هذه اللفظة حرج يحرج حرجاً و (الحارج) وهو الاثم (١٣٣) . وقالوا تحرّج فهو متحرج وهو الكاّف عن الاثم ، ثم جاء التحريج بمعنى التضييق من قولهم حرّج عليه الامر تحريجاً ، من ذلك ما ورد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام في قتل الحيات فليحرّج عليها ؛ وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث اليتامى تحرجوا أن يأكلوا معهم أي ضيّقوا على أنفسهم ، وأحرجت فلاناً أي صيّرته الى الحرج أو الى مضيق .

فقد تبين لنا المسار الذي اتخذته هذه اللفظة في الانتقال من معناها المادي الاول وهو الدلالة على الموضع الذي تجتمع فيه الاشجار اجتماعاً كثيفاً الى معان حسية أخرى كالتضييق في المكان عموماً ثم الى المنع فالاثم فالتحريم . وهذا كله لم يأت جملة واحدة ، اذ لابد أن يكون بين هذا الاستعمال وذاك زمن طال أو قصر تنتقل بعده الى المعنى الجديد . وقد قلنا أن هذه اللفظة استعملت

(١٣٠) سورة النور /٦١ .
(١٣١) سورة الاحزاب /٣٧ .
(١٣٢) التاويل ٤٨٤ .
(١٣٣) قال ابن سيده : أراه على النسب لانه لافعل له . اللسان مادة حرج .

في القرآن بصيغة واحدة وهي صيغتها الاصلية . ونلحظ هنا أنها لم تستعمل مفردة بل دلّت على معناها في جمل كاملة مما يصلح أن نطلق عليه (المصطلح). ولكنها بعد ذلك تخلصت من هذا القيد في الاستعمال ، ولم يعد معناها الجديد المستعار من المعنى الاصلي يلمح فيه الاستعمال المجازى ، بل استقر في الذهن أنه هو المعنى الحقيقي . ومن هنا أصبحت اللفظة قابلة للاستعمال على حدة واشتق منها الفعل والوصف والمصدر فقالوا حرج حرجاً وتحرّج تحرجاً وأحرج إحراجاً فهو محرج ومن هذه الصيغ ما لا تجده في المعجم . غير أن هناك مصطلحات لغوية اخرى لم تتحول ولم تتبدل ، بل بقيت على وضعها محتفظة بنظامها مشيرة الى معناها المجازى اشارة واضحة بيّنة لا لبس فيها ، فهي لم تستقر بعد في الذهن فتصبح حقيقة بعد أن كانت مجازا ، من ذلك قوله تعالى : « وأفئدتهم هواء » (١٣٤)، وللمفسرين في هذا قولان ، فهو اما بمعنى أنهم جبناء لا قوة في قلوبهم ولا جرأة ، واما بمعنى حمقى لا عقول لهم فقلوبهم خالية ليس فيها شيء من الخير ولا تعقل شيئاً (١٣٥). وقد احتفظ هذا التركيب بصيغته ، فلم يؤخذ منه فعل أو مصدر دال على معناه. وعلى هذا يمكن تقسيم المصطلحات اللغوية القرآنية بحسب تصرفها وانتقالها الى الاقسام الاتية :

أولها : المصطلحات المتصرفة التي تحوّل معناها الذي كان في الاصل مجازاً الى الاستقرار والثبات في الاستعمال فأصبح حقيقة لايكاد يذكر القارئ أصلها المجازى الا بعد طول امعان وتدبر وقد انتقلت أيضاً من الصيغة التركيبية الى الصيغة الافرادية فأخذ منها المصدر والفعل والصفة وتدرّج معناها المجازى من المعنى المادى البحت الى أعلى درجات المعاني الكلية المعقولة كما

---

(١٣٤) سورة ابراهيم /٤٢ .

(١٣٥) ينظر في تفسير هذه الآية تفسير الطبري ١٥٨/١٣ ، الكشاف ٣٨٢/٢ ، اللسان والتاج مادة هوا .

رأينا في قوله تعالى : « فلايكن في صدرك حرج منه » . ومثله قوله تعالى « أو جاء أحد منكم من الغائط » (١٣٦).فالغائط في أصله اللغوي المطمئن من الارض ، ولكنه انتقل الى معنى جديد يدل على الحدث نفسه ، واشتق منه المصدر والفعل والصفة ومثله قوله تعالى : «ان يظهروا عليكم »(١٣٧) بمعنى الغلبة أو الاطلاع ، وقوله تعالى : « وان تصبهم سيئة يـتـطيّروا بموسى » (١٣٨) ، أي يتشاءموا وهو من الطيرة وكانت العـرب تتيمن بالسانح وهو الذي يأتي من ناحية اليمين، وتتشاءم بالبارح وهو الذي يأتي من ناحية الشمال (١٣٩)، وقد اشتق من هذا التطيّر والطيرة وغير ذلك من الافعال والمصادر.

والقسم الثاني : المصطلحات التي بقيت محتفظة بمعناها وصيغتها التركيبية لم تتغير كما مر في قوله تعالى : « وأفئدتهم هواء » ، ومن ذلك قوله تعالى : « ولتصنع على عيني »(١٤٠) أي لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى به (١٤١).فالجار والمجرور (على عيني) دل على الرعاية والرقابة والشمول بالنظر وبقي ملازما لهذا المعنى لم يتحوّل الى غيره لا في القرآن ولا في غير القرآن . ومثله قوله تعالى : « في قلوبهـم مرض» (١٤٢) ، وقوله تعالى : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » (١٤٣) . أي اجتث أصلهم فلم يبق منهم احد .

والقسم الثالث : ما يتخذ سبيلا وسطاً بين هذا وذاك ، اذ بدأ أول مراحل الانتقال ولكنه مازال في خطواته الاولى لم يرتق في تدرج معانيه الى أعلى

---

(١٣٦) سورة النساء /٤٣ .
(١٣٧) سورة الكهف /٢٠ .
(١٣٨) سورة الاعراف /١٣١ .
(١٣٩) تفسير القرطبي ٢٦٥/٧ .
(١٤٠) سورة طه /٣٩ .
(١٤١) الكشاف ٥٣٦/٢ .
(١٤٢) سورة البقرة /١٠ .
(١٤٣) سورة الانعام /٤٥ .

درجات السلم كما هي حال القسم الاول ، ولم يبق جامداً لا يتزحزح عن موضعه وتركيبه كما هي حال القسم الثاني . من ذلك قوله تعالى : « وضاق بهم ذرعاً» (١٤٤) ،وقد مرّ بنا أن معناه الدلالة على عدم القدرة والاحتمال(١٤٥). ولم يغادر هذا المصطلح صورته التركيبية هذه الا في موضع آخر حذف منه التمييز (ذرعاً) واستعمل المصدر (ضيق) بدل الفعل (ضاق) وذلك قوله تعالى « ولا تكن في ضيق مما يمكرون»(١٤٦) . ومثله قوله تعالى : « ويكفوا أيديهم » (١٤٧) ،ومعناه يمنع أيديهم أن تمتد اليكم بالاذى ، وقد استعمل الكفّ بهذا المعنى في القران أيضاً في قوله تعالى : « واذ كففت بني اسرائيل عنك » (١٤٨)، ومثله قوله تعالى: « كى تقرّ عينها(١٤٩)» أي حتى تبرد فرحاً وارتياحاً ، ولا تسخن حزناً . وقد جاء في القرآن على هذا المعنى المصدر في قوله تعالى: « قرة عين لي ولك» (١٥٠) « وفعل الامر » وقرّي عيناً » (١٥١) .

---

(١٤٤) سورة هود /٧٧ .

(١٤٥) انظر ص ٢٢٥ من هذا البحث .

(١٤٦) النمل /٧٠ ، الضيق هنا ليس كالضيق في قوله تعالى : « ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا » الانعام ١٢٥ ، ولا كما في قوله تعالى : « حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت » التوبة ١١٨ وان تقاربت المعاني .

(١٤٧) سورة النساء /٩١ .

(١٤٨) المائدة /١١٤ .

(١٤٩) سورة طه /٤٠ .

(١٥٠) سورة القصص /٩ .

(١٥١) سورة مريم /٢٦ .

الخاتمــــة

ظل المفسرون واللغويون يتناولون ألفاظ القرآن الغريبة من حيث معانيها المفردة ، ولا يعنون بالمعنى العام من حيث أصله اللغوي وتطوره من الحقيقة الى المجاز الا بالقدر الذي يوضح ذلك المعنى المفرد . وقد أشار فريق من المفسرين منهم الزمخشري والقرطبي الى تلك الاصول اللغوية والى معانيها المجازية الجديدة دون أن يتلمسوا السبيل التي سلكته تلك الالفاظ في التركيب التي أطلقنا عليها (المصطلح اللغوي) . وقد قلنا أن المقصود بالمصطلح اللغوي « أن تجتمع لفظتان فأكثر في تركيب اسنادي أو غير اسنادي فينشأ عن التركيب الجديد معنى جديد لا تدل عليه معاني الالفاظ الداخلية فيه كل على حدة » . وقد توصل البحث الى أن هذا التركيب قد يسلك سبيل الجملة الاسنادية ، فعلية كانت كقوله تعالى : « وضاق بهم ذرعاً » ، أو اسمية كقوله تعالى : « وأفئدتهم هواء » وقد يكون التركيب غير اسنادي جاراً ومجروراً ، كما في قوله تعالى : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، أو ظرفاً كقوله تعالى : « بين يدي عذاب شديد » .

وقد فرّقنا في البحث بين المصطلح اللغوي وبين غيره من الاساليب التركيبية الاخرى ، كالمثل والقول السائر ، وقلنا ان المثل قول يحكي قصة واقعة ويلخص معانيها وتجاربها ويحتفظ بنصه وبألفاظه لا يتغير فيها شيء وان اختلف المخاطب وتغيّر المضروب له . ولا يشترط في المصطلح اللغوي هذان الشرطان . وقلنا أيضاً ان المصطلح اللغوي يختلف عن القول السائر لأن هذا ليس فيه انتقال من معنى أصلي الى معنى جديد متأت من تركيب الالفاظ أو اسنادها .

وقد تناولنا في البحث السبل التي يتخذها المصطلح اللغوي في الانتقال من المعاني الحقيقية الى المجازية الجديدة . ووجدنا أن ذلك اما أن يكون على سبيل المجاز

المرسل بعلاقاته المختلفة ، واما على سبيل الاستعارة بأنواعها ، واما على سبيل الكناية مستشهدين على كل ذلك بما ورد في القرآن الكريم من هذه المصطلحات اللغوية .

واخيراً تناول البحث انقسام المصطلح اللغوي من تطوره وارتقاء معانيه على اقسام ثلاثة الاول : أسميناه المصطلح المتصرف الذي تحول معناه الذي كان في الاصل مجازاً الى الاستقرار والثبات في الاستعمال فأصبح حقيقة لا يكاد يذكر القارىء أصلها المجازى الابعد طول امعان وتدبر . والثاني : المصطلح الذي بقي محتفظاً بمعناه . وصيغته التركيبية لم تتغير . والثالث : ما اتخذ سبيلا وسطاً بين هذا وذاك .

وبعد . فهذه جوله آمل ان تكون دراسة لبعض اساليب القرآن اللغوية ، وفهما جديداً لغريبه أضعهما بين يدي الباحثين . فان أصبت فذاك توفيق من الله وأن أخطأت فحسبي أني بذلت الجهد وسعيت في طلب القصد . والحمد لله من قبل ومن بعد .



المشـــكلة والطريقـــة

الدكتور ياسين خليل

استاذ المنطق وفلسفة العلوم
كلية الآداب ـ جامعة بغـداد

(١)

يمثل السؤال الصحيح الذي يطرحه الباحث على نفسه او على الطبيعة نصف الطريق الموصل الى الحل الصحيح بعد استخدام منهج موضوعي وعلمي رصين ، فكثيراً من الجهود تذهب سدى لمجرد ان طرح السؤال لايؤدي الى الهدف المنشود . والعالم المتدرب في علمه تعلم من خلال خبرته الطويلة في البحث العلمي ان صياغة السؤال بعد اختياره من عدد كبير من الاسئلة هو جوهر القضية ، وان ما يعقب السؤال هو مجموعة الاجراءات التي يطبقها وصولاً للحل الصحيح .

فالسؤال عن العلاقة بين الاجرام السماوية والشمس في منظومتنا الشمسية ، وكيفية دوران الكواكب ، والقوة التي تعمل على استمرار حركة الكواكب في أفلاك بيضوية ، وتعاقب الليل والنهار على الكرة الارضية . وتعاقب الفصول الاربعة سنوياً ، وسقوط الاجسام المقذوفة الى الاعلى بعد حين الى الارض ، وتناوب المد والجزر في البحار ، وسرعة الضوء والصوت ، وانتقال الحرارة وغير ذلك من الاسئلة التي وفرت للعلم الطبيعي اجابات صحيحة بعد استخدام الطريقة العلمية وخطواتها في التجربة والملاحظة ، والانتقال من الكيف الى الكم بايجاد وحدات قياسية معينة ، وكيفية طرح الفرضية Hypothesis واختبـــارها من اجل التثبت منها او تضنيدها ، وصياغة القوانين العلمية والنظريات .

(٢)

وبناءً على ذلك نود في بادىء الامر وقبل دراسة « طبيعة المشكلة » ان نعين نوع المشكلات التي سنوليها اهتمامنا في هذا البحث ، فليست المشكلات التي نهتم بها هي تلك التي تصادفنا في الحياة اليومية سواء كانت نفسية او اقتصادية او اجتماعية او سياسية ، بل هي مشكلات ترتبط جوهرياً بالمعرفة العلمية ، وبخاصـــة بالعلوم الطبيعيـــة وعلى رأسهـــا علم الفيزياء ، والعلوم البرهانيـــة Demonstrative Sciences وعلى رأسها علم الرياضيات.ولابد من الاشارة هنا الى الاختلاف الجوهري بين المشكلة والاسئلة الفيزياوية ، والمشكلة والاسئلة الرياضية ، اذ ترتبط الاولى بظواهر العالم المادي الخارجي سواء كانت ذات علاقة بالعالم الصغير ، بينما ترتبط الثانية بالفكر المجرد وطروحاته ذات العلاقة بانواع التراكيب والابنية والامكانيات في ايجاد الصيغ الضرورية التي يتوفر فيها الصدق من دون حاجة الى الحواس والتجربة والملاحظة .

(٣)

نقصد بالعالم الكبير (١) جميع الموجودات المادية او الطبيعية ومايرافقها من ظواهر مثل الحركة والسكون والجذب والقوة والكتلة اثناء حركتها على خط مستقيم او على هيئة خط منحني او دائري في القبة السماوية او على الارض ، علماً بان هذه الموجودات وظواهرها تخضع للمراقبة الحسية من قبل المراقب او المشاهد الذي هو الانسان سواء كانت هذه المراقبة بالعين المجردة او بمساعدة الاجهزة العلمية .

ونقصد بالكون الصغير (٢) جميـــع الجسيمات الصغيرة Particles في عالم الذرة وما يرافقها من ظواهر فيزياوية مثل حركة الالكترونات وانتقالها من مستوى معين من الذرة الى مستوى آخر ، وظواهر الاشعاع ، والحرارة ، والطاقة بصورةعامة ، والسرعة الذرية العالية وغير ذلك ، علماً بان هذه الجسيمات

وظواهرها لاتخضع للمراقبة الحسية المباشرة من قبل الانسان ، بل لابد من اجهزة علمية عالية التقنية لرصدها وتسجيلها .

(٤)

اما المشكلة الرياضية فانها كما قلنا ترتبط بالفكر المجرد على اساس ان جميع قضايا الرياضيات البحتة تحليليـــة (٣) Analytic ليست مشتقة من عـــالم الموجودات الحسيـــة او التجـــربة ، وليس لها علاقـــة استقرائيـــة Inductive Relation بالحالات الطبيعية وانتظام الظواهر في الطبيعة . وليس المقصود بالفكر المجرد هنا فعالية الفكر البشري في التجريد Abstraction ، تجريد الموجودات من الصفات المشتركة وتعميمها ، بل المقصود الفكر النظري وما ينطوي عليه من مفاهيم ومبادئ ونتائج منطقية متلازمة ، بحيث لاتكون هناك حاجة مطلقاً الى النظر خارج حدود هذا الفكر . ولكن ذلك لايعني مطلقاً بان ليس للرياضيات البحتة من تطبيقات علمية في عالم الواقع ، فعلى الرغم من التمييز الواضح بين الرياضيات البحتة والرياضيات التطبيقية (٤) ، الا ان للرياضيات البحتة خاصية تطبيقية بعد اعطاء تفسيرات لرموزها ، وهي تفسيرات وصفية ، فكثيراً من فروع الرياضيات البحتة اصبحت بهذه الخاصية جزءً لايتجزأ من الرياضيات الفزياوية ، فالهندسات اللااقليدية والجبر غير التبديلي امثله واضحة على امكانية الافادة من الرياضيات البحتة في علم الفزياء . ولكن يجب ان نعلم ان تحول قضايا الرياضيات البحتة الى قضايا فيزياوية يفقدها الصدق المطلق او الدائم ويصبح شأنها في ذلك شأن قضايا الفيزياء احتمالية وليست صادقة دائماً (٥) .

(٥)

وتتجلى الخطوة الثانية في طرح السؤال الآتي : ـ ماهي طبيعة المشكلة الفيزياوية ؟ وما هي طبيعة المشكلة الرياضية ؟

اعتمد علم الفيزياء عند اليونان على الملاحظات وبعض التجارب الحياتية فكان ان ظهرت امستنتاجات عديدة حول كثير من المسائل المتعلقة بالقوة والحركة

والزمان والمكان والسرعة والجذب والدفع اضافة الى بعض المبادئ المتعلقة بسقوط الاجسام ودورانها وكونها وفسادها وغير ذلك . الا ان الخطوة الكبيرة التي تحققت بعد ذلك كانت بفضل العلماء العرب امثال الحسن بن الهيثم (٩٦٥ — ١٠٣٨ م) ، وأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (٨٥٤ — ٩٣٢ م) وأبي الريحان البيروني (٩٧٣ — ١٠٤٨ م)، وعبدالرحمن الخازني (ت—١١٥٥) وغيرهم ، حيث اعتمد البحث العلمي عندهم على الملاحظة والتجربة المختبرية والتثبت من الفرضيات وصياغة القوانين والمبادئ العلمية . ونسطيع ان نقول بثقة تامة يدعمها الدليل العلمي بان العلماء العرب هم اصحاب الفضل الاول والاخير في صياغة النهج الاستقرائي وبناء الاجهزة العلمية وتحقيق الطريقة العلمية القائمة على موضوعية الاستقصاء والاهتمام بالانتظامات الطبيعية من الظواهر وترجمة صفاتها الكيفية الى درجات قياسية كمية ، واستخدام الرياضيات في تحويل النتائج التجربية لاجراء الاشتقاقات او الاستنتاجات العلمية الصحيحة حيث استخدمت الهندسة المستوية وحساب الجبر والمثلثات وعلم الحساب في العلوم التجريبية (٦) .

لقد تطور علم الفيزياء في القرون الثلاثة الاخيرة تطوراً واسعاً وسريعاً بفضل الطريقة التجريبية او المختبرية ، وترجمة نتائج الابحاث الى لغة رياضية دقيقة ، وبذلك تحقق الارتباط في علم الفيزياء بين الرياضة التطبيقية وظواهر العالم الخارجي ، ففي الرياضة التطبيقية يتوفر الاشتقاق Derivation والاستدلال Deduction ، فنحصل بفضلها على قوانين طبيعية وقضايا مشتقة ، في حين تعمل التجربة والملاحظة على تزويد الباحث بالنتائج من جهة التثبت من صدق او كذب القوانين من جهة اخرى . وبناءً على ذلك تكون طبيعة المشكلة الفيزياوية مختلفه تبعاً لوقوعها في مجال التجربة والملاحظة ، او في مجال الرياضة التطبيقية .

تعتمد التجربة المختبرية على جهاز او اجهزة معينة ، كما تستلهم من الباحث

التوجيه وفق ما تمليه عليه معرفته العلمية ، وما يجب عمله من اجل عزل الظاهرة المراد دراستها وحصرها تحت ظروف معينة ، منها ما يجب استبعاده لكي لايؤثر على النتيجة ، ومنها ما هو ضروري في تأثيره على التجربة ونتائجها .

ولكن ذلك لايعني مطلقاً ان علم الفيزياء يعتمد كلياً على التجربة والملاحظة ، فمن المعروف ان بداية تطور هذا العلم قد شهدت نزوعاً قوياً نحو اقامة التجارب لاكتشاف القوانين التجريبية ، الا ان هذا النزوع اخذ بالتناقص عندما بدأ العلماء المهتمون بالبناء النظري للعلم بدراسة علاقات القوانين بعضها ببعض من اجل توحيدها في اطار نظرية قائمة على مجموعة قليلة من المبادىء ، فكانت التجارب مجرد عوامل تؤشر الاتجاه الصائب في صياغة المبادىء والتثبت منها بعد اجراء اشتقاقات طويلة تؤدي في نهاية الامر الى استنتاج قضايا او قوانين لها صلة بظواهر العالم الخارجي (٧) .

(٧)

ترتبط طبيعة المشكلة الفزياوية في مجال التجربة والملاحظة بالكشف العلمي Scientific Discovery للقوانين التجريبية ، فما المقصود بالكشف العلمي ؟ .

يعتقد العلماء بان ظواهر الطبيعة والكون ليست عشوائية ، وانه من الخطأ الاعتقاد بان الحوادث تظهر الى الوجود كيفما اتفق ، وانه لايمكن بأي حال من الاحوال اكتشاف القوانين الطبيعية اذا كانت الظواهر والحوادث لاتجري بانتظام .

يوجد اعتقاد راسخ لدى العلماء بان الطبيعة منتظمة ، وان من شروط الكشف العلمي هو ادراك مجموعة الانتظامات Uniformities في الطبيعة وصياغتها في قوانين علمية . وبناءً على ذلك تكون المشكلة في هذا المجال متعلقة بكيفية اكتشاف القوانين العلمية . وان اهمية التجربة العلمية الخلاقة تكمن في امكانية اكتشاف العلاقات الضرورية في الطبيعة للظاهرة قيد البحث والتجربة ، وادراك الانتظام المتحقق في هذه العلاقات ، بحيث ان النتيجة او النتائج تبقى

ثابتة مهما تكررت التجارب بنفس الظروف . ولا بد من القول هنا ان البحث العلمي يصبح عقيماً اذا استهدف دراسة الظواهر الفردية التي تقع مرة واحدة او عدة مرات لانه من المستحيل صياغة قانون لكل ظاهرة ، والصحيح هو ان يعبر القانون العلمي عن مجموعة (قد تكون متناهية او لا متناهية) من الحالات ، فيكون عندئذٍ صيغة مختصرة عن انتظامات كثيرة في الكون معروفة او غير معروفة لم يتم تسجيلها بعد ، ولكنها تندرج تحت صيغة القانون ، فيتحول التنبؤ بحدوثها مجرد استنتاج من القانون بوقوع الحادثة او الظاهرة في المستقبل .

(٨)

ان اكتشاف القوانين العلمية ليس مجرد عملية ميكانيكية،بحيث يمكن لأي باحث يحقق الاكتشاف لمجرد انه امتلك الوسائل الضرورية من معرفة بالتجارب والرياضيات وما يشتق منها ، وإلا لأصبح العمل العلمي الخلاق متاحاً لكل الناس لمجرد انهم تعلموا الطريقة العلمية في البحث وامتلكوا المعرفة النظرية اللازمة . والحقيقة أن الاكتشاف يعتمد اساساً على الدربة والبصيرة او الالهام بالاضافة الى مجموعة من القناعات الذاتية والموضوعية ؛ وتعمل المعرفة العلمية النظرية عملها في توجيه الباحث وتأثير الطريق الذي يسلكه نحو الهدف ونقصد بالبصيرة Insight ادراكاً عقلياً مباشراً أشبه ما يكون بالالهام الـذي يجعل الباحث في موقف الاختيار الصحيح لحل المسألة قيد الدراسة دونما حاجة الى مقدمات منطقية منهجية ثابتة ؛ اللهم الا مجموعة المعارف التي اختزنتها ذاكرته مدة دربته ، ومفروضات القضية التي هو بصدد ايجاد حل لها وما يطلب منه وفقاً لما يحيط بالقضية من اسئلة وشروط علمية .

ان الاخطاء التي ارتكبت باسم المعرفة العلمية والكشف العلمي كثيرة روجتها فلسفات وايديولوجيات بين النـاس . فكان ان اعتقد كثير من الناس بان القوانين العلمية ليست الا ترجمة لما تدركه الحواس والعقل على اساس ان المعرفة العلمية لاتمثل غير انعكاس موضوعي للواقع المادي ، وكأن العقـل الانساني

مرآة لما يحدث في الطبيعة من ظواهر وحوادث . ولكن الحقيقة غير ذلك ، اذ ان القوانين العلمية تمثل بحق مثابرة العقل الانساني على فهم الطبيعة من خلال الامكانات المتاحة للانسان وحدود ادراكه الحسي والعقلي ، فهي (القوانين الطبيعية) ليست الا مجرد صيغ رياضية ابتدعها الانسان لترجمة العلاقة القائمة بينه وبين الطبيعة ، وهذا هو ما يفسر لنا التغير المستمر في النظريات العلمية وتعديل القوانين كلما توسعت مدارك الانسان وحاز على معرفة اكثر تقدماً ، وعلى اجهزة علمية متطورة ، واساليب رياضية ومنطقية جديدة (٨) ؟

(٩)

والقناعات التي تولدت في ذات العالم جراء اشتغاله بالعلم ساعدته كثيراً على مواصلة البحث والمثابرة المستمرة ، وذلك على اساس ان هذه القناعات تؤدي الى اكتشاف الحقائق العلمية وتسخير المعرفة لاغراض عملية ، لان اكتشاف الحقيقة يعبر عن لذة عقلية وسرور داخلي وجمالية كونية ، كما ان تسخير المعرفة في الحياة اليومية معناه امتلاك الوسائل المؤدية الى امتلاك القوة والسيطرة على الطبيعة . ويمكننا اجمال هذه القناعات بالنقاط الآتية : —

اولاً : القناعة بانتظام الطبيعة : الطبيعة منظمة وتخضع من جميع جوانبها سواء كانت على هيئة حوادث او ظواهر او موجودات ، لنظام ، اذ لايمكن حدوث اي شيء فيها اعتباطاً ، ولا تتغير نواميسها بارادة احد ، فكل شيء فيها بمقدار ، وكل امر فيها يخضع لقانون يعبر عن انتظام ، وان الجهل بالحقيقة لايعني عدم وجودها ، بل معناه ضرورة التقصي والتحري بما أوتي الانسان من استعدادات وامكانات لمعرفتها او الاقتراب منها شيئاً فشيئاً .

ثانياً : القناعة بالتوافق : ويقصد بها توافق العقل والطبيعة فلايمكن التفكير ولو للحظة واحدة ان الطبيعة لاعقلانية ، اذ لو صادف ان اقتنعنا بلا عقلانية الطبيعة

لامتنع علينا فهمها ومعرفة قوانينها ، ولما استطاع احد من امكانية التنبؤ بما يحدث فيها من احداث او ظواهر في المستقبل .

ان التوافقية بين العقل والطبيعة ضرورية لفهم الطبيعة على اساس عقلاني ، وان ما نتوصل اليه من قوانين ومبادئ وصيغ منطقية ورياضية تعبر خير تعبير عن المقولة المعروفة بان الطبيعة مدونة بلغة رياضية ، وان حقائقها موجودة في كتاب رياضي. والرياضيات علم يعبر عن علاقة الفكر بذاته وهذه هي الرياضيات البحتة او انها علم يعبر عن حالات الطبيعة وترجمة نتائج التجارب والفرضيات بلغة كمية وقياسية . ونظراً للتوافق بين العقل والطبيعة وجدت الرياضيات البحتة طريقها نحو التطبيق الفزياوي (٩) .

(١٠)

ثالثاً : القناعة بقدرة الانسان: ويقصد بها امتلاك الانسان لوحده من دون سائر المخلوقات الحية ، بامكانية فهم ما يجرى حوله اعتماداً على حواسه وعقله ، فعن طريق الحواس ادرك الظواهر الطبيعية وفقاً لوظيفة كل حاسة ، فصنف البصريات على اساس امكانات حاسة البصر . وصنف السمعيات على اساس امكانات حاسة السمع . وصنف الشميات على اساس حاسة الشم ، وصنف الذوقيات على اساس حاسة الذوق . وصنف اللمسيات على اساس حاسة اللمس، وادرك ان من الظواهر الطبيعية مايدرك باكثر من حاسة واحدة مثل الحركة والسرعة والسكون وغير ذلك . واجتهد في توسيع قدرات الحواس من خلال تطوير وابداع الاجهزة العلمية . فزادت معرفتة العلمية وادراكه للطبيعة . وكان العقل بوظائفه الكثيرة خير دليل على امتلاك المعرفة النظرية ، وصياغة هذه المعرفة سواء من خلال ما تزوده الحواس من معلومات او من خلال اختصار هذه المعرفة في صيغ فكرية موجزة تعبر عن قوانين ومبادئ طبيعية .

ان الايمان بقدرة الانسان هو الاعتقاد بتفوقه على سائر المخلوقات وان وجود

الطبيعة لا يعني غير تسخيرها وادارك حقائقها والافادة منها في الحياة اليومية ، وان سعيه الدائب في البحث والاستقصاء يعبر عن حقيقة منهجية مهمة هي ان الطبيعة صورة واقعية يدركها العقل الانساني بفهم وتبصير من خلال ما يتعلمه منها وما يشكله هو لصياغة معرفة علمية تعبر عن العلاقة بين الانسان والطبيعة .

رابعاً : القناعة بالاتفاق الشامل : اذا افترضنا ان الطبيعة ليست واحدة ، وانها تظهر باشكال وصور مختلفة باختلاف المكان والزمان ، فان الضرورة تملي علينا الاستنتاج بان المعرفة العلمية بما تحويه من فرضيات وقوانين ومبادئ ليست واحدة كذلك ، وانها متبدلة من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان . ومثل هذا الافتراض يضعنا امام مشكلة كبيرة جداً هي أن البحث عن الحقيقة الواحدة امر مستحيل وان التفاهم بين العلماء وتبادل الخبرات مسألة لا يمكن تحقيقها ، وان امكانية حدوث تناقضات في نتائج البحث العلمي من الامور الممكنة ، وبالتالي تضيع المعرفة العلمية والجهود المبذولة من اجلها .

ان قناعة العالم بان ما يتوصل اليه من صياغة القوانين والمبادئ وبناء النظريات يحظى باتفاق شامل لدى الآخرين من العلماء على اساس ان القوانين الطبيعية واحدة بغض النظر عن المراقب او المشاهد ويجب ان ننظر الى هذه القناعة من زاوية اخرى هي ان هذه القوانين ليست واحدة بالنسبة للمراقبين على الكرة الارضية ، بل يجب ان تكون واحدة عند جميع المراقبين في الكون سواء كان المراقب متحركا حركة سريعة او مستقراً لا يتحرك .

ومن ناحية اخرى اثبتت التطورات العلمية ان القوانين او المبادئ واحدة في الفيزياء ، وانها لا تتغير بتغير سياسة الدولة او مذهبية العالم وقناعاته الايدولوجية ، وان جوهر الاختلاف بين العلماء انما قد يقع في الفلسفات المرافقة للنتائج العلمية ، وهي تفسيرات لا علاقة لها بتغيير الحقائق العلمية المتفَق عليها من خلال الاستنتاج والتجارب المؤيدة لها .

(١١)

وترتبط المشكلة الفيزياوية بالتثبت من القوانين والمبادئ التي يتوصل اليها عالم الفيزياء التجريبية وعالم الفيزياء النظرية . فالقوانين بصورة عامة على نوعين : —

قوانين تجريبية او طبيعية Natural Laws نتوصل الى اكتشافها من خلال التجربة والملاحظة واتباع خطوات الطريقة الاستقرائية وقوانين نظرية Theoretical Laws او قوانين الطبيعة (١٠) Laws of Nature ، نتوصل الى صياغتها في ضوء فهم وتحليل ونقد دقيق للعلاقات المنطقية والمفاهيم الفيزياوية للقوانين الطبيعية . فمن المعروف ان النظرية النسبية Theory of Relativity لالبرت اينشتاين (١٨٧٩ — ١٩٥٥) « نشأت لا كنتيجة لسلسلة خاصة من التجارب ولكن كنتيجة لدراسة نقدية تمحيصية لقوانين الفيزياء المعروفة وللمبادئ السائدة » (١١) .

فمن المعروف ان بين العالم التجريبي والعالم النظري اختلافات ، اذ يهدف الاول الى اجراء التجارب وجمع الملاحظات واتباع الطريقة الاستقرائية التي تقوم على الملاحظة والتجربة وطرح الفرضيات والتثبت منها بالوسائل التجريبية ، ثم الانتقال بالفرضية الى مستوى القانون ، بينما يهدف عالم الفيزياء النظرية الى اقامة بناء منطقي ورياضي للمعرفة التجريبية من خلال طرح مبادئ عامة عالية في سلم التجريد ، ويمارس الاستدلال والاستنتاج لاشتقاق القوانين او تعليل قوانين تجريبية قائمة .

(١٢)

يواجه عالم الفيزياء التجريبية مشكلته التي غالباً ما يواجهها اثناء عمله العلمي بالصورة الآتية : —

أ — يعتمد بادئ الامر على المشاهدات التي يتساوى فيها جميع الناس ،

ولكنه بفضل خبرته العلمية ينشد نوعاً معيناً من المشاهدات التي يرى فيها جدوى لاكتشاف علاقات ضرورية في الطبيعة . وقد يستعين بالاجهزة العلمية لرصد هذه المشاهدات وتسجيلها ، والاجهزة العلمية التي لا تتدخل في سلوك الظاهرة او الحدث ، بل تقدم للعالم معلومات يعجز الحس المجرد من التقاطها او رصدها .

ب – ولما كانت الظواهر الطبيعية متشابكة يؤثر بعضها على بعض ، كان على العالم التجريبي ان يقوم بمهمة دقيقة هي عزل الظاهرة عن بقية الظواهر ثم حصرها تحت ظروف معينة في اطار تجربة مختبرية . ومحاولة تغيير تأثيرات العوامل الداخلة في التجربة بغية اكتشاف العلاقة السببية بين عاملين او اكثر ، ثم العمل على ايجاد الوحدات القياسية المناسبة لتحويل نتائج التجربة الى معادلة كمية تتجلى فيها الارقام او الاعداد المرتبطة بوحدات القياس ، اذ لا يمكن التعبير عن الظاهرة كيفياً ، لان من شروط التجربة ان نستطيع ترجمة نتائجها الى صيغ رياضية تعبر عن الظاهرة كمياً بالاضافة الى ثقة العالم بالرياضيات في دقة العتبير والاستنتاج .

ج – ولا تتوقف مشكلة العالم التجريبي عند هذا الحد ، لأن عليه بعد صياغة النتائج في قول كلي هو ما نطلق عليه اسم « الفرضية » ، ان يقوم من جديد بالتثبت من الفرضية تجريبياً ، فان وجدت حالة واحدة على الاقل لا تستطيع الفرضية تقديم تعليل قويم لها ، كان عليه ان يقوم بتعديلها او تغيرها او اختيار فرضية اخرى . وتكتسب الفرضية متانة وثقة اكبر كلما كانت قادرة على تعليل حالات جديدة او التنبؤ بحالات جديدة . ومعنى ذلك : ان الحالة الجديدة هي بمثابة اختبار للفرضية ، ففي حالة تأييد الفرضية يكون ذلك تصديقاً لها ، وفي حالة عدم تأييد الفرضية ، يكون ذلك بمثابة تكذيب او تفنيد لها ، وكلما ازدادت عدد الحالات التي تواجه

الفرضية لاختبارها وتكون مؤيدة لها ، اصبحت الفرضية اكثر متانة وقوة حيث يتم الاعتماد عليها بصورة اكبر لتعليل الظواهر والحوادث الجديدة التي تقع في مجال او دائرة فعاليتها .

د – وعندما يزداد تأييد الفرضية تجريبياً ترتفع عندئذٍ الى مستوى القانون التجريبي ، وتصبح العلاقة بين الفرضية والقانون متبادلة ، فكلما واجه حالة جديدة من المفروض تعليلها علمياً ، تحول الى فرضية ، فاذا ما تأيدت بالتجربة ازدادت الثقة بالقانون ، وبخلافه يجب تعديله وتبديله او الاستغناء عنـــه .

من الخطأ الاعتقاد بان القانون التجريبي واسع الحدود ، بحيث يشمل جميع الانتظامات الممكنة ، بل هـــو مجرد صيغة قابلة للتغيير اذا اضطر العالم الى توسيع مجال تعليله ليشمل ظواهر وحوادث اكثر ، ولا نقول ان القانون السابق خاطئ ، بل يجب القول انه صادق في حدود معينة ، وكاذب في حدود اخرى ، وان على العالم تقع مهمة استبداله بقانون آخر يشمل جميع الحالات التي كان القانون السابق يشملها مضافاً اليها الحالات الجديدة .

(١٣)

ان اعتماد عالم الفيزياء النظرية على الرياضيات ومنطقية بناء النظرية يجعله اكثر تمسكاً بدراسة القوانين التجريبية لايجاد الصلات بينها من اجل طرح مبادئ عامة قليلة قادرة على تعليل ظواهر وحوادث اكثر بالاضافة الى امكانية اشتقاق قوانين جديدة تؤيدها التجارب . ان موقف العالم النظري من التجربة يختلف عن موقف العالم التجريبي منها ، فالاول يهتم بها لان لها صلة بالنظرية والثاني يهتم بالنظرية لان لها صلة بالتجربة . فالاولوية للتجربة عند العالم التجريبي والاولوية للنظرية عند العالم النظري .

والفيزياء النظرية تضم مجموعات من المبادئ العامة والقوانين التي تميزها عن القوانين الطبيعية ، فنطلق عليها اسم قوانين الطبيعة لانها شاملة ولم يتوصل

اليها احد عن طريق الاستقراء التجريبي ، بل هي صيغ عامة من الصعب تفنيدها . فالقانون الذي يعبر عن تكافؤ الكتلة والطاقة ليس قانوناً مشتقاً من التجربة ، وانما هو حصيلة جهد عقلي : تحليلي ونقدي ، ادى في نهاية الامر الى صياغة النظرية النسبية ، وان الحقيقة الفيزياوية المرتبطة بالنظرية والتي مؤداهـا بأن الطاقـة = الكتلة × مربـع سرعة الضـوء ، ط = ك × س^{٢} لايمكن تحقيقها مختبرياً ، ولكنها صادقة وتتحقق في ظروف كونية معينة ، حيث تتحول الطاقة الى كتلة وتتحول الكتلة الى طاقة وفق المعادلة السابقة .

ويمكننا ان نطرح مثالاً ابسط ، فنظرية نيوتن في الميكانيك تتألف من ثلاثة مبادئ رئيسة لم يتوصل اليها نيوتن عن طريق الاستقراء التجريبي ، ولكنها في الوقت نفسه لايمكن الاستغناء عنها في تعليل القوانين التجريبية وتطبيقها في مجالات فيزياوية اخرى . فمبدأ القصور الذاتي الذي ينص على : ان الجسم يبقى مستقراً او متحركاً حركة منتظمة على خط مستقيم مالم تؤثر عليه قوة تغير اتجاهه او سرعته ، لم يحصل عليه نيوتن تجريبياً ، وانه بعد التحليل الدقيق نجده يعبر عن حالة مثالية تقاس الظواهر للاجسام المتحركة به ونجد فيه التعليل القويم لدراسة الحركات المختلفة في الطبيعة . ان غاية الفيزياء لاتقتصر على ايجاد القوانين التجريبية ، بل العمل على ادراك حقائق فيزياوية بعيدة الاثر هي قوانين الطبيعة مثل قانون حفظ الطاقة وقانون حفظ المادة وقانون تكافؤ الكتلة والطاقة بالاضافة الى الثوابت الفيزياوية المعروفة والفروض او البديهيات او المبادئ العامة للنظريات الفيزياوية (١٢) .

(١٤)

وتقترب الفيزياء النظرية من الرياضيات البحتة في اختيار المبادئ والبديهيات واعتمادهما معاً على الاستنتاج المنطقي ، ولكن ثمة اختلافات جوهرية بين العلمين ، فالفيزياء النظرية تحتوي على مفاهيم مجردة ، الا انها ذات صلة غير

مباشرة بالعالم الخارجي ، فهي بذلك مفاهيم وصفية مجردة ، في حين ان مفاهيم الرياضيات البحتة مجردة وليس لها صلة مباشرة او غير مباشرة بالعالم الخارجي .

واذا كان هدف الفيزياء النظرية توحيد مجموعة كبيرة من القوانين الطبيعية من خلال اختبار مجموعة قليلة من المبادئ او الفروض الاساسية ، فان الرياضيات البحتة بفروعها المختلفة تقوم منذ البداية على اختيار مجموعة قليلة من البديهيات او المصادرات ، وانها خضعت في القرن العشرين الى تحليلات منطقية دقيقة بغية توحيد جميع فروعها عن طريق اختيار قاعدة منطقية واحدة يشتق بواسطتها مفاهيم الرياضيات والمبادئ الاولية فيها كما فعل جوتلوب فريجه (١٨٤٨ — ١٩٢٥) في اخضاع او رد علم الحساب الى المنطق او كما فعل برتراند رسل (١٨٧٢ — ١٩٧٠) ومن تبعه في مذهبه (١٣) . الا ان الاختلاف الكبير القائم بين العلمين هو ان غاية الفيزياء النظرية تعليل القوانين التجريبية القائمة او المشتقة ، فالتجربة هي معيار صحة القوانين والنظرية ، بينما تعمل الرياضيات البحتة على استنتاج قضايا او البرهان عليها بوسائل رياضية ومنطقية من غير حاجة الى التجربة لاثبات صدق قضية او مبرهنة رياضية معينة (١٤) . ولكن ذلك لايعني مطلقاً ان ليس بين الفيزياء النظرية والرياضيات البحتة صلة ، بل ان العلاقة بينهما قائمة ، وانه غالباً ما تستعين الفيزياء النظرية بقضايا من الرياضيات البحتة بعد اضافة او تفسير رموزها وصفياً ، وسنأتي على هذه الصلة في هذا البحث .

(١٥)

ولكي نفهم طبيعة المشكلات في الرياضيات البحتة ، من الضروري ان نتعرف على جوهرها من خلال ما نطرحه من اسئلة من بينها : ما هي الرياضيات البحتة ؟ فمن الوجهة التاريخية نعلم ان ما خلفته الحضارات القديمة مثل حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل ثروة كبيرة من القضايا والمسائل الرياضية

المتعلقة بالحساب والجبر والهندسة للاغراض العلمية ، فكانت الاساس في اقامة المعابد والزقورات والاهرامات ، وشق الترع والانهار ، واقامة الابنية ، وحساب المعاملات والمواريث واستحداث الالات الزراعية والهندسية والعربات وغير ذلك . وعندما بدأ انسان هذه الحضارات يدرك العلاقات المنطقية بين القضايا البرهانية ، وامكان رد قضية الى اخرى او البرهان على بعض القضايا بواسطة مقدمات رياضية ، بدأت مرحلة جديدة عند اليونان اساسها التأمل والنظر في القضايا التجريبية . فمن خلال التحليل والتدقيق ادرك بعض فلاسفة اليونان امثال طاليس (٦٢٤ ــ ٥٤٨ ق . م) وفيثا غورس (٥٨٠ ــ ٥٠٠ق. م) وأفلاطون (٤٢٧ ــ ٣٤٧ ق . م) وارسطو (٣٨٤ ــ ٣٢٢ ق . م) مايجب ان يكون عليه العلم البرهاني وما تستلزمه الرياضيات من مقدمات ونتائج تلزم عنها بالضرورة ، وان البرهان هو الاساس الذي تعتمد عليه الرياضيات البحتة . واكتملت الصورة العلمية للرياضيات عندما ادرك ارسطو مجموعة العناصر التي يتكون منها البرهان وهي : التعريفات ، والبديهيات والمصادرات والمبرهنات ، وضرورة ان تكون هذه العناصر في نظام متماسك منطقياً ، بحيث يكون البرهان على اية قضية رياضية من خلال مقدمات مفروضة (١٥) .

وعندما انتقل العالم اليوناني الى مدرسة الاسكندرية بدأت مرحلة علمية جديدة ، حيث تحققت انجازات رياضية وفيزياوية عظيمة ، وكان رجال هذه المرحلة كل من اقليدس (٣٦٥ ــ ٣٠٠ ق. م) في كتـــابه « الاصول او الاركان Elements » وابولونيوس (٢٦٢ ــ ١٩٠ ق . م) في كتابه « المخروطات Conics ، وارخميدس (٢٨٧ ــ ٢١٢ ق م) في ابحاثه الفيزياوية ، وبطليموس (٨٧ ــ ١٦٥) في كتابه « المجسطي Almagest » . ثم اخذت الرياضيات البحتة بعد ذلك بالتقدم والتطور والتوسع ، وتبينت فيها الطريقة والمشكلات وكيفية بناء النظرية الرياضية ، بحيث يمكننا الآن تلخيص ابرز ما تحقق بالنقاط الآتية : .

اولاً : ادراك واضح لطبيعة المفاهيم الرياضية ، وبصورة خاصة ما يتعلق منها بالحساب والهندسة والجبر ، وادراك لاهمية المقدمات من بديهيات او تعريفات او مصادرات ، ومعرفة دقيقة لما يستوجبه النظام الرياضي من كفاية المقدمات ، واستقلال الواحدة عن الاخرى ، وعدم جواز حدوث اي تناقض في نتائج البراهين ، واختزال عدد المقدمات بان تكون قليلة العدد قدر الامكـــان اقتـــداءً بمبـــدأ البساطـــة Principle of Simplicity ، بحيث تكون كافية لاستنتاج جميع القضايا او المبرهنات المرتبطة بالنظام وموضوعه(١٦)

ثانياً : ان النظام البديهـــي Axiomatic System يتألف من عنـــاصر معينة هي :

أ ــ مجموعة قليلة من المفاهيم ، وهذه المجموعـــة تضم مفاهيم غير معرّفة او لا معرّفـــات Undefinables ، ولكنها ليست مجهولة المعنى ، فهي غير معرّفة على اساس انها اولية لا تحتاج الى تعريف داخل اطار النظام ، ومفاهيـــم معرّفة او معرّفـــات Definables عـــلى اساس ضـــرورة تعريفها بواسطة المفاهيم غير المعرّفة. وقد يكتفي عالم الرياضيات بمجوعة مفاهيم غير معرّفة يستخدمها في مقدمات النظام .

ب ــ يشتمل النظام البديهي على مجموعة قليلة من البديهيات او المصادرات وهي بمثابة مقدمات لاتحتاج الى برهان؛ وتقوم القواعد الاستنتاجية على استنتاج قضايا من المقدمات او البرهان على قضايا بواسطة المقدمات وقواعد الاستنتاج اما التعريفات فانها تقوم بتوضيح معاني المفاهيم او تحديدها باسلوب رمزي دقيق ، بحيث يمكن الاستعانة بالتعريفات في عملية البرهان (١٧) .

ج ــ ويشتمل النظام البديهي كذلك على مجموعة كبيرة من المبرهنات على اساس انها قضايا تحتاج الى برهان . ويقوم البرهان اساساً على اساس الاستدلال وذلك من خلال سلسلة متناهية من القضايا المترابطة منطقيا تبدأ بمقدمات وتنتهي بنتيجة هي المبرهنة المشتقة.

ويشترط ان لا تكون قضية ما من بين السلسلة الاستنتاجية مجهولة وتحتاج الى برهان اولاً . وهذا معناه : ان النظام البديهي يقوم على اساس ان صدق او صحة المقدمات وما ينتج عنها في السلسلة الاستنتاجية يلزم صدق النتيجة بالضرورة في نهاية البرهان (١٨) .

(١٦)

وهكذا نستطيع القول بان للمشكلة في الرياضيات البحتة خصائص منها ما يتعلق بالبناء المنطقي للنظرية ، ومنها ما يتعلق بالاستنتاج والبرهان ، بحيث يمكننا تدوين هذه الخصائص بالصورة الآتية : —

ما يتعلق بالبناء المنطقي : تبرز مشكلات هذا الجانب من خلال الشروط التي يجب توفرها في البناء المنطقي ، فاختيار المفاهيم غير المعرّفة مسألة متروكة لحرية الباحث ، فيختار ما يشاء من هذه المفاهيم ، ولكن ثمة شروط مقيدة لهذا الاختيار وهي ان تكون كافية لتعريف جميع المفاهيم الاخرى في البناء الرياضي ، وان تكون كافية ، بحيث لا يحتاج العالم الى غيرها في سبيل صياغة مقدمات النظرية . وان تكون مقدمات النظرية كاملة ، بحيث لا تترك قضية رياضية صحيحة تنتمي الى النظام من دون ان يتوفر لها برهان متين لاثبات صحتها ، وان يكون النظام خالياً من التناقض بحيث لا يجوز استنتاج القضية ونقيضها من مقدمات صحيحة او صادقة .

ما يتعلق بالاستنتاج والبرهان : ان المشكلة الرياضية في هذا القسم مبرهنة هي بالطبع ليست بديهية او مصادرة ، ولكنها تنتظر حلاً من خلال ما توفره النظرية من مقدمات ومبرهنات سبق البرهان عليها . والمشكلة الاخرى هي ان يجري الاستنتاج والبرهان وفق تلازم منطقي بمساعدة قواعد استنتاجية منطقية ورياضية ، وان لا يهمل الباحث اية خطوة استنتاجية مهما كانت غير مهمة في نظره ، لكي لا يكون البرهان ناقصاً ، وعرضة للنقد ، او قد يؤدي ذلك الى استنتاجات غير صحيحة فنحصل على برهان فاسد .

(١٧)

يمكن تصوير التلازم الوثيق بين الرياضيات البحتة والفيزياء النظرية من خلال عدة وجوه . فلنأخذ على سبيل المثال هندسة اقليدس بالصورة التي وضعت في الاصل ، فاننا نجد ان النظام البديهي فيها لا يقبل الشك ، وان جميع البراهين تعتمد على مجموعة قليلة من المفاهيـــم المعرّفة قاموسياً لتحديد معانيها ، ومجموعة قليلة اخرى من المقدمات الاساسية ومبرهنات يجري البرهان عليها بواسطة المقدمات وقواعد استنتاجية معينة . وعلى الرغم من ان المفاهيم فيها مجردة ومثالية ، الا انها في الوقت نفسه وصفية مثل النقطة والمستقيم والزاوية وغير ذلك وهذا مما جعل قضايا الهندسة عملية وتطبيقية في الحياة اليومية وفي الدراسات العلمية ، وفي الفيزياء النظرية بخاصة . فالاجسام المتحركة في الفضاء او على الارض انما تتحرك قاطعة مسافة في زمن معين ، وتوصف حركتها هندسة او باشكال هندسية ، فاذا قلنا على سبيل المثال ان الكوكب يتحرك في فلك بيضوي تقع الشمس في احدى بؤرتيه ، فاننا نصف هذه الحركة من خلال شكل هندسي له بؤرتان . وعندما نقول ان الاجسام الساقطة تقطع مسافة في زمن معين ، فاننا نصف سقوطها على خط مستقيم نحو الارض في حالة السقوط الحر .

والهندسة التحليلية وهي اداة مهمة في الفيزياء لا يمكن الاستغناء عنها وان معادلاتها تترجم الى لغة الفيزياء عند استخدام مفاهيم فيزياوية وصفية .

ولقد اثبتت الدراسات والوقائع ان الكون ليس الا شبكة من العلاقات البنيوية التي لا يمكن وصفها من دون الهندسة باعتبار انها العلم الذي يصف التركيب او البنيـــة Structure ، كما اثبت البرت اينشتاين في النظرية النسبية العامة ان الهندسات اللااقليدية وبخاصة هندسة ريمان (١٩) ، هي المفضلة لوصف الكون تركيبيا .

ان استخدام قضايا الرياضيات البحتة في الفيزياء النظرية معناه : ان هذه القضايا فقدت عنصر اليقينيـة Certainity ، واصبحت خاضعة لما تخضعه قضايا الفيزياء ، فهي صادقة او كاذبة من خلال التجربة والواقع ، فعلى سبيل المثال : ان قضايا الهندسة الاقليدية محدودة الصدق بحدود كون أو واقع تجد فيه الخطوط المستقيمة تطبيقات واسعة ، في حين ان هذه القضايا ليست صادقة في كون ريمان او واقع فيزياوي لا وجود فيه لتطبيقات الخطوط المستقيمة . فالقضية الرياضية بناءً على ذلك صادقة صدقاً مطلقاً عندما ننظر اليها من خلال نظام صوري تنتمي اليه ، فهي صادقة بالفرض عندما تكون بديهية او مصادرة ، وهي صادقة بالبرهان عندما تكون مبرهنة نبرهن على صدقها من خلال مقدمات النظام ومن دون الاستعانة بالتجربة او الملاحظة ، فهي صادقة ويقينية طالما وجد لها برهان متين في النظام ، وهي احتمالية محدودة الصدق طالما تحولت الى قضية فيزياوية تعتمد في صدقها او كذبها على التجربة والواقع (٢٠) .

(١٨)

ونحاول الآن ان نكشف بعض الاوجه المهمة التي طالما كانت موضع خـلاف وصراع بين المذاهب الفلسفية : المثاليـة Idealism ، والمـادية Matterialism ، والبراجماتيـة Pragmatism ، والواقعيـة Realism والاجرائيـة Operationalism ، والتجريبيـة المنطقية Convertionalism والاصطلاحية Logical Empiricism ، حول طبيعة العلم وعلاقة النظريات بالواقع ، وطبيعة القضايا وبخاصة بعض المبادئ المهمة في علم الفيزياء .

ونبدأ اولا من حيث يبتدئ العمل العلمي المنظم وصولاً الى بناء النظرية واعادة بناء النظرية منطقياً ان اقتضى الامر .

سبق ان بيّنا بان المشاهدة او الملاحظة المجردة او الهادفة باستخدام الاجهزة العلمية ، واقامة التجارب ، وطرح الفرضيات ، وصياغة القوانين والمبادئ ،

وبناء النظرية ، هي خطوات يتبعها العالم باعتبارها الاساس في البحث العلمي ، ولكننا لم نفصل القول في بعض الجوانب المهمة التي قد تثير مشكلات بين المذاهب الفلسفية . وقد حان الوقت الآن للكشف عنها واتخاذ الموقف الصائب منها من خلال تحليل منطقي .

يجب التمييز اولاً بين الواقع المادي او الواقع الذي نعيشه او العالم المألـوف Familiar World ، والواقــع الفيــزياوي Physical Reality ، فالعالم المألوف هو عالم الكيفيات تصفه كلمات مثل جميل ، حار ، بارد ، لا بأس به ، متبدل الصور ، متحرك ومتغير ، وغير ذلك من الكلمات المشابهة . وهذا العالم لا يثير عقل الباحث الا بالقدر الذي يرى في الكلمات المستخدمة لوصفه كيفيا امكانية تحويلها الى الوصف الكمي . فما هو الوصف الكمي للعالم المألوف ؟

من الضروري ان نعرف ان هذا العالم ليس جميعه يخضع للوصف الكمي ، وان عالم الفيزياء لا تهمه جميع الظواهر والحوادث ، اللهم الا تلك التي يجد لها وحدات قياسية ليستطيع تحويلها الى الوصف الكمي . وهذا معناه : ان جزءً من العالم المألوف هو محل اهتمام عالم الفيزياء ، وان ما يتوصل اليه من نتائج لا يعبر عن جميع العالم المألوف ، بل عن جزء منه قابل للقياس .

ان الخطوة العلمية الضرورية الاولى تتجلى في الانتقال من مفاهيم الحياة اليومية عن العالم المألوف الى مفاهيم علمية تعرف بوحدات قياسية معينة . وهذا معناه كذلك : ان لغة الحياة اليومية تتحول شيئاً فشيئاً الى لغة قياس علمية دقيقة الوصف للموجودات والظواهر والحوادث في العالم المألوف .

وهذه اللغة التي سنطلق عليها اسم « لغة الكم والقياس » ليست لغة طبيعية وليست لغة واحدة لجميع المشتغلين بالعلم بالضرورة ، اذ بالامكان اختيار وحدات القياس ووصف الاشياء بالوسيلة التي يفضلها العالم .

(١٩)

ان اقدم وحدات القياس التي استحدثها الانسان لأغراض عملية هي :- الطول ووحدته القياسية بالنظام المتري هي السنتمتر (سم) ، والكتلة ووحدتها القياسية الغرام (غم) والزمن ووحدته القياسية هو الثانية (ثا) ، والى جانب هذا النظام نجد النظام الانكليزي في وحدات القياس ، ويستخدم البوصة وهي تساوي ٢ر٥٤ سنتمتراً ، والميل وهو يساوي ١,٦١ كيلومتراً ، والباوند وهو يساوي ٤٥٤ غراماً ، الكيلوغرام الذي يساوي ٢,٢٠ باونداً ، واللتر وهو يساوي ١٠٠٠ سم٣ وهكذا .

وعلى الرغم من ان مفاهيم الطول والكتلة والزمن قديمة جداً ، الا ان الوحدات القياسية التي اشرنا اليها تخدم اغراض العلم الحديث وتخضع للتوسع والتعديلات . فالنظام المتري هو نظام عشري ، وما يمتاز به هو وجود علاقات عشرية بين الوحدة الاساسية ووحدات اخرى للملاحظة نفسها منها :

ميجا = ١٠٠٠,٠٠٠ ($١٠^{٦}$) والكيلو = ١,٠٠٠ ($١٠^{٣}$) وديسي = $\frac{١}{١٠}$ ($١٠^{١}$) والسنتي = $\frac{١}{١٠٠}$ $١٠^{٢}$ والمللي = $\frac{١}{١٠٠٠}$ ($١٠^{٣}$) والميكرو = $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠}$ ($١٠^{٦}$) .

ان وحدات الطول والكتلة والزمن اساسية ، والمفاهيم الفيزياوية الاخرى وحدات ثانوية او مشتقة من الوحدات الاساسية مثال ذلك ما يأتي تصرف السرعة بانها الازاحة على الزمن ، والازاحة هي المسافة المقطوعة بين نقطتين .

$$\text{السرعة} = \frac{\text{الازاحة}}{\text{الزمن}}$$

وبذلك تكون وحدات السرعة مقاسة بالسنتمتر والثانية بالصورة الآتية ـ سم ـ ثا ، حيث يشير الخط ـ الى قيمة عددية . اما التعجيل فهو مفهوم

مشتق كذلك ووحدته القياسية سم / ثا^2 . اما القوة فوحدتها القياسية : نيوتن وهي غم . سم / ثا^2 ويقاس الشغل بوحدات الارك Erg ويعبر عنهـا من خلال المعادلة الفيزياوية الآتية : —

الشغل = القوة × الازاحة

الارك = الداين × سم : وبعبارة اخرى ان الارك هو وحدة في النظام المتري لوحدات القياس ، وهو العمل المنجز بواسطة القوة لداين واحد في الازاحة لسنتمتر واحد .

وهكذا تتوالى المفاهيم الفيزياوية ووحدات قياسها في فروع اخرى فيزياوية : في الكهربائية ، والمغناطيسية ، والحرارة ، والضوء ، والصوت ، والطاقة ، والاشعاع ، وغير ذلك ، بحيث تؤلف هذه المفاهيم جميعها شبكة او نسجاً تترابط فيه المفاهيم بعلاقات لبناء الواقع الفيزياوي . ولا يفوتنا ان نقول : ان حقائق هذا الواقـع مثالية دقيقة قد لا تتفق تماماً وبالدقة اللازمة مع حقائق العالم المألوف . فمن المعروف فيزياوياً ان القوانين التي تصف هذا هذا الواقع مصاغة بصياغة رياضية دقيقة . وان الحقائق في العالم المألوف لا تتفق معها بالدقة ، لذلك قد نصفها بالتقريبية ، ويعود السبب الى الاختلافات بين الواقع الفيزياوي والعالم المألوف ، حيث ان الاول مهما كان مستواه من صنع الانسان لفهم ما يجري في العالم الخارجي . وانه لا يوجد تطابق بين الواقع الفيزياوي والعالم المألوف . وان الرياضيات تعبر عن الواقع الفيزياوي وليس عن العالم المألوف . وبعبارة اخرى : ان اللغة الرياضية تعبر بالدقة العالية عن الواقع الفيزياوي مباشرة . بينما تعبر عن العالم المألوف بطريقة غير مباشرة ومن خلال الواقع الفيزياوي .

(٢٠)

وفي سبيل ان نفهم ما تقدم نأخذ بنظر الاعتبار علاقة الهندسة الاقليدية بالعالم المألوف . فالمفاهيم الهندسية مثالية ، اذ لاوجود للنقطة والمستقيم والزاوية

والمستوى والمثلث وغير ذلك بالصورة التي تطرحها الهندسة في العـالم المألوف وان جميع حقائق الهندسة لا تصف العالم المألوف ، بل تقوم ببناء واقع هندسي دقيق متشابك العلاقات . وكان افلاطون على حق عند تحليله للهندسة في زمانه ، اذ رأى فيها علاقة بالمحسوس على الرغم من انها تمثل واقعاً استدلالياً يقوم على البرهان ، فاشترط ان يحررها من كل اثر من آثار المحسوسات لتكون علماً برهانيا واستدلالياً بحتاً . واعتمد في انتقاده الى ان القضايا الهندسية تحتاج الى الرسوم والتصور المادي ، وان المفاهيم فيها لاتخلو من أثر المحسوسات على الرغم من كونها مجردة . ويبدو لي ان افلاطون وجد في اللغة الهندسية مفاهيم من الحياة اليومية لاتخلو من المحسوس ، فأراد ان تكون المفاهيم مجردة لاصلة لها بالعالم الخارجي ، فكان ينشد بذلك بناءً هندسياً او رياضياً بحتاً ، حيث وجد غايته في عالم المثل ، وافتقار مبادئ او اصول الهندسة اليه لاثبات صدقها (٢١) .

وقد تحقق ما كان يصبو اليه افلاطون من تحرير الهندسة من المحسوسات بالعمل الذي قام به ديفيد هلبرت (١٨٦٢–١٩٤٣) في كتابه اسس الهندسة (٢٢) باعتبار ذلك اول محاولة متكاملة منذ اقليدس لاعادة بناء الهندسة المستوية من خلال شروط النظام البديهي المتمثلة في ان يكون النظام خالياً من التناقض ، وبديهياته مستقلة الواحدة عن الاخرى ، وكاملاً بحيث يكون كافياً للبرهان على كافة القضايا المنتمية للموضوع (٢٣) .

نظر هلبرت الى الهندسة من خلال ثلاث منظومات : المنظومة الاولى تضم اشياء نطلق عليها اسم « النقاط » والمنظومة الثانية تضم اشياء نطلق عليها اسم « مستقيمات » والمنظومة الثالثة نطلق عليها اسم « المستويات » . وهذه الاشياء مترابطة بشكل معين من خلال علاقات تدل عليها الكلمات : يقع ، بين ، تطابق ، توازي ، مستمر ، وهذه تعين تعريفاتها من خلال البديهيات المختارة . وبعبارة اخرى ان هلبرت نجح في تجريد الهندسة من المحسوس ، وذلك

استناداً الى البديهيات المعطاة ولا توجد اشياء غير منطقية في بناء الهندسة.وان تعريفاته خلافاً لتعريفات اقليدس،تعريفات ضمنية Implicit Definitions ، تحـــدد معانيها من خـــلال نظام البديهيات ، كما استخدم هلبرت في بنـــاء هندسة الحساب المنطقي ونظرية المجموعات لتطور نظام بديهي جديد للهندسة المستوية (٢٤) .

إن محاولة هلبرت تؤشر طريقة جـــديدة في بناء النظريات ، وقد وضع بالفعل اسس هذه الطريقة وجرى تطبيقها في الرياضيات مؤسساً مايسمى في المنطق بالمذهب الصوري او الشكـــلي Formalism . وتكسب هذه الطـــريقة اهمية خاصة من حيث انها تضع امام الباحث صورة لما يجب ان يكون عليه العلم وتفتح الابواب لامكانية الارتفاع بمستوى الفروع العلمية المختلفة وصولاً الى صياغة النظام البديهي .

(٢١)

ان اكثر العلوم قرباً من الرياضيات هي الفيزياء النظرية ، لذلك بذلت محاولات جدية لبناء نظام او انظمة بديهية لفروع الفيزياء المختلفة . ولتوضيح هذه المسألة نبدأ بالتجارب الفيزياوية بعد ان استوفينا الكلام عن المشاهدات ووحدات القياس المختلفة لنتعرف على الطرق الممكنة والمقترحة لبناء نظرية فيزياوية تتمتع بنفس الخواص التي تتمتع بها الرياضيات من شرط عدم التناقض واستقلال البديهيات والكمال . ان مانقصده بالتجربة هي التجربة المختبرية التي يتولى الباحث فيها اعداد جهاز علمي معين في ظروف معينة لدراسة ظاهرة او شيء او حدث فيزياوي لايمكن دراسته في الطبيعة حراً ، لتشابك عوامل او حوادث كثيرة مما يستحيل على الباحث تتبع سلوكه الدقيق وعلاقاته الضرورية. وقد يتساءل المرء عن اسباب اختيار الباحث لهذه الظاهرة او الحدث ؟ والجواب عن هذا التساؤل يمكن بلورته بالنقاط الآتية : .

أ ـ ان الظاهرة او الحدث يمكن حصرهما وعزلهما عن بقية الظواهر والحوادث في الطبيعة ، وامكانية دراستهما او نقلهما الى المختبر في ظروف مناسبة ، بحيث يتمكن الباحث من تغيير العوامل وتبديل الظروف وتثبيت اخرى حتى يصل الى نقطة مهمة هي الحصول على نتيجة ممكنة القياس بوحدات قياسية معينة او مستحدثة .

ب ـ تكرار الظاهرة او الحدث ، مما يثير في النفس القناعة العلمية بان مايحدث يعبر عن انتظام طبيعي وعلاقة ضرورية ممكنة الاكتشاف اذا ما خضعت للبحث التجريبي المختبري .

ج ـ ان الجهاز العلمي المختبري واعداد الباحث له يصلح لدراسة الظاهرة او الحدث ، حيث يحدس الباحث او يعرف مقدماً ان نتائج التجربة في هذا الجهاز ايجابية ، نظراً لاستخدام الجهاز لظواهر او حوادث مماثلة او تقع ضمن مجال مجموعة الحوادث التي تمت دراستها من قبل . فان لم يكن الامر كذلك كان على الباحث او غيره ضرورة القيام بتصميم الجهاز من اجل دراسة الظاهرة وفق مواصفات نظرية وعملية معينة .

نفترض ان الباحث استطاع الحصول على نتيجة ايجابية ، وهذا معناه نتيجة قياسية تعبر عن انتظام متكرر . وعندئذ تكون الخطوة التالية ترجمة هذه النتيجة الى لغة رياضية ، تعبر عن نوع العلاقة المكتشفة ، وغالباً ماتكون العلاقة الضرورية هي السببية Causality ، في حين ان العلاقات الاخرى في القانون هي علاقات رياضية (٢٥) . وهذا معناه : ان الباحث يطرح الصيغة التي توصل اليها على هيئة فرضية وصولاً عند التثبت منها بحوادث او ظواهر جديدة الى صياغة القانون التجريبي .

(٢٢)

ان الطريقة الآنفة الذكر في البحث هي الطريقة الاستقرائية ، ولكنها ليست

الطريقة الوحيدة في بناء النظريات ، وان كانت ضرورية جداً في الكشف عن القوانين التجريبية في مراحلها الاولى .

والسؤال الآن : ماهي الطريقة او مجموعة الطرق المعتمدة لبناء النظريات ؟ ان الطرق المعمول بها على مستوى العلم الفيزياوي ثلاث هي : —

١ — الطريقة الاستقرائية (البنائية Constructive)

٢ — الطريقة الاستدلالية الافتراضية Hypothetico - Deductive Lethod

٣ — الطريقة البديهية Axiomatic Method

نبدأ بالطريقة الاولى ، وهي الطريقة التي تبدأ بخطوات بنائية اساسها الاول المشاهدة والتجربة والقياس ، ثم طرح الفرضيات المناسبة والتثبت منها وصولاً الى صياغة القوانين التجريبية .

اما المرحلة الثانية في الطريقة الاستقرائية لبناء النظريات ، فتبدأ بدراسة القوانين بالصورة الآتية : —

أ — التصرف على المفاهيم المستخدمة فيزياوياً ، وما هي وحدات قياسها ، وذلك على اساس تعريفها من خلال وحدات القياس . وقد تكون هذه المفاهيم اولية او مشتقة من غيرها. وبصورة عامة فان الاساس الذي تقوم عليه هذه المفاهيم هو الاساس التجريبي مع عدم اهمال ما للعلاقات الرياضية من اهمية في بناء القانون .

ب — تحليل ونقد القوانين التجريبية التي تنتمي الى مجال فيزياوي واحد ، مثال ذلك : قوانين الميكانيك ، قوانين الغازات ، قوانين الضوء ، قوانين الكهربائية والمغناطيسية وهكذا ، من اجل تثبيت او ابتداع مفاهيم تجريدية وعلاقات تجعل بالامكان ضم جميع القوانين التجريبية الى قوانين اكثر شمولية واقل عدداً ، ثم الانتقال بعد ذلك الى توحيد القوانين التجريبية في نظرية تجريبية واحدة .

ج – تحليل ونقد النظريات التجريبية لمجالات الفيزياء بغية ادراك العلاقات الفيزياوية القائمة بينهـــا مثال ذلك : دراسة النظرية الكهربائيـة والمغناطيسية والضوئية والالكترونية ، وامكانية تتويج هذا العمل في مجموعة من المبادئ المجردة التي تقوم باستنتاج القوانين التجريبية المعروفة سابقاً وقوانين اخرى يجري التثبت من خلالها عن متانة النظرية الموحدة وجدواها .

(٢٣)

اما الطريقة الثانية ، فأبرز ما تمتاز به اعتمادها على ماتوحي به التجارب من مؤشرات ، وطرح فرضيات عالية في التجريد يتم اختيارها بعد ذلك تجريبياً ، ونتبع في هذه الطريقة الخطوات الآتية : –

أ – لاتستغني هذه الطريقة عن التجارب ، ولكنها في الوقت نفسه لا تفيد نفسها بها كلياً ، بحيث لاتتم اية خطوة متقدمة دون الاعتماد على التجربة،بل تجعل الطريقة الاستدلالية الافتراضية التجربة، بل تجعل التجربة ، بل تجعل الطريقة الاستدلالية الافتراضية التجربة او الحقائق التي تمت ملاحظتها مجرد نقاط ارتكاز توحي للباحث بالفرضية المناسبة التي قد يتم اختيارها من عدد كبير جداً من الفرضيات ، وهي ليست فرضية تجريبية كتلك التي نجدها في الطريقة الاستقرائية ، بل قد تكون مبدأ عالياً في التجريد ، بحيث تصلح في نهاية الامر ان تكون مقدمة ضرورية لاستنتاج قوانين نظرية واخرى تجريبية .

ب – ان هذه الفرضية او غيرها من نفس المستوى رياضية البناء تتخللها مفاهيم فيزياوية مجردة ، وهذا معناه : ان التثبت من ان الفرضية مناسبة او غير مناسبة لايتم الا من خلال سلسلة طويلة من الاستنتاجات وصولاً في نهاية الامر الى قضايا تجريبية ذات مفاهيم قابلة للقياس وقضايا قابلة للتجربة ، فان تأيدت القضايا المشتقة تجريبياً فهذا دليل على انها

مناسبة ، وبخلافه يجب تعديل او تغيير او تبديل الفرضية لتكون صالحة لتعليل القضايا المشتقة منها منطقياً او رياضياً .

ج – مراجعة الاستنتاجات التي تمت نظرياً ابتداء بالمقدمات وما يلزم عنها منطقياً حتى آخر السلسلة الاستنتاجية ، وهذا عمل من الوجهة النظرية يشتمل على تتبع منطقي للخطوات الاستدلالية ، للتعرف على القوانين الفيزياوية المشتقة ومكانتها في السلسلة الاستنتاجية ، واكتشاف القوانين المشتقة الجديدة وما ينتج عنها لغرض اختبارها تجريبياً من اجل معرفة ان كانت الفرضية مناسبة او غير مناسبة .

د – تقويم الفرضية على اساس اختبار النتائج ، وهذا معناه : ان على الباحث تقع مهمة دراسة النتائج ومقارنتها ونقدها وتحليلها ، اذ لا يجوز مطلقاً ان تكون النتائج مناقضة لحقائق فيزياوية معروفة ، وان لاتكون النتائج متناقضة فيما بينها . فاذا كانت النتائج خالية من التناقض ، ومتفقة مع حقائق فيزياوية واضحة ، وخالية من مفاهيم مبهمة ، وان التجارب تؤيدها ، كانت الفرضية مقبولة علمياً وجزء لايتجزأ من نظام الفرضيات الخاصة بالنظرية .

(٢٤)

اما الطريقة الثالثة فانها وان كانت في الاصل طريقة رياضية ، الا انها تحولت بمرور الزمن ومن خلال تطور علم الفيزياء وتقدمه باتجاه اكبر نظريتين هما نظرية الكم Quantum Theory ، والنظرية النسبية Relativity Theory الى منهج معترف به واساسي في الفيزياء المعاصرة . ومن اجل زيادة التوضيح للطريقة البديهية في الفيزياء ، نتبع الخطوات الآتية : –

أ – يشير تطور الفيزياء الى حقيقة مهمة هي ان الحقائق او المفاهيم والصيغ الفيزياوية منذ عصر اسحق نيوتن (١٦٤٣ – ١٧٢٧) اخذت تتجه نحو

التجريد والابتعاد عن عالم المحسوسات ، ولم تعد القوانين كما كانت استقرائية بسيطة مثل قوانين جوهان كبلر (١٥٧١ — ١٦٣٠) في الفلك، او قوانين المد والجزر ، او قانون بويل (١٦٢٧ — ١٦٩١) في العلاقة العكسية بين حجم مقدار معين من الغاز مع الضغط المسلط عليه عند ثبوت درجة الحرارة ، وغير ذلك من القوانين التجريبية ، بل اصبحت اكثر تجريدية وشمولاً من هذا النوع من القوانين ، ولم تعد القوانين الطبيعية المجردة استقرائية مثل قوانين ماكسويل (١٨٣١ — ١٨٧٩) الكهرو مغناطيسية ، وقوانين انيشتاين النسبية ، وغيرها .

ب — يشير تطور الفيزياء كذلك الى حقيقة علمية اخرى هي : ان مبدأ الاقتصاد في الفكر Economy of Thought اخــذ طريقه الى القوانين والنظريات الفيزياوية اذ ظهر مثلاً ان عدداً من القوانين التجريبية على سبيل المثال تعلل بدقة من خلال القانون العام للجاذبية ، وان عدداً من القوانين الطبيعية التي تفوق القوانين التجريبية في التجريد ذات مجال ضيق وان قوانين طبيعية اخرى اشمل واكثر تجريدية من الاولى تعلل قانون الجاذبية وبعض القوانين الطبيعية الاخرى مثال ذلك قانون اينشتاين في الجاذبية للكتل الكبيرة والصغيرة جداً ذات السرع العالية .

ج — يشير تطور الفيـزياء الى حقيقة اخرى في غاية الاهمية هي : ان بعض النظريات في الرياضيات البحتة والتي لم توضع في الاصل لاغراض فيزياوية ، وجدت طريقها للتطبيق في الفيزياء . فمن المعروف مثلاً ان الهندسات اللااقليدية وجدت قبل ان يفكر اي عالم في الفيزياء بالنظرية النسبية العامة ، الا انها اصبحت بفضل اينشتاين جزءً لا يتجزء من الفيزياء النظرية ، وكانت النتائج التجريبية المستنتجة منها مطابقة للواقع . وما يصدق على هندسة ريمان وغيره من الهندسات اللااقليدية ينطبق كذلك على النظرية الجبرية غير التبديلية والتي لا يصدق فيها

القانون المعروف : أ ب = ب أ ، حيث وجدت طريقها الى التطبيق في نظرية الكم . كما استخدمت في الفيزياء المعاصرة نظريات رياضية بحتة اخرى بنيت على اساس الطريقة البديهية .

ان هذه التطورات وغيرها اصابت الطريقة الفيزياوية في الصميم ، فكان ان بدأت اتجاهات جديدة لبناء النظرية الفيزياوية او اعادة بناء نظريات فيزياوية باستخدام الطريقة البديهية (٢٦) . وهنا لابد من الاشارة الى عدة ملاحظات مهمة في هذه الطريقة .: —

أ — ان اول من اقام بناءً هندسياً بالطريقة البديهية هو اقليدس ، الا ان تعريفات المفاهيم الهندسية جعلت الذين استخدموا الهندسة الاقليدية على قناعة بانها قابلة للتطبيق في العلم واعمال الحياة اليومية ، فالجميع يعرف معنى « النقطة والمستقيم والزاوية والمستوى » وغيرها من المفاهيم اما الطريقة البديهية الجديدة فانها لا تقوم بتعريف المفاهيم بالطريقة التي طرحها اقليدس ، بل انها تستمد معانيها من خلال وجودها في البديهيات ، ومعنى ذلك : ان البديهيات تصبح تعريفات للمفاهيم الهندسية وبناءً على ذلك يجب التمييز بين التعريف الواضح Explicit Definition كما هو عند اقليدس ، والتعريف الضمني Implicit Definition كما هو عند هلبرت .

ب — ان المفاهيم في الطريقة البديهية الجديدة ليس لها علاقة بالواقع المادي ، فهي مجرد كلمات او رموز ، لذلك يمكن اعطاء قيم وصفية لها من خلال ايجاد التفسير المناسب Interpretation وعندئذٍ يمكننا القول بان هذه القضية الهندسية او تلك بعد تفسيرها تطبق في العلم وفي الحياة اليومية . وهذا امر يجعلنا نحصل من خلال الهندسة المستوية لهلبرت على تفسيرات كثيرة فيزياوية وغير فيزياوية .

د ـ ان كل ما يحتاجه الباحث في هندسة هلبرت البحتة هو مجموعة شروط منطقية تتحكم في كل نظام بديهي هي : ان تكون بديهيات النظام مستقلة بمعنى : لا يمكن البرهنة على بديهية من مجموعة البديهيات بواسطة البديهيات الاخرى . وان تكون البديهيات كاملة بمعنى : لا يمكن ان نجد قضية هندسية تنتمي الى موضوع النظام ليس لها برهان او لا يمكن البرهنة عليها . وان يكون النظام خالياً من التناقض بمعنى : انه لا يسمح باشتقاق قضية ونقيضها من مقدمات مفروضة .

وفي الفيزياء النظرية اصبحت الطريقة البديهية من الطرق المهمة في بناء واعاة بناء النظريات الفيزياوية ، وان كل ما نحتاجه هو المحافظة على العلاقة القائمة بين الفيزياء والواقع ، لان الفيزياء اولاً وآخراً من العلوم التي لابد للتجربة من اثبات قضاياها ونظرياتها مهما كانت مجردة وبحاجة الى سلسلة استنتاجية طويلة تبدأ بالمقدمات وتنتهي بنتائج لها صلة بالعالم المحسوس والتجارب .

وهذا الاختلاف بين الفيزياء النظرية والرياضيات البحتة على صعيد الطريقة البديهية حول نظر العالم الى اهمية المفاهيم الفيزياوية وتعريفاتها . فالنظام البديهي الفيزياوي بحاجة الى تفسير ، ولا يتم هذا التفسير الا من خلال قاموس Dictionary او تعريفات للمفاهيم الفيزياوية ، بحيث يمكن اقران هذه المفاهيم او تعريفاتها بقضايا النظام البديهي ، فتحول القضية الى قضية فيزياوية يمكن التثبت منها بالاسلوب التجريبي ، وبعبارة ادق يمكن القول ان النظرية الفيزياوية القائمة على الطريقة البديهية بحاجة الى نظام بديهي له صفة وخاصية الرياضيات البحتة ، والى نظرية في التفسير تحتوي على تعريفات تقترن بالنظام البديهي ، وهذه التعريفات تجريبية لمفاهيم فيزياوية ، بحيث تبقى النظرية الفيزياوية على صلة بالعالم الحسي والمشاهدات والتجارب .

(٢٥)

بقيت نقطة واحدة في هذا البحث تستحق الوقوف وهي اختلاف الفلسفات بعضها عن بعض تجاه النظرية الفيزياوية . فالفلسفة المادية التي رافقت العلم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وجدت كل مبرراتها الفلسفية في نظرية نيوتن وما احرزته من تقدم في علم الميكانيك ، وفي الطريقة الاستقرائية التي كانت سائدة في ذلك الوقت . اما الفلسفة المثالية فانها اخذت جوانب اخرى من النظرية الفيزياوية لتدعيم موقفها من العقل وصلته بالعالم الخارجي ، فالمقولات عند عمانوئيل كانت (١٧٢٤ – ١٨٠٤) في الزمان والمكان والجوهر والتأثير المتبادل والسببية .... الخ ليست الا ترجمة فلسفية بشكل معين لنظرية نيوتن ، اذ تحولت عند كانت الى مقولات عقلية قبلية ننظر من خلالها الى العالم الخارجي ليتشكل بالصورة التي هي عليه ، وكان المقولة هي الاطار الضروري لمعرفة وفهم العالم الخارجي . والفلسفة الاجرائية لبرجمان (١٨٨٢ – ١٩٦١) وهي فلسفة تجريبية معاصرة تأثرت بالنظرية النسبية وما انجزته من اعمال منها الاستغناء عن المفاهيم التي لا يمكن تعريفها بالاجراءات القياسية مثل الاثير والزمان والمكان ، وتعريف التزامن بواسطة سلسلة من الاجراءات ، فبانت التعريفات عند برجمان مجرد مجموعة من الاجراءات القياسية ، وتحول العمل الفيزياوي في بناء المفاهيم الى عمليات تجريبية تهدف الى اجراء القياسات لكل مفهوم سواء بطريقة مباشرة او غير مباشرة ، والاستغناء عن اي مفهوم كان لا يمكن تعريفه من خـلال الاجراءات القياسية (٢٧) .

اما التجريبية المنطقية التي هي الاخرى رافقت تطور علم الفيزياء والرياضيات في القرن العشرين ، اتخذت من الرياضيات والفيزياء موقفاً تحليلياً عميقاً وهو ان قضايا الرياضيات البحتة تحليلية لا علاقة لها بالواقع المحسوس وغير مشتقة

منه ، في حين ان قضايا الفيزياء تركيبية او تجريبية . واذ كان بناء المفاهيم في الرياضيات يقوم على اساس ردها الى مفاهيم منطقية ، بحيث تصبح الرياضيات جميعها منطقية ، فان بناء المفاهيم في الفيزياء يقوم بردها الى مفاهيم اولية هي الطول والزمن والكتلة ودرجة الحرارة والشحنة الكهربائية (٢٨) وعلى اساس ان المفاهيم غير التجريبية وغير الرياضية والخالية من المعنى هي مفاهيم ميتافيزيقية يجب استبعادها من العلم . وبصورة عامة استهدفت التجريبية المنطقية اضافة الى استبعاد المفاهيم والقضايا الميتافيزيقية من العلم ، توحيد العلوم على اساس وحدة المعرفة الانسانية ، وايجاد قاعدة متينة لطرق البحث العلمي الاستقرائية والاستدلالية والاحتمالية .

اما الاصطلاحية والتي ترتبط باسم هنري بوانكاريه (١٨٥٤ — ١٩١٢) ، فانها متأثرة كذلك بالعلم المعاصر وبخاصة بالعلم الرياضي وهندسة اقليدس . فالقضايا الهندسية والتعريفات اختيارية ، وانه بالامكان تفسير هندسة اقليدس بطريقة لا نحتاج الى غيرها من الهندسات ، فهي الهندسة المختارة . وعندما بدأت الطريقة البديهية بالتوسع كان حظ الاصطلاحية اكبر ، فالنظام البديهي مجرد لغة صورية اختيارية ، ومن الممكن ان نختار نظاماً آخر يتوافق مع الاول في كل شيء ويختلف عنه في مقدماته وتعريفاته والانظمة البديهية في الفيزياء النظرية تتألف شأنها في ذلك شأن الرياضيات البحتة من بديهيات هي تعريفات ليست صادقة وليست كاذبة ، بل مجرد صيغ اختيارية او اصطلاحية ، ومن تعريفات اخرى هي التعريفات الاقترانية وهي بحد ذاتها قضايا اصطلاحية .



هوامش البحث

١) العالم الكبيــر او فيزياء الموجــودات الكبيــرة Microphysics هو العالم الخارجي المادي المحسوس الذي يخضع للمشاهــدة والتجربة الحسية ، ومنه نستمد المفاهيم الفيزياوية المعروفة مثل الكتلة والسرعة والزمن والمكان وغير ذلك . وابرز مثال على ذلك هو ما تتعامل به الفيزياء القديمة وفيزياء نيوتن في الميكانيك .

٢) العالم الصغيــر او فيزياء الموجــودات الصغيرة Macrophysics هو عالم الذرة وما تحتويه من جسيمات صغيرة جداً مثل الالكترونات والبرتونات والنيوترونات وانواع الميزونات وما شابه ذلك ، والتي لا تخضع للمشاهدة الحسية المجردة مباشرة ، ولا يمكن دراستها بعيداً عن التجارب المشفوعة باجهزة علمية معقدة عالية التقنية .

٣) نقصد بالقضية التحليلية هي القضية التي يحتوي نفيها على تناقض ، او هي القضية التي تكون صادقة في جميع الحالات وفي كل العوالم الممكنة ، او هي القضية التي يكون المحمول فيها متضمنا في الموضوع ، بحيث لا تخبرنا عن شيء جديد ، وهي صادقة ويقينية وتحصيل حاصل .

٤) الرياضيــات التطبيقيــة Applied Mathematics رياضيــات مدونة رمزياً لهــا صلة بالعــالم الخــارجي صغيراً او كبيراً ، وهي في الغالب منبثقة من تعامل العالم مع الموجودات والظواهر والحوادث والعلاقات ، فهي رياضيات فيزياوية تجريبية ، ولا تكون قضاياها تحليلية او صادقة صدقاً يقينياً ، بل تركيبية Synthetic وقضاياها احتمالية .

٥) يقول البرت انيشتاين في هذا الصدد « مادامت قضايا الرياضيات ذات صلة بالواقع ، فهي ليست مؤكدة (يقينية) ، وما دامت يقينية فهي ليست ذات صلة بالواقع .

Einstein, A., Mein Weltbild pp : 119 - 120
[Ullstein Bücher, Germany 1970]

٦) استخدمت الهندسة الاقليدية : المستوية والفراغية في الفيزياء لوصف العالم الخارجي وظواهره وحركة موجوداته واستقرارها سواء كانت الحركة على خط مستقيم او منحن او بيضوي او اي شكل من الاشكال المعروفة ، واستخدم الجبر التبديلي وغير التبديلي في الفيزياء كذلك بعد تحويل صيغه الى قضايا الفيزياء ، كما ان المثلثات معروفة في استخداماتها الكثيرة في علم الفلك . والفيزياء ، سواء لوصف او دراسة القبة السماوية او تطبيقها في حسابات العالم الارضي .

٧) مايؤيد هذا القول ما ذهب اليه آنيشتاين بقوله : يستطيع المرء ان يفرق انواعاً مختلفة من النظريات في الفيــزياء . وان معظم النظريات تكوينية . وهذه النظريات تبحث من خلال صورية بسيطة نسبياً ومن حيث الاساس عن صورة للظواهر المعقدة لاقامتها . فتبحث مثلاً النظرية الحركية للغازات الحوداث الميكانيكية والحرارية والانتشارية لردها الى حركة الجزيئات ، وهذا معناه : اقامة ذلك على اساس فرضية حركة الجزيئات . وعندما يقول المرء انه نجح في ربط مجموعة من الحوادث الطبيعية ، فانه يعني بذلك دائماً ، بانه اقام نظرية تكوينية تضم الحوادث المستهدفة .

Einstein, A., Mein Weltbild p : 127.

٨) يشير تطور العلم الفيزياوي الى هذه الحقيقة التي يمكن ملاحظتها من خلال دراسة تاريخ العلم ، فالمفاهيم الفيزياوية كانت في الماضي بسيطة وكيفية ، الا انها اخذت بالتقدم عندما استطاع الانسان تحويلها الى مفاهيم كمية ، بحيث اصبح بمقدوره استخدام الرياضيات ، فتبدلت صورة العالم تبعاً لتبدل النظرية الفيزياوية . فالقوانين القديمة لبطلميوس عن حركة الافلاك تبدلت بفضل قوانين كبلر ، كما تبدلت قوانين الفيزياء بالصورة التي طرحها ارسطو لتحل مكانها قوانين غاليليو ونيوتن . ثم تقدم العلم باتجاه دراسة الضوء والحرارة والاشعاع والمغناطيسية والكهربائية وحقق نجاحات كبيرة .

وتبدلت صورة العالم عندما بدأ البحث العلمي يشق طريقة لاكتشاف عالم الذرة ، كما تبدلت صورة الكون الميكانيكي لتحل محلها صورة الكون كما ترسمها النظرية النسبية لاينشتاين . وغاص الانسان في اعماق الذرة وظواهر الحرارة والاشعاع والطاقة ليرسم صورة للعالم الصغير كما طرحتها نظرية الكم وهكذا .....

٩) يرى جيمس جينس ان الله عالم رياضيات كبير ، لانه صمم الكون وفق مقتضيات الرياضيات البحتة . ومعنى ذلك ان الكشف عن الرياضيات البحتة يمثل حقيقة العالم . انظر كتابي « مقدمـــة في الفلسفة المعاصرة » فصل المثالية الرياضية [منشورات الجامعة الليبية — بنغازي ١٩٧٠].

١٠) ان ابسط مثال على القوانين التجريبية : قانون بويل ، قانون السقوط الحر للاجسام ، قانون المد والجزر ، قوانين كبلر الثلاثة ، وان ابسط مثال على قوانين الطبيعة : قانون الجاذبية العام ، ومبادئ نيوتن في الميكانيك ، وقوانين الحفظ وغير ذلك .

11) Richard F. Hamphries & Robert Beringer : First Principles of Atomic Physics [New York, 1950]

ترجمه الى العربية : د . محمود امين العمر ود . يوسف ليتو
و د . سيد رمضان هدارة
المبادئ الاساسية للفيزياء ص ٣٤٦
[دار المعارف بمصر ١٩٦٢]

(١٢) هذه القونين ومثيلاتها ليست مشتقة من التجربة ، وغالباً ماتتميز بالبساطة وعالية في سلم التجريد ، ولايمكن اختبارها تجريبياً بالطريقة الاستقرائية ، وغالباً ما يتوصل اليها العالم من خلال تحليل ونقد قوانين ومفاهيم تجريبية تشترك في وصف او تعليل ظواهر طبيعية من صنف واحد ، بحيث يضم القانون الطبيعي من قوانين الطبيعة مجموعة واسعة من القوانين

التجريبية والقضايا المشتقة منه استدلالياً . ومن الصعب تفنيد او تكذيب مثل هذه القوانين والاسس ، لذلك فان معظم النظريات التي تضم مثل هذه القوانين تبقى فترة طويلة من الزمن ، وقد تضاف اليها فروع وقوانين اخرى جديدة .

(١٣) رد فريجه علم الحساب الى المنطق في كتابه الذي يقع في جزئين وهو :
Frege, G., Die Grundgesetze der Arithmetik

صدر الجزء الاول سنة ١٨٩٣ ، وصدر الجزء الثاني سنة ١٩٠٣ .
ورد رسل وواتيهيد الرياضيات وليس علم الحساب وحده الى المنطق في كتابهما الذائع الصيت : « اصول الرياضة Principia Mathematica الذي يقع في ثلاثة اجزاء صدر الجزء الاول سنة ١٩١٠ وصدر الجزء الثاني ١٩١٢ وصدر الجزء الثالث سنة ١٩١٣ .

(١٤) اذا تصفحنا تاريخ الفلسفة نجد اختلافات واسعة في مسألة طبيعة القضية الفيزياوية والقضية الرياضية ، فمنهم من اخذ بالمذهب التجريبي واحتساب القضية الرياضية تجريبية اسوة بالقضية الفيزياوية ، ومنهم من اخذ بالمذهب العقلي فوجد ان القضية الرياضية تحليلية قبلية Apriori ،والقضية الفيزياوية تركيبية بعــدية Aposteriori ، ومنهم من وزّع القضايا الى اربعة اصناف : قضايا تحليلية قبليــة Analytic Aprioi ، وقضايا تحليلية بعــدية Analytic Aposteriori ، وقضايا تركيبيــة قبليــة Synthetic Apriori ، وقضــايا تركيبيــة بعــدية Synthetic Aposteriori ، فجعل قضايا الرياضيات تركيبية قبلية وقضايا التجربة تركيبية بعدية . ولكننا اخذنا بتحليل التجريبية المنطقية التي تجعل من قضايا الرياضيات صادقة بالفرض او بالبرهان وهي تحليلية ، وقضايا الفيزياء صادقة او كاذبة تجريبياً وهي تركيبية .

(١٥) حلل ارسطو العلم البرهاني في مخلفاته المنطقية التي يشتمل عليها كتاب الاورغانون Organon وفصل القول في البرهان وما يستلزمه العلم البرهاني والعناصر التي يتكون منها بعد ان صاغ نظرية منطقية استدلالية معروفة بنظرية القياس Syllogism .

(١٦) لمبدأ البساطة في الفيزياء معنيان . يطلب المعنى الاول بان يختار المرء أبنية المفاهيم ما امكنه بسيطة مقابل الوقائع ، وهذه البساطة ليست عن مكانة النظرية بالنسبة للواقع . بل تحتوي فقط على شرط تطبيقي ؛ وهذا الشرط يهتم بالجانب الاقتصادي (او بالناحية التي تهتم بالاقتصاد في الفكر) ، والمعنى الثاني يظهر مبدأ البساطة في الاستقراء المنطقي ، حيث يطرح المرء ابسط منحنى من خلال سلسلة النقاط المقاسة (انظر :

Reichenbach, H., Axiomatik der relativististischen Raum - Zeit Lehre (Braunschweig 1965) p : 9

(١٧) ان التعريفات المشار اليها هي التعريفات الواضحة التي تشترط ان يكون الطرف الايمن فيها وهو الطرف المراد تعريفه مساوياً في المعنى للطرف الايسر المعرِّف وبحيث يمكن استبدال احدهما بالاخر في البرهان ، ومن الامثلة مانجده في الرياضيات وفي المنطق الرياضي ، وقد سار رسل في كتابه ، « اصول الرياضة » بهذا الاتجاه .

(١٨) هذا هو معيار الصدق في المنطق والذي بمقتضاه ننتقل من مقدمة الى نتيجة بمساعدة قاعدة استنتاجية تسمح باستنتاج قضية صادقة من مقدمة صادقة . ويحكم هذا المعيار العملية البرهانية جميعها حتى الحصول على النتيجة التي يستهدفها البرهان .

(١٩) هي الهندسة التي تخلو فيها الخطوط المستقيمة وتتعامل مع المنحنيات فلا نجد على سبيل المثال مثلثاً مجموع زواياه ١٨٠ درجة ، بل نجد مثلثات مجموع زواياها اكثر من ١٨٠ درجة . واذا كان الكون في

هندسة اقليدس مسطحاً وغير محدود ، فان الكون في هندسة ريمان كروي ومحدود .

(٢٠) هذه العبارة تتطابق مع ما جاء في الهامش رقم ٥ وهي لا تختلف عن تمييز الفليسوف الرياضي جو تفريد فلهلم لايبنتز (١٦٤٦ — ١٧١٦) بين الحقائق العقلية والحقائق الواقعية ، حيث يرى في الاولى انها يقينية وصادقة وضرورية ، بينما الثانية احتمالية وممكنة وليست ضرورية .

(٢١) ان المشكلة التي واجهها عند تحليله لعلم الهندسة هي : ان صدق النتائج يعتمد على صدق المقدمات ، ولـكن ماهي الضمانةالمنطقية او الفلسفية التي تجعلنا نعتقد بصدق المبادئ الهندسية ؟ تناول افلاطون هذه المشكلة في كتاب الجمهورية ، وتوصل الى حلها بالطريقة الآتية :

ان الاستدلال الهندسي لايخلو من المحسوس ، وهذا معناه : ان المبادئ الهندسية لم تكن بمعزل عن آثار المحسوسات ، وان افتراض صدقها غير مقنع فبناءً على ذلك يجب البحث عن اثبات صدقها باتخاذ المبادئ نقاط ارتكاز نردها الى عالم الحقائق وهو عالم بعيد عن المحسوسات ، وان المفاهيم فيه صورية بحتة يترابط بعضها مع بعض ، وهي ثابتة وابدية لايعتريها التغير ، اذ فيها المثلث بالذات والمربع بالذات وهكذا جميع المفاهيم الهندسية . ولما كانت حقائق هذا العالم وهو عالم المثل صادقة فمن الضروري ان تكون المبادئ الهندسية صادقة من خلال عملية الرد المنطقي .

(٢٢) نشر هلبرت كتابه « اسس الهندسة » Grundlagen der Geometrie سنة ١٨٩٩ ، واقام بناء هندسة اقليدس المستوية بالطريقة البديهية الجديدة، فجعل بديهيات للترابط ، واخرى للترتيب ، واخرى للتطابق ، وبديهية التوازي ، وبديهيات الاستمرارية وهكذا .

(٢٣) يعود الفضل الى هلبرت في تثبيت هذه الشروط : انظر :

Kropp, G., Vorlesungen über Geschichte der Mathematik p : 79 Bibliographisches Institut. Mannheim / Zürich 1969.

24) Ibid., p : 80.

(٢٥) بدأ الاعتقاد بالسببية في الفيزياء يتزعزع بفضل ما توصل اليه فيريز هايزنبرع من نتائـج علميـة تعزز مبـدأ اللادقـة Ungenauigkeits prinzip الذي ينص على : انه من المستحيل تعيين معاً الموضـع والزخم لجسيم (متل الالكترون) بدقة وفي آن واحد ، فاذا عرف الموضع باكثر دقة ، فان الزخم يمكن تعيينه بدقة أقل . (انظر التعريف تحت عنوان

Uncertainty principle

Uvarov, E. B. & Chapman, D. R., A Dictionary of Science p : 224 [Penguin Books 1954].

(٢٦) استخدام هانس رايخنباخ الطريقة البديهية لبناء نظرية المكان – الزمان النسبية في كتابه

Reichenbach, H., Axiomatik der relativistischen Raum - Zeit - Lehre.

وقد قسم كتابه الى قسمين : تناول في القسم الاول النظرية النسبية الخاصة ، وتناول في القسم الثاني النظرية النسبية العامة : فخص القسم الاول بمجموعة من البديهيات واعتبارات نقدية ، بينما خص القسم الثاني بمجموعة اخرى من البديهيات وصفات تكاملية .

(٢٧) انظر كتاب برجمان الرئيس :

Bridgman, P. W., The Logic of Modern Physics [The Macmillan Co. New York, 1927] .

شعر الفند الزماني

الدكتور
حاتم صالح الضامن

جامعة بغداد ــ كلية الآداب

المقدمة :

الفِنْدُ : لَقَبٌ غَلَبَ عليه . شُبِّهَ بالفِنْدِ من الجَبَلِ ، وهو القطعةُ العظيمةُ لعِظَمِ شخصهِ . (١)

وقيلَ : لُقِّبَ الفِنْدَ لأنّ بَكْرَ بنَ وائلٍ بعثوا الى بني حنيفة في حرب البَسُوس يستنصرونهم فأمَدُّوهم به ، وهو مُسِنٌّ ، فلمّا أتى بَكْراً قالوا : وما يُغني هذا العَشَبَة (٢) عنّا ؟ قالَ : أو ما ترضونَ أنْ أكونَ لكم فِنْداً تأوونَ إليه . (٣)

وقيلَ : لُقِّبَ به لأنّهُ قالَ لأصحابِهِ في يومِ حَرْبٍ : استَنِدُوا إليّ فإنّي لكم فِنْدٌ (٤) .

★ ★ ★

---

(١) الأغاني ٩٣/٢٤ ، المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة ١٤ ، شرح ديوان الحماسة (م) ٣٢ .

(٢) العشبة والعشمة : الشيخ الكبير .

(٣) شرح ديوان الحماسة (ت) ٢٠/١ ، شرح شواهد المغني ٩٤٥ ، شرح أبيات مغني اللبيب ١٩/٨ ، خزانة الأدب ٤٣٤/٣ (هارون) .

(٤) شرح ديوان الحماسة (ت) ٢٠/١ ، تاج العروس (فند) .

واسمُهُ شَهْل بنُ شَيْبانَ بنِ ربيعةَ بنِ زِمّان بن مالك بن صَعْب ابن عليّ بن بكر بن وائل (٥) .

وشَهْل : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء (٦) . قالَ البكريّ (٧) : وليس في العرب شَهْل بشين معجمة غيره .

وقال الغُندجاني (٨) : في بَجيلة شهل بن أنمار .

وقال البغدادي (٩) : وشَهْل ، بالشين ، وليس في العرب شَهْل ، بالمعجمة ، إلاّ هو وشَهْل بن أنمار من قبيلة بَجيلة .

وبنو زمّان : قبيلةٌ من ربيعة بن نِزار ، وهم بنو زمّان بن مالك بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْبَ بن أفصى بن دُعْمِيّ ابن جَديلة بن أسد بن ربيعة (١٠) .

★ ★ ★

وكان الفِنْدُ أحدَ فُرسانِ ربيعة المشهورن المعدودين ، وشهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المئة فأبلى بلاءً حسناً (١١) .

وكانَ يُقال له : عَديدُ الألف (١٢) .

---

(٥) الاغاني ٩٣/٢٤ ، شرح ديوان الحماسة (ت) ١٩/١ ، الاكمال ٤٠١/٤ .
(٦) تصحيفات المحدثين ١٠٩١ ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٧٠١ .
(٧) اللآلى ٥٧٩ .
(٨) اصلاح ما غلط فيه ابو عبدالله النمري في معاني ابيات الحماسة ٣١ .
(٩) خزانة الأدب ٤٣٤/٣ (هارون) .
(١٠) ينظر : مختلف القبائل ومؤتلفها ٣٤٨ ، الايناس في علم الأنساب ١٦٧ ، جمهرة أنساب العرب ٣٠٩ ، تاج العروس (فند) .
(١١) الأغاني ٩٣/٢٤ .
(١٢) اللسان والتاج (فند) .

قال أبو الفرج (١٣) : أرسلتْ بنو شَيبان في محاربتهم بني تغلب الى بني حنيفة يستنجدونهم ، فوجّهوا إليهم بالفِنْدِ الزِّمّاني في سبعين رجلاً ، وأرسلوا إليهم : إنّا قد بعثنا إليكم ألفَ رَجُلٍ .

قالَ ابنُ دُرَيد (١٤) : وكانَ شجاعاً فارساً عظيم الخَلْق ، وأرسلته بنو حَنيفهَ في الجاهلية الى بكر بن وائل يُحثّهم على قتالِ بني تغلب ، فلمّا رأته بَكْرٌ قالت : أينَ أصحابُك ؟؟ قالَ : ليس معي أحدٌ . قالوا : فما لنا عندك ؟ قالَ :أقتلُ أوّلَ مَنْ يطلعُ عليكم . فطلعَ فارسٌ قد أردفَ رجلاً خَلْفَهُ ، فطعنه الفِنْدُ فأنفذَ الرجلين ، وقال :

أياطعنةَ ما شيخٍ
كبيرٍ يفنٍ بالِ
تَفَتَّيْتُ بها إذْ كَـ
رِهَ الشِّكَّةَ أمثالي

ورُوي أنَّهُ كانَ في إبلِهِ ، فأغارَ عليه قومٌ فاستاقوا الإبل وقطعوا يده اليمنى ثمّ مَنّوا عليه بنفسه ، فلمّا أتوا الى حَلَبتهِ وسبَوا حرمه ، أخذ السيفَ بيده اليسرى وحمل عليهم هو وأصحابه ، فقيلَ له : أو بَعْدَ قطعِ يدك ؟ فقالَ : الفحلُ يحمي شَوْلَهُ مَعْقولا . فذهبتْ مَثَلاً . (١٥)



(١٣) الأغاني ٩٤/٢٤ .

(١٤) الاشتقاق ٣٤٤ .

(١٥) الوسيط في الأمثال ٦٠ .

شـعره :

لم نقف على شعر مجموع للفِنْد الزِّمّاني ، ولكنّ القدماء اهتموا بشعره ، فثمة رواية ذكرها صاعد البغدادي (١٦) المتوفى سنة ٤١٧ هـ تفيد أنّ أبا زيد الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥ هـ قد جمع شعره ، إذ نقل منه صاعد مايقرب من خمسين بيتاً ثم قال : (هذا آخر ماوجدت من شعره بخط أبي زيد) (١٧) .

ومن المؤكد أنّ ديوانه وقع بين يدي محمد بن المبارك مؤلف كتاب (منتهى الطلب من أشعار العرب) (١٨) : ، فقد اختار له ثلاث قصائد طويلة (١٩) . وهي القصائد التي وصلت إلينا كاملة ، لأنّ ابن المبارك المتوفى بعد سنة ٥٨٩ هـ قال في مقدمة كتابه : (ولم أخل بذكر أحد من شعراء الجاهلية والإسلاميين الذين يستشهد بشعرهم ، إلاّ من لم أقف على مجموع شعره ، ولم أره في خزانة وقف ولا غيرها . . .) (٢٠) .

وثمة إشارة الى ديوانه أوردها العلامة عبد العزيز الميمني – طيب الله ثراه – جاء فيها : (والكلمة في الإسعاف في ١٨ بيتاً عن ديوان الفِنْد ٣ – ٢١٢) (٢١) .

وكتاب الإسعاف في شرح شواهد القاضي والكشاف لخضر بن عطاء الله الموصلي المتوفى سنة ١٠٠٧ هـ ما زال مخطوطاً .



---

(١٦) الفصوص ٤٨٦ .
(١٧) الفصوص ٤٨٨ .
(١٨) تنظر : مقدمة كتاب قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب ٣ – ٦ .
(١٩) هي الرابعة والثامنة والتاسعة .
(٢٠) قصائد نادرة ٤ .
(٢١) اللآلي ٥٠٥ .

وقد حوى هذا المجموع ثمانية وثمانين ومئة بيت ، وهو كلّ ما وقفنا عليه في المصادر التي رجعنا إليها ، موزعة على القوافي الآتية :

الأولى : همزية ، وتقع في ثلاثة أبيات .

الثانية : حائية ، وتقع في ثمانية وعشرين بيتاً .

الثالثة : دالية ، وتقع في ثمانية أبيات .

الرابعة : رائية ، وتقع في ثمانية وسبعين بيتاً .

الخامسة : قافية ، وتقع في تسعة عشر بيتاً .

السادسة : كافية ، وتقع في بيت واحد .

السابعة : لامية ، وتقع في ثمانية أبيا ت .

الثامنة : لامية أيضاً ، وتقع في اثنين وعشرين بيتاً .

التاسعة : نونية ، وتقع في واحد وعشرين بيتاً .

ومن اللافت للنظر أنّ لوحات الشاعر ومعانيه التي بثها في ثنايا قصائده ترسم الخطوات الذاتية التي اعترضت مسيرته ، فهو يتحدث فيها عن قومه وأيامهم وفخره بأمجادهم ، ويدعو الى التسامح ونبذ الخصومات .

ولابد من الإشارة الى أنّ شهرة الفِنْد الزِّماني جعلته في مكان مرموق بين الشعراء الذين استُشهد بشعرهم على الرغم من قلّة هذا الشعر ، فقد استشهد بشعره أصحاب الحماسات واللغويون والنحويون .

وأخيراً أرجو أنْ أكون بهذا الجهد قد ألقيت الضوء على شعر فارس من فرسان العرب راجياً أنْ يفيد منه الدارسون .

والحمدُ للهِ أوّلاً وآخراً .

الدكتور حاتم صالح الضامن
كلية الآداب – جامعة بغداد

(١)

التخريج : حرب البسوس ١٣٩ .

١ – دارتِ الحــربُ رحــاهــــا
فــادفــعــوهــا بــرحــائي

٢ – واضــربــوهــا بــالبــكــر
ليسَ ذاحــبــن ونــــائــي

٣ – وانظــروني حــيــن أعــدو
ثُــم كــونـــوا مــن ورائـــي

★ ★ ★

(٢)

التخريج : حرب البسوس ١٥٤ – ١٥٥ . الأبيات ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٣ ، ٢٧ في شعراء النصرانية ٢٤٣ .

قال الفند يناقض مهلهل بن ربيعة :

١ – عجِّــل اليومَ صاحبي بالرواحا
واسقيـاني قبلَ التّرَوحِ راحــــا

٢ – علِّ مــا بالفؤادِ يذهبُ عــنـــه
إنَّ عــقــلي أمسى عــزيــبـاً مَراحــا

٣ – أينَ لــيــلى وأينَ لــيــلى ولــيــلى
امرضتْ غيرنا رجالاً صحاحــا

(*) في قصيدته التي مطلعها :
ان في الصدرِ من كليب دواء   هاجسات فكان منه الجراحــا

٤ – لاترى عاشقاً تعلّقَ ليلى
ويُلاقي المماتَ منها رواحا

٥ – عاجَ لي ذكرها حمام هدو
يذكرُ الإلفَ في الغصونِ فناحا

٦ – لقِيتْ تَغْلِبُ كهقلةِ عادٍ
إذْ أَتاهُم هَوْلُ العذابِ صباحا

٧ – ونهاهُم نبيُّهم يومَ ذاكم
ودعاهُم الى الإلهِ صراحا

٨ – ونهَيْنا عن حربنا تَغْلِبَ العشـ
ـوَ فما عافتِ البلاءَ المُتاحا

٩ – دونَ أنْ أَبْصَرَتْ خيولاً لبَكْرٍ
وسيوفاً هِنْدِيَّةً ورِماحا

١٠– فقَتَلْنا بواردات رجالاً
إذ بدا كاتِمُ الضميرِ فباحا

١١– ولقي القوم بالذنائبِ منا
إذْ كَشَفنا الخلودَ موتاً ذباحا

١٢– وأسرنا عَدِيَّها واصطفينا
بيدٍ لو أثابَ منا نجاحا

١٣– سفهوا حِلمنا فلما أثاروا
للِقاءِ الكُماةِ طاحوا طياحا

١٤– لقوا أُسْدَ غابةٍ وكهولاً
وقَفاً تصرّعُ الكُماةَ سباحا

١٥- يطردونَ الخيولَ في رهج النقـ
ـعِ ويقرون بالسيوفِ السلاحا

١٦- سايحوا شيخنا جُحَيْشاً وكانوا
كلّما أخرجوهُ للحربِ ساحا

١٧- ولقد كانَ كارهاً للذي كانَ
رجاء بأنْ يكونَ الرباحا

١٨- فأصابوا بُجَيْرَ من غيرِ جرمٍ
كانَ منه إذْ صادَقوه كفاحا

١٩- ضَرَّجوا ثَوْبَه وقالوا سفاهاً ؛
أنتَ بالشِّسْع من كليبٍ صراحا

٢٠- فأصابَ المقالُ أنافَ بكرٍ
فأبادَتْ به الرجال الصباحا

٢١- ورَجَتْ تَغْلِبٌ تُعيدُ كُليباً
فأطَحْنا سَراتَهمُ حيثُ طاحا

٢٢- قدْ ترَكْنا نساءَهم مُعْولات
مُعْلِنَاتٍ معَ البكاءِ نَواحا

٢٣- بقيَتْ بعدَهُ الجليلةُ تبكي
والخدودُ العَيْطاءُ تدعو لحَاحا

٢٤- وترَكْنا أُصَيْبِياتٍ صغاراً
وذرارى يحسونَ القراحا

٢٥- كانَ سَهْمُ النساءِ سَهْمَ جياءٍ
وأَجَلْنا على الرجالِ القداحا

٢٦- وتَرَكْنا دِيارَ تَغْلِبَ قَفْراً
وكَسَرْنا من الغُواةِ الجَناحا

٢٧- وترى الزِّبْرَ يمعج القولَ فينا
بعدما صارَ مُفْرداً مُسْتَباحا

٢٨- هو في الشَّرِّ قائلٌ
لَيْتَهُ مات قبلَها فاستراحا



(٣)

التخريج : الفصوص ٤٨٧ .

١ - ياأُمَّ سَوْدَةَ بل يا أُمَّ عَبَّادِ
هل عندكم لغريبِ الدارِ من زادِ

٢ - ما قومُنا مُنْصِفينا أو نفارقهم
على اجتماع لإصلاحٍ بإفسادِ

٣ - أَبْلِغْ ربيعةَ أعلاها وأَسْفَلَها
إنّا أُناسٌ حَلَلْنا سُرَّةَ الوادي

٤ - وإنَّ مَنْ حَلَّ فينا يُستنارُ به
وضَيْفُنا حاكمٌ ما شاءَ في النادي

٥ - إنّا أَبَيْنا عليكم خُطَّتَي دَنَفٍ
من المَذَلَّةِ لايرضَى بها البادي

٦ - وقد شَرَطْتُم علينا في تجاورنا
شرطَ الحلاج على غَوْثِ بنِ هَنّادِ

٧ - وأنتم بَعْدَها ليس عندكم
إلاّ تفاخرُ آباءٍ وأجدادِ
٨ - لا عِندكم عندما يُرْجَى مساعدة
لأَجْنَبِيٍّ ولا يُستدَى لكم قادِ

(٤)

★ ★ ★

التخريج :

منتهى الطلب من أشعار العرب : ١٥٦ .

الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٩ ، ١٠ في المنازل والديار ١٣٨ - ١٣٩ .

الأبيات ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ في المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ٣٣٢ - ٣٣٣ مع خلاف في الرواية .

وقال الفِنْد الزِّمّاني ، واسمه شهْل بن شيبان بن ربيعة بن زِمّان ابن مالك بن صعْب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفْصَى ابن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار يناقض الأَفْوَهَ الأَوْديَّ (*) :

١ - أشجاكَ الرَّبْعُ أقْوَى والديارُ
وبكاءُ المرءِ للرَّبْعِ خسارُ
٢ - أيُّ لُبٍّ لامرىءٍ في قدْرِهِ
عائِذٌ بالحُزْنِ إذْ تُشْجيهُ دارُ
٣ - إنما يبكي الأُلى كانوا بها
فانتأَوْهُ بعْدُ فانشَطَّ المزارُ
٤ - يُخْرِبُ الدهرُ ويبني جاهِداً
وخَرابُ الدَّهْرِ للدارِ عَمَارُ

(*) في قصيدته التي نهى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن انشادها ، ومطلعها :

ان تري راسي فيه قزع وشواتي خلة فيها دوار

٥ ـ أَيُّها الباكي على مــا فاتَــهُ
اقصِرَنْ عنــكَ فبعضُ القولِ عارُ

٦ ـ إنّ لُؤْمَ المرءِ عَجْــزٌ نَدَراً
سَبَبٌ للجهلِ والجهلُ مَحَــارُ

٧ ـ إنّ لُؤْمَ المــرءِ إنْ فاتَ امرءاً
سَبَبُ الغَــدْرِ اضطرارٌ وانبِهارُ

٨ ـ ليسَ يُغني اللُــؤْمُ إلاّ أنّهُ
جَزَعٌ بالقومِ لُؤْمٌ واضْطِــرارُ

٩ ـ ليسَ يُغني جَــزَعُ القــومِ إذا
وَقَــعَ الأَمْرُ بِهِم إلاّ الغِيــارُ

١٠ ـ فاجزعوا للأَمْرِ أو لا تجزعوا
قَدْ تداعى السَّقْفُ وانهارَ الجِدارُ

١١ ـ لو رأَيْتَ الطَّعْنَ دَيْناً لم تَجِدْ
إذْ دِماءُ القومِ بالطَّعْنِ تُمارُ

١٢ ـ ولَقَدْ هَرَّتْ فما عزَّتْ به
كَلْبَةُ الأَوْدِيٌ إذْ ضاعَ الذِّمارُ

١٣ ـ هَيِّنٌ بالقَوْلِ تَقْصيفُ القَنَا
إذْ نأَتْ عنكَ العــوالي والشِّفارُ

١٤ ـ قَدْ وَصَفْتَ الخَيْلَ لو أَقْدَمْتَها
والقَنَا لو ساعَدَ الوصفَ اصطِبارُ

١٥ ـ قَلَّ ما تُجْدِي قوافيكَ على
أَعْظُمٍ قَدْ شَنَفَتْ منها النِّسارُ

١٦ ـ فأضَعْتَ الكرَّ في إبّانِه
ونسيتَ الضَّرْبَ إذْ في الضَّرْبِ عارُ
١٧ ـ وتَغَنَّيْتَ بهِ مُسْتأنِساً
بَعْدَما نجّاكَ رَكْضٌ وبِدارُ
١٨ ـ تَتَمنّاكَ الأَمانيُّ وقَدْ
مِلْتَ بالمهرِ ونجّاكَ الفِرارُ
١٩ ـ كانجحارِ الكلبِ يَدْمَى وَجْهُهُ
وهو يَعْوِي حينَ أَعياهُ الهِرارُ
٢٠ ـ إنّما ذِكْرُكَ شيئاً قَدْ مَضَى
حُلُمٌ لم يرجعِ الحُلْمَ ادّكارُ
٢١ ـ هَدَمَ الآخِرُ ما كانَ بَنَى
لكُمُ الأَوّلُ فانقاضَ المنَارُ
٢٢ ـ يا بني تَيْمَةَ قد عايَنْتُمُ
وَقْعَةً منّا لها نارٌ شَنَارُ
٢٣ ـ لمْ تَزَلْ قحطانُ عَنْزاً باحِثاً
عَنْ مُدًى فيها لقَحْطانَ البَوَارُ
٢٤ ـ مالَتِ الريحُ على أبياتِكُمْ
مِن لَظاها بِلَظًى فيه الدَّمارُ
٢٥ ـ فتفادَيْتُمْ وأَبْقَتْ منكُمُ
دَنَبِيّاتٍ كذا يَبْقَى الشَرارُ
٢٦ ـ دارتِ الحربُ عليكُمْ دَوْرَةً
تَرَكَتْكُمْ وأواسِيكُمْ قِصارُ

٢٧ – رَفَعَ اللهُ نِزاراً فعَلَتْ
بالعُلى الناسَ فللباغي الصَّغارُ

٢٨ – جَمَعَ اللهُ نِزاراً فنَفَى
بِهِمِ الناسَ جميعاً فاستَنَارُوا

٢٩ – إنَّما الناسُ ظلامٌ دُونَهُمْ
فإذا ما أظْلَمَ الناسُ أناروا

٣٠ – نحنُ للناسِ سِراجٌ ساطِعٌ
وضِرامٌ يُتَّقَى منه الشَّرارُ

٣١ – فاسألوا عنا الردَى ثُمَّ الظبُى
يومَ قحطانُ ضِباعٌ لا تُجارُ

٣٢ – إذْ قتَلْنا بالحِما ساداتِكُمْ
وأَجرناكُمْ وفي ذاكَ اعتِبارُ

٣٣ – يومَ فيكُمْ ذِلَّةٌ عن عِزَّةٍ
ولنا منكُمْ سِباءٌ وإسارُ

٣٤ – وعلى نِسْوَتِكُمْ أرْدافُنا
كالرَّبابيحِ من الحَوْكِ شَوارُ

٣٥ – حينَ للخَطِّيِّ في أكْنافِكُمْ
كأطيطِ البُزْلِ هاجَتْها البِكارُ

٣٦ – يومَ يُرْوِي منكُمُ أطْرافَهُ
عَلَقٌ فيه اسْوِدادٌ واحْمِرارُ

٣٧ – واسألوا عنا بقايا حِمْيَرٍ
وبقاياكُمْ إذِ النَّقْعُ مُطارُ

٣٨ ـ أيَّ قومٍ ناجدوا إذْ ناجـدوا
وعـلا بالنَّقْـعِ في الدارِ الغِوارُ

٣٩ ـ لمْ تلومونا على رَيْثِ القِوَى
بخَزازِ يـومَ ضَمَّتْنا الدِيارُ

٤٠ ـ كَمْ قَتَلْنا بخَزازى منكُمُ
وأسَرْنا بَعْدَما حَلَّ الحِـرارُ

٤١ ـ من ملوكٍ أشْرَفَتْ أعْناقُها
بوجوهٍ نَجُبَتْ فَهْيَ نُضـارُ

٤٢ ـ حَرُمَتْ كاسٌ على ناذِرِها
فلَقَدْ طابَتْ بأَنْ حَلَّ العُقارُ

٤٣ ـ وملوكاً منكُمُ رُحنـا بِهِمْ
وعلى كُلٍّ من الذُّلِّ عِـذارُ

٤٤ ـ تِسْعَةٌ كُلٌّ على قَسْمَتِه
حِلْيَةُ المُلْكِ التي لا تُسْتعـارُ

٤٥ ـ صَلِيَ القَتْلَ بـهِ ذو حُرُثٍ
وقديماً صَلِّيَ القَتْـلَ الخِيارُ

٤٦ ـ وهَوَتْ أوْدٌ وللسُّمْرِ بنـا
في سبابِ القومِ قَصْدٌ وانكِسارُ

٤٧ ـ ونَجَتْ مِنّا فِراراً مَذْحِجٌ
هَرَباً والخيـلُ يَعْلُوها الغُبارُ

---

٤٦ ـ في الاصل : نعد وانكسار .

٤٨ ـ إنَّنا نَضْرِبْ ببيضٍ أُخْلِصَتْ
فلها مِن جَوْهَرِ العِتْقِ نِجارُ

٤٩ ـ أسْمَحَتْ قحطانُ في أرسانِنا
خَبَبَ الأَعْيارِ تَتْلُوها الصِّغارُ

٥٠ ـ فَحَوَيْنا دونَكُمْ أرْؤُسَكُم
وتَرَكْنا النَّهْبَ يحويهِ الخُشارُ

٥١ ـ تُجْنَبُ الأملاكُ منكم طَرَداً
بينَ أيدينا وتُسْتَهْدَى العِشارُ

٥٢ ـ لَسْتُمُ كالخيلِ في أعْراقِها
تَتْبَعُ الخيلَ لَدَى السَّبْقِ المِهارُ

٥٣ ـ وعلى هَمْدانَ مِلْنا بالقَنَا
فَوَرانَ القِدْرِ تُطْفَى وتُنارُ

٥٤ ـ فارجِعُوا منّا فُلُولاً واهرُبُوا
لِظَفَارِ لَيْسَ يُؤْويكُمْ ظَفَارُ

٥٥ ـ إنّما قحطانُ فينا حَطَبٌ
ونِزارٌ في بني قحطانَ نارُ

٥٦ ـ لَنْ تنالوا من نِزارٍ مِثْلَما
منكُمُ نالَتْ من الذُّلِّ نِزارُ

٥٧ ـ وَسَمَتْ في عارِضٍ مُغْلَوْلِبٍ
بسجيلٍ فيهِ بَرْقٌ وقِطارُ

٥٨ ـ آخِذٍ بالأُفْقِ كالليلِ لَهُ
عارِضٌ ما بَلَغَتْ منه الغِزارُ

٥٩ – شَمَّرَ الفتيانُ فيه بالقَنَا
وبأسبابٍ لَهُمُ فيها ابتِيارُ

٦٠ – نحنُ ذُدْنا فَحَمَيْنا دارَنا
حينَ لم يمنعْكُمُ منها اضْطِهارُ

٦١ – نحنُ أولادُ مَعَدٍّ ذي الحصى
ولنا مِنْ هاجَرَ المجدُ الكُبارُ

٦٢ – ولَدَتْ أكرمَ مَنْ شُدَّ به
عُقَدُ الحُبْوَةِ قِدْماً والازارُ

٦٣ – إنَّ اسماعيلَ مَنْ يَفْخَرْ بِهِ
يُلْفَ في دارٍ بها حَلَّ الفَخارُ

٦٤ – عَكَفَ الليلُ على آثارِنا
مِثْلَ ما حَنَّتْ على البَوِّ الظُؤارُ

٦٥ – فاخْسَأوا لَيْسَ لكم بَيْتٌ على
مِثْلِنا اللهُ لَهُ رَبٌّ وجارُ

٦٦ – لَيْسَ بَيْتٌ رغبةُ الناسِ معاً
أنْ يَزُورُوهُ كَبَيْتٍ لا يُزارُ

٦٧ – قد رآنا اللهُ عِزّاً أَهْلَهُ
وهو المُختارُ والخَلْقُ كِثارُ

٦٨ – قد رآنا اللهُ أَوْلى منكُمُ
باليدِ العُليا ولله الخِيارُ

٦٩ – لَمْ تَزَلْ تَجْحَرُ قَحْطانُ لنا
كجَعَارِ الرَّمْلِ إذْ جَدَّ الغِوارُ

---

٦٩ – في الاصل : فجمار الرمل .

٧٠ – فَوِهَ الأَفْوَهُ لمَّا هتَمَتْ
فَمَهُ من هَضْبَةِ الشِعْرِ الفِهارُ

٧١ – كانَ في القولِ مُطيلاً قَبْلَها
فلقد أَقصرَ والقَصْرُ القُصارُ

٧٢ – وعلا في شَأْوِهِ ميداءه
وعلا الكَوْدَنَ رَبْوٌ وانْبِهارُ

٧٣ – ببِرازِ نـاه مِن قحطانَ في
طَرَفِ الذِكْـرِ بعِزٍّ لا يُطارُ

٧٤ – ولَقَدْ تعلمُ أنَّا دُونَها
للعذارَى البِيضِ بالبِيضِ نَغارُ

٧٥ – قَدْ خَطَرْنا عَنْهُمُ المجدَ بِنا
ولَهُمْ نحنُ لَدَى البأسِ خِطارُ

٧٦ – نحنُ نحميهِمْ عُداهُمْ ونَلِي
قَتْلَهُمْ إنْ نكَبُوا عنَّا وجارُوا

٧٧ – إنَّنا قومٌ تَرَى الجِنُّ لنا
سَوْرَةً منها جميعاً تُسْتَطارُ

٧٨ – أَيَّما قومٍ حَلَلْنا بِهِم
للرَّدَى فيهِم رَواحٌ وابتِكارُ



(٥)

التخريج : حرب البسوس ٩٠–٩١

قال الفِندُ يناقض مهلهل بن ربيعة (*) :

١ – ليَس يُغني القَولُ إلاّ لامرىءٍ
صادقٍ بالقولِ يوماً أو مطيقِ

٢ – إنّ مَنْ أوْرَدَ صَعْباً نفَسهُ
هوة ذات ازورارٍ ومضيقِ

٣ – لاحق تغلب في عدوانه
بادياً في الظلمِ فينا والفسوقِ

٤ – ليسَ ظلمٌ يبتدي المرءُ به
كانتصارِ المرءِ في الوترِ الحنيقِ

٥ – ليسَ مَنْ جرَّبَ يوماً حَرْبَنا
كانَ للعودةِ فيها بالحقيقِ

٦ – شجعته النفسُ عن ذي صدره
أشخصته حدّة النفسِ البروقِ

٧ – قعدَ المهرُ به مُغْدَوْدِناً
ليسَ غير الرمحِ والنَّصْلِ العتيقِ

٨ – ليسَ يشكو ألمَ الجرحِ امرؤٌ
نالَ حينَ سعة من بَعْدِ ضيقِ

٩ – ورمى بالوتر منه جانباً
فرمى الأعداء بالطَّعْنِ المريقِ

(*) في قصيدته التي مطلعها :
يابني ذهل لقد هيجتموا ... لبني بكر حروبا كالحريق

١٠ ـ ذاكَ ماذاكَ ولو ذا حفظـة
بطل يقْطَعُ أقرابَ الصديــقِ

١١ ـ من رئيس لم يراقبْ إذْ غدا
حرمةَ الجارِ ولاحقٌ الـرفيـقِ

١٢ ـ رفضَ القومَ ولـم يرحمهم
ورمانا رميةَ المولى العقــوقِ

١٣ ـ نحنُ لمّا نبتدع ظلماً بـه
فتصدى وبغى الظـلم السحيـق

١٤ ـ ونصبنا في حزازى رُمْحَـهُ
وطردنا العصمَ عن كلٌ أنيـقِ

١٥ ـ وكفيناه عياناً مـذحجـاً
بضرابِ مثل تضرامِ الحـريـقِ

١٦ ـ يومَ لا تسترُ أنثى وَجْهَهَا
ونفوسُ القومِ تنزو في الحلوقِ

١٧ ـ نحنُ لا أمثالكم يومَ الوغى
في حمياها ولا يـومَ الحقـوقِ

١٨ ـ قد رأيتم أثراً مـن طعننـا
فخذوهُ أو ذروهُ في الطـريـقِ

١٩ ـ إنْ خذَلْنا اليومَ ذهلاً لهم
فغداً نحملُ عنهم ما نطيـقُ

★ ★ ★

(٦)

التخريج : حرب البسوس ١٤٢ .

يا طعنة قد أطعنتْ مالكاً

أهْوِنْ بها عزّ علينا هالكا

* * *

(٧)

التخريج :

شرح ديوان الحماسة (م) ٥٣٧ ــ ٥٤١ و (ت) ٢/١١٣ــ ١١٦ ؛

الأبيات ١ ، ٧ ، ٢ ، ٨ في الأغاني ٢٤/٩٦ .

الأبيات ١ــ٤ في خزانة الأدب ٣/٢٠١ (بولاق) ٧/١١٩ (هارون) ؛

الأبيات ١ ، ٨ ، ٧ في لباب الآداب ٢٠٦ .

البيتان ١ ، ٦ في نشوة الطرب ٦٣٣ .

البيتان ١ ، ٧ في الاشتقاق ٣٤٤ .

البيتان ٣ ، ٤ في نظام الغريب ٢٢ــ٢٣ .

طعن الفِند فارساً قد أردف رجلاً خلفه فأنفذ الرجلين وقال :

١ ــ أيا طَعْنَةَ ما شَيْخٍ

كبيرٍ يَفَنٍ بالِ

٢ ــ تُقيمُ المأتَمَ الأعْلَى

على جُهْدٍ وإعْوالِ

٣ ــ ولولا نَبْلُ عَوْضٍ في

حُظُبَّايَ وأوْصالي

٤ – لطاعَنْتُ صدورَ الخيْـ
ـلِ طَعْناً ليسَ بالآلي

٥ – ترَى الخيْلَ على آثا
رِ مُهْرِي في السَّنَا العالي

٦ – ولا تُبْقي صروفُ الدَّهـ
ـرِ إنساناً على حالِ

٧ – تفَتَّيْتُ بها إذْ كَـ
ـرِهَ الشِّكَّةَ أمثالي

٨ – كجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْها
ءِ رِيعَتْ بَعْدَ إجْفالِ

* * *

١ – أورد صاعد البغدادي أربعة أبيات من هذه المقطوعة في كتابه الفصوص ٤٨٧ وبرواية أخرى هي :

أيا طعنة ما شيخٍ
كبيرٍ يفنٍ فانِ

كجيبِ الدفنس الورها
ءِ ريعَتْ بعدَ إرنانِ

تفتيتُ بها إذْ كـ
ـرِهَ الشِّقَّةَ أقراني

تمجُّ مُهْجَةَ الثَّقْف
خلال العلقِ القاني

(٨)

التخريج :

منتهى الطلب ق ١٥٨ ، الفصوص ٤٨٧ – ٤٨٨ وجعلها مقطوعتين مع خلاف في الرواية .

ذكر الميمني في حاشية اللالي ٥٠٥ أنّ منها ثمانية عشر بيتاً في الاسعاف نقلاً عن ديوان الفِند .

البيتان ١ ، ٣ في الصناعتين ٦٥ .

وقد نازعه هذه القصيدة امرؤ القيس بن عابس ، وهو شاعر مخضرم ، فنسبت اليه عشرة أبيات منها في أخبار النحويين البصريين ٢٣ واللسان (فقا) . وتسعة أبيات في اللسان (عرقب) . وفي اللسان (دفنس) ستة أبيات للفند أو لامرئ القيس بن عابس. وينظر : أخبار المراقسة وأشعارهم ٣٤٥ –٣٤٦ .

الأبيات ١ ، ٣ ، ١١ ، ٦ ، ٥ ، ٢١ بلا عزو في الشعر والشعراء ٨٥ مع خلاف في رواية الأبيات .

وقال الفِند أيضاً :

١ – أيا تَمْلِكُ يا تَمْلِي ذاتُ الدَّلِّ والشَّكْلِ
٢ – وذاتُ الطَّوْقِ والدُّمْلُجِ والتَّقْصارِ والحِجْلِ
٣ – ذَرِيني وذَرِي عَذْلِي فإنَّ العَذْلَ كالقَتْلِ
٤ – ذريني وسِلاحِي ثُمَّ شُدِّي الكفَّ بالعُزْلِ
٥ – فبُرْدايَ جديدانِ وأرخي طرفَ النَّعْلِ
٦ – فمني نَظْرَةٌ بَعْدي ومني نَظْرَةٌ قَبْلي
٧ – حِذارَ الأسدِ الباسلِ أو ذي جُرأةٍ مِثْلي
٨ – فقد أَسْبأُ للندمانِ بالناقةِ والرَّحْلِ

٩ – وقد انزعُ في الزوراءِ تُعطيني على مَهَلِ
١٠ – لها وَلْوَلَةٌ في الكفِّ كالمعْنِيِّ بالثُّكلِ
١١ – ونَبْلي وفُقاها كعراقيبِ قطاً طُحْلِ
١٢ – وَقَدْ أخْتَلِسُ الطَعْنَةَ تَثْني سَنَنَ الرَّجْلِ
١٣ – وقَدْ أخْتَلِسُ الضَرْبَةَ لايَدْمى لها نَصْلي
١٤ – كجَيْبِ الدِّفْنِسِ الورهاءِ ريعَتْ وهْيَ تَسْتَفْلي
١٥ – وأحمي الثَغْرَ لا يُخْشى بغيري زَمَنَ البَقْلِ
١٦ – أَخُطُّ الأرض خَطّاً مثلَ خطِّ الجَمَلِ الفَحْلِ
١٧ – وأكفي القَوْمَ في الكَبَّةِ هولَ الخيلِ والرَّجْلِ
١٨ – وَقَدْ اجتزِعُ الخَرْقَ على خَرْقاءَ كالفَحْلِ
١٩ – لها جِسْمٌ من الحِلْمِ على روحٍ من الجَهْلِ
٢٠ – فهل في الناسِ من مِثْلي إذا عدُّوا ولا مِثْلي
٢١ – فإنْ أهْلِكْ يا تَمْلي فما مِنْ أحَدٍ مُخْلِي
٢٢ – ولاأشربُ وَغْلاً لا ولا استَصْحِبُ الوَغْلا

★ ★ ★

(٩)

التخريج :

منتهى الطلب ق ١٥٨ عدا التاسع .

الأبيات ٦ – ٩ ، ١٢ ، ٤ ، ١٣ – ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ في الفصوص ٤٨٦ .
الأبيات ١ – ١٥ ، ١٨ في شرح شواهد المغني ٩٤٤ – ٩٤٥ .
الأبيات ٦ – ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٣ ، ٥ ، ٢٠ في الأغاني ٢٤ / ٩١ .
الأبيات ٦ – ٩ ، ٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ في حماسة البحتري ٥٦ .

الأبيات ٦ – ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٥ ، ٢٠ في شرح ديوان الحماسة (م) ٣٢ – ٣٨ و (ت) ١ / ٢١ والمقاصد النحوية ٣ / ١٢٢ وخزانة الأدب ٢ / ٥٧ (بولاق) ٣ / ٤٣١ (هارون) .
الأبيات ٦ – ٩ . ١٤ . ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٥ في أمالي القالي ١ / ٢٦٠ .
الأبيات ٦ – ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ في الممتع في علم الشعر ٥٨ .
الأبيات ٦ – ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ٥ ، ٢٠ في التذكرة السعدية ٥٢ – ٥٤ .
الأبيات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ في الحيوان ٦ / ٤١٥ .
الأبيات ٦ ، ٨ . ١٤ ، ١٥ في اللآلي ٥٧٨ .
الأبيات ٨ ، ٩ ، ٢٠ ، ٥ في شرح نهج البلاغة ١٩ / ٢٢١ .
البيتان ٨ ، ٩ في الزاهر ١ / ٣٨١ وبلا عزو في العشرات ١٢٥ واتفاق المباني ١٩٢ .
البيتان ٥ ، ٢٠ في فصل المقال ٤٩٠ ونشوة الطرب ٦٣٣ وشرح المضنون به على غير أهله ٦٥ .
البيتان ٨ ، ١٤ في أمثال الحديث ٢٠ .
البيتان ٦ ، ٧ في بهجة المجالس ١ / ٦٦٦ وشرح أبيات مغني اللبيب ٧ /١٨ .
البيتان ١٤ ، ١٨ في معاني أبيات الحماسة ٨ .
البيت ٧ في الفوائد المحصورة ١٤٩ .

وجاءت أبيات منها شواهد في النحو واللغة . (ينظر : معجم شواهد النحو الشعرية ٨٤١ ومعجم شواهد العربية ٣٩٤) .

وللفِنْد أيضاً :

ومن ولده عبد الله بن صُباح وليَ عَدَنَ وأبيَنَ زَمَنَ نَجدَةَ الخارجي وكان من فرسانِ أصحابِـهِ يقولها في بعضِ حروبِهِ أعْني الفِنْدَ .

١ – أقيدوا القومَ إنَّ الظُّلْـ
ـمَ لا يرضاهُ دَيَّانُ

٢ – وإنَّ النارَ قد تُصْـ
ـبِحُ يوماً وَهْيَ نِيرانُ

٣ – وفي العُدْوانِ للعدوا
نِ تَوْهِينٌ واقْران

٤ – وفي القومِ معاً للقو
مِ عندَ البأسِ أقْرانُ

٥ – وبعضُ الحلمِ يومَ الجهـ
ـلِ للذِّلَّةِ إذْعانُ

٦ – كَفَفْنا عن بني هند
وقُلنا القومُ اِخْوانُ

٧ – عسى الأيامُ أنْ يرجِعْـ
ـنَ قوماً كالذي كانوا

٨ – فلمّا صرَّحَ الشَّرُّ
بدا والشَّرُّ عُريانُ

٩ – [ولم يبقَ سوى العدوا
نِ دِنّاهم كما دانوا]

١٠ – أناسٌ أصلُنا منهم
ودِنّا كالذي دانوا

١١ – وكُنّا معهم نرمي
فنحن اليومَ أُحْدانُ

١٢ – وفي الطّاعةِ للجا
هلِ عندَ الحُرِّ عِصْيانُ

١٣ – فلما أبيَ الصُلْحُ
وفي ذلكَ خِذْلانُ

١٤ ـ شَـــدَدْنــا شـــدَّةَ الليثِ
غـــدا والليثُ غَـضْبـــانُ

١٥ ـ بـضَـــرْبٍ فيـــه تأْثِيمٌ
وتـفـجيـــعٌ وارْنـــانُ

١٦ ـ وقـــد أدْهُـــنُ بعض القومِ
إذْ في البَـغْـــيِ اِدهـــانُ

١٧ ـ وقـــد حـــلَّ بـــكل الحيِّ
بـعـد البَـغْـــيِ إمكـــانُ

١٨ ـ بطَـعْـــنٍ كـفـمِ الزِّقِّ
غـــدا والـــزِّقُّ مـــلآنُ

١٩ ـ لـــه بـادِرَةٌ مـــن
أحـــمـــرِ الجَـــوْفِ وثُـعْبانُ

٢٠ ـ وفي الشَّـــرِّ نـجـــاةٌ حينَ
لا يُـنْـجِـيـكَ إحســـانُ

٢١ ـ ودانَ الـقـــومُ أنْ
لَقِـيَ الفِتْـيـــانَ فِتْيـانُ



موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن الاندلس

من الفتح الى نهاية عصر الطوائف
٩٢ ـ ٤٨٩ هـ / ٧١١ ـ ١٠٨٦ م

الدكتور عبدالواحد ذنون طه

كلية التربية ـ جامعة الموصل

تمهيـــد :

لقد ذكرنا في دراستنا عن « موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن افريقيا من الفتح الى بداية عهد المرابطين » (١) الى أهمية تاريخ ابن عذاري الموسوم : «البيان المغرب في (تلخيص) أخبار الأندلس والمغرب» في الدراسات المغربية والأندلسية . والى أقسام الكتاب ، والمؤلف وعصره ، ومؤلفاته الاخرى ، وطريقته في التأليف ، التي تعتمد نظام الحوليات أساساً في التدوين التاريخي ، مع مزج هذه الطريقة بالرواية حينما معينة . ألمحنا الى ان هذه الطريقة المزدوجة أو حينما يتحدث عن مدينة أو جماعة معينة . وألمحنا الى ان هذه الطريقة المزدوجة اتاحت لابن عذاري أن يقدم معلومات مختصرة عن أحداث أقل أهمية ، حينما لاتتوفر لديه منها روايات كافية ، فأشار اليها بفقرات قليلة على الطريقة الحولية ، بينما فصّل في الأحداث المهمة بشكل روائي ، حينما توفرت له المادة الكافية لذلك .

وقد سار ابن عذاري في تقديمه لاخبار الأندلس على هذه الطريقة فذكر الحوادث مرتبة على السنين ، مع الايجاز ، وفصّل في مســائل كثيرة كان

(١) انظر : مجلة المجمع العلمي العراقي .

يراها تتطلب الى التفصيل والخروج عن الترتيب الحولي . ويبدو هذا واضحاً في رواياته عن دول الطوائف ، حيث تحدث بشكل رواية مستمرة عن بعض الاسر الكبيرة ، مثل بني جهور في قرطبة Cordoba ، (والعباديين في إشبيلية) Seville ، بينما خص الدويلات الصغرى بأخبار موجـزة ، يغلب عليها النظام الحولي . ويبدو أنه كان يحبذ اسلوب الرواية الطويلة ، لاسيما وانه تعود على ايراد نقولات طويلة عن المؤرخين الذين سبقوه . وكان يرجع الى خلفية الاحداث ، أو يتقدم بالاشارة الى نتائجها عندما يتطلب السياق ذلك . ولم يكن ليتاح له هذا لو اقتصر على تنظيم كتابه على الحوليات فقط .

إستخدم ابن عذاري عداً كبيراً من المصادر لتدوين كتابه عن تاريخ الأندلس ، وذكر قسما من هذه الكتب في مقدمته في الجزء الأول . ، واستفاد من معظم المصادر التي استعملها في كتابه تاريخ شمال افريقيا ، ولكنه أضاف اليها موارد اخرى لم يسبق له استعمالها ، ولم يشر اليها في المقدمة ايضاً ، مثل روايات أحمد بن موسى الرازي ، وابنه عيسى بن أحمـد ، وابن مزين ، وعيسى بن محمد بن سليمان ابن أبي المهاجر ، ومحمد بن مسعود ، وآخرين غيرهم ممن أشار اليهم إشارات مقتضبة لا يمكن الباحث من التحقق من شخصيتهم أو التعرف الى كتبهم التي نقل منها . واستعمل ابن عذاري ايضاً بعض التعابير التي لاتساعد على التعرف بوضوح على مصادر بعض أخباره ورواياته فذكر على سبيل المثال روايات إبتدأها بقوله : « قال بعض المؤرخين » (٢) ، و « وجدت في بعض تاريخ الأندلس» (٣) ، و « ذكر أصحاب التاريخ »(٤).

---

(٢) البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، نشر : ج.س كولان و ا.ليفي بروفنسال ، ليدن ، ١٩٤٨ . وقد إعادت دار الثقافة نشره في بيروت : ٢/ ٢٥١ .

(٣) المصدر نفسه ، نشر : ليفي بروفنسال ، باريس ، ١٩٣٠ : ٣/ ١١١ .

(٤) المصدر نفسه : ٣/ ٢٧٦ .

و « وقـال بعضهم » (٥) ، و « اتفق الجميع » (٦) . وقد ناقشنا هـذه المشكلة في بحثنا السابق عن موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال افريقيا . وهذه النصوص تظهـر في حالات محدودة من تاريخ الأنـدلس لا تؤثر كثيراً على طريقته الواضحة في الاشارة المستمرة الى الموارد التي استقى منها أخبـاره .

وسأبحث هنا كل الموارد التي استخدمها المؤلف تبعاً لأهميتها وتسلسلها الزمني . وتجنبا للاطالة والتكرار ، ولن اتطرق الى المعلومات التي سبقت الاشارة اليها عن الموارد التي استخدمها في كل من شمال افريقيا والأندلس، وانما سـأركز على مناقشـة النصوص الخاصة بالأندلس ، ومقارنتهـا بمصادرها الأصلية المتوفرة ، ودراسة طريقة المؤلف ، وافادته منها . أما الموارد الجديدة، فستنال نصيبها الكامل من البحث، بقدر ماتسمح به المعلومات المتيسرة في المصادر المتاحة لنا .

وقد تم تصنيف موارد ابن عذاري عن الأندلس من الفتح الى نهاية عصر الطوائف على الشكل الآتي :

أولاً : ـ الكتب الأندلسية ، وهي على أربعة اصناف :

أ ـ الكتب التاريخية .

ب ـ كتب التراجم .

ج ـ كتب المسالك والجغرافية .

د ـ الكتب الأدبية .

ثانياً : ـ الكتب التاريخية المغربية .

ثالثاً : ـ الكتب التاريخية المشرقية .

---

(٥) المصدر نفسه : ٢/٥٠ .

(٦) المصدر نفسه : ٢/٥ .

رابعاً - الكتب الأجنبية ، أو كتب العجم ، كما يسميها .

أما الروايات الشفوية ، فلا يعتمدها ابن عذاري الا نادراً ، فقد أشار مرة واحدة الى رواية لأحد المعاصرين له ، وهو صالح ابن أبي صالح ، بشأن نسب طارق بن زياد (٧). وقد سبقت الاشارة الى ترجمة هذا الرجل ، ودوره في روايات ابن عذاري عن فتوح عقبة بن نافع في المغرب الأقصى ، ويمكن اعتبار هذه الرواية ضمن سياق رواياته تلك عن شمال افريقيا لتخصصها بسلسلة النسب البربري لطارق بن زياد .

اولا - الكتب الاندلسية :

ا - الكتب التاريخيـة :

١ - كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨ هـ - ٨٥٢ م).

ينسب ابن عذاري الى عبدالملك بن حبيب ، نصاً واحداً وهو يتعلق بفتح مدينة قرقوشة Carcassonne صلحا في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك(٨). هـذا النص لا يوجـد في كتـاب ابن حبيب المتـوفر بين أيدينـا ، ولعل ابن عـذاري كان ينقل من نسخة اخرى موسعة . ومما يؤيد هذا ان الدكتور محمود علي مكي ، الذي قام بدراسة وافية عن الكتاب ، ونشر الجزء المتعلق منه بالاندلس ، يذكر ان النسخة المتوفرة منه هي مختصر صغير لكتاب ابن حبيب الحقيقي ، وان الذي قام بوضع هذه النسخة ، انما هم بعض تلامذة ابن حبيب (٩) .

---

(٧) المصدر نفسه : ٢/٥ .

(٨) المصدر نفسه : ٢/١٣ .

(٩) M. A. Makki, ((Egipto y Los origenes de la historiografia arabe - española)), Revista del Instituto de Estudios Islamicos, V. Madrid, 1957, pp. 197 - 200 .

وانظر : النص الخاص بالاندلس، والمنشور في العدد نفسه باللغةالعربية =

ومن الجدير بالذكر ان ابن عذاري يورد نصوصاً كثيرة عن اخبار موسى ابن نصير وفتوحه ، وما أفاء الله عليه من الغنائم في الأندلس ، بعضها منسوب الى الليث بن سعد ، وبعضها الى غيره من المحدثين والرواة ، مثل يوسف بن هشام ، وأبي شبة الصدفي ، وعبدالحميد بن جعفر (١٠) . ومعظم هذه الروايات مذكورة في كتاب عبدالملك بن حبيب (١١) . وهي في مجموعها تشكل جزءاً من الروايات التي راجت في اعقاب فتح الأندلس عن بعض التابعين الذين ساهموا في حملة موسى بن نصير ، ثم عادوا الى شمال افريقيا ، وحدثوا بما شاهدوه من أحداث الفتح . ومن المرجح أن عبدالملك بن حبيب أخذ هذه الروايات عن شيوخه المصريين اثناء إقامته بمصر (١٢) ، فضمنها كتابه في التاريخ ، ونقلها عنه ابن عذاري . ولكن الكثير من هذه الروايات ايضاً مذكورة في كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة (١٣) . أغلب الظن انه اعتمد في رواياته هذه على ابن حبيب ، حيث أشار اليه ، كما أسلفنا ، وكذلك على كتاب الامامة والسياسة ، لاسيما وأنه سبق له الأخذ منه

بعنوان : « استفتاح الأندلس » تحقيق : محمود علي مكي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، العدد ٥ ، مدريد ، ١٩٥٧ ، ص ٢٢١ ـ ٢٤٣ .

(١٠) البيان المغرب : ١٧/٢ ـ ٢٣ .

(١١) استفتاح الاندلس ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ .

(١٢) انظر : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، القسم الأول ، ص ٢٧٠ .

(١٣) انظر : الامامة والسياسة ، تحقيق : طه محمد الزيني ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع : ٦٣/٢ ـ ٦٤ ، ٨٢ ـ ٨٣ .

في روايته عن بعض فتوح موسى بن نصير في المغرب (١٤) .
٢ – كتاب أخبار ملوك الأندلس لاحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت ٣٤٤ هـ / ١٩٥٥ م) .

كان والد هذا المؤرخ ، محمد بن موسى الرازي ، تاجرا متجولا من المشرق من أهل الري ، وهي طهران (١٥) . والى هذه المدينة تعود نسبته « الرازي » . وقد ولد أحمد في مدينة البيرة Elvira ، وتربى بها ، فهو أندلسي الولادة والنشأة والثقافة . وكان منذ صغره يطلب العلم ويميل الى الأدب . ثم غلب عليه حب البحث عن الاخبار التاريخية وتتبعهـــا(١٦)، حتى أنه لقب بالتاريخي لكثرة مؤلفاته في هذا الحقل ، وللمجلدات الكثيرة التي دونها في تاريخ الأندلس (١٧) . ومن هذه المؤلفات ، كتاب في أخبار ملوك الاندلس ، وآخر في صفة قرطبة . كما انه كتب ايضاً موسوعة ضخمة

---

(١٤) البيان المغرب : ٤١/١ . ومن الجدير بالذكر ، ان القسم الطويل الـذي الفه في تاريخ الأندلس . كما يشير الى ذلك الحميدي في ترجمة موسى ابن نصير ، انظر : جذوة المقتبس ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٣٨ ؛ وقارن ايضا : Makki, op. cit., pp. 221 f .

(١٥) ابن الأبار . التكملة لكتاب الصلة ، نشر : عزت العطار ، القاهرة ، ١٩٥٥ – ١٩٥٦ ، ٦٧٠/٢ ؛ الحميدي ، ص ١٠٤ ؛ ياقوت ، معجم الادباء ، ط. دار المستشرق ، بيروت ، بدون تاريخ : ٢٣٥/٤ – ٢٣٦ ؛ المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيـــق : احســـان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨ : ١١١/٣ .

(١٦) ابن حيان ، المقتبس (برواية عيسى بن احمد الرازي) ، تحقيق : محمود علي مكي ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٦٩ .

(١٧) الحميدي ، ص ١٠٤ ؛ ابن الفرضي : ٤٢/١ ؛ نفح الطيب (برواية ابن حيان) ١١١/٣ ؛ وانظر ايضا :
Pons Boigues, ((Los historiadores y géografos arabigo españoles)) , Amesterdam, 1972 , reprint of Madrid edition , 1898 , p. 62 .

عن أنساب العرب في الأندلس بعنوان : الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس ، وهو مكون من خمسة مجلدات كبيرة . وللرازي ايضاً كتاب يتعلق بمسالك الأندلس ومراسيها وامهات اعيان مدنها وأجنادها الستة (١٨) . كما أنه ألف كتابا آخر عن مشاهير الموالي في الاندلس ، وهو المعروف بكتاب أعيان الموالي (١٩) . ولكن مما يؤسف له ان هذه الكتب وغيرها من مؤلفات الرازي ، ولكثير من المؤلفين الأندلسيين قد ضاعت نتيجة لما تعرضت له البلاد من أحداث، ولما عصف بها من تعصب أعمى بعد انحسار الحكم العربي الاسلامي عنها ، مما أدى الى الإتلاف المتعمد لكثير من المخطوطات العربية ، كما حدث في غرناطة على سبيل المثال ، حينما أحرقت الآلاف من الكتب في ساحات المدينة العامة سنة ٩٠٥ هـ ـ ١٤٩٩ م (٢٠) .

ولن نفصل في انتاج المؤرخ احمدبن محمد بن موسى الرازي ، ودوره في كتابة تاريخ الأندلس ، ودراسة اسلوبه وطريقته في التدوين ، فقد خص هذا الموضوع ببحث مستقل ، نشر قبل عدة سنوات (٢١) ، ولكن الذي

---

(١٨) ابن حزم ، رسالة في فضل الاندلس وذكر رجالها ، رسائل ابن حزم الاندلسي ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ، ١٩٨١ : ٢/١٧٢ ـ ١٧٣ ، ١٨٣ ـ ١٨٤ ؛ وانظر ايضا : الحميدي ، ص ١٠٤ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، نشر : فرانسسكو كوديرا ، مدريد ، ١٨٨٥ ، ص ١٤٠ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ : ١/٢٤٥ ، ٢/٣٦٦ ؛ بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة : حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٩٧ ؛ وانظر ايضا :
Pons Boigues , Op. cit., pp. 62 - 63 .

(١٩) ابن الأبار ، التكملة : ١/٤٠ .

(٢٠) Pascual Gayangos , The History of the Muhammedan Dynasties in Spain , New York , 1964 , reprint of London edition , 1840 - 43 , Vol. I. pp. Viii - ix .

(٢١) انظر : عبدالواحد ذنون طه ، نشأة التدوين التاريخي في الاندلس =

يفيدنا هنا ، هو أن معظم كتب الرازي المذكورة اعلاه ، لاسيما كتابه عن اخبار ملوك الاندلس ، كانت المصادر الاساسية الاولى لكثير من المؤرخين والجغرافيين المتأخرين ، الذين بحثوا في تاريخ وجغرافية الاندلس ، ومنهم ، ابن عذاري . وعلى الرغم من أنه لم يذكر الرازي في قائمة مصادره التي أشار اليها في مقدمته في الجزء الأول من البيان المغرب ، لكنه اعتمد رواياته كثيراً ، وأشار الى اسمه صراحة في كثير من الاحيان . وفي مناسبات اخرى ، نقل العديد من رواياته بصورة غير مباشرة عن طريق أخذها من كتاب المقتبس لابن حيان اي أنه لم يحفل كثيراً بالاشارة الى اسم الرازي ، أو حتى الى ابن حيان. ولكن بمقارنة النصوص مع الاجزاء المطبوعة من كتاب المقتبس، يتبين للباحث مدى اعتماد ابن عذاري الكبير على روايات الرازي. وسوف تشير الى هذه النصوص عند الكلام عن كتاب المقتبس ، باعتباره أحد موارد ابن عذاري .

إن الفترة الزمنية التي تعود اليها النصوص التي أشار ابن عذاري الى اعتماده فيها على الرازي ، تبدأ من أحداث الفتح ، وتستمر خلال عصر الولاة ، ثم عصر الامارة الأموية ، وتنتهي في عصر الناصر لدين الله (حكم من ٣٠٠ – ٣٥٠ هـ – ٩١٢ – ٩٦١ م) . وهذه المدة الزمنية ، تقابل في الواقع معظم المدة التي يغطيها كتاب اخبار ملوك الاندلس . وقد سبقت الاشارة الى ان النص العربي لهذا الكتاب فُقد مع غيره من كتب الرازي ، ولكن هناك ترجمة اسبانية لبعض اجزائه ، اعتمدت على ترجمات لاتينية وبرتغالية ، أُخذت عن

= دراسة تطبيقية عن احمد بن محمد بن موسى الرازي ، مجلة دراسات / العلوم الانسانية ، الجامعة الاردنية ، مجلد ٧ ، العدد ١ ، عمان ، ١٩٨٠ ، ص ٧٣ – ٩٣ .

النص العربي المفقود (٢٢) . ويتبين من هذه الاجزاء الباقية ، ان الكتاب كان يتألف من ثلاثة اقسام ، الأول جغرافي ، وهو صفة الاندلس ، والثاني تاريخي ، يتناول الاحداث في اسبانيا منذ أقدم العصور الى عهد الملك لذريق Roderic آخر ملوك القوط ، ومعركته الاخيرة مع القائد طارق بن زياد . وقد ترجم المستشرق الاسباني سافيدرا D. Eduardo Saavedra هذا القسم من اللاتينية الى الاسبانية ، ونشره عام ١٨٩٢ م ملحقا لدراسته عن فتح المسلمين للاندلس (٢٣) . أما القسم الثالث ، فهو تاريخي ايضاً ، ويكمل القسم الثاني ، حيث يتناول تاريخ الاندلس من الفتح الى زمن الرازي ، والكتاب أشبه أن يكون ترجمة لمختصر كتاب الرازي . وقد نشر المستشرق جاينجوس Pascual Gayangos قسماً منه بالاسبانية سنة ١٨٥٢ م تحت عنوان : Cronica del Moro Rasis (٢٤) . وسنشير الى بعض نصوص ابن عذاري المنقولة عن الرازي ، والتي تشابه المادة المتوفرة في هذه الاجزاء المترجمة الى الاسبانية .

يذكر ابن عذاري اسم الرازي لأول مرة عند حديثه عن أول من دخل الاندلس من المسلمين ، فيشير الى روايته التي تنص على ان طارقاً كان اول من دخلها عام ٩٢ هـ — ٧١١ م دخول المستفتح لها ، ثم دخلها موسى بعده سنة

---

(٢٢) للاطلاع على تفاصيل هذه الترجمات ، ومحتويات الاجزاء الباقية ، راجع بحثنا السابق عن نشأة التدوين التاريخي في الاندلس ، مجلة دراسات ، ص ٨٧ — ٩٠ .

(٢٣) Saavedra , Estudio sobre la invasion de los Arabes en España - Madrid , 1892 , Apendice ((Fragmentos inéditos de la Cronica llamada a del Moro Rasis)) , pp. 145 - 154 .

(٢٤) Gayangos , ((Memoria sobre la autenticidad de la cronica denominada del Moro Rasis)) , Memorias de la Real Academia de la Historia , Vlll , Madrid , 1952 .

٩٣ هـ – ٧١٢ م متمماً للفتح (٢٥) . ثم ينقل عن الرازي بعد ذلك ماجرى بين لذريق ، آخر ملوك القوط ، وطارق بن زياد ، فيذكر رواية مهمة عن موقف لذريق قبل التقائه بطارق ، حيث أرسل قوات عديدة لايقاف المسلمين ، احداها بقيادة ابن أخ له يدعى بنج ، وقد هُزمت هذه القوات ، وقُتل بنج ، فاستولى الفاتحون على خيولهم (٢٦) .

وهذه الرواية مذكورة ايضا في نص الرازي الذي نشره سافيدرا ، حيث يرد اسم بنج هناك على أنه « Don Sancho أو Bancho » (٢٧) وهذا يؤيد إطلاع ابن عذاري على كتاب الرازي .

يعتمد الرازي مصادر مشرقية في رواياته عن فتح الاندلس ، لاسيما فتوحات موسى بن نصير . حيث نجد ابن عذاري ينقل عنه نصوصاً عديدة مأخوذة عن محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ – ٨٢٣ م) ، الذي يأخذها بدوره عن بعض التابعين الذين صحبوا موسى بن نصير في حملته على الاندلس مثل علي بن رباح اللخمي (٢٨) ، وغيره ممن عاصروا أحداث الفتح ، أو التقوا بمن شاهدها وحدثهم عنها ، مثل عبدالحميد بن جعفر ، الذي حدث الواقدي عن أبيه ، فقال : « سمعت رجلا من اهل لاندلس يحدث سعيد بن المُسَيّب يذكر له قصتهم . فقال : لم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيام ، حتى أوطؤوهم غلبة » (٢٩). وهذه الرواية عن معركة كورة شذونة ، تكمل ماسبق أن ابتدأ به الواقدي من سرد لأخبار هذه المعركة وأهوالها ، وينقل الرازي عن الواقدي رواية اخرى تبين العلاقة بين طارق بن زياد ، ويليان أو

(٢٥) البيان المغرب : ٢/٤ .
(٢٦) المصدر نفسه : ٢/٨ .
(٢٧) Saavedra , Op. cit., Apendice , pp. 149 - 150.
(٢٨) البيان المغرب : ٢/١٣ ؛ وانظر : نفح الطيب : ١/٨ ، ٢٧٨ .
(٢٩) البيان المغرب : ٢/٧ – ٨ .

جوليان Julian ، الحاكم البيزنطي العام لولاية موريطانيا الطنجية (٣٠) ، تلك العلاقة التي توثقت بين الرجلين ، وساعدت في تعاونهما على فتح الأندلس ، بعد أخذ موافقة موسى بن نصير (٣١) .

ان رواية الرازي التي ينقلها ابن عذاري ، عن كيفية خروج طارق بن زياد من طليطلة Toledo لملاقاة موسى بن نصير بالقرب من طلبيرة Talavira (٣٢) ، تشابه روايته الموجودة في ترجمتها الاسبانية ، في النص الذي نشره جاينجوس (٣٣) ، وهذا يقدم دليلاً آخر على اطلاع ابن عذاري على كتاب اخبار ملوك الاندلس ، كما انه اشار الى هذا الكتاب عند كلامه عن معاملة موسى بن نصير لطارق بن زياد وخروجهما من الأندلس ، فيقول : « . . . واتصل بهذا في كتاب الرازي أن الوليد بعث الى موسى رسولا ، فأخذ بعنان دابته ، وأخرجه من الاندلس ، ومعه طارق ومغيث . . . » (٣٤) .

ثم يستمر في الاقتباس من الرازي رواية الاحداث التي وقعت في الاندلس بعد رجوع موسى بن نصير ، وتولي عبدالعزيز بن موسى ، فيدون نصا مهماً عن عهـــد عبدالعزيز ، يذكر فيه أنه كان من خيرة الولاة ، وانه افتتح مدائن كثيرة في الأندلس ، لكنه قتل لوثوب الجند عليه . ومن الجدير بالذكر أن

---

(٣٠) لمزيد من المعلومات عن شخصية يوليان ، ودوره في أحداث الأندلس ، انظر : حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٥٢ فما بعدها ؛ عبدالواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال أفريقيا والاندلس ، بغداد ــ ميلانو ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٢ ، والمصادر الواردة في هامش (١٧١) ص ١٥٤ ، ١٦٠ فما بعدها .

(٣١) البيان المغرب : ٦/٢ .

(٣٢) المصدر نفسه : ١٦/٢ .

(٣٣) Gayangos , « Memoria sobre la autenticidad de la Cronica denominada del Moro Rasis » , Op. cit., p. 74.

(٣٤) البيان المغرب : ١٦/٢ .

رواية الرازي هـذه تدل على تورط الخليفة سليمان بن عبدالملك في عملية اغتيال عبدالعزيز بن موسى ، حيث تشير صراحة الى انه هو الذي بعث الى الجند يأمرهم بقتله عند سخطه على ابيه . ويختتم الرازي روايته هذه بالقول : « فكانوا يعدون فعل سليمان هذا بموسى وابنه من كبار زلاته التي لم تزل تُنقم عليه . . . » (٣٥) .

يعتمد الرازي في ذكر احدى رواياته على شخص يدعى الفقيه محمد بن عيسى .

فقد أشار ابن عذاري الى هذه الرواية التي توضح مافعله المسلمون بكنيسة قرطبة الرئيسة ، حيث تأثروا بما تم في المشرق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب من مشاطرتهم لكنائس بلاد الشام ، مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا . « فشاطر المسلمون اعاجم قرطبة في كنيستهم العظمى التي كانت بداخلها . وابتنى المسلمون في ذلك الشطر مسجداً جامعاً ، وبقي الشطر الثاني بأيدي الروم ، وهدمت عليهم سائر الكنائس » (٣٦) . ولهذا النص ، الأهمية لاشارته الى هذا الاجراء الاداري الذي اتخذه المسلمون في الاندلس في فترة مبكرة من وجودهم هناك . أما الفقيه محمد بن عيسى ، فأغلب الظن ان الرازي لم يلتق به ، بل روى عنه بطريق شخص آخر لم يذكره ابن عذاري . ومن المرجح ان هذا الفقيه هومحمد بن عيسى بن عبدالواحد بن نجيح المعافري ، الذي كان يغلب عليه الحديث ورواية الآثار عن محمد بن وضاح وغيره ، وتوفي في عام ٢٢١ أو ٢٢٢ هـ / ٨٣٦ أو ٨٣٧ م (٣٧) . ومما يؤيد هذا ان ابن عذاري ينقل رواية اخرى عن ابن عيسى ، وفيها ان تمام بن علقمة الثقفي

---

(٣٥) المصدر نفسه : ٢/٢٤ ــ ٢٥ ؛ وقارن : Gayangos , Op. cit., p. 83.

(٣٦) البيان المغرب : ٢/٢٢٩ .

(٣٧) ابن الفرضي : ٢/٥ ؛ الضبي ، ص ٩٨ ــ ٩٩ .

حدثه بامور في اثناء محاولات عبدالرحمن بن معاوية (الداخل) الاتصال بمؤيديه في الأندلس ، والتهيؤ لانتزاع امارة البلاد من الوالي يوسف بن عبدالرحمن الفهري (٣٨) .

وكان تمام بن علقمة ممن عاونوا عبدالرحمن بن معاوية في تسلم السلطة، وهو الذي ترأس الوفد الذي ذهب الى شمال افريقيا لاستقدامه الى الأندلس . وبعد تأسيس الامارة الأموية أصبح لتمام شأن كبير في الدولة، وقد توفي سنة ١٩٦ هـ / ٨١١ م (٣٩) . ولهذا فان امكانية الالتقاء به والرواية عنه من قبل محمد بن عيسى بن نجيح المعافري محتملة جدا لتعاصر الرجلين .

لايذكر ابن عذاري اسم الرازي عند ذكره لرواية ابن عيسى الأخير ، لكنه يسند اليه صراحة روايات اخرى عن الاحداث التي جرت في عهد عبد الرحمن الداخل ، لاسيما حوادث سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م ، وابتداء عبدالرحمن بمداخلة مواليه من الامويين بالاندلس ، ووصف رحلته وكيفية دخوله (٤٠)، واحداث سنة ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م ، ثم دخول عبدالرحمن الى الأندلس ، والمفاوضات مع يوسف الفهري (٤١) . بالاضافة الى روايات اخرى متفرقة عن عهده ، ومواقفه من مناوئيه (٤٢) ، والاشارة الى جوانب من نفسيته

---

(٣٨) البيان المغرب : ٤٦/٢ .

(٣٩) انظر : المصدر نفسه : ٧٣/٢ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، نشره وترجمه الى الاسبانية : خوليان رايبيرا ، مدريد ، ١٩٢٦ ، ص ٢٤ ؛ مجهول المؤلف ، أخبار مجموعة ، نشر : لافوينتي القنطرة ، مدريد ، ١٨٦٧ ، ص ٧٤ ؛ مجهول المؤلف ، فتح الأندلس ، نشر : خواكين دي كونثاليت ، الجزائر ، ١٨٨٩ ، ص ٥١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ : ٤٩٤/٥ ؛ الحلة السيراء : ١٤٣/١ ؛ نفح الطيب : ٣١/٣ .

(٤٠) البيان المغرب : ٤٠/٢ ؛ وقارن : Gayangos , Op. cit., pp. 92 - 93 .

(٤١) المصدر نفسه : ٤١/٢ ، ٤٢ ــ ٤٥ .

(٤٢) المصدر نفسه : ٥٧/٢ .

وشعره (٤٣) . ويبدو ان تمام بن علقمة كان المصدر الرئيس لهذه الأخبار ، أو على الاقل انه كان أحد الرواة – شهود العيان – الذين حدّثوا عنها ، فسمع منه الفقيه محمد بن عيسى الذي حدّث بدوره من اعتمد عليه الرازي في ذكر رواياته عن هذا العصر ، والتي وصلتنا في كتاب البيان المغرب . وربما كان مصدر الرازي في روايته عن عصر الامير هشام بن عبدالرحمن (١٧٢ – ١٨٠ هـ / ٧٨٨ – ٧٩٦ م) هو نفس المورد الذي اشرنا اليه اعلاه ، لان تمام ابن علقمة شهد أيضاً حكم هشام ، ولكن لاتوجد إشارة صريحة الى رواية تمام أو محمد بن عيسى ، بل كل مايذكره ابن عذاري ، هو رواية الرازي عن احداث داخلية ، عن حملات عسكرية على المناطق الشمالية والغربية من شبه الجزيرة الآيبيرية تمت في عهد هشام (٤٤) .

ومن الملاحظ ان ابن عذاري لايشير كثيراً الى الرازي في رواياته عن عصر الامارة بشكل عام ، فلدينا إشارات قليلة عما تبقى من هذا العصر تتركز معظمها على عصر الامير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ – ٨٨٦ م) ، لا سيما احداث السنوات ٢٤٧ هـ / ٨٦١ و ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م و ٢٦٩ هـ / ٨٨٢ م (٤٥) ، ثم احداث سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م ، حيث تمت الاشارة الى احدى الغزوات التي وقعت في عهد الامير المنذر بن محمد ٢٧٣ – ٢٧٥ هـ / ٨٨٦ – ٨٨٨ م) (٤٦) . وهذه الروايات تتحدث عن غزوات الى الشمال ، أو غزوات تأديبية داخلية ، باستثناء الرواية التي تخص عام ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م (٤٧) ، حيث يشير الرازي الى حدوث صواعق وزلازل

---

(٤٣) المصدر نفسه : ٢/٦٠ .
(٤٤) المصدر نفسه : ٢/٦٣ ، ٦٤ .
(٤٥) المصدر نفسه : ٢/٩٧ ، ١٠٤ – ١٠٥ ، ١٠٦ .
(٤٦) المصدر نفسه : ٢/١١٥ .
(٤٧) المصدر نفسه : ٢/١٠٤ – ١٠٥ .

مروعة عمت الاندلس ، وخاصة مدينة قرطبة ، حيث توفي فيها اثنان نتيجة اصابتهما بحروق .

وهذه الرواية ، بطبيعة الحال ، تبين اهتمام الرازي بالتسجيل الشامل لأحداث العصر الذي يكتب عنه ، دون الاكتفاء بسرد الاحداث الحربية والسياسية .

ولابد ان هذه الروايات المحدودة عن عصر الامارة ، مع أهميتها ، ليست الوحيدة التي اعتمد فيها ابن عذاري على الرازي .

ولابد ان صاحب كتاب البيان المغرب قد أخذ عنه روايات اخرى ، لكنه لم يذكر اسمه سهوا أو تعمداً . ومما يدل على هذا ان ابن عذاري في روايته عن احداث زمن الأمير محمد بن عبدالرحمن ، يشير الى أخبار بَقِي بن مَخْلَد (ت٢٧٦ هـ/٨٨٩ م) ، وعلاقته بفقهاء قرطبة ، في رواية طويلة لاينسبها الى احد (٤٨) . ولكن بمقارنة هذه الرواية مع نص المقتبس لابن حيان (٤٩) ، يتبين انها لاحمد بن محمد الرازي ، مما يؤيد اخذ ابن عذاري لروايات من كتاب الرازي دون الاشارة اليه أحياناً . هذه الرواية تؤيد اهتمامات الرازي الاجتماعية ، وتفهمه لطبيعة العلاقات بين طبقات المجتمع المختلفة ، لاسيما الفقهاء والمتعلمين منهم ، ومحاور الصراع بين هذه الفئات .

ويشير ابن عذاري الى الرازي في احدى رواياته عن عصر الأمير عبدالرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ / ٩١٢ – ٩٦١ م) ، وذلك في احداث سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣م ، لتوضيح محاولة الناصر استعادة السيطرة على مدينة اشبيلية

(٤٨) المصدر نفسه : ٢/١٠٩ – ١١٠ ؛ وعن بقي بن مخلد انظر : ابن الفرضي : ١/٩١ – ٩٣ ؛ الحميدي ، ص ١٧٧ – ١٧٩ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : محمود علي مكي ، ص ٢٤٨ – ٢٤٩ ، وهامش (٤١١) ، ص ٥٦٦ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ – ٢٤٩ .

بعد موت عبدالرحمن بن ابراهيم بن حجاج المنتزي عليها بعد والده (٥٠) . وهذا النص من أفضل النماذج عن الاحداث التي عاصرها الرازي بنفسه . ولكن ابن عذاري يتوقف عن الأخذ مباشرة عن الرازي في هذه الفترة ، ويعتمد على ابن حيان في كثير من الروايات التي تعودفي الأصل الى الرازي ، ففي حوادث سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م مثلاً ، إختار ابن عذاري رواية الرازي عن فتح الناصر لدين الله لمدينة استجة ، وذكرها دون الاشارة الى الرازي (٥١) ، وهذه الرواية تعود للأخير في المقتبس لابن حيان (٥٢) .

ويكرر ابن عذاري هذا الأمر عدة مرات في احداث سنوات اخرى لاحقة . ففي سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م يختصر عـــدة غزوات الى الشمال ، وكورة تدمير ، ومدينة لبلة . بينما وردت احداث هذه الغزوات مفصلة عند ابن حيان (٥٣) . وكـــذلك الأمر عن سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م حيث يشير الى احدى الصواعق المتوجهة الى قشتالة دون ذكر المصدر (٥٤)، بينما الرواية بالأصل تعود للرازي ، كما أوردها ابن حيان في مقتبسه (٥٥) .

٣ ــ كتاب تاريخ الأندلس لعريب بن سعد القرطبي (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م).

سبقت الاشارة الى عريب بن سعد في البحث عن موارد ابن عذاري عن شمال افريقيا ، وتبين ان لهذا المؤرخ كتاباً خاصاً بالمغرب والأندلس ، إضافة الى الجزء المعروف المتعلق بتاريخ المشرق الذي ذيّل فيه على تاريخ الطبري .

---

(٥٠) البيان المغرب : ١٢٩/٢ فما بعدها .
(٥١) المصدر نفسه : ١٦٠/٢ .
(٥٢) الجزء الخامس ، نشر : شالميتا وآخرين ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، مدريد ، ١٩٧٩ ، ص ٥٤ ــ ٥٥ .
(٥٣) انظر : البيان المغرب : ١٦٩/٢ ؛ وقارن : المقتبس : ١٢٧/٥ ــ ١٢٨ .
(٥٤) البيان المغرب : ١٧٠/٢ .
(٥٥) الجزء الخامس ، ص ١٣٥ .

ومن المرجح ان هذين الجزئين هما كتاب واحد يتضمن رواية عريب بن سعد عن تاريخ الاندلس والخلفاء العباسيين والمغرب منذ سنة ٢٩٠ – ٣٢٠ هـ / ٩٠٢ – ٩٣٢ م . وقد فُقد الجزء الخاص بتاريخ المغرب والاندلس واحتفظ ابن عذاري ، وابن حيان ، وغيرهما من المؤرخين بقطع لاباس بها من هذا التاريخ . ولكن يبدو من احد النصوص التي ينقلها ابن عذاري عن عريب ، ان رواية الأخير عن الأندلس لا تبتدئ بسنة ٢٩٠هـ/٩٠٢ م ، بل بفتح الاندلس ، حيث ان النص المنقول يشير الى علاقة يليان « صاحب الجزيرة الخضراء » بكل من موسى بن نصير وطارق بن زياد عام ٩١ هـ / ٧١١ م ، وكيف ان يليان اتصل بموسى عن طريق طارق ، أو مباشرة بالابحار اليه ، لتحريضه على فتح الاندلس . وعلى الرغم من مخالفة هذا النص بقية روايات الفتح في جعله الجزيرة الخضراء مقراً ليليان ، بدلاً من سبتة ، فهو مهم جداً في توضيح دور يليان في الفتح ، ومراسلاته مع موسى بن نصير ، والاحداث اللاحقة التي أدت الى ارسال سرية طريف بن مالك المعافري الى جزيرة طريف لتمهيد الطريق لافتتاح الاندلس (٥٦) .

ثم ان هذا النص يؤكد وجود كتاب لعريب بن سعد يبحث في تاريخ الاندلس منذ الفتح وحتى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م . وربما كان هذا الكتاب هو « تاريخه الذي اختصره من تاريخ ابي جعفر الطبري بعد أن أضاف اليه أخبار افريقية والاندلس » (٥٧). وبلا شك هذا الكتاب ، كان أحد المصادر الرئيسة للتاريخ الأندلسي ، بسبب تمكن واقتدار مؤلفه ، الذي كان من العلماء الموسوعيين الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . يضاف

---

(٥٦) البيان المغرب : ٢/٤ – ٥ .

(٥٧) انظر : ابن عبدالملك المراكشي ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الخامس ، القسم الاول ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٤٢ .

الى ذلك أنه كان مقربا من بلاط عبدالرحمن الناصر ، وتولى الكتابة لدى الحكم المستنصر (٥٨) ، مما هيأ له الاطلاع على كثير من الكتب والوثائق الخاصة في مكتبة الحكم ، لاسيما مايتعلق بتاريخ الأندلس .

ومما يؤسف له ان ابن عذاري لا يتابع الأخذ عن عريب في الأحداث التي تلت فتح الأندلس ، ولكنه يعود اليه في تسجيل احداث السنوات الاولى من حكم الناصر لدين الله ، حيث يعتمد عليه في ذكر بعض حوادث سنتي ٣٠٦ ﻫ / ٩١٨ م و ٣٠٧ ﻫ / ٩١٩م . ففي السنة الاولى يشير الى غزوة مُلطُونية ، التي كانت بقيادة الحاجب بدر بن أحمد ، حاجب الخليفة الناصر ين الله (٥٩) . ولكن ابن عذاري لايذكر اسم عريب في هذه الرواية . بمقارنتها مع ماجاء في المقتبس ، الذي أوردها مع تغيير بسيط في الألفاظ ، يتبين انها لعريب بن سعد ، الذي أشار اليه ابن حيان صراحة (٦٠) . ثم يستمر ابن عذاري في سرد حوادث سنة ٣٠٧ ﻫ / ٩١٩ م ، فيشير هذه المرة الى أخذه عن عريب حينما يتحدث عن استسلام عبدالرحمن بن عمر بن حفصون للناصر . فيقول عنه : « . . . كان غير داخل في الحرب والفتنة مدخل أبيه ؛ وانما كان صاحب كتب ، وكان حسن الخط ضعيف العقل . (قال عريب) وقد صار بعد ذلك ورّاقاً » (٦١) . وهذه المعلومات الأخيرة لاترد عند ابن حيان ، الذي ينقل رواية الرازي (٦٢) ، مما يظهر أن ابن عذاري كان ينقل مباشرة عن كتاب عريب . أما في أحداث سنة ٣٠٨ ﻫ / ٩١٩ م ، فيعتمد

---

(٥٨) ابن سعيد ، تذييل على رسالة ابن حزم في فضل الاندلس ، نقلها المقري في : نفح الطيب : ٣/١٧٣ ؛ تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

(٥٩) البيان المغرب : ٢/١٧٢ ــ ١٧٣ .

(٦٠) المقتبس : ٥/١٤٦ .

(٦١) البيان المغرب : ٢/١٧٤ ــ ١٧٥ .

(٦٢) المقتبس : ٥/١٥٤ ــ ١٥٥ .

على عريب بن سعد ايضا لاسيما غزوة مويش ، لكنه لايذكر اسمه (٦٣) . ومن مقارنة الرواية مع المقتبس ، يتبين انها لعريب ، وهي مفصلة (٦٤) ، علماً بأن ابن عذاري لم يذكر رواية الرازي عن هذه الغزوة التي أشار اليها ابن حيان ، وهي رواية موجزة ، مما يدل على طريقة ابن عذاري في الاطلاع على عدد كبير من المصادر ، وأخذ مايلائمه منها ، دون التقيد بمورد واحد .

٤ – رسالة في أسماء الخلفاء وذكر مددهم ، ورسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابي محمد على بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) .

سبقت الاشارة في موارد ابن عذاري عن شمال افريقيا الى ابن حزم واعتماد ابن عذاري لاحدى رسائله الصغيرة الموسومة : رسالة في اسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم ، في تقويم دولة بني أمية ودولة بني العباس . وفي حديثه عن الأندلس ، أعاد ابن عذاري هذا التقويم ، ونقله مرة ثانية عن ابن حزم . ولكن يلاحظ في هذه المرة ، أن النص اكثر تفصيلاً مما جاء في الجزء الأول (٦٥) . وهناك بعض الزيادات المهمة التي فقدت حتى من نص الرسالة المتوفر لدينا ، وقد استفاد منها محقق رسائل ابن حزم ، وأضافها اليها اعتماداً على ما ورد في البيان المغرب (٦٦) .

واعتمد ابن عذاري رسالة اخرى لابن حزم تسمى : رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، في ذكر نصين مهمين عن الأحداث التي أعقبت انتهاء الدولة العامرية . وتفشي الفوضى في الأندلس ، وقيام اكثر من مطالب

---

(٦٣) البيان المغرب : ٢/١٧٥ – ١٨٠ .
(٦٤) المقتبس : ٥/٦١ – ١٦٨ ؛ واسم الغزوة برواية عريب هنا : مونتش .
(٦٥) البيان المغرب : ٢/٣٩ – ٤٠ ؛ وقارن : ١/٦٣ – ٦٤ .
(٦٦) انظر : رسالة في اسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم ، نشرت بتحقيق : احسان عباس ضمن مجموعة رسائل ابن حزم الأندلسي ، بيروت ، ١٩٨١ : ٢/١٤٥ – ١٤٧ .

بالخلافة ، فيقول في النص الأول : « قال ابن حزم خليفتان تصالحا وهو أمر لم يُسمع بأذل منه ولا أدل على ادبار الامور يحيى بن علي بن حمود في قرطبة والقاسم بن حمود في اشبيلية » (٦٧) .

وفي النص الثاني يشير ابن حزم الى اجتماع أربعة خلفاء في صقع الأندلس : « كل واحد منهم يخطب له بالخلافة بالموضع الذي هو فيه وذلك فضيحة لم يُرَ مثلها دلت على الادبار المؤبد : أربعة خلفاء في مسافة ثلاثة أيام في مثلها كلهم يدعى بأمير المؤمنين . . . » (٦٨) . ثم يُفصل النص في التعريف بالأول من هؤلاء الأربعة ، وهو المدعو « خلف الحصري » . بينما لايوجد مثل هذا التفصيل في نص ابن حزم المنشور مما يدل على وجود نسخة اخرى موسعة لهذه الرسالة ربما اعتمد عليها ابن عذاري في نقل رواية ابن حزم (٦٩) ، بصورة مباشرة ، أو عن طريق ابن حيان ، كما سنرى فيما بعد .

٥ ــ كتاب العبر لأحمد بن سعيد بن محمد بن عبدالله بن أبي الفياض (ت ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م) .

لقد اشرنا الى هذا الكتاب ومؤلفه في اثناء الكلام عن موارد شمال افريقيا ، وذلك لاحتوائه على بعض النصوص التي تخص المغرب . ولكن كتاب العبر هذا يختص بالدرجة الاولى بتاريخ الاندلس . هو يضم مقدمة جغرافية ونبذة عن تاريخ الاندلس القديم والأساطير التي كان يتداولها الناس عن ملوك البلد في العهود السحيقة. ثم يتطرق الى الفتح ، وعصر الولاة ، والامارة ، والخلافة ،

(٦٧) البيان المغرب : ١٣٢/٣ ــ ١٣٣ ؛ وقارن : رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، نشرت بتحقيق : احسان عباس ضمن مجموعة رسائل ابن حزم الأندلسي : ٩٢/٢ .

(٦٨) البيان المغرب : ٢٤٤/٣ .

(٦٩) قارن : رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق : احسان عباس : ٩٧/٢ ــ ٩٨ .

الى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . وهناك روايات تؤرخ لاحداث جرت في أوائل هذا القرن ، عاصرها المؤلف ، لذلك ، فإن كتابه عن هذه الفترة على غاية كبيرة من الأهمية .

إن معلوماتنا عن هذا الكتاب المفقود مستمدة من المؤرخين المتأخرين الذين أشاروا اليه ونقلوا منه بعض النصوص . وكان ابن عذاري ، أحد هؤلاء الذين احتفظوا لنا بنصوص من هذا الكتاب . ولكنه لم يكثر النقل عنه كغيره من المؤرخين (٧٠) ، بل اقتصر على أخذ بعض أخبار بني حجاج في اشبيلية وقرمونة . ومع هذا فلايمكن البت في مسألة اعتماد ابن عذاري المباشر على هذا الكتاب ، على الأقل بالنسبة لنص واحد من النصين اللذين أشار الى اعتماده فيهما على ابن أبي الفياض .

ولا يوجد إشـــكال بالنسبة للنص الخاص بمحمد بن ابراهيم بن حجاج صاحب قرمونة (٧١) ، فهو منسوب فعلا الى ابن أبي الفياض ، وليس فيه مايتعارض مع هذه النسبة . أما روايته عن ابراهيم بن حجاج ، فقد وردت بالشكل الآتي : « وذكر ابن أبي الفياض ان محمد بن يحيى القَلْفاط (٧٢) الشاعر القرطبي قصد الأمير ابراهيم بن حجاج يمدحه بقصيدة . . .

(٧٠) انظر على سبيل المثال ما نقله ابن الشباط في وصف الأندلس من كتاب **صلة السمط وسمة المرط (نص ابن الشباط) تحقيق : احمد مختار** العبادي ، مدريد ، ١٩٧١ ، ص ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ؛ وانظر أيضا : عبدالواحد ذنون طه ، نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الاول ، المجلد الرابع والثلاثون ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ١٧٤ — ١٧٦ .

(٧١) البيان المغرب : ١٢٩/٢ .

(٧٢) هو محمد بن يحيى النحوي المعروف بالقلفاط ، كان من العلماء الحفاظ والشعراء الفصحاء ، وكان هجاء للناس كثير البذاء والسفه في شعره ، توفي سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م . انظر ترجمته عند : الحميدي ، ص ٩٨ (رقم ١٦٥) ؛ البيان المغرب : ١٦٧/٢ .

ثم أخذ في هجاء عشيرته أهل قرطبة . وكبرائها ، وعظماء دولتها ؛ فأفحش عليهم .

فلما أنشد القصيدة لابراهيم بن حجاج . زها به ، وحرمه وأساء ذكره . فانصرف خائباً . . . فكان هذا الفعل في حق أهل قرطبة أجلّ مكرمة ، وعُدّ في جملة فضائله . ولاجل هذا ساقه القاضي ابن أبي الفياض – رحمه الله » (٧٣) .

ولكن هذه الرواية ، وردت عند بن حيان عن القاضي « أبي الوليد بن الفرضي » (٧٤) .

ويحتمل جداً ان ابن عذاري نقلها مباشرة عن المقتبس ، ووهم في اسم ابن الفرضي فكتب بدله ابن أبي الفياض . لأنه كان ينقل من هذا المصدر ، اي المقتبس . قبل صفحات . روايات اخرى عن دولة ابراهيم بن حجاج وعلاقته مع حكومة قرطبة . وطرفاً من خصاله وسياسته (٧٥) . ولا توجد ترجمة لابراهيم بن حجاج ، ولالمحمد بن يحيى القلفاط في النسخة المتوفرة من كتاب تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي . لِتُسَهِل على الباحث البت في الأصح من النصين . ومن جهة اخرى ، فإن ابن عذاري نفسه يشير الى ابن أبي الفياض في الرواية بلقب « القاضي » . بينما المعروف أنه لم يكن قاضياً (٧٦) ، مما يجعل من الصعب نسبة الخطأ الى ابن حيان في قراءة اسم القاضي ابن الفرضي ، ويؤيد نسبة الرواية الى الأخير . أما عن عدم توفر ترجمة لابراهيم بن حجاج

(٧٣) المصدر نفسه : ١٢٨/٢ .

(٧٤) المقتبس ، نشر : الأب ميلتشور م انطونيا ، باريس ، ١٩٣٧ ، ص ١٢ ؛ ١٣١ – ١٣٢ .

(٧٥) انظر : البيان المغرب : ١٢٦/٢ – ١٢٧ ؛ وقارن : المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٧٦) انظر : ابن بشكوال . كتاب الصلة . القاهرة ، ١٩٦٦ : ٦٠/١ ، ترجمة (١٢٦) . وبحثنا المشار اليه آنفا عن ابن أبي الفياض .

في كتاب ابن الفرضي المذكور اعلاه ، فقد يرجع الى ان ابن حيان قد نقل من نسخة اخرى مطولة لم تصل الينا ، أو أن ابن الفرضي قد ترجم لابراهيم ابن حجاج في كتابه الآخر المفقود « ادباء الملوك من أهل الأندلس » الذي اقتبس منه ابن حيان وأشار اليه (٧٧) .

٦ – مؤلفات حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٩ م).

يعد ابن حيان من ابرز مؤرخي الأندلس جميعاً . بما قدمه من معلومات باسلوب نقدي بارع ، وبما يتميز به من حس تاريخي مرهف . وهو من غير شك اعظم مؤرخ أنجبته العصور الوسطى على الصعيدين الاسلامي والمسيحي .

وقد استوفى الدكتور محمود علي مكي في مقدمة تحقيقه لأحد أجزاء المقتبس ، فقد تناول فيها باسهاب حياته وشيوخه وعصره وكتبه (٧٨) . واستناداً الى هذه الدراسة يمكن تصنيف كتب ابن حيان الى ما يأتي :

أ – المقتبس : ويتناول تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى آخر خلافة الحكم المستنصر (٩١ – ٣٦٦ هـ / ٧١١ – ٩٧٦ م) .

ب – أخبار الدولة العامرية : منذ تولي هشام الثاني بن الحكم الى مصرع عبدالرحمن شنجول بن المنصور ، وهي الحقبة التي تسلط فيها آل بني عامر على امور الاندلس (٣٦٦ – ٣٩٩ هـ / ٩٧٦ – ١٠٠٨ م) .

ج – المتين : منذ الفتنة فسقوط الخلافة في قرطبة حتى قرب وفاة ابن حيان (٣٩٩ – ٤٦٣ هـ / ١٠٠٨ – ١٠٧١ م) .

د – البطشة الكبرى : وفيه يتحدث عن استيلاء المعتمد بن عباد على قرطبة سنة (٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م) (٧٩) .

---

(٧٧) انظر : المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ١٢٣ .

(٧٨) انظر : المقتبس ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٣ ، مقدمة المحقق الدكتور محمود علي مكي ، ص ٧ – ١٥٩ .

(٧٩) المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

لم يصل الينا من هذه الكتب الا بعض الأجزاء من كتاب المقتبس ، الذي يتألف من عشرة أسفار . فقد نشر الجزء الثالث منه المستشرق الاسباني ميلتشور انطونيا M. M. Antuña (باريس ، ١٩٣٧) ، وهو خاص بعصر الامير عبدالله بن محمد وحقق الدكتور عبدالرحمن علي الحجي ، الجزء السادس المتعلق بعصر الخليفة الحكم المستنصر (بيروت ، ١٩٦٥) . وقام الدكتور محمود علي مكي بتحقيق الجزء الخاص بفترة الأمير عبدالرحمن الأوسط ، وابنه الأمير محمد (بيروت ، ١٩٧٣) . وقد اضطلع مؤخراً المعهد الاسباني – العربي للثقافة بالمشاركة مع كلية الآداب بالرباط بتحقيق الجزء الخامس الذي عثر عليه في مكتبة القصر الملكي في الرباط ، وهو المخطوط رقم (٨٧) الذي يتحدث عن فترة الثلاثين سنة الاولى من حكم عبدالرحمن الناصر لدين الله . وقد قام بالتحقيق الدكتور بدرو شالميتا بمعاونة كل من الدكتور فيدريكو كورنيطي F. Corriente ، والدكتور محمود صبح ، ونُشر ضمن السلسلة التاريخية المعهد الاسباني العربي للثقافة (مدريد – الرباط ، ١٩٧٩) (٨٠) .

أشار ابن عذاري في مقدمة كتابه في الجزء الأول الى اعتماده على ابن حيان ، وحدد ذلك بالقول إنه نقل من « أخبار الدولة العامرية لابن حيان » (٨١) . ولكن نظرة واحدة الى اقتباسات ابن عذاري عن ابن حيان ، تظهر أنه لم يقتصر على الكتاب المذكور في المقدمة ، بل إنه أخذ من معظم مؤلفات ابن حيان ، لاسيما المقتبس ، وأخبار الدولة العامرية ، والمتين . فهناك نصوص عديدة من عصر الامارة ، والخلافة ، ثم الفتنة في قرطبة ، وسقوط الخلافة ،

---

(٨٠) انظر : « كتاب المقتبس لابن حيان ، الجزء الخامس » ، مراجعة : عبدالواحد ذنون طه ، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، العدد ٣ ، السنة الحادية عشرة ، ١٩٨٣ ، ص ١٨٧ – ١٨٩ .

(٨١) البيان المغرب : ٢/١ – ٣ .

وعصر الطوائف . ولم ينقل ابن عذاري من كتاب البطشة الكبرى ، إذ انه اعتمد في اخبار سقوط قرطبة بيد المعتمد بن عباد ، على موارد اخرى ، سوف نشير اليها فيما بعد (٨٢) .

واما نقولات ابن عذاري من كتاب المقتبس ، فهي تبدأ في فترة متأخرة نسبياً ، فقد أشار لأول مرة الى رواية ابن حيان في احداث سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م عن نسب عمر بن حفصون ، كبير المتمردين بالاندلس في عصر الأمير محمد بن عبدالرحمن (٨٣) . وهذا أمر طبيعي جداً ، لان الفترة السابقة قد غطيت من قبل مؤلف أقدم ، واكثر معاصرة للاحداث ، وهو احمد ابن محمد الرازي ، الذي اعتمد عليه ابن عذاري في كتابة العصور الاولى من تاريخ الأندلس . وعلى الرغم من ورود نصوص اخرى تخص عصر الأمير محمد نفسه ، وبعض الامراء السابقين له ، تتشابه في معناها مع ماجاء في المقتبس ، وان اختلفت في بعض الألفاظ والتفاصيل ، لكن من المرجح ان هذه النصوص منقولة أصلا عن أحمد الرازي ، الذي كان بدوره مصدراً لابن حيان . ومن أمثال هذه النصوص ، ما ورد في حوادث سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م عن تمرد مدينة طليطلة في آخر عصر الامير عبدالرحمن بن الحكم (٨٤) . ورواية دخول الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م الى البة والقلاع في قشتالة ، وافتتاحه لكثير من حصون العدو (٨٥) . وكذلك احداث سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م عن عقد الامير محمد الأمان لأهل طليطلة ، وخبر دخول المجوس ، أو النورمان الى الاندلس (٨٦) .

---

(٨٢) المصدر نفسه : ٢٥٨/٣ ــ ٢٦١ .
(٨٣) المصدر نفسه : ١٠٦/٢ .
(٨٤) المصدر نفسه : ٩٤/٢ ؛ وقارن : المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص ٢٩٢ .
(٨٥) البيان المغرب : ٩٥/٢ ؛ وقارن : المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص ٣٠٤ .
(٨٦) البيان المغرب : ٩٦/٢ ــ ٩٧ ؛ وقارن : المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص ٣٠٧ ــ ٣٠٨ .

ومن مميزات طريقة ابن عذاري في النقل عن المقتبس ، الايجاز ، واحياناً الايجاز الشديد ، مثال ذلك ماذكره ابن حيان عن « جيشان العدو خذله الله بأهل الثغر الاوسط ومنازلتهم حصن غرماج من أهم معاقله » في سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م ، حيث فصّل في هذا الموضوع بعدة صفحات (٨٧) . بينما اكتفى ابن عذاري بالاشارة اليه في سطر واحد فقط ، فقال : « وفيها [سنة ٣٦٤] كان جَيَشَانُ العدو — خذله الله — ومنازلته بعض حصون المسلمين (٨٨) . ولاتوجد قاعدة معينة تحكم كيفية أخذه للنصوص ، وتصرفه بها ، فهو أحياناً يلتزم الألفاظ نفسها ، وأحياناً لايلتزم بها . ويمكن ملاحظة هذا من مقارنة الروايات التي نقلها عن دولة ابراهيم بن حجاج في اشبيلية ، وعلاقته مع حكومة قرطبة ، والاشارة الى خصاله وسياسته (٨٩) .

وتلاحظ ايضاً بعض الأخطاء في النقل . وقد سبقت الاشارة الى رواية القاضي ابن الفرضي عن قدوم الشاعر محمد بن يحيى القلفاط على ابراهيم ابن حجاج ، التي ذكرها ابن حيان (٩٠) . فقد تحول اسم القاضي ابن الفرضي في رواية ابن عذاري الى القاضي ابن أبي الفياض (٩١) .

ومن مقارنة القائمة التي نقلها ابن عذاري المقتبس ، عن عدةالفرسان المستنفرين لغزو الصائفة المجردة الى جليقية في عصر الأمير محمد مع ولده عبدالرحمن ، تظهر ايضاً بعض الأخطاء ، حيث أسقط ابن عذاري بعض الاعداد ، أو اختلف مع ابن حيان في اغفال ذكر احدى المناطق ، وندرج

---

(٨٧) المصدر نفسه ، تحقيق : عبدالرحمن علي الحجي ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٢١٨ — ٢٢٣ ، ٢٣٤ — ٢٣٩ .

(٨٨) البيان المغرب : ٢٤٩/٢ .

(٨٩) المصدر نفسه : ١٢٦/٢ ، ١٢٧ ؛ وقارن : المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٩٠) المصدر نفسه ، ص ١٢ ، ١٣١ — ١٣٢ .

(٩١) البيان المغرب : ١٢٨/٢ .

فيما يأتي الفقرات التي اختلفت فقط في كلا النصين (٩٢) :

نص ابن عذاري	نص ابن حيــان
تاكرنا : مائتان وتسعة وتسعون	تاكرنا : مائتان وتسعة وستون
رية : ألفان وستمائة	رية : ألفان وستمائة وسبعة
مورور : ألف وأربعمائة	مورور : ألف وأربعمائة وثلاثة
تدمير : مائة وستة وخمسون	تدمير : مائتان[وستة وخمسون](٩٣)
لم ينقل ابن عذاري هذا السطر	حصن شندلة : مائة وثلاثة عشر .

ولايمكن ، الجزم في نسبة هذه الاخطاء الى ابن عذاري ، فلربما كان لنساخ البيان المغرب ، أو المقتبس دور في هذه الاخطاء .

ونلاحظ ايضاً ان ابن عذاري قد أغفل ذكر المصدر الذي أخذ عنه ابن حيان هذه القائمة ، وهو كتاب معاوية بن هشام الشبانسي في تاريخ دولة بني مروان (٩٤) ، وهذا كتاب مفقود اعتمده ابن حيان ، وغيره من المؤرخين الأندلسيين . أمثال ابن سعيد (٩٥) ، وابن الخطيب (٩٦) ، وغيرهما .

(٩٢) انظر : المصدر نفسه : ١٠٩/٢ ؛ المقتبس ، تحقيق : مكي ، ص ٢٧١ ــ ٢٧٢ .

(٩٣) اكمل محقق المقتبس هذا الرقم اعتماداً على ماجاء في البيان المغرب .

(٩٤) هو معاوية بن هشام بن محمد بن هشام بن الوليد بن الأمير هشام بن عبدالرحمن بن معاويــة (الداخــل) ، ويعــرف بابن الشــبانسي أو الشَّبانسيَّة ، وكان أديبا اخباريا تاريخيا ، انظر عنه : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٩٦ ؛ ابن الأبار ، التكملة : ٦٩٢/٢ ، ترجمة (١٧٤٠) ؛
Pons Boigues , Op. cit., p. 125 .

(٩٥) المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٩٦٤ : ١١٥/١ .

(٩٦) الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبدالله عنان ، القاهرة ، ١٩٧٣ : ١٠١/١ .

يأخذ ابن عذاري الكثير من الروايات عن المقتبس دون الاشارة الى ابن حيان والى مصادره . وهـــذه النصوص في اماكن كثيرة من كتاب البيان المغرب ، لاسيما في الفترة الخاصة بعصر الامير عبدالله ، والخليفة الناصر لدين الله ، وابنه الحكم المستنصر . حيث يأخذ ابن عذاري روايات متعددة عن ابن حيان ، ويختار مايراه منسجماً مع منهجه في ذكر معلومات شاملة عن العصر ، أو السنة الواحدة . ففي حديثه عن ابن حفصون والمتمردين في بلاد الاندلس في عصر الامير عبدالله ، لايذكر ابن عذاري مصادره عن الاحداث (٩٧) . ولكن عند مقارنة نصوصه بما هو موجود في المقتبس ، يتبين ان معظم هذه النصوص موجودة في الكتاب الأخير ، ولكن باختلاف في الألفاظ ، وبتفصيل أكبر ، بينما نجدها مختصرة في البيان المغرب .

ويحتمل ان يكون ابن عذاري قد لخص معلوماته عن ابن حيان (٩٨)، أو أنه أخذها عن احمد الرازي الذي ربما كان هو ايضاً احد مصادر ابن حيان ، بدليل ذكره من قبل الأخير كمورد لرواياته عن الثوار (٩٩) .

ويستمر ابن عذاري في ذكر الأخبار حسب السنـــوات في عصر الأمير عبدالله ، ولكنه لايشير الى مصادر أخباره . وعند المقارنة مع المقتبس ، نجد ان ابن حيان يأخذ في معظم الاحوال من عيسى بن احمد الرازي (ت ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م) ، ورواياته عادة أطول ، ومعلوماته اكثر من ابن عذاري ، الذي يُعطي نبذاً قصيرة عن الاحداث في السنوات المتلاحقة ، وان كان في بعض الاحيـــان يفصل اكثر من المقتبس ، لاسيما في احـــداث السنوات ٢٩٢ هـ / ٩٠٤م . و ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م ،و٢٩٤ هـ / ٩٠٦م ، و٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م و ٢٩٩هـ /

(٩٧) البيان المغرب : ١٣١/٢ ــ ١٣٨ .
(٩٨) المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ٢٣ ــ ٣٣ .
(٩٩) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

٩١١ م (١٠٠) . ومن الجائز جدا ان روايات عيسى الرازي ، هي في الاصل روايات والده أحمد الرازي .

ويؤيد هذا مايذكره بن حيان عن حياة الأمير عبدالله بصورة عامة ، فهو يأخذ عن عيسى بن احمد الرازي عن أبيه احمد بن محمد ، حيث يشير الى ذلك بقوله : « ذكر عيسى بن احمد الرازي عن ابيه احمدبن محمد قال...) (١٠١). وقد أشار ابن حيان مرة واحدة الى أخذه عن عيسى عن طريق ابيه أحمد ، لكنه يذكر عيسى الرازي وأخذه منه ، قبل هذه الاشارة ، وبعدها بشكل كبير جداً .

ويبدو من الصعب البت في مسألة روايات ابن عذاري عن عصر الأمير عبدالله ، وهل هي مأخوذة مباشرة من كتاب احمد الرازي ، ام من كتاب ابنه عيسى بن احمد عن تاريخ الأندلس ، أو أنه نقلها دون الرجوع اليهما من كتاب المقتبس لابن حيان ، وذلك لتشابه هذه الاخبار ، حيث أن مصدرها واحد ، وهو أحمد بن محمد الرازي . ولكن من ملاحظة النص المنسوب لابن حزم ، الذي ينقله ابن عذاري بتصرف عن ابن حيان في آخر كلامه عن الامير عبدالله ، يتبين لنا أن ابن عذاري ربما كان ينقل مباشرة عن ابن حيان ، على الرغم من اطلاعه على موارد اخرى ، مثل تاريخ احمد الرازي ، وابنه عيسى ايضاً . ففي هذا النص الطويل نسبياً ، والمأخوذ من كتاب نقط العروس ، تقويم عام للأمير عبدالله (١٠٢) . ولكننا لانجد هذا النص في كتاب نقط العروس الذي بين أيدينا ، حيث ان الموجود فيه فقط ، هو النص الآتي ، الذي يشير الى أن الأمير « عبد الله بن محمد قتل ابنيه محمداً والمطرف »

---

(١٠٠) البيان المغرب : ٢/١٤١ ــ ١٤٩ .
(١٠١) المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ٢٣ .
(١٠٢) البيان المغرب : ٢/١٥٦ ؛ وقارن : المقتبس ، نشر : انطونيا ، ص ٤١ .

(١٠٣) . ولو كان ابن عذاري قد اطلع على نسخة اخرى لكتاب نقط العروس ، لكان من المحتمل أن يختلف نصه عن نص ابن حيان ، لكن على الأرجح ، أخذ ابن عذاري نص ابن حزم من كتاب المقتبس مباشرة ، مما يؤيد أن اعتماده على الكتاب الأخير كان كبيراً جداً ، وانه كان يكتفي في كثير من الاحيان بالأخذ منه ، والاشارة الى موارده ، دون التصريح بذلك .

اما عن عصر الناصر لدين الله ، فقد اختار ابن عذاري عن حوادث سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م رواية احمد الرازي عن فتح مدينة استجة ، دون الاشارة الى الرازي ، أو الى ابن حيان (١٠٤) . بينما لم يتطرق ابن عذاري الى التفصيلات الاخرى التي أوردها ابن حيان عن الغزوة نفسها ، والتي ذكرها نقلاً عن غير الرازي .

كذلك أهمل ابن عذاري تفصيلات اخرى عن ركوب الخليفة للصيد لأول مرة ، ومعلومات أوردها ابن حيان عن أول غزوات الناصر (١٠٦) . واكتفى برواية واحدة مختصرة عن هذه الغزوات نقلها ابن حيان عن عريب بن سعد تحت عنوان : « رواية عريب لغزوة جيان » (١٠٧) . فأخذ ابن عذاري هذه الرواية بنفس الالفاظ تقريباً ، مع تغيير طفيف في العبارات ، من حيث التقديم والتأخير ، دون أن يشير الى ابن حيان ، أو الى عريب بن سعد(١٠٧). وكذلك

---

(١٠٣) انظر : ابن حزم ، نقط العروس ، تحقيق : شوقي ضيف ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الاول ، المجلد ١٣ ، الجزء ٢ ، ١٩٥١ ، ص ٧٨ ؛ وانظر ايضا : رسال ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : احسان عباس : ٨٨/٢ .

(١٠٤) البيان المغرب : ١٦٠/٢ .

(١٠٥) المقتبس ، نشر شالميتا وآخرين : ٥٤/٥ ـ ٥٥ .

(١٠٦) المصدر نفسه : ٥٧/٥ ـ ٦٤ .

(١٠٧) المصدر نفسه : ٦٥/٥ ـ ٦٨ .

(١٠٨) البيان المغرب : ١٦٠/٢ ـ ١٦٣ .

يختصر ابن عذاري غزوة الناصر لدين الله في صائفة سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م الى رية ، والجزيرة الخضراء ، وقرمونة (١٠٩) ، التي يذكرها ان حيان بتفصيل اكبر عن احمد الرازي (١١٠) .

كما يأخذ أيضاً خبراً صغيراً آخر عن محاصرة أحد المتمردين في قرمونة ، رواه ابن حيان عن عريب (١١١) ، ولكنه لايشير الى ابن حيان أو الرازي أو عريب (١١٢) .

وهناك روايات اخرى من هذا القبيل تخص عصر الناصر ، وقد أشرنا الى بعضها في اثناء الحديث عن احمد بن محمد الرازي .

وقد اعتمد ابن حيان على مؤلف آخر في ذكر معلومات قيمة عن عصر الناصر لدين الله ، وهو محمد بن مسعود في كتابه الأنيق . ويبدو من أخباره ، أنه ربما كان يعيش في عصر الناصر أو بعده بقليل ، حيث أورد معلومات مفصلة عن قصور الامراء ابناء الناصر لدين الله ، وروايات اخرى تتعلق باحداث وغزوات مهمة في هذا العصر (١١٣) . ولكن ابن عذاري لم يُشر الى كل هذه النصوص التي وردت في كتاب المقتبس ، بل أشار الى نص واحد فقط عن أحداث سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م نَسَبَهُ مباشرة الى كتاب ابن مسعود ، دون ذكر اسم الكتاب . وهو النص المتعلق ببناء الناصر لدين الله لمدينة سالم في الثغر الأوسط الشرقي (١١٤) . فهل كان ابن عذاري ينقل هذه الرواية من كتاب المقتبس ، وأشار فقط الى اسم راويها دون الاشارة الى ابن حيان ، أم انه اطلع على كتاب ابن مسعود مباشرة ؟ ربما لايمكن الاجابة على هذا

(١٠٩) المصدر نفسه : ١٦٤/٢ — ١٦٥ .
(١١٠) المقتبس : ٨٥/٥ — ٩١ .
(١١١) المصدر نفسه : ٩١/٥ .
(١١٢) البيان المغرب : ١٦٥/٢ .
(١١٣) المقتبس : ١٨/٥ — ٢٠ ، ٨٣ ، ١٠٢ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢٩٨ ، ٤٤٦ .
(١١٤) البيان المغرب : ٢١٣/٢ — ٢١٤ .

السؤال الا اذا عثرنا على نص المقتبس الضائع ، عن بقية سنوات حكم الناصر لدين الله ، لأن القطعة المتوفرة من الجزء الخامس من المقتبس ، ، تنتهي ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م ، بينما نص ابن مسعود المنقول عند ابن عـذاري . يتحدث عن اخبار سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م . ولهذا لايمكن مقارنة هذا النص بنص ابن حيان في الوقت الحاضر .

واما عن عصر الحكم المستنصر ، ينقل ابن عذاري نصوصاً كثيرة عن ابن حيان دون الاشارة اليه . ففي سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م على سبيل المثال ، يذكر مختصراً لظهور النورمان في سواحل الأندلس الغربية (١١٥) . بينما النص موحود عند ابن حيان ، وهو نص طويل عن هجوم النورمان (١١٦) ، ولكن ابن عذاري يأخذ بداية النص فقط مع الاختصار . كما يذكر مقتل زيري ابن مناد ، التي وردت باختلاف بسيط في المقتبس ، ويترك تفصيلات اخرى تتعلق بسنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م ، أوردها ابن حيان (١١٧) . ويشير المؤرخ الأخير الى أنه نقل اخبار الحكم المستنصر من كتاب عيسى بن احمد الرازي (١١٨) ، ولهذا فان روايات ابن عذاري عن عصر الحكم المنقولة من المقتبس ، تعود بالتأكيد الى عيسى الرازي (١١٩) .

وهذه الروايات ، بطبيعة الحال ، على درجة كبيرة من الأهمية ، لأن عيسى الرازي عاصر هذه الفترة ، وكتب عنها مكملاً كتاب والده احمد الرازي ، ولأن كتاب عيسى في التاريخ ايضاً من الكتب المفقودة ، التي لم يصلنا منها

(١١٥) المصدر نفسه : ٢/٢٤١ ـ ٢٤٢ .
(١١٦) المقتبس ، تحقيق : عبدالرحمن الحجي ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .
(١١٧) البيان المغرب : ٢/٢٤٢ ؛ المقتبس ، تحقيق : عبدالرحمن الحجي ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .
(١١٨) المصدر نفسه ، ص ٩٥ .
(١١٩) انظر على سبيل المثال : البيان المغرب : ٢/٢٤٦ ، ٢٤٩ ؛ وقارن : المقتبس ، تحقيق : عبدالرحمن الحجي ، ص ٩٦ ، ٢٠٧ .

الا نصوص قليلة . احتفظ لنا بها ، ابن حيان ، وابن بسام ، وابن عذاري ، وغيرهم من المتأخرين .

وتتميز نقولات ابن عذاري من كتاب أخبار الدولة العامرية أنها ايضاً تعتمد الرواة الذين أخذ عنهم ابن حيان ، لاسيما في عصر عبدالملك المظفر واخيه عبدالرحمن شنجول . أما عن محمد بن أبي عامر ، فهناك بعض النصوص التي يسندها ابن عذاري مباشرة الى ابن حيان ، منها نص عن حجب ابن أبي عامر لهشام الثاني عن الناس ، وآخر عن دهاء ابن أبي عامر ، والثالث عن نيته لقيام باحدى الغزوات (١٢٠) . ولم ترد هذه النصوص في كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، مما كان ييسر مقارنتها وتدقيقها مع مايقتبسه ابن بسام من كتاب اخبار الدولة العامرية .

ويعتمد ابن عذاري في روايته عن عصر عبدالملك المظفر واخيه عبدالرحمن. ونهاية الدولة العامرية ، على رواية ابن حيان ، ثم على رواية أحد الأشخاص الذين ينقل عنهم ابن حيان ، حيث يشير اليه ابن عذاري مباشرة ، وهو الفقيه أبو المطرف عبدالرحمن بن ابراهيم بن محمد بن عون الله بن حدير القرطبي ، الذي يذكر ابن حيان صراحة أنه أخذ عنه بقوله : « وقد أخبرني الفقيه ابو المطرف بن عون الله . . . » (١٢١) . وقد كان هذا الفقيه من العلماء الأفاضل في الأندلس رحل الى المشرق والتقى بعدد من الشيوخ في القيروان ، ومصر ، ومكة ، ثم عاد الى قرطبة ، وأصبح أحد العدول ، وولي إمامة الصلاة في احد، مساجد قرطبة (١٢٢) . ويبدو ان ابن عون الله كان مسجلاً دقيقاً للأخبار ، قوي الملاحظة ، وانه كان مطلعاً على اخبار بلاط عبدالملك بن أبي عامر ،

(١٢٠) البيان المغرب : ٢٨٠/٢ ، ٢٩٠ ، ٣٠٠ .
(١٢١) المصدر نفسه : ٣٢/٣ .
(١٢٢) ابن بشكوال ، الصلة : ٣٣٢/٢ ، ترجمة (٧٠٧) .

واخيه عبدالرحمن ، وقد رأى الفتنة وعاصرها ، وسلم منها ، حيث توفي عام ٤٤١ هـ / ١٠٤٩م . وتنحصر رواية ابن عون الله خلال السنوات القليلة التي حفلت باحداث عظيمة قررت مصير الدولة العامرية ، ومن ثم مصير الخلافة الأندلسية ، وهي السنوات المنحصرة بين سنتي ٣٩٤ هـ / ١٠٠٤ م و ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م التي انتهت بمصرع عبدالرحمن بن المنصور (١٢٣) . ومن الجدير بالذكر ، ان ابن الخطيب يعتمد ايضاً على هذا المؤرخ في روايته لهذه الأحداث (١٢٤) .

وينقل ابن عذاري عن شخص آخر يدعى محمد بن عبدالرحمن ، ويبدو أنه أحد المتأخرين ، الذين نقلوا عن ابن حيان ، كما يُفهم من النص الآتي لابن عذاري ، الذي يتحدث عن احدى غزوات عبدالملك المظفر : « قال محمد ابن عبدالرحمن واما غزواته المعروفة بغزاة العلة وهي السابعة من مغازيه في صائفة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فقد تقدم ذكرها في صدر اخبار المظفر في باب العلل من كتابه وقال عن ابن حيان (قال) : ومن كبار علل عبدالملك . . . » (١٢٥) . ويحتمل ان يكون هذا الرجل هو محمد بن عبدالرحمن ابن علي بن محمد بن سليمان التجيبي ، الذي اصله من شرق الاندلس ، لكنه رحل الى المشرق ، ثم عاد وسكن في مدينة تلمسان ، واتخذها موطناً ، وحدّث بها وألّف الكتب الدينية والتاريخية ، وقد توفي في هذه المدينة عام ٦١٠ هـ /

---

(١٢٣) انظر : البيان المغرب : ٣/١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٩ ؛ وانظر ايضا : مقدمة محقق المقتبس ، محمود علي مكي ، ص ٩٣ — ٩٤ .

(١٢٤) انظر : تاريخ اسبانيا الاسلامية ، او كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق : ليفي بروفنال ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٩٣ .

(١٢٥) البيان المغرب : ٣/٢٣ — ٢٤ .

١٢١٣ م (١٢٦) . وربما يكون ابن عذاري قد اطلع على كتب هذا الرجل التي اعتمد فيها على ابن حيان ، فنقل منه النص الخاص بغزوة عبدالملك السابعة سنة ٣٩٨ / ١٠٠٧ م .

أما نقولات ابن عذاري من كتاب المتين ، الذي يتحدث عن الفتنة وعصر الطوائف ، فقد اعتمدت ، كما يبدو ، على مانقله منها ابن بسام الشنتريني في الذخيرة . ويعترف ابن عذاري بذلك صراحة في النص الآتي المنقول من كتاب الذخيرة : « قال (ابن بسام) الى هنا انتهى ماوجدته في كتاب ابن حيان من أخبار الدولة الجهورية ، (قال المؤلف) وها أنا أذكر من كلام ابن بسام وغيره ماأمكن من بقية أخبارهم ان شاء الله . . . » (١٢٧) . ولم يقتصر ابن عذاري في الاعتماد على نصوص ابن حيان المنقولة في الذخيرة ، على اخبار الدولة الجهورية حسب ، بل غطت نقولاته فترات زمنية طويلة ، سبقت واعقبت دولة بني جهور في قرطبة ، وشملت العديد من الكيانات السياسية التي ظهرت في فترة الفتنة وعصر الطوائف (١٢٨) .

وهو في هذه النقولات يتصرف ، ويختصر ، ويختار ما يلائم روايته ، وينسجم مع نهجه في تقديم رواية مطولة فيها بعض العناوين ، أو المعلومات المختصرة على الطريقة الحولية بالنسبة للدويلات الصغيرة ، والأشخاص الأقل أهمية ، الذين لايسمح نشاطهم بتقديم رواية مفصلة .

---

(١٢٦) ابن الأبار ، التكملة : ٥٨٨/٢ ـ ٥٩١ ترجمة (١٥٦٣) .

(١٢٧) البيان المغرب : ٢٥٦/٣ ؛ وقارن النص عند ابن بسام ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ق١ م ٢ ، ص ٦٠٨ ـ ٦٠٩ .

(١٢٨) قارن :
D. M. Dunlop , IBN 'IDHARI'S Account of the Party Kings, Glasgow University Orienta Sco. Trans , 1957 , p. 25 .

وندرج ادناه بعض نقولات ابن عذاري عن ابن حيان ، كما جاءت في الذخيرة :

• رواية عن دولة سليمان المستعين بالله سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م ، وقد مزج ابن عذاري هذه الرواية بنصوص اخرى تعود لمؤرخين آخرين ، مثل الرقيق ، وابن حماده (١٢٩) .

• نص عن بيعة علي بن حمود وسيرته سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م، أخذه ابن عذاري بتصرف . ولكنه لاينسبه لابن حيان ، ومن المقارنة مع الذخيرة ، يتبين انه من كتاب المتين (١٣٠) .

• نصوص منقولة عن مقتل عبدالرحمن بن محمد المرتضى بالله،ورحيل زاوي بن زيري الصنهاجي عن الأندلس سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م (١٣١) .

• نص عن ولاية القاسم بن حمود . (١٣٢) .

• نص عن خلافة يحيى بن علي بن حمود (١٣٣) .

• نصوص عن مقتل عبدالرحمن بن هشام المستظهر بالله ، وبعض أخباره (١٣٤) .

---

(١٢٩) البيان المغرب : ١١٣/٣ ١١٤ - ١١٨ ؛ وانظر : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٣٦ - ٤٧ .

(١٣٠) البيان المغرب : ١٢٢/٣ - ١٢٣ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٩٧ .

(١٣١) البيان المغرب : ١٢٥/٣ - ١٢٩ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥٣ - ٤٦٠ .

(١٣٢) البيان المغرب : ١٣٠/٣ ؛ وقارن : الذخيرة ق ١ ، م ١ ص ٤٨١ .

(١٣٣) البيان المغرب : ١٣١/٣ - ١٣٢ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٨٢ .

(١٣٤) البيان المغرب : ١٣٨/٣ - ١٣٩ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٥١ ، ٥٣ .

* نص عن محمد بن عبدالرحمن المستكفي بالله ، ولكن ابن عذاري لايشير الى اسم ابن حيان ، بينما النص منسوب للأخير في الذخيرة (١٣٥) .

* نص عن اخبار يحيى بن علي بن حمود المعتلي بالله (١٣٦) .

* بعض أخبار هشام بن محمد المعتد بالله الأموي (١٣٧) . ويختصر ابن عـــذاري هذه الأحـــداث ، ويبدو أنه ينقـــل من نسخـــة مختصرة من الذخيرة ، ولعلها الأصل الذي اعتمـــدت عليه نسخة الخزانة العامة في الرباط المرقمة (١٣٢٤) ، والتي تتميزعن بقية نسخ الذخيرة بالاختصار (١٣٨).

* أخبار مبارك ومظفر العامريين (١٣٩) .

* الحرب بين باديس بن حبوس وزهير الفتى العامري (١٤٠) .

* أخبار محمد بن معن بن صمادح (١٤١) .

* نص عن مجاهد العامري (١٤٢) .

* ولاية عبدالعزيز بن أبي عامر على بلنسية Valencia (١٤٣) .

---

(١٣٥) البيان المغرب : ١٤١/٣ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٣٤ .
(١٣٦) البيان المغرب : ١٤٤ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق١ ، م١ ، ص ٤٨٤—٤٨٥ .
(١٣٧) البيان المغرب : ١٤٧/٣ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق٣ ، م١ ، ص ٥١٥ — ٥٢٩ .
(١٣٨) انظـر : مقدمة محقق الذخيرة ، الدكتور احسان عباس ، ق٣ ، م١ ، ص ٦ — ٧ .
(١٣٩) البيان المغرب : ١٥٨/٣ — ١٦٢ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق٣ ، م١ ، ص ١٤ — ٢٠ .
(١٤٠) البيان المغرب : ١٦٩/٣ — ١٧١ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق١ ، م٢ ، ص ص ٦٥٦ — ٦٦٠ .
(١٤١) البيان المغرب : ١٧٣/٣ — ١٧٥ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق١ ، م٢ ، ص ٧٢٩ — ٧٣٢ .
(١٤٢) البيان المغرب : ١٥٦/٣ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق٣ ، م١ ، ص ٢٣—٢٤ .
(١٤٣) البيان المغرب : ١٦٤/٣ — ١٦٥ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق٣ ، م١ ، ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .

* مقتل يحيى بن علي بن حمود الحسني سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤م (١٤٤) .
* خبر هشام المؤيد بالله باشبيلية (١٤٥) ، والنقل حرفي في هذا النص تقريباً .
* نصوص عن المعتضد بالله عباد بن اسماعيل (١٤٦) .
* نصوص عن بعض حروب المعتضد بن عباد مع المظفر بن الأفطس وغيره (١٤٧) .
* بعض أخبار البكريين من أمراء غرب الأندلس (١٤٨) .

٧- بعض أخبار محمد بن عيسى بن مرين :

أبو بكر محمد بن عيسى بن مرين مؤرخ أندلسي ينتمي الى اسرة بني مرين المعروفة في الاندلس التي سكنت في اكشُوبُنة ، وحكمت في شلب Silves جنوب البرتغال الحاليـة . كان حياً سـنة ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م ، وأبوه هو عيسى بن مرين الذي خلعه المعتضد بن عباد من شلب التي ضمها الى مملكة اشبيلية (١٤٩) . ولابن مرين تأليف مختصر في تاريخ الاندلس ، كما يشير الى ذلك ابن الأبار (١٥٠) . الذي وقف على هذا التأليف وأخذ عنه . وقد نقل ابن عذاري نصاً عن ابن مرين . نصاً يتعلق بهزيمة باديس بن حبوس

(١٤٤) البيان المغرب : ١٨٨/٣ ـ ١٨٩ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق١ ، م١ ، ص ٣١٦ ـ ٣١٨ .

(١٤٥) البيان المغرب : ١٩٧/٣ ـ ١٩٩ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق٢ ، م١ ، ص ١٦ ـ ١٨ .

(١٤٦) البيان المغرب : ٢٠٤/٣ ـ ٢٠٨ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق٢ ، م١ ، ص ٢٤ ـ ٢٩ .

(١٤٧) البيان المغرب : ٢٠٩/٣ ـ ٢١٣ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق٢ ، م١ ، ص ٣٣ ـ ٣٨ .

(١٤٨) البيان المغرب : ٢٤٠/٣ ـ ٢٤٢ ؛ وقارن : الذخيرة ، ق٢ ، م١ ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ .

(١٤٩) انظر : الحلة السيراء : ٨٨/١ ، ١١٦/٢ ؛ Pons Bougues , Op. cit., p. 171 .

(١٥٠) الحلة السيراء : ١٢٩/٢ .

لاسماعيل بن محمد بن عباد في سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م ، خارج أسوار قرطبة (١٥١) ؛ وهـذا يظهر طبيعة كتاب ابن مرين ، واهتمامه بتدوين أحداث دولة الطوائف التي عاصرها. ويؤيد هذا ، النقولات التي اقتبسها ابن الابار (١٥٢) فهي جميعاً من النصوص التي تعود الى عصر الطوائف ، ولكن من جهة اخرى ، يبدو ان كتاب ابن مرين لايقتصر على هذه الفترة ، بل ربما كان يمتدمنـذ الفتح الى عصر الطوائف . فقد احتفظ لنا الكاتب المغربي محمد بن عبدالوهاب الغساني في روايته عن رحلة الى اسبانياسنة ١١٠٣هـ / ١٦٩١م ببعض الاقتباسات من كتاب ابن مرين . وتظهر هذه الاقتباسات اهتمام ابن مرين بموضوع فتح الاندلس ، لاسيما حملة موسى بن نصير . وقد أخذ معلوماته عن هذه الحملة من كتاب اسمه الرايات ، عثر عليه في احدى مكتبات اشبيلية عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م . وهو من تأليف محمد بن موسى الرازي ، والد المؤرخ المشهور أحمد بن محمد الرازي ، يبحث عن الفتح ،وفيه معلومات قيمة عن القبائل العربية التي رافقت موسى بن نصير الى الاندلس (١٥٣). كما يحتوي معلومات على مهمة عن اجراءات موسى بن نصير في تقسيم أراضي الأندلس وتعيين الأخماس ، وكيفية معاملة السكان المحليين الذين فضلوا دفع الجزية والبقاء على ديانتهم . من روايات ابن مرين هذه المقتبسة من كتاب الرايات ، ذكرها كتاب فتح الأندلس (١٥٤) ، وفي الرسالة الشريفية (١٥٥) . ويُعتقد ان هذه الرسالة الاخيرة هي جزء من كتاب الغساني المشار اليه آنفاً .

---

(١٥١) البيان المغرب : ٣/٢٠٢ .

(١٥٢) انظر : الحلة السيراء : ٢/١٨ ، ١١٦ ، ١٢٩ .

(١٥٣) انظر : الغساني ، رحلة الوزير في افتكاك الاسير ، مخطوط المكتبة الوطنية في مدريد رقم (٥٣٠٤) ص ٩٩ ـ ١٠٢ .

(١٥٤) فتح الاندلس ، ص ١٣ .

(١٥٥) نشرت ملحقا لكتاب افتتاح الاندلس لابن القوطية ، مدريد ، ١٩٢٦ ، ص ٩٩ ـ ١٠٢ .

وقد اعتمد على كتاب ابن مرين مؤرخون آخرون من أمثال ابن الشباط (١٥٦) . من هذا يتبين لنا أهمية كتابه في تاريخ الاندلس ، ولعل العثور عليه ، يظهر الاطلاع على نصوص اكثر من كتاب الرايات ، أو من كتب اسرة الرازي المفقودة الأخرى .

٨ – كتاب درر القلائد وغرر الفوائد لابي عامر السالمي (ت ٥٥٩هـ/١١٦٣م) .

أبو عامر هو محمد بن أحمد بن عامر البلوي ، من أهل طرطوشة ، وسكن في مرسية ، وعرف بالسالمي لأن أصله من مدينة سالم .
وكان من اهل الأدب والعلم والتاريخ ، وقد صنف في الحديث والآداب واللغة والتواريخ ، وتعبير الرؤيا كتباً عديدة من أهمها كتاب : « درر القلائد وغرر الفوائد » ، الذي ينقل منه ابن عذاري (١٥٧) . وقد وقف ابن عبد الملك المراكشي على السفرين الأول والثاني من هذا الكتاب بخط المؤلف ، ونقل لنا المقدمة التي دونها السالمي في صدر كتابه عن سبب تأليفه للكتاب ، وعن مؤلفاته الاخرى . فقال : « ولم أزل مولعاً بالتأليف راغباً في التصنيف ، جعلته هجّيراي . وقطعت به دنياي دون تقرب به لرئيس ، ولو سمح فيه بمال نفيس ، فمما ألفته الى انقراض دولة المرابطين في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . . . » (١٥٨) ثم يعدد مؤلفاته وهي :

---

(١٥٦) انظر : وصف الاندلس من كتاب صلة السمط وسمة المرط (نص ابن الشباط) ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، ص ٢١ ، ١٦٢ .

(١٥٧) التكملة لكتاب الصلة : ٢/٤٩٥ ترجمة رقم (١٣٦٨) ؛ ابن عبدالملك المراكشي ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، السفر السادس ، ص ٧–٨ ؛
Pons Boigues , Op. cit., pp. 226 - 227 .

(١٥٨) الذيل والتكملة : ٨/٦ – ٩ .

* كتاب سراج الاسلام ومنهاج السلام من مجرد كلام النبي عليه السلام – وهو سفران .
* كتاب حلية الكاتب وبغية الطالب في الامثال السائدة والأشعار النادرة .
* كتاب حلية اللسان وبغية الانسان في الأوصاف والتشبيهات والاشعار السائرات .
* كتاب طبقات الشعراء الاعلام في الجاهلية والاسلام الى سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م مرتباً على حروف الهجاء – وهو أربعة أسفار .
* كتاب بستان الأنفس في نظم اعيان الاندلس الى سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م وهو ثلاثة أسفار .
* كتاب منهاج الكتاب – وهو خمسة عشر باباً ، وقد وقف عليه ابن عبدالملك المراكشي .
* كتاب بهجة وفرجة – على مثال كليلة ودمنة .
* كتاب المنتخب من مؤلفات العرب على حروف الهجاء – وهو سفران كبيران .
* كتاب الاعتذار في القصص والاخبار على نهاية التقريب والاختصار – وهو سفران .
* كتاب تذكرة الازمان وتبصرة الأذهان – وهو سفران .
* كتاب العبارة – وهو خمسين باباً ، وقد وقف عليه ابن عبدالملك المراكشي .
* كتاب الأزهار في اختلاف الليل والنهار .
* كتاب الاسرار في التجارب والاخبار .
* كتاب الشفاء في طب الأدواء .

وأشار السالمي الى هذه الكتب جميعاً في صدر كتابه درر القلائد وغرر الفوائد ، وقد ألف ايضاً بعد هذا الكتاب ، كتباً اخرى ، منها : « كتابه في

الفتنة الكائنة على اللمتونيين بالأندلس سنة اربعين وما يليها قبلها وبعدها ، ومختصره في كتاب سماه عبرة العبر وعجائب القدر في ذكر الفتن الأندلسية والعدوية بعد فساد الدولة المرابطية » . وقد وقف ابن عبدالملك المراكشي على هذا الكتاب بخط المؤلف سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م (١٥٩) . ويذكر الضبي (١٦٠) ، كتاباً آخر للسالمي باسم « كتاب السلك المنظوم والمسك المختوم » ، ولكنه لايشير الى موضوع هذا الكتاب ، سوى أن مؤلفه « جمع فيه علوماً وجدد من الدهر آثاراً ورسوماً » .

وتدل هذه المجموعة المتنوعة من المؤلفات بطبيعة الحال على سعة افق السالمي ، واستيعابه للعديد من العلوم النقلية والعقلية المعروفة في زمانه ، لاسيما اللغة والأدب والحديث والتاريخ والجغرافية والصيدلة ، فهو من العلماء الموسوعيين الذين زخر بهم العالم الاسلامي في المشرق والمغرب . وكتبه هذه تمثل المستوى العلمي والحضاري الذي وصل اليه العرب في الأندلس في عصر المرابطين . غير ان كل هذه الكتب فقدت ، ولم يبق لدينا سوى نصوص متفرقة من كتابه الشهير درر القلائد وغرر الفوائد ، الذي اطلع عليه ابن عذاري واستخدمه في كتابه تاريخ الأندلس .

إن عنوان الكتاب الطويل ، الذي انفرد ابن عبدالملك المراكشي بذكره وهو : « درر القلائد وغرر الفوائد في اخبار الأندلس وامرائها وطبقات علمائها وشعرائها » (١٦١) ، يشير الى ان هذا الكتاب تاريخي بالدرجة الاولى . لكنه مع ذلك يضم تراجم لبعض العلماء والشعراء . ويؤيد هذا إشارة ابن عبدالملك المراكشي الى ترجمة احمد بن محمد بن سهل ، من شعراء بني

---

(١٥٩) المصدر نفسه : ٦/٩ .

(١٦٠) بغية الملتمس ، ص ٤٣ ؛ وانظر : . Pons Boigues , Op. cit., p. 227

(١٦١) الذيل والتكملة : ٦/٨ .

هود ، التي أخذها عن هذا الكتاب (١٦٢) .

ومن المرجح ان السالمي قد اتبع في تأليف كتابه نفس الطريقة التي سار عليها بقية مؤرخي الأندلس ، مثل احمد الرازي ، وابن حيان ، وابن أبي الفياض ، وغيرهم ، في كتابه مقدمة جغرافية للأندلس قبل البدء بتأريخها . وهناك نص أشار اليه المقري (١٦٣) ، يؤيد هذا الترجيح ، فقد نقل عن السالمي فيما يخص جغرافية الأندلس قوله انها : « من الاقليم الشامي ، وهو خير الأقاليم ، وأعدلها هواء وتراباً ، واعذبها ماء ، وأطيبها هواء وحيواناً ونباتاً ، وهو أوسط الأقاليم ، وخير الامور أوسطها » . ولهذا ، فقد بدأ السالمي كتابه بجغرافية الأندلس ، ثم تحدث عن الفتح وبقية الاحداث التاريخية التي رافقت الوجود العربي الاسلامي في هذه البلاد الى أواخر عهد المرابطين في الأندلس ، حيث توقف في سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م . كما أشار الى ذلك المؤلف نفسه ، فيما نقله عنه ابن عبدالملك المراكشي (١٦٤) .

ولكن لايتوفر لدينا الا عدد من نصوص اقتبسها ابن عذاري ، وهي عن الاحداث الآتية :

* علاقة ابي جعفر المنصور العباسي بتمرد العلاء بن مغيث الجذامي في الاندلس في عهد عبدالرحمن الداخل ، وفشل هذا التمرد وانتصار الامير عبدالرحمن (١٦٥) .
* الصراع بين عبدالملك بن قطن ، والي الاندلس ، وبلج بن بشر القشيري ،

---

(١٦٢) المصدر نفسه : السفر الاول ، القسم الثاني ، تحقيق : محمد بن شريفة ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٤٣٥ .

(١٦٣) نفح الطيب : ١٢٦/١ .

(١٦٤) الذيل والتكملة : ٨/٦ .

(١٦٥) البيان المغرب : ٥٢/٢ .

ومقتل الأخير في الحرب التي دارت بين ابناء عبدالملك وأنصار بلج (١٦٦) .

* نص عن عهد ثعلبة بن سلامة العاملي، الذي خلّفَ بلج في ولاية الأندلس، ومعاملته لأهل البلد (١٦٧) .
* دخول النورمان الى اشبيلية سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م ، واستمرار غزوهم لهذه المدينة لمدة سبعة أيام (١٦٨) .
* ذكر احدى غزوات الأمير محمد بن عبدالرحمن ، وهي المعروفة بوقعة وادي سليط عام ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م (١٦٩) .
* نص عن ابراهيم بن حجاج المتسلط على اشبيلية ، وشرائه لجارية بغدادية (١٧٠) .

وهذه النصوص ، بطبيعة الحال ، لاتيسر للباحث تكوين فكرة كاملة عن المنهج الذي اتبعه السالمي في تأليف كتابه ، وهل سار على طريقة الحوليات مثلاً ؟ أم استخدم الرواية . ولكن ملاحظة اسلوب المؤلف ، واستخدامه للسجع والألفاظ المنقمة ، ويظهر هذا بصورة خاصة في مقدمة الكتاب التي نقلها ابن عبدالملك المراكشي ، وفي النص الذي اشار اليه ابن عذاري بخصوص وقعة وادي سليط في عصر الامير محمد بن عبدالرحمن . ويُثبّت ابن عبدالملك المراكشي (١٧١) ، الذي اطلع على كتاب درر القلائد وغرر الفوائد ، بعض الانتقادات ، فيشير الى وجود اغلاط ، وأوهام نحوية ، وضروب من الخلل

(١٦٦) المصدر نفسه : ٣٢/٢ .
(١٦٧) المصدر نفسه : ٣٣/٢ .
(١٦٨) المصدر نفسه : ٨٧/٢ .
(١٦٩) المصدر نفسه : ١١٢/٢ ـ ١١٣ .
(١٧٠) المصدر نفسه : ١٢٨/٢ .
(١٧١) الذيل والتكملة : ٩/٦ .

في الهجاء ، ويرى بان مصدر بعضها هو الغفلة والجري على المألوف من كلام العوام .

٩ ـ كتاب الأنباء في سياسة الرؤساء لابن الصيرفي

ابن الصيرفي هو يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري ، أحد كتّاب الدولة المرابطية ، توفي بغرناطة عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م . وكان من العلماء المهتمين بالحديث والتاريخ واللغة والآداب ، ومن الكتاب المجيدين . وقد كتب بغرناطة عن الأمير أبي محمد تاشفين بن علي بن يوسف ، وعن الدولة المرابطية كتاباً أسماه الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية ، ولكن هذا الكتاب ، الذي يسمى ايضاً بتاريخ ابن الصيرفي ، مفقود (١٧٢) . ويشير ابن الزبير (١٧٣) ، الذي يترجم لهذا المؤرخ ، الى أنه ألف كتاباً في تاريخ الاندلس وامرائها ضمنه العجائب ، وأجاد فيه كل الاجادة ؛ وقد بلغ فيه الى سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ، ثم استمر الى قرب وفاته . ولكنه لايشير إلى اسم هذا الكتاب ، الذي يحتمل ان يكون الكتاب المذكور آنفاً ، اي : الأنوار الجلية في اخبار الدولة المرابطية .

ويبدو ان ابن عذاري يعتمد هذا الكتاب في اثناء حديثه عن تاشفين بن علي سنة ٥٢٣هـ / ١١٢٨ ــ ١١٢٩م كما يشير الى اسم مؤلفه ابي بكر الأنصاري (١٧٤) .

أما عن العهود التي سبقت فترة المرابطين ، فينقل نصين عن كتاب يسميه

(١٧٢) حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، اسطمبول ، ١٩٤١ ، اعادت طبعه بالاوفست ، مكتبة المثنى ببغداد : ١/٢٧٩ .

(١٧٣) أبو جعفر أحمد بن الزبير ، صلة الصلة ، نشر : ليفي بروفنسال ، الجزائر ، ١٩٣٧ ، أعادت نشره مكتبة خياط ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٨٣ ؛ وانظر ايضاً : جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، القاهرة ، ١٩٦٥ : ٢/٣٤٣ .

(١٧٤) البيان المغرب : ٤/٨٠ .

تارة باسم « كتاب اخبار الرؤساء بالأندلس » ، حيث يذكر أنه قيّد منه معلومات عن دولة محمد بن هشام بن عبدالجبار (١٧٥) ، وتارة اخرى باسم « كتاب الأنباء في سياسة الرؤساء » ، حين يتحدث عن دولة بني جهور في قرطبة (١٧٦) . وربما كان هذا الكتاب الذي يشير اليه ابن عذاري ، هو نفس كتاب « تقصي الانباء وسياسة الرؤساء » الذي ينسبه بونس بويجس (١٧٧) ، الى ابن الصيرفي ، معتمداً على ميخائيل الغزيري ، ورينهارت دوزي ، ولكن ابن عذاري لايسعفنا باسم مؤلف هذا الكتاب لنتمكن من البت بصحة هذا الأمر .

١٠ – كتاب بهجة النفس وروضة الأنس لأبي محمد بن هشام بن عبدالله القرطبي :

لاتتوفر عن مؤلف هذا الكتاب معلومات في كتب التراجم المعروفة لدينا (١٧٨) . ولكن ابن عذاري احتفظ لنا من كتابه المفقود « بهجة النفس وروضة الأنس » . ببعض النصوص عن فترة زمنية واسعة تقريباً ، تبدأ منذ الفتح ، وتنتهي باحداث سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م ، حيث ينقل ابن عذاري عن بهجة النفس معلومات عن احدى حملات الامير عبدالله بن محمد على عمر ابن حفصون (١٧٩) . ويتضح من هذه النصوص انالكتاب يضم تاريخاً عاماً للاندلس يبدأ بالفتح ، وينتهي على الأقل في أواخر عصر الامارة ، ولكننا لانستطيع أن نحدد فترة زمنية ثابتة ، لجهلنا بالمؤلف وعصره وتاريخ وفاته .

(١٧٥) المصدر نفسه : ٣/٥٠ – ٥١ .

(١٧٦) المصدر نفسه : ٣/٢٥٩ .

(١٧٧) Pons Boigues , Los Historiadores y Geografos Arabigo - Espanoles , p. 241 .

(١٧٨) Ibid., p. 393 .

(١٧٩) البيان المغرب : ٢/١٢٣ .

(١٨٠) Los Historiadores y Geografos Arabigo - Espanoles , p. 393 .

ويشير بونس بويجس (١٨٠) ، الى ان كتاب بهجة النفس يحتوي على تاريخ الامويين والعباسيين ، ويبدو أنه استند في ذكر العباسيين الىاحد النصوص التي نقلها ابن عذاري عن تمرد العلاء بن مغيث الجذامي على الأمير عبدالرحمن ابن معاوية ، وعلاقة هذا التمرد بالخليفة العباسي ابي جعفر المنصور (١٨١) . ولكن هذا النص ، بطبيعة الحال ، لايمكن ان يتخذ دليلاً على ان الكتاب قد اهتم بتاريخ العباسيين ، لأن موضوعه هو حدث أندلسي ، وفيه اشارة عابرة فقط الى ابي جعفر المنصور ، ولا تشير بقية النصوص المنقولة عن الكتاب الى اية احداث عباسية .

فالكتاب أندلسي ، واهتمامه منصب على العصور المبكرة والاولى من وجود المسلمين في هذه البلاد ، لاسيما عصور الفتح والولاة والامارة (١٨٢) . وربما كان مؤلف الكتاب على معرفة بلغة اخرى غير العربية ، كاللاتينية مثلاً ، لانه يذكر ، حسبما ينقل عنه ابن عذاري (١٨٣) ، انه اطلع على بعض كتب العجم ، التي تناولت فتوح موسى بن نصير ، ووصوله الى اماكن نائية في كل من شبه الجزيرة الآيبيرية ، وجنوب فرنسا ، لاسيما « مدينة لَوْطون قاعدة الافرنج » . ولـكن من المعروف ان الحوليات اللاتينية المعاصرة لاتشير الى أية فتوح لموسى بن نصير في جنوب فرنسا (١٨٤) .

١١ ـ كتابا المظفري والاقتضاب :

يشير ابن عذاري الى هذين الكتابين دون ذكر اسم مؤلفيهما ، فهو ينقل من الأول نصاً عن خروج علي بن حمود من سبتة الىمالقة سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤م

---

(١٨١) البيان المغرب : ٥٢/٢ .
(١٨٢) انظر : المصدر نفسه : ١٢/٢ ـ ١٣ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٨٧ ، ١٢٣ .
(١٨٣) المصدر نفسه : ١٢/٢ ـ ١٣ .
(١٨٤) انظر : عبدالواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ، ص ١٨٢ .

فيقول : « قال المظفري في كتابه لمـا خرج علي عن طاعة المستعين أخرج كتاباً نسبه بن الحكم . . . » (١٨٥) . وربما يكون المظفري المقصود هنا هو كتاب « المظفري » الذي ألفه محمد بن عبـدالله بن مسلمة بن الأفطس ، حاكم بطليوس ، والذي احتوى ، حسبما يشير ابن عذاري (١٨٦) ، على الاخبار والسير والآداب المتخيّرة ، والطرف ، والغرائب الملوكية ، واللغات الغريبة ، وكان هذا الكتاب كبيراً لايتمكن الناس من تملكه ، فهو لايصلح الا لخزائن الملوك . ويذكر ابن بسام (١٨٧) ، أنه كان في خمسين مجلدة ، ويشتمل على علوم وفنون ، وسير وأمثال وأخبار ، وجميع ما يختص به علم الأدب . ومع هذا ، فمن وصف ابن عذاري له يمكن ترجيح اطلاعه عليه واخذه عنه .

أما الكتاب الثاني «الاقتضاب» ، فينقل منه اكثر من نص وهذه النصوص . تتعلق بفترة الفتنة التي حدثت في الأندلس ، وقرطبة بالذات ، بعد سقوط العامريين ، لاسيما عن عصر محمد بن هشام بن عبدالجبار ، بعد تغلبه على عبدالرحمن شنجول (١٨٨) ، وعن تملك القاسم بن حمود لقرطبة عام ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م (١٨٩) .

ولاتساعدنا هذه النصوص ، بطبيعة الحال ، في التعرف على مؤلف الكتاب . ومن الجدير بالذكر ان هناك كتباً اخرى تسمى بهذا الاسم ، وهي على الاغلب اما كتب تراجم ، مثل كتاب « الاقتضاب لصلة ابن بشكوال » لمؤلفه عبدالرحمن ابن محمد بن عبدالله بن يوسف بن حُبَيش المتوفى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م

(١٨٥) البيان المغرب : ١١٦/٣ .
(١٨٦) المصدر نفسه : ٢٣٦/٣ — ٢٣٧ .
(١٨٧) الذخيرة : ق٢ ، م٢ ، ص ٦٤٠ — ٦٤١ .
(١٨٨) البيان المغرب : ٥١/٣ ، ٨٢ ، ٩٦ .
(١٨٩) المصدر نفسه : ١٣٤/٣ .

في مرسية (١٩٠) ، أو أدبية غير تاريخية ، مثل كتاب « الاقتضاب » لأحمد ابن محمد بن احمد بن بلال المتوفى في حدود سنة ٤٦٠ هـ /١٠٦٧ م (١٩١) . إن مؤلف الكتاب الأخير معاصر للأحداث التي يتناولها كتاب « الاقتضاب » الذي أشار اليه ابن عذاري ، ولكنه على الأغلب يختص بالأدب واللغة ، بينما اقتباسات ابن عذاري عبارة عن نصوص طويلة تتعلق باحداث تاريخية صرفة .

ب ـ كتب التراجم :

أهم كتب التراجم التي أشار اليها ابن عذاري اثنان ، وهما : كتاب جذوة المقتبس ، لمحمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي الحميدي المتوفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م .

وقد أخذ منه نصاً من أبي عمرو عباد صاحب إشبيلية (١٩٣) ، ولكن النص الذي يخص عباداً في النسخة المطبوعة من كتاب الحميدي (١٩٤) ، يختلف بعض الشيء عما أورده ابن عذاري ، مما يشير الى استخدامه لنسخة اخرى من هذا الكتاب .

أما الكتاب الثاني ، فهو كتاب « الصلة » لأبي القاسم خلف بن بشكوال ، المتوفى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م . وقد سبقت الاشارة الى اعتماد ابن عذاري

---

(١٩٠) الضبي ، بغية الملتمس ، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ، ترجمة (٩٨٨) ؛ وانظر :
Pons Boigues , Op. cit., p. 254 .

(١٩١) الذيل والتكملة ، السفر الاول ، القسم الاول ، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ .

(١٩٢) انظر ترجمته عند : الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١١٣ ، ترجمة (٢٥٧)؛ ابن بشكوال ، الصلة : ٢/٥٦٠ ـ ٥٦١ ، ترجمة (١٢٣٠) ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ : ٢٨٢/٤ ـ ٢٨٤ ، ترجمة (٦١٦) ؛
Pons Boigues , Op. cit., pp. 164 - 166 .

(١٩٣) البيان المغرب : ٢٨٥/٣ .

(١٩٤) انظر : جذوة المقتبس ، ص ٢٩٦ .

على هذا الكتاب فيما يخص موارد شمال افريقيا ، وأنه يستخدم نسخة اخرى مفصلة غير النسخة المتداولة الآن . ومن الجدير بالذكر أن النص الذي يشير اليه ابن عذاري هوأيضاً نفس اقتباسه السابق عن موسى بن نصير ونسبه(١٩٥)

ج ـ كتب المسالك والجغرافية :

كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري . وهذا المؤلف من أشهر الجغرافيين في الأندلس ، ولد في حدود سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م في مدينة شَلْطيش غرب الاندلس ، وتوفي عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م (١٩٦) .

أما كتابه المسالك والممالك ، فهو من المؤلفات الجغرافية القيمة (١٩٧) ، ولكنه يزخر ايضاً بالمعلومات التاريخية المفيدة . وقد أسلفنا الحديث عن الجزء الخاص بالشمال الافريقي ، واستفادة ابن عذاري منه في روايته عن المغرب . أما مايتعلق بالأندلس ، فقد أشار ابن عذاري الى رواية البكري لدخول النورمان الى مدينة بربشتر سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م ، وما فعلوه فيها من مذابح ، وانتهاك لحرمة المسلمين ، وأخذهم النساء سبايا ، واهدائهن الى الامبراطور البيزنطي في القسطنطينية (١٩٨) . كما نقل عنه أيضاً رواية استرجاع احمد بن سليمان ابن هود، صاحب سرقسطة لهذه المدينة بعد عام من احتلالها ، اي سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥ م ، وأشار الى أعداد السبايا والأسرى النورمان الذين نقلهم ابن هود

---

(١٩٥) البيان المغرب : ٢٢/٢ .

(١٩٦) انظر : ابن بشكوال ، الصلة : ٢٨٧/٢ـ٢٨٨ ترجمة (٦٣٣) ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء : ١٨٠/٢ فما بعدها ؛ بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٣٠٩ ؛ Pons Boigues , Op. cit., pp. 160 - 164 .

(١٩٧) انظر : حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ، مدريد ، ١٩٦٧ ، ص ١٢٣ ـ ١٤٨ .

(١٩٨) البيان المغرب : ٢٥٣/٣ .

من بربشتر الى سرقطة (١٩٩) . ومن مقارنة هذين النصين مع المادة المتوفرة من كتاب المسالك والممالك ، ضمن الجزء الذي يتعلق « بجغرافية الاندلس وأوربا » (٢٠٠) ، نجد أن ابن عذاري قد التزم تقريباً بحرفية هذين النصين ، ولكن هناك اختلاف كبير في اعداد السبايا المذكورة في كلا النصين ، مما يشير الى احتمال استخدامه لنسخة اخرى ، أو الى الخطأ في النقل من قبل ابن عذاري ، أو النساخ .

د ـ الكتب الأدبية :

١ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابي الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي ، نسبة الى مدينة شنترين في غربي الأندلس ، المتوفى سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ ـ ١١٤٨ م (٢٠١) . وقد اعتمد ابن عذاري على هذا الكتاب اعتماداً كبيراً ، فأخذ منه نصوصاً ، نسب معظمها الى ابن بسام ، لكنه اغفل نسبة بعضها الآخر ، مثال ذلك النص الذي أورده عن دخول محمد بن عباد (المعتمد) الى مالقة (٢٠٢) . كما نقل نصاً آخر نسبه الى « محمد بن اسماعيل كاتب المنصور » (٢٠٣) ، وهو مأخوذ عن ابن بسام ، الذي ذكره في الذخيرة برواية ابن حيان (٢٠٤) . وقد سبقت الاشارة ، في اثناء الحديث عن ابن

(١٩٩) المصدر نفسه : ٢٢٧/٣ .

(٢٠٠) تحقيق : عبدالرحمن علي الحجي ، دار الارشاد ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٢٠١) انظر : ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب : ٤١٧/١ ؛ ياقوت ، معجم الأدباء : ٢٧٥/١٢ ؛ Pons Boigues , Op. cit., pp. 208 ff .

(٢٠٢) البيان المغرب : ٢٧٣/٣ ـ ٢٧٤ ؛ وقارن : الذخيرة : ق٢ ، م١ ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢٠٣) البيان المغرب : ٢٧٠/٢ .

(٢٠٤) قارن : الذخيرة ، ق٤ ، م١ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ؛ وانظر ايضا : ابو نصر محمد بن عبدالله القيسي ، الفتح بن خاقان ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح اهل الأندلس ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٥هـ ، ص ٤ ـ ٥ .

حيان ، الى نصوص اخرى لهذا المؤرخ نقلها ابن عذاري مباشرة من كتاب الذخيرة ، ونسبها اليه دون الاشارة الى ابن بسام .

ويلاحظ ان ابن عذاري لم يلتزم في بعض الاحيان بالتسلسل الذي يورده ابن بسام للنصوص ، فيختصر منها بشكل قد يخل بالمعنى ، فقد أشار الى نص هو بالأصل عن تقويم ابن حيان ، فذكره ضمن حديثه « نبذ عن أخبار بني جهور امراء قرطبة » ، وأورده كما يأتي : « قال ابن بسام كان ابن حيان بقرطبة خاتمة المتكلمين ، ونخبة المحسنين ، على ماتراه ركب من اثم ، واحتقب من ظلم ، لكنه سلم من لسانه امير بلده واكبر زمانه ، ابو الحزم ابن جهور وابنه بعده ابو الوليد . . . » (٢٠٥) . والنص هنا لايبدو منسجماً على عكس الحال في الذخيرة ، حيث جاء النص عن ابن حيان بشكل أكمل وأوفى : « قال ابن بسام : الى هذا المكان انتهى ماأخرجته في هذا الفصل من كلام ابن حيان . وكان عندهم بقرطبة خاتمة المتكلمين وجمهور المحسنين ، على ماتراه ركب من اثم ، واحتقب من ظلم ، وتناول من عرض ، واطبق من سماء على أرض . عجباً بافتتانه . وتعجباً من بيانه . . . » ثم يستمر في تقويمه الى قوله « . . . وعلى كل حال فقد سلم على لسانه أمير بلده اكبر اهل زمانه . ابو الحزم ابن جهور . وابنه بعده ، فجرى لهما بأيمن طائر ولم يعرض لذكرهما الا بخير ، وقد أثبت من ذلك مادل على الاحسان ووفى بشرط الديوان » (٢٠٦) .

وتنحصر بقية النصوص التي أخذها ابن عذاري عن ابن بسام في عصر الطوائف . ويكاد مؤلف البيان المغرب يتابع ماورد في الذخيرة أولاً بأول ، فينقل عن اخبار الدولة الجهورية على سبيل المثال مايأتي : « قال ابن بسام الى

(٢٠٥) البيان المغرب : ٣/٢٣٣ — ٢٣٤ .
(٢٠٦) الذخيرة : ق١ ، م٢ ، ص ٦٠١ — ٦٠٢ .

هنا انتهى ماوجدته في كتاب ابن حيان من اخبار الدولة الجهورية (قال المؤلف) وها أنا اذكر من كلام ابن بسام وغيره ماأمكن من بقية اخبارهم ان شاء الله . . . » (٢٠٧) وهناك نصوص اخرى متفرقة اعتمد فيها ابن عذاري على كتاب الذخيرة ، منها عن اخبار سليمان بن الحكم المستعين بالله (٢٠٨) ، وعبدالرحمن بن هشام المستظهر بالله(٢٠٩)،ومنها عن مظفر ومبارك العامريين (٢١٠) ، وعن ابي يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي (٢١١) ، وابي مروان ابن رزين الملقب بحسام الدولة (٢١٢) ، وعن بني عباد ، ونهاية حكمهم بعد خلع المعتمد ودخول المرابطين الى اشبيلية (٢١٣) ، وكذلك عن ذكر المعتضد بن عباد (٢١٤) ، وقتله لابنه اسماعيل (٢١٥) ، ومخاطبته لجماعة من حلفائه في هذا الشأن ، وقد أوجز ابن عذاري كثيراً في هذا النص الذي جاء مفصلا عند ابن بسام (٢١٦) . وأخيراً أورد ابن عذاري ضمن أحداث سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م وصفاً لموقعة بطرنة ، وهي قرية من أعمال بلنسية ، اعتمد فيه على ما ذكره ابن بسام ، ولكن بتصرف (٢١٧) . ومن

---

(٢٠٧) البيان المغرب : ٢٥٦/٣ ؛ وقارن : الذخيرة : ق١ ، م٢ ، ص ٦٠٨ .
(٢٠٨) البيان المغرب : ١١٧/٣ ؛ وقارن : الذخيرة : ق١ ، م١ ، ص ٤٦–٤٨.
(٢٠٩) البيان المغرب : ١٣٩/٣ – ١٤٠ ؛ وقارن : الذخيرة : ق١ ، م١ ، ص ٥٥ – ٥٦ .
(٢١٠) البيان المغرب : ١٦٢/٣ ؛ وقارن : الذخيرة : ق٣ ، م١ ، ص ١٣–١٤.
(٢١١) البيان المغرب : ١٧٥/٣ ؛ وقارن : الذخيرة : ق١ ، م٢ ص٧٣٢–٧٣٣.
(٢١٢) البيان المغرب : ١٨٤/٣ ؛ وقارن : الذخيرة : ق٣ ، م١ ، ص ١١٢ – ١١٣ .
(٢١٣) البيان المغرب : ٢٠٦/٣ ؛ وقارن : الذخيرة : ق٢ ، م١ ، ص ٢٨
(٢١٤) البيان المغرب : ٢١٤/٣ ؛ وقارن : الذخيرة ق٢ ، م١ ، ص ٣٨ – ٤٠ .
(٢١٥) البيان المغرب : ٢٤٥/٣ ؛ وقارن : الذخيرة : ق٣ ، م١ ، ص ١٣٨ .
(٢١٦) البيان المغرب : ٢٤٨/٣ ؛ وقارن : الذخيرة : ق٣ ، م١ ، ص ١٤٨ .
(٢١٧) البيان المغرب : ٢٥٢/٣ – ٢٥٣ ؛ وقارن : الذخيرة : ق٣ ، م٢ ، ص ٨٥٤ – ٨٥٧ .

الجدير بالذكر ان هناك نصوصاً قليلة ذكر فيها ابن عذاري اعتماده على ابن بسام ، لكنها غير مذكورة في الذخيرة المطبوعة حديثاً ، مثل النص الآتي : « قال ابن بسام : كان جعفر بن عثمان رجلا بلغ المنتهى وسوّغ بُرْهة من دهره ما اشتهى ، دون مجد تفرع من دوحته ، ولافخر نشأ بين مغداه وروحته . . . » (٢١٨) . فربما اطلع ابن عذاري على نسخة اخرى تختلف عن النسخ الموجودة في الوقت الحاضر .

٢ – كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس :

ابو نصر الفتح بن محمد بن عبدالله بن خاقان بن عبدالله القيسي الاشبيلي . وهو أديب فاضل ، وشاعر بليغ ، لكنه بذيء اللسان ، كثير الهجاء ، وقد توفي مقتولاً في مراكش سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م . وله بالاضافة الى هذا الكتاب كتاب آخر إسمه « قلائد العقيان في محاسن الاعيان » (٢١٩) . وقد اعتمد ابن عذاري على الفتح بن خاقان في ذكر بعض أخبار محمد بن أبي عامر المنصور ، وغزواته (٢٢٠) . وكذلك في اخبار اسرة بني عباد ، لاسيما نسبها وانتماؤها الى لخم والمناذرة (٢٢١) . ومن مقابلة النص الأخير مع كتاب « مطمح الانفس » يتبين أنه منقول فعلاً عن هذا الكتاب (٢٢٢) . أما النصان الخاصان بالمنصور ، فغير موجودين في النسخة الصغيرة المختصرة من « مطمح الانفس » التي بين ايدينا (٢٢٣) . ويرجع ذلك الى وجود ثلاث

(٢١٨) البيان المغرب : ٢/٢٥٥ .

(٢١٩) انظر : وفيات الاعيان : ٤/٢٣ – ٢٤ ؛ معجم الادباء : ١٦/١٨٦ – ١٩٢ ؛ المغرب في حلى المغرب : ١/٢٥٩ – ٢٦٠ ؛
Pons Boigues , Op. cit., pp. 201 - 204 .

(٢٢٠) البيان المغرب : ٢/٢٧٣ – ٢٧٤ ، ٢٧٩

(٢٢١) المصدر نفسه : ٣/٢٨٤ .

(٢٢٢) انظر : ابن خاقان ، مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس، ص ١١ .

(٢٢٣) طبعة القاهرة ، ١٣٢٥ هـ .

نسخ من هذا الكتاب ، وهي « كبرى ووسطى وصغرى » (٢٢٤) ، ولعل تفصيل الاحداث قد ورد في النسخ الكبرى والوسطى فقط .

ثانياً : ـ الكتب التأريخية المغربية :

١ ـ كتاب عيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر :

ان هذا المؤلف هو حفيد ابي المهاجر دينار ، الذي تولى افريقية بعد ولاية عقبة بن نافع الفهري الاولى سنة ٥٥ هـ ـ ٦٢ هـ / ٦٨١ م .

وقد ألف كتاباً في فتوح افريقية ، وهو في قول أبي العرب (٢٢٥) ، أحد تلاميذ ابي خارجة عنبسة بن خارجة ، وعبدالله بن وهب ، والأخير من المحدثين المصريين ، وهو يعد من مؤسسي أول مدرسة تاريخية مصرية ، ولهذا فإن روايات عيسى بن محمد ، كما يرى الدكتور سعد زغلول عبدالحميد (٢٢٦) ، لا تختلف كثيراً عن روايات أهل مصر . ولكن هذا المؤلف ، يذكر اعتماده على رواة آخرين ، كالواقدي (٢٢٧) ، وابن مهدي بن يزيد القيسي ، وزريق بن هلال الخشني٢٢٨) ، وعمر بن سَمك بن حميد ، وهو مولى موسى بن نصير ، وغيرهم من أشياخ عرب افريقية (٢٢٩) . كما اطلع ايضاً

(٢٢٤) انظر : ابن سعيد ، تذيل ابن سعيد على رسالة ابن حزم ، في نفح الطيب : باعتناء : محمد العنابي ، المكتبةالعتيقة ، تونس ، ١٩٦٦، مصورة عن طبعة باريس . ص (و) .

(٢٢٥) محمد بن احمد بن تميم القيرواني ، طبقات علماء افريقية ، تحقيق : علي الشابي ، ونعيم حسن اليافي ، تونس ، ١٩٦٨ ، ص ٢٠٦ .

(٢٢٦) فتوح المغرب والاندلس في رواية ابن عبدالحكم ، بحث ضمن كتاب : «دراسات عن ابن عبدالحكم» ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٧٩ ، وصفحات البحث (١٥٣ ـ ١٩٦) ؛ وانظر لنفس المؤلف ايضا : تاريخ المغرب العربي ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ : ٢٣/١ .

(٢٢٧) انظر : ابو العرب ، طبقات علماء افريقية ، ص ٦٥ ، ٦٨ .

(٢٢٨) المصدر نفسه ، ص ٧١ .

(٢٢٩) المصدر نفسه ، ص ٧١ ، ١٧٩ .

على كتاب اسمه « السوسي » وأخذ منه رواية عن خروج عبدالله بن سعد بن أبي سرح الى افريقية (٢٣٠) . ويبدو ان ابا العرب قد اعتمد كثيراً على الروايات التي ذكرها عيسى بن محمد في كتاب فتوح افريقية ، وأشار اليها في مواضع مختلفة من كتابه طبقات علماء افريقية (٢٣١) . كما ان ابا عبيد البكري يذكر ايضاً روايات اخرى منسوبة الى ابي المهاجر دينار ،وهو الجد الاعلى لعيسى بن محمد ، عن فتوح عقبة بن نافع في المغرب الأقصى (٢٣٢) . ولعل هذه الزوايات هي جزء من كتاب عيسى بن محمد المذكور اعلاه .

ولكن ابن عذاري لم يعتمد كتاب عيسى بن محمد هذا في روايته عن شمال افريقيا . أو على الأقل لم يذكره ضمن موارده هناك . وانما أشار اليه في روايته عن الاندلس دون تسمية عنوانه ، فقال في سياق سبب دخول طارق ابن زياد للأندلس ما نصه : « وذكر عيسى بن محمد من ولد أبي المهاجر ، في كتابه السبب في دخول طارق الاندلس . وهو ان طارقاً كان والياً لموسى على طنجة ، وكان يوماً جالساً ، اذ نظر الى مراكب قد طلعت في البحر ، فلما أرست ، خرجوا اليها فنزعوا أرجلها ، وأنزلوا أهلها . . . » (٢٣٣) ثم ينقل عنه نصاً آخر عن اللقاء بين طارق ولذريق ملك القوط ، ومقتل الأخير في وادي الطين . وانتصار المسلمين . ثم يختتم كلامه بقوله : « هاكذا ذكر عيسى في كتابه » (٢٣٤) . وهذه النصوص تشير الى ان كتاب عيسى بن محمد لم يقتصر على فتوح افريقية وانما شمل فتوح الاندلس ايضاً ، ويحتمل انه كان يتألف من قسمين . ولكن ابن عذاري لم يطلع الا على القسم الخاص

(٢٣٠) المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

(٢٣١) المصدر نفسه ، ص ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٦–٧٧ ، ٧٨ ، ١٧٩ .

(٢٣٢) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٧٣ – ٧٤ .

(٢٣٣) البيان المغرب : ٦/٢ .

(٢٣٤) المصدر نفسه : ٧/٢ .

بالأندلس . وربما كان هذا السبب في اغفال ذكره ضمن موارده عن شمال افريقيا .

٢ - كتاب تاريخ افريقية والمغرب لابراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني (ت ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) .

سبقت الاشارة الى هذا الكتاب في موارد ابن عذاري عن شمال افريقيا . وهو يعدّ من أوفى وأشمل ما كُتب عن افريقية والمغرب منذ الفتح الى أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . ويبدو أن الرقيق قد أشار في كتابه الى احداث معاصرة له وقعت في الأندلس ، لا سيما بعد وفاة الحاجب المنصور ، وابنه عبدالملك المظفر . وقد اطلع ابن عذاري على هذه الروايات ونقلها في البيان المغرب ، فأسدى بذلك خدمة كبيرة لتاريخ الأندلس ، لأهمية هذه الروايات ومعاصرتها للاحداث ، واعتمادها على شهود العيان . فيذكر عن الرقيق معلومات عن تصرفات عبدالرحمن بن أبي عامر ، المعروف بشنجول ، بعد استقلاله بالملك (٢٣٥) ، وطرفاً من حملته التي اراد أن يصل فيها الى جليقية (٢٣٦) . وينقل ابن عذاري روايات اخرى عن احداث وقعت في عهد عبدالرحمن بن أبي عامر ، ومحمد بن هشام بن عبدالجبار ، الذي خلع هشاماً الثاني ابن الحكم المستنصر ، وسليمان بن الحكم ، الى سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م (٢٣٧) .

ويشير ابن عذاري في بعض رواياته عن الرقيق الى اسم شخص يدعى عمر بن أحمد ، فيقول : « قال عمر بن أحمد في كتاب الرقيق » (٢٣٨) .

(٢٣٥) المصدر نفسه : ٤٧/٣ .
(٢٣٦) المصدر نفسه : ٤٩/٣ .
(٢٣٧) المصدر نفسه : ٦٧/٣ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١٦ - ١١٧ .
(٢٣٨) المصدر نفسه : ٧٢/٣ ، ٧٣ .

ويبدو أن عمر هذا كان أحد الرواة الذين اعتمدهم الرقيق في تدوين معلوماته عن الاندلس ، وكان على الاغلب من شهود العيان ، لان الرقيق يقول في موضع آخر ، كما ينقل ابن عذاري : « وفي كتاب الرقيق بن القاسم قال : اخبرني بعض الادباء قال اني اقائم عند باب الحديد اذ أُتي بشنجول معروضا على بغل عاري الجثة مصفر اليدين والرجلين بالحناء نقيا من الشعر . . . قال ومن اعجب مارأينا ماحكى لي من حضر هذه الحادثةمن الثقات قال ومن اعجب مارأيت من عبر الدنيا انه تم من نصف نهار يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة المؤرخ الى نصف نهار يوم الاربعاء تتمة الشهر وفي مثل ساعة فتح مدينة قرطبة وهدم مدينة الزهراء وخلع خليفة قديم الولاية وهو هشام بن الحكم ونصب خليفة لم يتقدم له عهد ولا وقع عليه اختيار وهو محمد ابن هشام بن عبدالجبار وزوال دولة آل عامر وكرور دولة بني أمية . . . » (٢٣٩) .

ولهذه المعلومات ، أهمية كبيرة ، لأن الرقيق يوثقها بشهود عيان عايشوا الاحداث المؤلمة ، التي وقعت في الاندلس في اعقاب تدهور الخلافة الأموية ، ونقلوها الى شمال افريقيا .

ولكن يبدو ان الرقيق قد ضمن كتابه ايضاً روايات اخرى عن احداث الاندلس المبكرة ، مثل ولاية عبدالعزيز بن موسى ، وزواجه من « ابنة رذريق » ، ومقتله على يد الجند . وقد أشار ابن عذاري الى هذه الروايات (٢٤٠) ، ونسبها الى الواقدي ، دون أن يذكر الرقيق . وبالرجوع الى القطعة المنشورة من كتاب الرقيق ، يتبين انها للأخير ، وأنه اعتمد فيها على الواقدي أيضاً (٢٤١) .

---

(٢٣٩) المصدر نفسه : ٣/٧٣ – ٧٤ .

(٢٤٠) المصدر نفسه : ٢/٢٤ .

(٢٤١) تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق : المنجي الكعبي ، تونس ، ١٩٦٨ ، ص ٩٤ – ٩٥ .

٣ - كتاب المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس ، لأبي مروان عبدالملك ابن موسى الوراق ، وهو من رجال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي . وقد سبقت الاشارة الى هذا الكتاب ومؤلفه في بحثنا عن موارد ابن عذاري عن شمال افريقيا . أما فيما يخص الأندلس ، فقد استفاد مؤلف البيان المغرب من هذا الكتاب ايضاً ، فنقل أربعة نصوص مختلفة عن عصر الطوائف ، منهـا نص عن توجيه علي بن مجاهد العامري لمركب مملوء بالطعام ، بسبب المجاعة التي حلت بها عام ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م (٢٤٢) ؛ ونص عن اعلان المعتضد عبـاد موت هشام للمرة الثـالثة سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م (٢٤٣) ، وآخر عن دولة بني جهور في قرطبة (٢٤٤) ، أما النص الرابع ، فهو عن بني يرنيان أصحاب شذونة ، وأركش ، وهزيمتهم على يد المعتضد سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م (٢٤٥) . ولا يجمع هذه النصوص سوى الفترة الزمنية ، فأحداثها جميعاً تقع في حدود منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، من سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م الى سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م .

٤ - كتاب القبس أو المقتبس في اخبار المغرب وفاس والأندلس :

إستفاد ابن عذاري ايضاً من هذا الكتاب ، الذي ذكرناه في موارده عن شمال افريقيا . فقد نقل عن مؤلفه الشيخ ابي عبدالله محمد بن حمادة ، وهو من المؤرخين المغاربة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، بعض احداث عصر الطوائف ، لاسيما فترة استيلاء سليمان المستعين بالله على قرطبة سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م ، ودخوله مع البربر الى هذه المدينة ، وتقسيمه بعض بلاد الأندلس على قبائل البربر ، من أمثال صنهاجة ، ومغراوة ، وبني برزال ،

(٢٤٢) البيان المغرب : ٢٢٨/٣ .
(٢٤٣) المصدر نفسه : ٢٤٩/٣ .
(٢٤٤) المصدر نفسه : ٢٥٨/٣ .
(٢٤٥) المصدر نفسه : ٢٧٢/٣ .

وبني يفرن ، وبني دمر ، وأزداجة (٢٤٦) . وكذلك عن هرب العبيد العامريين الى شرقي الأندلس ، نتيجة لاستيلاء البربر على قرطبة (٢٤٧) . وتدل هذه النصوص على اهتمامات ابن حمادة بأخبار البربر في الأندلس .

٥ - كتاب نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان :

لقد فصلنا البحث عن هذا الكتاب ومؤلفه ابي علي حسين بن القطان الكتامي في البحث عن موارد ابن عذاري عن شمال افريقيا ، وأشرنا الى أن الكتاب يتألف من سبعة أجزاء تبدأ بأخبار القرن الأول الهجري / السادس الميلادي ، والفتح العربي للمغرب ، وتنتهي بالقرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، أي الى عصر المؤلف . واما عن الأندلس ، فان النصوص التي اعتمد عليها ابن عذاري من هذا الكتاب ، ترجع الى الجزءين الأول والثاني منه ، أي اخبار الفتح ،وعصر الولاة ، والى الجزء الخامس عن عصر الطوائف ، بعد سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م .

وان نصوص ابن القطان الخاصة بالفتح تقدم اكثر من رأي عن الوقائع التي تتحدث عنها . وان ابن القطان يبدى رأيه أحياناً في ترجيح بعض هذه الآراء ، كما في النصين الآتيين ، عن مكان استقرار طارق بن زياد في المغرب قبل فتح الأندلس ، وأسباب عبور موسى بن نصير الى الأندلس :

« قال ابن القطان : فالأكثرون يقولون : كان مستقره بطنجة ، ومنهم من يقول بسجلماسة ، وان سلا وما وراءها من فاس وطنجة وسبتة كانت للنصارى ؛ وكانت طنجة ليليان منهم ؛ فكان طارق اذن نائباً عن موسى بن نصير . واختلفوا ايضاً هنا هل انما سار الى الاندلس عن أمر موسى ، أو سار اليها لأمر دهمه ، لم يمكنه الا انفاذه . والقول الأول هو المشهور ، المتفق عليه » (٢٤٨) .

(٢٤٦) المصدر نفسه : ١١٣/٣ .
(٢٤٧) المصدر نفسه : ١١٥/٣ .
(٢٤٨) المصدر نفسه : ٥/٢ .

« وقال ابن القطان : قيل انما حمله [أي موسى بن نصير] على الجواز للأندلس تعدي طارق ماأمره به ألاّ يتعدى قرطبة ، على قول ، أو موضع هزيمة لذريق ، على قول . وقيل أيضاً : انما حمله على ذلك الحسد لطارق على ما أصاب من الفتوح والغنائم . وقيل ايضاً : انما جاز باستدعاء طارق إياه ؛ فكان جوازه في رمضان ، كما تقدم » (٢٤٩) .

وينقل ابن عذاري بعض النصوص عن عصر الولاة ، لاسيما عن عقبة بن الحجاج السلولي ، واستخلافه لعبدالملك بن قطن بعد وفاته . ومن الجدير بالذكر ان ابن عذاري لا يشير الى موارده عند كلامه عن ولاة الأندلس من أيوب اللخمي الى عقبة بن الحجاج ، وربما كان يأخذ من ابن القطان ، لأنه يروي عنه ايضاً أخباره عن ولاية عبدالملك بن قطن الثانية ، يقول ابن عذاري : « وفي سنة ١٢٢ [٧٣٩ م] ولى عبدالملك بن قطن ثانية ، حتى كان من أمر البربر وبلج بن بشر ابن أخي كلثوم بن عياض عامل افريقية ماأذكره .
قال ابن القطان : وذلك ان هشام بن عبدالملك كان قد ندب كلثوما لقتال البربر ، وولاه افريقية ، وبعث معه ثلاثين الف فارس . . . » (٢٥٠) ثم يستمر في رواية الخبر الى دخول بلج الأندلس وهزيمته للبربر فيها . ثم ينقل نصاً آخر عن تولي ثعلبة بن سلامة العاملي سنة ١٢٤ هـ / ٧٤١ م . ويورد رأي ابن القطان في سيرته وعهده ، فيقول : « . . . وثار من بقي من البربر في أيامه ؛ فغزاهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر منهم نحو الألف ؛ وانصرف الى قرطبة . فسار بأحسن سيرة . وكانت ولايته عشرة أشهر . هذا مساق ابن القطان » . ويبدو ان ابن عذاري لايقتنع برواية ابن القطان هذه عن سيرة ثعلبة الحسنة ، فيحاول عرض وجهة نظر أخرى بقوله مباشرة : « ومن درر القلائد :

---

(٢٤٩) المصدر نفسه : ١٣/٢ .
(٢٥٠) المصدر نفسه : ٣٠/٢ .

كان يبيع ذراري اهل البلد ، ويحملهم أسرى ، ويرهقهم من أمرهم عُسراً . فكان ثعلبة معهم على هذه الحال الى ان ورد أبو الخطار » (٢٥١) .

أما النصوص الخاصة بعصر الطوائف ، فهي تتناول الموضوعات الآتية :

* خلع القاسم بن حمود بقرطبة سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م (٢٥٢) .
* دولة عبدالرحمن بن هشام الملقب بالمستظهر بالله (٢٥٣) .
* استخلاف محمد بن عبدالرحمن المستكفي بالله وفراره ووفاته (٢٥٤) .
* دولة بني عباد وهشام المشبه (٢٥٥) .
* أخبار بني حمود (٢٥٦) .
* اعلان وفاة هشام الثاني سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ (٢٥٧) .
* مقتل ابراهيم بن الشعار مدبر امور الدولة الجهورية سنة ٤٥٥ هـ/ ١٠٦٣ م (٢٥٨) .
* تقويم سياسة المعتضد بالله عباد بن محمد ، وسطوته واهتمامه بالأدب (٢٥٩).

ويلاحظ استقرار الرواية في هذه النصوص ؛ أي أنها تخلو من الاختلافات ، أو الآراء المتباينة التي لاحظناها في النصوص الخاصة بالفتح ، فلا يستخدم فيها ابن القطان تعابير ، مثل « قيل » أو « الاكثرون » ، وغيرها من الألفاظ التي قد توحي بعدم التأكد ، ويجوز أن بُعد الفترة الزمنية ، واحداث الفتح المتضاربة هي التي دفعت ابن القطان الى هذا الاسلوب

---

(٢٥١) المصدر نفسه : ٢/٣٣ .
(٢٥٢) المصدر نفسه : ٣/١٣٤ .
(٢٥٣) المصدر نفسه : ٣/١٣٦ .
(٢٥٤) المصدر نفسه : ٣/١٤١ ـ ١٤٢ .
(٢٥٥) المصدر نفسه : ٣/١٩٩ ـ ٢٠٠ .
(٢٥٦) المصدر نفسه : ٣/٢١٧ .
(٢٥٧) المصدر نفسه : ٣/٢٤٩ .
(٢٥٨) المصدر نفسه : ٣/٢٥١ .
(٢٥٩) المصدر نفسه : ٣/٢٨٤ .

أما بالنسبة لعصر الطوائف ، فهو قريب نسبياً من عصر المؤلف ، ويبدو ان أحداثه كانت معروفة ، وثابتة ، لهذا جاءت روايته لها أكثر تماسكاً من روايته عن الفترات المبكرة . وقد احتفظ لنا ابن عذاري في هذه النصوص باسلوب ابن القطان ، وتقويمه للشخصيات التي يتحدث عنها . وهذا ظاهر في النصوص الخاصة بعبدالرحمن بن هشام المستظهر بالله ، ومحمد بن عبدالله المستكفي بالله ، والمعتضد بالله عباد بن محمد بن عباد صاحب اشبيلية .

ثالثاً : ـ الكتب التاريخية المشرقية :

١ ـ تاريخ الرسل والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢ م) .

كما هو الحال بالنسبة الى شمال افريقيا ، فان ابن عذاري يعتمد اعتماداً قليلاً على الطبري في روايته عن الأندلس . فينقل عنه بعض النصوص التي تتعلق بالفتح ، وأول من دخل الأندلس من المسلمين (٢٦٠) ، والعلاقة بين موسى وطارق ومكان التقائهما في الاندلس (٢٦١) . كما ينقل نصاً آخر عن عصر الولاة ، يتعلق بولاية عنبسة بن سحيم الكلبي (٢٦٢) . وبصورة عامة ، لا تختلف نصوص ابن عذاري عن اصولها عند الطبري الا اختلافات يسيرة في الألفاظ ، ولكنها جاءت مختصرة في كثير من الاحيان باسلوب ابن عذاري ، بينما نجدها مفصلة عند الطبري .

٢ ـ « عجائب البلاد والزمن » لابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .

---

(٢٦٠) المصدر نفسه : ٤/٢ ؛ وقارن : محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، نشر : دي غويه ، ليدن ، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١ : ٢٨١٧/١ ، ١٢١٧/٢ .

(٢٦١) البيان المغرب : ١٦/٢ ؛ وقارن : تاريخ الرسل والملوك : ١٢٥٣/٢ ـ ١٢٥٤ .

أشار ابن عذاري الى هذا الكتاب ، ونقل منه النص الآتي :

« وقال المسعودي في كتابه المسمى بـ (عجائب البلاد والزمن) قال : لما فتح طارق طليطلة ، وجد بها بيت الملوك ؛ ففتحه . فوجد فيه زبور داود – عَمَ – في ورقات ذهب مكتوبا بماء ياقوت محلول ، ومن عجيب العمل ، الذي لم يكد ير مثله ، ومائدة سليمان – عَمَ – وقد تقدم وصفها . ووجد فيه أربعة وعشرين تاجاً منظومة بعدد ملوك القوطيين بالأندلس . . . » (٢٦٣) .

وليس من هدف البحث هنا مناقشة هذه الرواية ، التي هي في الحقيقة احدى الأساطير التي اكتنفت موضوع فتح الأندلس . ولكن الذي يهمنا هو اسم الكتاب الذي ينسبه ابن عذاري الى المسعودي ، فهو يثير الشك والاستغراب ، لانه لم يرد بهذه الصيغة عند المسعودي نفسه ، أو عند غيره من المؤلفين الآخرين. فالمسعودي يشير في كتابه « مروج الذهب » الى كتاب له باسم « اخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال والممالك الدائرة » ، ويقول إنه فصّل في الحديث في اخبار الأحداث في ايام الوليد بن عبدالملك ، وما جرى فيها من كوائن وحروب في كتابيه « اخبار الزمان » و « الأوسط » (٢٦٤) . وقد أشار حاجي خليفة (٢٦٥) ، الى كتاب للمسعودي باسم « اخبار الزمان » . كما نُشر كتاب بهذا العنوان نُسب للمسعودي (٢٦٦) . ولكن هذا الكتاب المطبوع ، لايمكن ان يكون هو كتاب « اخبار الزمان »

---

(٢٦٢) البيان المغرب : ٢٧/٢ ؛ وقارن : تاريخ الرسل والملوك : ١٤٣٥/٢ .

(٢٦٣) البيان المغرب : ٤٥/١ .

(٢٦٤) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي‌الدين عبدالحميد ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ١٨٢/٣ .

(٢٦٥) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون : ٣٠٣/١ .

(٢٦٦) طبع في القاهرة سنة ١٩٣٨ ، وكان عنوانه الكامل « أخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران » ، وانظر ايضا : الطبعة الثالثة ، بتقديم عبدالله الصاوي ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٧٨ .

للمسعودي ، الذي أشار اليه في « مروج الذهب » ، لاسباب كثيرة ، منها ان محتويات الكتاب الأصلي تتألف من ثلاثين فناً ، أما المطبوع ، فهو كتاب صغير لاتتجاوز عدد صفحاته ٢٥٢ صفحة ، وليس فيه ماذكره المسعودي من عناوين وبحوث (٢٦٧) .

ولهذا كله يبدو من الصعب تصديق نسبة هذا الكتاب المطبوع للمسعودي ، وكذلك لايمكن الجزم في هل ان الكتاب الذي أشار اليه ابن عذاري باسم « عجائب البلاد والزمن » هو نفسه كتاب « اخبار الزمان » ام لا ، لعدم توفر كل من الكتابين في الوقت الحاضر . ولكن انفراد ابن عذاري بذكر هذا العنوان، ومخالفته لمن أشار اليه باسم « اخبار الزمان» ، لاسيما المؤلف المسعودي، يجعلنا نميل الى ترجيح ان الكتاب الذي اعتمد عليه ابن عذاري ، هو كتاب « اخبار الزمان» وان عنوانه قد حُوِّر الى « عجائب البلاد والزمن » من قبل النساخ ، أو ابن عذاري نفسه .

رابعاً : ـ كتب العجم :

يشير ابن عذاري الى اطلاعه على بعض كتب العجم فيما يخص أخبار آخر ملوك القوط ، فيقول :

« . . . ووجدت في بعض كتب أن آخر ملوك الاندلس كان يسمى رخْشَنْدَش ، ولم يكن في النصرانية أحكم منه ولا أحسن إصابة لسنتهم ؛ وعلى سنته أمضت النصرانية احكامها. . . وقالوا ان لذريق الذي دخلت عليه العرب والبربر ، وثب على رخشندش هذا وقتله . وغلب على ملك الأندلس ، ودانت له طليطلة وغيرها .

وفي كتب العجم : ان لذريق هذا لم يكن من بيت المملكة وانما كان زنيماً ؛ وكان من عمال الملك في قرطبة : وقتل وخشندش بعدما خالف عليه .

(٢٦٧) انظر : جواد علي ، موارد تاريخ المسعودي ، مجلة سومر ، مجلد ٢٠ ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ص ٧ ـ ٩ .

فغير الحكم ، وأفسد سنن الملك . . . » (٢٦٨) .

ويتبين من تحليل هذه النصوص ، ان ابن عذاري قد خلط بين اسم غيطشة ، الذي هو آخر ملوك القوط ، قبل لذريق ، وبين أخيه رخشندش ، الذي كان وصياً على وقلة ابن غيطشة . وكان لذريق قد قتل بالفعل رخشندش ، أما غيطشة ، فقد توفي في حدود سنة ٧١٠ م (٢٦٩) . وبعد تسلط لذريق على العرش ، حاول وقلة ان يسترده بمساعدة عمه رخشندش . فأعد جيشاً بقيادته . ولكن لذريق تمكن من الانتصار عليه ، وقتل رخشندش . وهذه هي الحادثة التي يشير ابن عذاري الى اطلاعه على كتب العجم بشأنها . وربما كانت هذه الكتب التي يعنيها ، هي ترجمة ضائعة لبعض الحوليات اللاتينية ، مثل حولية ازيدور الباجي Isidoro Pacense ، أو كما تسمى ايضاً The Chronicle of 754 ، وهي تغطي الفترة الزمنية الواقعة بين سنتي ٦١١ – ٧٥٤ م . أو حولية الفونسو الثالث The Chronicle of Alfonso III التي تهتم بدراسة تاريخ اسبانيا منذ حكم الملك وامبا Wamba القوطي (٦٧٢ – ٦٨٠ م) الى حكم الفونسو الثالث (٨٦٦ – ٩١١ م) .



(٢٦٨) البيان المغرب : ٢/٢ – ٣ .

(٢٦٩) انظر : ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٢ ؛ La Crónica Rotense or The Chronicle of Alfonso III , ed : Manuel Gómez - Moreno , Boletin de la Real Academia de la Historia , 100 , Madrid , 1932 , p. 611 .

التقــرير الســنوي
عن اعمال المجمع خلال السنة المجمعية ـ ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦
المقــدم مــن رئيس المجمــع

بحمد الله تعالى ومنّه اختتم مجلس المجمع في هــذه الجلسة الســنة المجمعية الحالية بعد أن عقد ثماني عشرة جلسة بحث فيها عدداً من القضايا وناقش عدداً من لأبحاث ، كما قامت هيئآته ولجانه بأعمالها لتحقيق أغراضه وأهدافــه .

ديوان الرئاسة :

عقد ديوان الرئاسة احدى عشرة جلسة بحث فيها عدداً من الموضوعات المتصلة بزيادة الكفاءة في عمــل المجمــع ؛ فبحث في الجلســة المنعقــدة في ١٩٨٥/٩/٢٤ خطة عامة لتنظيم أعمال المجمع بما يحقق أهدافه وأغراضــه وينسق مع المؤسسات المماثلة التي تشارك في تحقيق جوانب من أغراضه مع الأخذ بنظر الاعتبار جهود المجمع في السنوات السابقة والامكانيات المتوفرة ، والتطورات التقنية والعلمية .

وبحث في الجلسة المنعقدة في ١٩٨٦/٣/١٦ برنامج العمل للمجمع ولجانه وهيئآتــه .

وأصدر في جلساته عدداً من القرارات فيها اقرار اعضاء اللجان وخبرائها ، ومجموعات العمل ، والمكافآت ، وحكم غياب الأعضاء ؛ وتابع تنفيذ الصرف وفق الميزانية المقررة ، وأجرى في أبواب الميزانية مناقلات تطلبتها بعض الاحوال الطارئة . وأقر ايضاً عدداً من التوصيات التي قدمتها كل من الهيئتين الكردية والسريانية ومقدار المكافآت لمؤلفي مطبوعاتهم .

مجلس المجمع :

فقد المجمع العضو العامل الاستاذ موسى عبدالصمد الذي توفاه الله اثر نوبة قلبية مفاجئة ، فخسر المجمع بوفاته عضواً حريصاً مثابراً ومثالاً للخلق الفاضل •

وصدر مرسوم جمهوري بتعيين كل من الدكتور أحمد مطلوب والدكتور بشار عواد عضوين في المجمع ، ورحب رئيس المجمع بهما وتمنى لهما التوفيق في عملهما بالمجمع ومشاركتهما في تحقيق أغراضه •

واعيرت خدمات الدكتور عبدالعزيز البسام الى الكويت ، والدكتور علي عطية الى منظمة التربية لدول الخليج العربي ؛ وقضى الدكتور عبدالعال الصكبان هذه السنة بأعمال مختصة ؛ وبذلك أصبح عدد أعضاء المجمع الذين يعملون خارج القطر سبعة أعضاء •

تابع المجلس اجتماعاته في أيام الثلاثاء كل اسبوعين ، وعقد ثماني عشرة جلسة ناقش في جلسته الاولى بتاريخ ١٩٨٥/١٠/٨ الخطة المرحلية في ضوء متطلبات القانون والامكانيات المتوافرة في الاحوال القائمة وماتقوم به المؤسسات التي من عملها تحقيق بعض مايتصل باغراض المجمع ، وشملت المناقشة البرمجة ، والدراسات والابحاث ، واعمال الترجمة والنشر ، وانماء المكتبة وتنظيمها •

وناقش المجلس في جلستيه الحادية عشرة في ١٩٨٦/٣/٤ والثانية عشرة في ١٩٨٦/٣/١٨ تنظيم العمل في مجلس المجمع ، وجرى تأكيد أهمية البرمجة والعمل على توسيع الانتاج وانمائه ، واوصى بان يسند الى ديوان الرئاسة تحديد الموضوعات التي يبحثها المجلس ، وأوصى بعقد ندوات تبحث موضوعات تتصل بعمل المجمع وأهدافه ومنها المصطلحات والقضايا النابعة من تثبيت التعريب ؛ كما أوصى بمتابعة تنمية المكتبة وتنظيمها •

وبحث في الجلسة الخامسة عشرة في ١٩٨٦/٥/٢٦ شؤون مجلة المجمع العلمي وتنظيمها لتعبر عن نشاط المجمع الفكري •

وخصص سبعاً من جلساته لدراسات تحدث فيها عدد من اعضاء المجمع في موضوعات تتصل باهتماماتهم وبما ينسجم مع أغراض المجمع وأهدافه الثقافية ، فتحدث الدكتور عبد العزيز البسام في الجلسة الخامسة في ١٩٨٥/١٢/٣ عن تأسيس اليونسكو وتطورها ومهماتها ومنجزاتها ومشاريعها ؛ وتحدث الدكتور نوري حمودي في الجلسة السادسة في ١٩٨٥/١٢/١٧ في موضوع « السير الشعبية بين طموح الجمهور واستلهام التاريخ » ، وألقى الدكتور جميل الملائكة في الجلسة السابعة في ١٩٨٦/١/٧ بحثاً عن الكتاب العلمي واعداده ، وتحدث رئيس المجمع في الجلسة الثامنة في ١٩٨٦/١/٢١ عن متطلبات البحث العلمي ، والقى الدكتور جلال محمد صالح في الجلسة العاشرة في ١٩٨٦/٢/١٨ بحثاً عن مستلزمات البحث العلمي في العلوم الطبيعية وأهمية المكتبات وخصائص المجلات العلمية ، وتحدث الدكتور احمد عبدالستار في الجلسة الثالثة عشرة في ١٩٨٦/٤/٨ عن علاقة اللغة بالبحث العلمي ، وتحدث الاستاذ محمد بهجة الأثري في الجلسة الرابعة عشرة في ١٩٨٦/٤/٢٢ عن السلام واخراجه من حيز الخيال الى الحقيقة كما أخرجت الانسانية الطيران من الخيال الى حيز الحقيقة ونحوه مما كان يعد مستحيلاً ، وقدم عرضاً عن محاولة الانسان العربي للطيران في الأندلس وفي آسيا الى أن تناوله الغربيون في المائة التاسعة عشرة الميلادية ، ومراحل تطوره رويداً رويداً الى أن بلغ حالته الحاضرة من التقدم العظيم •

وكان يتلو كل بحث مناقشة يشارك فيها عدد من الاعضاء •

اعمال اللجان :

تابعت اللجان أعمالها في اجتماعات أسبوعية ، يشارك الأعضاء والخبراء في كل لجنة دراسة وبحث ما يدخل في نطاق اختصاصها مما هو مقرر في الخطة

العامة للمجمع ، فدرست لجنة اللغة العربية الألفاظ العامية المجفوة وردّها الى اصولها العربية الصحيحة ، وبلغت المواد التي انجزتها من ذلك نحو تسع وثلاثين وثلاثمائة مادة ، واجابت عن عدد من الاستفسارات التي احالتها رئاسة المجمع في شأن تسمية المحال التجارية والعلامات التجارية وغيرها تطبيقاً لقانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية •

ودرست لجنة الاصول بيان الصحيح في عدد من التعابير واستعمالات بعض الحروف ، وبعض تراكيب الجمل •

ودرست لجنة التاريخ والحضارة كتب السيرة والالفاظ السياسية والادارية واصولها القرآنية وتطور معانيها واستعمالاتها ؛ كما درست احوال الاعمار الزراعي في العراق وتطوره من خلال التعابير المستعملة فيه •

وبحثت لجنة التراث العلمي العربي في عدد من الموضوعات منها :

١ ـ الحركة الفكرية وعوامل ازدهارها وضمورها وتطور مراكزها ، والسمات العالمية للمؤلفات العلمية العربية وآثارها في نشر الفكر الاسلامي ، وحركة الترجمة ابان عصور الازدهار الاسلامية •

٢ ـ تطور دراسة تاريخ العلوم والمؤلفات الحديثة فيه ، ومعرقلات نشر الكتب العلمية وسبل التغلب عليها •

٣ ـ الجراحة عند العرب ومكانتها في المؤلفات الطبية ومصادر دراستها ، واهمية كتب الفقه وكتب التنظيم العسكري في دراسة الجراحة •

٤ ـ الطب الجغرافي ودراسة المناخ والاهوية وآثارها ، وتقييم ما ورد عنها في كتب الطب •

٥ ـ كتب الادوية المفردة واصولها والمعلومات التي فيها عن الاطعمة والاغذية ومستوى المعيشة .

٦ ـ مصادر دراسة الفلاحة والمنتوجات الزراعية بما في ذلك كتب الفلاحة والأدوية المفردة ، وكتب فضائل البلدان ، وكتب الخراج والجباية والمالية .

وتابعت لجان العلوم عملها في تعريب المصطلحات العلمية ، ودراسة ما يتصل بذلك من قضايا : فأنجزت لجنة الرياضيات ٩٠٠ مصطلح ، وأعدت ٢٠٠٠ مصطلح لاكمال دراستها .

وأتمت لجنة الفيزياء اكثر من ١٥٠٠ مصطلح في الفيزياء العامة ، وأعدت ٥٠٠٠ مصطلح للدراسة ، وناقشت المشروع المحال من مجمع اللغة العربية الاردني فيما يتعلق بالفيزياء وفي الثوابت والمختصرات والرموز .

واكملت لجنة الكيمياء ١٠٠٠ مصطلح في الكيمياء التحليلية ، وأعدت جداول بالاسماء المعربة لالفي مصطلح ، وشرعت باعداد بعض القواعد لتسمية المركبات غير العضوية العالية وكتابتها .

وعرّبت لجنة الهندسة ٥٧٠ مصطلحاً في الهندسة المدنية ، وبلغ المجموع الكلي لما أتمت تعريبه ٤١٢٠ مصطلحاً .

وأنجزت لجنة الزراعة تعريب ١٢٠٠ مصطلح في علم البستنة و ٢٧٠ مصطلحاً في المحاصيل الحقلية .

وعرّبت لجنة علم النفس والطب النفسي زهاء الف مصطلح في ميدان اختصاصها .

وأتمت لجنة القانون والشريعة اعداد ٢٠٣ مصطلحاً قانونياً ، ولجنة الاقتصاد ٢٢٤ مصطلحاً في الموضوع .

وأتمت لجنة علوم الحيـاة زهاء الف مصطلح •

وقامت مجموعة العمل بتدقيق المصطلحات التي أعدتها اللجان وأخذت بالملاحظات التي دوّنهـا اعضاء المجمع ، وأتمت خلال هـذه السنة تدقيق مصطلحات في الهندسة المدنية ، والبستنة ، والكيمياء الفيزيائية ، والكيمياء التحليلية ، وعلوم الاحياء •

وبذلك اصبحت هذه المصطلحات معدة للنشر بعد اقرار مجلس المجمع •

اعمال هيئة اللغة الكردية ولجانهـا

تابعت هيئة اللغـة الكردية النظر في شؤون اعمال الهيئة ضمن نطـاق اختصاصها وصدر باشرافها جـزء من المجلة خاص باللغة الكردية وادابهـا وما يتصل بها •

وتابعت لجان الهيئة اعمالها في دراسة ما يضمن تحقيق اغراضها العلمية •

فدرست لجنة المصطلحات مصطلحات العلوم والاداب في عدة موضوعات معتمدة على الكتب الدراسـية المستعملة في المراحل الابتدائية والمتوسـطة والثانوية ، واقترحت تصويبات وتعديلات عليها ، واعدت زهاء ٥٠٠ مصطلح في ميادين الحياة الزراعية •

ودرست لجنة قواعد اللغة المصطلحات الكردية في النحو ، والصرف ، والجملة ، وشـبه الجملة وانواعها ، والمبتدأ والخبر ، والفاعـل والمفعول وأدواتهما ، ولواحقها، وشبه الجملة ، وحروف الجر ، واللواحق ، والاداة •

وجمعت لجنة التراث العلمي مجموعة من الامثال الكردية يبلغ عددها ٨٥٠ مثلا شعبياً •

وجمعت عددا من المفردات المنتقاة من الاستعمالات الشعبية الكردية ، تصلح أن تكون مادة لقاموس للغة الكردية •

تابعت هيئة اللغة السريانية النظر في شؤون الهيئة وأعمالها العلمية ، وأشرفت على طبع جزء من المجلة خاص باللغة السريانية وآدابها •

ودرست لجنة اللغة والتراث في الهيئة السريانية مائتي مصطلح في الطب والفلك مما ورد في موسوعة يعقوب الرهاوى ، ودرست عدداً من المفردات السريانية القديمة مع مقارنتها بنظيراتها من اللهجات الدارجة حالياً •

ووضعت لجنة المعجم خطة لجـرد المخطوطات السريانية واعداد فهرس مستوعب لها ؛ وأنجزت حرف الالف من المعجم السرياني ، وقد بلغ حجمه زهاء ٢٠٠ صفحة معدة للطبع ؛ وتابعت عملها في معجم الأدب السرياني •

لجنة التاليف والترجمة والنشر:

وعقدت لجنة التأليف والترجمة والنشر عدة اجتماعات نظرت فيها في الطلبات التي قدمت الى المجمع بطبع الكتب ، وقررت طبع الكتب الآتية :

١ ـ معجم المصطلحات البلاغية (الجزء الثاني) للدكتور احمد مطلوب •
٢ ـ معجم النبات (الجزء الأول) للاستاذ محمد حسن آل ياسين •
٣ ـ مصادر النباتات الطبية عند العرب ، للاستاذ كوركيس عواد •
٤ ـ خطط البصرة ومنطقتها ، للدكتور صالح احمد العلي •
٥ ـ بغداد في الشعر العربي ، للاستاذ جمال الدين الالوسي •
٦ ـ تأسيس بغداد وخططها ، لشتريك ، ترجمة الدكتور خالد اسماعيل علي •
٧ ـ الوشي المرقوم في حل المنظوم لابن الاثير ، تحقيق الدكتور جميل سعيد

وقد تم نشر الكتب الاربعة الاولى ، ويجري العمل لاكمال نشر كل من الكتاب الخامس والسادس والسابع خلال الشهرين القادمين •

واحيل الكتابان الآتيان الى خبراء تمهيداً لاصدار قرار بحق طبعهما .

١ ــ روضة المحاسن للسرقسطي ، تحقيق الدكتور منجد مصطفى بهجة .

٢ ــ فنون الافنان في عجائب علوم القرآن ، لابن الجوزي ، تحقيق الدكتور رشيد العبيدى .

وقد أتم المجمع نشر كتاب « معجم المؤلفين » للصوباوى ، تحقيق الدكتور يوسف حبي من هيئة اللغة السريانية .

مجلة المجمع :

ان المجلة هي الاداة الرئيسة للتعبير عن مشاركة اعضاء المجمع في انماء الفكر والثقافة ، وقد صدر منها خلال السنة خمسة اجزاء ، كما صدر عن كل من الهيئة الكردية والهيئة السريانية جزء خاص بها .

وأولى مجلس المجمع المجلة اهتماماً خاصاً ، وابديت ملاحظات على أحوالها في الجلسات المخصصة لبحث الخطة العامة للمجمع ، وخصص الجلسة السادسة عشرة المنعقدة في ٢٠/٥/١٩٨٦ لبحث وضعها والعمل على توجيهها بما يعبِّر عن المستوى العلمي المنشود ويحافظ على السمة المميزة للمجمع ، وقرر تأليف هيئة اشراف على تحرير المجلة مكونة من رئيس المجمع ، والأمين العام والدكتور جميل الملائكة ، والدكتور احمد عبد الستار ، والدكتور احمد مطلوب ، والاستاذ محمد بهجة الاثرى ، والاستاذ محمود شيت خطاب ، كما قرر ان تزيد المجلة من نشر ما يتعلق باعمال المجمع ونشاطه العلمي ، ومن نشر المخطوطات القصيرة ، ونقد الكتب .

وقرر ان تبقى الاجزاء الخاصة بكل من الهيئتين الكردية والسريانية ضمن نطاق مسؤولية اللجان الخاصة بها في كل من الهيئتين .

صلات المجمع بالمؤسسات :

تابع المجمع توثيق صلاته بالمؤسسات التي تعمل بما يتصل بأهداف المجمع والأغراض التي يعمل على تحقيقها في داخل القطر وخارجه • وشارك في هذا التوثيق معظم أعضاء المجمع الذين يشغلون وظائف في الجامعة وفي مؤسسات الدولة التي تعنى بانماء الثقافة ونشر التعريب وتثبيته ، وهم بحكم عملهم الوظيفي يعملون على نشر ما يتوصل اليه المجمع من افكار واعمال علمية ، ويشاركون في كثير من اللجان الوقتية او الدائمة التي تقوم بدراسات او تقديم مقترحات للعمل على تطبيق كثير مما يتصل بأغراض المجمع ، واخراجها الى حيز العمل •

ويضطلع من اعضاء المجمع الدكتور سعدون حمادى برئاسة هيئة الحفاظ على سلامة اللغة العربية ، والدكتور احمد مطلوب بالامانة العامة للهيئة المذكورة التي تتفق أغراضها مع بعض ما يعمل المجمع على تحقيقه سواء في تعريب المصطلحات ، أو ردّ العامي الى الفصيح ، أو الحكم على سلامة التعابير في العلامات التجارية •

ويشارك الدكتور صالح أحمد العلي والدكتور أحمد مطلوب في عضوية هيئة كتابة التاريخ التي تقوم في هذه السنة باعداد دراسات عن مشاركه العراق في مسيرة الحضارة ، والمدن والحياة المدنية وتطورها في العراق ، وكذلك دراسات عن الجيش والحياة العسكرية ، وعن تصدى العراق للتحديات على امتداد التاريخ •

وشارك الدكتور صالح أحمد العلي والدكتور أحمد عبد الستار في الاجتماع السنوى للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية في عمّان ، وكل منهما عضو في المجمع المذكور ، وقدم الدكتور صالح أحمد العلي بحثاً في ملكية الأراضي في زمن الرسول (ص) ودراسة عن الخراج وتنظيمه في العراق في العهود الاسلامية الاولى : كما شاركا في المناقشات التي دارت في الاجتماع

المذكور حول نظم التربية الاسلامية والاقتصاد الاسلامي ، كما شارك في الاجتماع الاستشارى لدراسة العلاقات العربية التركية المنعقد في استامبول .

وشارك الدكتور صالح أحمد العلي ، والدكتور جميل سعيد في هيئة التحكيم لاختيار مرشحين لجائزة الملك فيصل العالمية ، والدكتور احمد مطلوب في هيئة التحكيم لاختيار مرشحين لجوائز تقديرية تمنحها حكومة الكويت .

وشارك الدكتور صالح أحمد العلي والدكتور علي المياح في ندوة الفكر العسكرى التي نظمها مركز البحوث والدراسات ؛ والقى فيها الدكتور العلي بحثاً عن القضاء على حركة الزنج ، وألقى الدكتور المياح بحثاً عن توجيهات الخلفاء للحركات العسكريـة .

ويشارك الدكتور نورى حمودى والاستاذ كوركيس عواد في هيئة تحرير مجلة المورد .

ويقوم الدكتور بشار عواد بالامانة العامة للجنة متابعة اعمال المؤتمر الشعبي الاسلامي الذى يعمل على الاتصال بالمؤسسات والافراد المعنيين بالثقافة الاسلامية السليمة ويعنى بنشر الكتب التي توضح هذه الثقافة ، اضافة الى عضويته في هيئة تحرير مجلة الرسالة الاسلامية التي تصدرهـا وزارة الاوقاف والشؤون الدينية .

ومنح الاستاذ محمد بهجة الاثرى جائزة الملك فيصل العالمية في الادب العربي لسنة ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م .

وتم في هذه السنة انتخاب الدكتور احمد عبد الستار الجوارى عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، واصبح هو والاستاذ محمد بهجة الاثرى العضوين العراقيين في المجمع المذكور الذى يضم ايضا في اعضائه المراسلين ثلاثة من اعضاء المجمع العلمي العراقي ، وشارك الدكتور احمد عبد الستار في الاجتماع السنوي لمجمع القاهرة وألقى فيه بحثاً ، ومثّل المجمع العلمي

العراقي في اجتماع اتحاد الجامعات العربية الذى استأنف المجمع العراقي دفع بدال الاشتراك فيه ، وشارك الدكتور عبد العزيز البسام في اجتماع المؤتمر العام لليونيسكو .

واجاب المجمع عن عدد من الاستفسارات التي ارسلتها المنظمة العربية للثقافة والآداب بناءاً على طلب مكتب تنسيق التعريب ، وأحال معجم القانون على الاستاذ ضياء شيت ، ومعجم الرياضيات على الدكتور جميل الملائكة ومعجم الجغرافية والآثار على الدكتور علي المياح ، لتدقيق هذه المعاجم تمهيداً لاقرارها .

واحال مشروع رموز المصطلحات العلمية المرسل من مجمع اللغة العربية الاردني على اللجان المختصة لابداء مطالعاتها عليه .

وسافر الدكتور عبدالعزيز البسام الى الكويت بطلب من حكومته للمشاركة في دراسة النظام التربوى في امارتها واعداد تقرير عنه .

واعيرت خدمات الدكتور علي عطية للعمل في مكتب التربية العربي في دول الخليج للاشراف على البرامج العلمية والثقافية والتخطيط لها .

اوفد الدكتور جميل الملائكة الى تونس للمشاركة في ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات التي تعقد في تونس في اوائل شهر تموز ؛ كما تمت الموافقة على ايفاد الدكتور محمود الجليلي الى فرنسا للمشاركة في مؤتمر تاريخ الطب الذى يعقد في اواخر تموز .

المكتبة :

تحوى المكتبة حاليا زهاء ٨٠/٠٠٠ كتاب ، و ١٥٠٠ دورية عربية واجنبية و ٣٥٠ مجلداً من الجرائد العراقية ، وتشمل هذه الارقام الكتب المرتبطة بالهيئة الكردية وعددها حوالي ١٧٠٠٠ كتاب ، والكتب المرتبطة

بالهيئة السريانية وعددها ٢٦٥٠ كتابا وعددا من الدوريات المعنية باللغة السريانية وآدابها .

وقد اضيف الى المكتبة خلال السنة نحو ٩٠٠ كتاب تم اقتناؤها بالشراء ، أو من التبادل والهدايا ، وأُكملت الاجزاء الناقصة من نحو ٣٠ دورية معنية بالعربية وثقافتها ؛ وبذلك اصبحت مكتبة المجمع تضم مجموعات كاملة مما صدر من هذه الدوريات الى سنة ١٩٨٥ ، واكملت أيضاً الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الاسلامية وتم الحصول على اطلس توبنجن المختص بتاريخ الاسلام وحضارته ، وتجرى متابعة انماء الصحف والمجلات والدوريات العربية والحصول على ما يستجد من المطبوعات العربية ، ويجرى العمل في اعداد بطاقات فهارس الكتب ؛ وتمت في هذه السنة فهرسة كتب المرحوم فؤاد عباس التي تبلغ نحو ٣٠٠٠ كتاب واعدت بطاقات ٣٠٠ من الكتب الاخرى التي لم تكن لها بطاقات فهارس .

وفرزت الكتب في اللغات الاجنبية ، وافرد لها جناح خاص ، واكمل تنظيم وفهرسة ٢٠٠٠ منها ، وتبذل جهود للتغلب على معطلات العمل في اكمال التنظيم والفهرسة .

وافردت خزانات خاصة للمعاجم ومطبوعات المصطلحات ، وللكتب المتعلقة بتاريخ بغداد وحضارتها ، وزودت المكتبة بـ ٢٠ خزانة اضافية وعدد من الكَراسي .

ويجرى العمل في اكمال تنظيم فهرسة الكتب المرتبطة بالهيئة السريانية

المخطوطات :

يبلغ عدد المخطوطات في المجمع زهاء ٤٧٥ مخطوطة ، منها ٣٠٠ مخطوطة في مكتبة الهيئة الكردية ، وفيها ايضاً ١٧٢٠ مخطوطة مصورة ، و ٧٦٨

رقيقات لمخطوطات وقد اضيفت في هذه السنة ٢٠ مصورة وتم الحصول على رقيقات لمخطوطة « أنساب الأشراف » من نسختي استانبول والمغرب ، ويجرى تصوير الاقسام غير المطبوعة منها لتيسير الافادة منها •

وزودت شعبة الاستنساخ بجهاز استنساخ جديد اضافة الى الاجهزة التي فيها ، وقامت الشعبة باستنساخ نحو تسعة وعشرين الف ورقة ، لاعمال اللجان والمكتبة والاعضاء والطلبات الخارجية ، وصورت نحو ٦٨٠٠ لقطة من رقيقات المخطوطات للمكتبة ، ولأعضاء المجمع ، وتلبية لطلبات مؤسسات خارجية وعدد من الباحثين •

المطبعة :

وبذلت جهود في انعاش عمل المطبعة وتخطي ما يعطله ، وقد التحق ثمانية من العاملين فيها بالجيش والجيش الشعبي ، وسُدّ الفراغ المتولد من ذلك باستخدام عدد من العاملين بعقود ، وبمضاعفة جهود المستمرين على العمل ، ويعمل حاليا في المطبعة عشرة موظفين ، واثنان من العمال غير الفنيين ، واربعة مستخدمين بعقود •

وقد انجزت المطبعة خلال هذه السنة طبع سبعة كتب: بغداد مدينة السلام، والتوفيق للتلفيق ، ونسب الخيل ، ومعجم علم النبات ، ومعجم المصطلحات البلاغية ، وفهرس المؤلفين للصوباوى ، وخطط البصرة ومنطقتها ، كما اتمت طبع ثمانية اجزاء من مجلة المجمع بضمنها جزء خاص للهيئة الكردية ، وجزء آخر خاص للهيئة السريانية •

واتمت طبع المصطلحات العلمية التي قدمتها لجان المجمع ، ويبلغ عدد ملازم مطبوعاتها لهذه السنة ٣٢٢ ملزمة ، اضافة الى ٥٠٠٠ من المصطلحات

الجهـاز الاداري :

مدير الشؤون الادارية والماليـة :

يقوم المدير العام للشؤون الادارية والمالية بالوكالة ، بالاشراف على ادارة المجمع وتنظيم سير العمل في ذلك ، وبمتابعة دوام واعمال منتسبيه من الموظفين والعمال والمستخدمين في اعمالهم ، ويقوم ايضا باعداد ما يتعلق بالمجمع وأعضائه من مكاتبات ومراسلات وتحضير متطلباتها ومتابعة تنفيذها .

ومما يتبعه مباشرة شعبة الادارة والذاتية التي تقوم بتنظيم حفظ وثائق المكاتبات والمراسلات وتدقيق محتواها وتيسير الرجوع اليها .

وبلغ عدد الكتب الصادرة من المجمع خـلال هذه السنة زهاء ١٣٠٠ ، وعدد الكتب الواردة اليه ٨٠٠ كتاب .

ويبلغ عدد المنتسبين الى المجمع ٩٢ ، منهم ٤٨ موظفاً ، و ١٩ عاملاً دائما و ٢٦ عاملا وقتياً : ويبلغ عدد الملتحقين منهم بخدمة الاحتياط ٢٣ ، اضافة الى من يلتحق موقتا بخدمة الجيش الشعبي ، ويقوم باعمال الكتابة على الطابعة ست من المنتسبات .

شعبة شؤون الاعضاء :

وتقوم شعبة شؤون الاعضاء واللجان العلمية بضمان طبـع دعوات حضور الاجتماعات وتوزيعها على الاعضاء والخبراء ، وطبع محاضر جلسات مجلس المجمع ، وديوان الرئاسة ، ومقررات اللجان ، واعداد الاجابات على مايرد الى المجمع من استفسارات علمية ، ومتابعة تنفيذ قـرارات اللجان ، وتنظيم استمارات حضور اعضاء اللجان وخبرائها وارسالها الى الحسابات للقيام بصرف المكافآت عنها .

شعبة الحسابات :

وتقوم شعبة الحسابات باجراء المعاملات الحسابية اليومية وما تتطلبه

من تسلم الايرادات وصرفها ومن ضمنها كذلك الايرادات عن بيع الكتب او اجور الطباعة والاستنساخ .

وتقوم ايضا باعداد قوائم مكافآت الاعضاء ، ومكافآت اعضاء اللجان وخبرائها واعداد قوائم رواتب الموظفين وأجور العمال وصرف ما يستحقون فيها ، وتنظيم سجلات الصرف ، ومتابعة الاوامر المتعلقة بالصرف ، وتقديم مقترحات لاعداد الميزانية واجراء التعديلات على بعض ابوابها عند الاقتضاء .

ويبلغ عدد موظفي شعبة الحسابات ثلاثة .

المخزن والخدمات :

وتقوم الشعبة المسؤولة عن المخزن بتسلم مطبوعات المجمع وتنظيم حفظها وتوزيعها وفق قوائم مقررة ، ومتابعة بيعها ، والاشراف على المشاركة في معارض الكتب ، كما تقوم بتنظيم حفظ القرطاسية وتوزيعها ويبلغ عدد العاملين في هذه الشعبة ثلاثة .

الخدمات :

ويقوم موظف مختص باعمال ما يتعلق بالكهربائيات وصيانتها واصلاح ما تتعرض له من خلل أو عطب ، ويشمل عمله متابعة عمل المحوّلة ، وأجهزة الاضاءة والتبريد .

ويقوم باعمال الصيانة موظف يتابع الاشراف على الابنية ومعالجة ما يطرأ عليها من خلل .

وقد تم في هذه السنة اجراء ترميمات في الابنية ، وتصليحات في بدالة الهاتف وشراء نضائد وخزانات ماء ومضخات ومواد كهربائية ، وكذلك عدد من المبردات والمراوح والكراسي والمدافىء والخزانات .

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

الاستاذ موسى عبد الصمد في ذمة الله

كلمة الدكتور صالح احمد العلي رئيس المجمع العلمي العراقي

فقد المجمع العلمي العراقي عضوه العامل الاستاذ موسى عبد الصمد الذى توفاه الله مساء يوم الجمعة ١٩٨٦/٦/٢٠ اثر نوبة قلبية مفاجئة لم تمهله ، فانتقل الى الدار الآخرة وهو في اوج نشاطه وعزّ حياته ، وانتهى بوفاته ما كان يقدمه للمجمع من اسهام غنى ، وعطـاء مثمر ؛ وانقطع ما كان يوليه اخوانه وزملاءه من عون وافر وحب صادق •

ولد الفقيد في اربيل عام ١٩١٩ حيث اتم فيها بعـد ان ترعرع دراسـته الابتدائية والثانوية ، ثم انتقل الى بغداد متابعاً دراسته في دار المعلمين العالية ، نال في ختامها شهادة الليسانس في العلوم الاجتماعية بمرتبة الشرف •

وتابع بعد تخرجه عمله في ميادين التدريس والادارة ، فدرّس بضع سنوات ، وتولى ادارة المعارف في اربيل والسليمانية واختير عضواً في المجلس التشريعى واميناً عاماً للتربية والتعليم الحالى ، وظل في عمله الى سنة ١٩٨٣ حيث احيل للتقاعد •

وامتد نشاطه ابان اعماله الوظيفية الى ميادين الحياة العامة ، فـكان نقيباً للمعلمين في السليمانية •

وكان في كل ما اسند اليه وتولاه مثال الجد في العمل ، والحرص على المصلحة العامة ، والاخلاص في الواجب والعون على البناء ، يعززه في كل ذلك عقل نيّر ، وتفكير سليم ، وحب للخير ، وسعى لبذل المعروف بهدوء وسكينة ، ، وتواضع ودماثة وطدت الثقة فيه ، ووسعت عدد معارفه واصدقائه ، وعزّزت مكانته في المجتمع وفي الحياة العامة •

وانضم الفقيد الى المجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٧٩ فاسهم في اعمال اللجان وتوجيهها ، وفي الدراسات ومنجزاتها ، وبعد انتهاء اعماله الوظيفية في الادارة وفي المجلس التشريعي لمنطقة الحكم الذاتي ، تفرغ للعمل المجمعي ، فكرّس له كل وقته وجهده ، وأحلّه اسهامه وتوجيهه مكاناً مرموقاً في اعمال الهيئة الكردية ، بما في ذلك منجزاتها في الدراسات الادبية واللغوية ، وجهودها في اصدار الاعداد الخاصة بها من مجلة المجمع ، اضافة الى قيامه باخلاص وكفاءة بما كان يسند اليه من اعمال علمية ، واتسم في كل ماشارك فيه من اعمال وما اسهم به من منجزات بالامانة في الواجب ، والدقة في العمل ، ورعاية المصلحة العامة ، وحرص على الجوهر دون العرض ، واللب دون القشور .

وكانت جديته في العمل ، ومثابرته فيه ، وسجاياه الحميدة ، وخلقه الفاضل ، ودماثته الهادئة مبعث الاعجاب والتقدير ، وعاملاً في تعزيز مكانته في قلوب زملائه ومعارفه ؛ وان المجمع يقدر عظم الخسارة بفقدانه ، ويحفظ له اجمل الذكرى ، ويعتز باسهاماته ، ويرعى اعماله وتوجيهاته ، ويدعو الله العلي القدير ان يتغمده بواسع رحمته ، ويسكنه فسيح جناته ، ويجعله في عداد من هم احياء عند ربهم يرزقون .



كلمة الدكتور احمد عبد الستار الجواري

(من المؤمنين رجال" صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) (صدق الله العظيم) •

الاستاذ موسى صمد رحمه الله اخ وزميل عرفته منذ ما يزيد على ثلث قرن ، كان ذلك عام ١٩٤٠ • كان معنا في ذلك العام شابان أتيا من أربيل ، تميزا بالخلق الرضي والوداعة والادب الجم ، كان موسى صمد احدهما وكان الآخر الحاج عثمان قوجه القصاب عافاه الله واطال في عمره • توطدت بيني وبينهما أواصر الصداقة لاسباب عدة كان من أهمها تعلقهما بالعبادة والدين ، اما الخلق الرضي والأدب الجم والوداعة فحدث عنها ولاحرج •

ثم تخرجنا ومضت بنا السبل كل في سبيله ، واشتغل في التعليم مثلما اشتغلت انا في التعليم وكنا نلتقي لقاءات غير قليلة ، فلم انكر من صفاته الكريمة وأخلاقه الحميدة شيئا ، لم يغيره ماغيّر غيره من الزملاء ، بقي محتفظاً بأدبه محافظا على خلقه وعلى وفائه •

حتى اذا قامت الحركه النقابية واشتغلت انا بهذه الحركة ممثلاً للتيار الذي كان يعمل لثورة السابع عشر الثلاثين من تموز ، لقيت من أخي وزميلي موسى صمد وكان مديراً للتربية في السليمانية ونقيبا للمعلمين فيها كل العون والمؤازرة ، ولم تكن الثورة قد قامت حتى ذلك الوقت • وبدأ بيننا عمل مشترك • اضاف موسى فيه الى ما اعرفه عنه حرصاً وطنياً ورغبة في الخدمة العامة ودأباً على خدمة زملائه واخوانه المعلمين ، سواء في ذلك مركزه الرسمي كمدير للتربية في السليمانية أو موقعه النقابي كنقيب للمعلمين ، ثم جاء بيان

آذار الذى دعا الى ان يقوم السـلم في ربوع هذا القطر العزيـز وأنشئت مؤسسات الحكم الذاتي فاختير الاسـتاذ موسى عبد الصمد بجدارة وبحق امينا عاماً للتربية والتعليم في ادارة الحكم الذاتي في كردستان •

واشتغل في ذلك وانتج وأقام نظم التعليم ومؤسساته على اسس متينة وباسلوب تميز بالحكمة والرصانة والحرص والاخلاص • ثم كان عمله في المجمع وقد شهدتموه حضراتكم ، رأيتم كيف كان حريصاً على مسألة الاملاء ان تكون صلة وصل بين الكرد واخوتهم العرب ان تكون وسيلة لتقوية الروح الوطني بين ابناء هذا البلد ؛ وقد كان في هذا معبراً اصدق تعبير عن نفسه الصافية وعن اخلاصه واستقامته وخلقه القويم •

رحم الله موسى وأسكنه فسيح جناته وانا لله وانا اليه راجعون •



كلمة الدكتور نوري حمودي القيسي

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذي يرثُ الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، الذي كتب على عباده الفناء ، واستأثر بالبقاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذي قال : فليتعزَّ بمُصيبته بي عن المصيبة التي تصيبُه بغيري وبعد ، فقد كتب الله على عباده الفناء لحكمة ارتضاها ، وارادة اقتضاها ، فجعل الموت حتماً وواجباً وسوّى فيه بين الضعيف والقوي فقال تبارك وتعالى « كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت » وليَعلمَ الناس أنهم اليه صائرون ، وباعمالهم مفردون ، وأن الدنيا دارُ بلاغ ، والآخرةَ دارُ قرار ، وهي أمل مُخْتَرم ، وأجَلٌ مُنْتَقص ، وبلاغ الى دار غيرها ، وسَيْرٌ الى الموت ليس فيه تعريج ، فرحِم الله امرأفكر في أمره ، ونَصَحَ لنفسه ، وراقبَ ربَّه ، واستقال ذنبَه ، ونوّر قلبه •

كتب الله علينا هذا ، وفي كلّ يوم لنا حديث نودعُ فيه صاحباً ، ونطوي فيه سيرة ، ونجمع أمراً ، ونذكر عزيزاً وصديقاً ، وتتطلع الى يومٍ ننسى فيه هذا الحديث وتلك السيرة ، وتتجاوُزه الى أحاديث أخرى ، ولله في أمره شؤون • فهو البصير بما يُعطي ، والحكيمُ بما يأمر ، والغنيُّ بما يُكرم ، تأخذنا الدنيا بغرورها ، وتُتعبنا الأهواء برغباتها ، وتسوفنا المطامع لماترتضيه حتى تقع الواقعة ، وتعظُمَ المصيبة ، فنسترجع قوله تعالى « انا لله وانا اليه راجعون » •

كان الفقيدُ بيننا قبل أيام ، يتحدثُ بما نتحدث به فيستمع الى احاديثنا ، ونستمع الى كلماته ، ونحن نودع اعزاء ، واخوةً اجلاّء ، وعلماء افاضل ، وقد امتلأ قلوبنا حزنا ، ونفوسنا ألما ، وغامت الدنيا في عيوننا حتى دمعت القلوب ، وارتعشت الاصوات ، وحشرجت الكلمات ، وضاقت علينا الارضُ

بما رَحُبت ، وَعزّ علينا المُعين وَقلّ النصير ، ولكن حكمة الله تعالى ، وارادته تُذهِبُ عنا همومَ الدنيا لنستقبل آيامَنا بما يجب أن نستقبل ، لنعاودَ دورنا في الحياة ، ولكن لا َنسى ماوُعِدنا به من قوله تعالى : اينما تكونوا يُدرككم الموت ولو كنتم في بُروج مُشيّدة ..

انها سُنّةُ الحياة ــ اخي موسى ــ عرفتها فاستسلمت لسلطانها ، وأدركتها فكنت من ركبها المُغادر ، وهي رِحلة لاتغادرُ راكباً الا امتطى صهوتها ، ولا مخلوقاً الا َتعلّق بها . ليكونوا في رعاية رَبّ حكيم ، ورحاب قلب رحيم .

انها سُنّة الحياة ــ أخي موسى ــ وقد اصبحت في عداد الذين غادروها مطمئناً ــ ان شاء الله ــ مُؤمناً بما كتب الله عليك وعلى الذين يعرفون حقوقه ونواهيه ، ويعملون بها سِرّاً وعلانية ، ويرتضون من الدُنيا بما يغني ومن الحياة بما يُحمد ومن الرضا بما يُطلب ، فلك من اخوانك الدعاء بالرحمة ، لتستقرّ في جناته خالداً ، ولك من الله الغفران لما قدمت لوطنك ، وبذلت من أجل اداء رسالتك ، طبت نفساً والى مثوى الصديقين ــ اخي العزيز ــ وليس لي وانا أودّعك ــ وقد تُخرس الخطوبُ الألسن وَتعقِد الفواجع القلوب الا أن أثني عليك بما أقدر عليه فأقول :

بأيّ احاديث الصفاءِ أُجيبُ ... وأيّ بقايا من رؤاك أُصيبُ
دعاك نوى عزّتْ علينا صروفه ... وَحسبُ القضا ان يُسترد حبيبُ
عرفتك لايلوي بك النأي مربعاً ... ولا يُبتلى في خافقيك وجيبُ
ولا ترتضي صمتاً عرفت شجونَه ... ولا غُربةً رانت عليك تجوبُ
ولكن ارادَ الله والله قادرٌ ... وكلُّ بعيدٍ في المُصاب قريبُ
أخي والمنايا داميات خطوبُها ... نواشبُها في المُصميات ضروبُ
فقدنا بك القلب السموحَ ورفِقةً ... مكارمها في الباقيات تطيبُ

كأنْ لم تكُنْ بالأمس نروي حكاية ولــــم تأتلف في الحادثــات قلـــوب
ولم نرتشف من كــلّ نبعٍ مواردأ يذوّبهـــا في الخافقـــين وثــوبُ
ولــم تعتورْنا في البعاد خوافــق ولـــم تأتلف في الموجعـــات جنوبُ
لنا كُلَّ يــومٍ وقفة نَستعيدُهــا يُمسُّ بهــا قَــرْحٌ ويخبو حبيب
هو الموت ماضاقت عليــه مسارب ولا جنحـــت في خطوتيـــه دروب
يُصيب نفوس الخلق انّى تعلّقتْ ويبعثها يــوم النشور حســيب



كلمة الدكتور جوامير مجيد

عرفت الاستاذ موسى صمد منذ اكثر من ثلاثين سنة عندما كان مديراً لثانوية السليمانية وكنا طلبة في نفس المدرسة . كان المرحوم مثالاً للمربي الكبير والاب الحنون للطلبة وقاد المدرسة في ظروف صعبة بكل كفاءة واقتدار وكسب احترام الطلبة وذويهم في تلك الظروف وأدى رسالته التربوية والتعليمية على احسن وجه ولن تكن هذه المهمة سهلة .

وعرفته مرة اخرى زميلاً فاضلاً في هذا المجمع الموقر وعضواً بارزاً في الهيئة الكردية ساهم بكل تفان واخلاص بأعمال الهيئة ولجانها وخدم اللغة الكردية وآدابها من خلال كتاباته في مجلة الهيئة وترؤسه للجان وكان آخر عمل جليل قام به في الهيئة تحمله مسؤلية عقد ندوة الاملاء الكردية بالحروف العربية وكان له دور بارز مما لاقت هذه الندوة وقراراتها من صدى جيد وواسع بين اوساط المثقفين الاكراد والمؤسسات الثقافية الكردية .

لقد كان المرحوم موضع احترام وثقة منتسبى الهيئة واصدقائه ومن عرفه وكان متميزاً بحكمته وهدوئه ورزانته في معالجة الامور .

لقد فقدت الهيئة بوفاته واحداً من اخلص وابرز اعضائها وان خسارته لاتعوض وليس لدينا الا ان نطلب من الله عز وجل ان يغمده فسيح جناته ولاهله واصدقائه ولنا الصبر والسلون .

وانا لله وانا اليه راجعون

الفهرس

مجلـــة

المجمع العلمــي العراقي

انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

سعر النسخة دينار ونصف

وتضاف اليها اجرة البريـــد



توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- البحوث والمقالات التي لا تنشر ، لا ترد الى اصحابها .

(العنوان : بغداد / الوزيرية / ص.ب. ٤٠٢٣)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغـداد ١٦٧٦ لســنة ١٩٨٦

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY

VOLUME 37

Part (4)



PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1 9 8 6